خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف

عماد الدين الأصبهاني الكاتب

القسم العراقي — الجزء الأول

حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته
محمد بهجة الأثري
عضو المجمع العلمي العراقي ونائب رئيسه الأول
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أعد أصله وشارك في معارضة نسخه وصنع فهارسه الدكتور
جميل سعيد
الأستاذ بكلية الآداب والعلوم ببغداد

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٥ — ١٩٥٥

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عظم حظّ العرب من الشعر ، وازدهرت فنونه عندهم في جميع عصورهم : ازدهرت في إسـلامهم كما ازدهرت في جاهليّتهم ، وعُنيت أجيالهم بالتثقّف به ، وافتنّوا في نظم أعاريضه وقوافيه ، ونوّعوا أغراضه ، وعمّقوا معانيه ، وجدّدوا أساليبه ، متأثرين بتطوّرات الزمان والمكان ، ومؤثرين فيهما على نحو مما تقتضيه سنن النشوء والارتقاء ، وتتطلبه بواعث الطبيعة الإنسانية المتشوّفة في نشدانها الكمال وابتغائها المثل العليا في كل جيل .

ثمّ ورث ذلك كلّه عن العرب هذه الطوائف المستعربة ، الداخلون في الإسلام والمتثقّفون بالثقافة العربية الإسلامية ، وهم لا يحصون عدداً ، فاحتذوا مثالهم فيه ، واستنّوا سننهم في الحفل بالآداب العربية والولع بقرض الشعر العربي الجميل المفعم قوّة وحياةً وجمالاً ، حتّى آلت اليهم زعامته في بعض العصور الإسلامية ، القديمة والحديثة ، مما استفاض حديثه في الكتب ، وعرفه شُداة تأريخ آداب العرب .

ولقد حفل هؤلاء وغيرهم بتدوين المأثور من الشعر والنثر ، وعُنُوا بروايته واختياره ونقده ، وألّفوا في فنونه وبلاغته وفي تـاريخه وطبقـات رجاله من قـدماء ومحدَثين ومُوَلّدينَ . وتعاقبت العصور وكلُّ جيل يُرْزَقُ نفراً من الكتّاب يتوفرون على تدوين تأريخ شعرائه وكتّابه وأدبائه ، أفراداً وجماعات ، ويقيمون لهم من إنتاجهم وروائعهم صروحاً شامخةً تنحسر عنها الأبصار ، وربما سمت همة فرد منهم فكتب تأريخ رجال عصره في أنحاء المملكة الاسلامية الواسعة كلّها ملمّاً بأخبارهم على قدر ما يبلغه جهده من ذلك ،

وبذلك اتصلت أواصر التاريخ ، واستحكمت حلقات العصور الأدبية عند العرب منذ الجاهلية الى يوم الناس هذا .

ولقد تعددت مناحي المؤلفين في كتابة مؤلفاتهم ، وتنوعت مذاهبهم فيها ، وكثيرٌ من مؤلفاتهم كان من الأمهات التي استوفت حظوظها من الجمع والاستيعاب والشمول بالقياس الى وسائل عصورهم . ومن ينظر في كتاب « الفهرست » و « كشف الظنون » وفهارس دور الكتب العامة والخاصة في الشرق والغرب ، ويقرأ فيها أسماء هذه المؤلفات ، أو يقف على هذه المؤلفات المدونة لعلماء الأدب والتاريخ ، يأخذه العجب من ضخامة الثقافة الأدبية العالية التي اشتركت في إنتاجها هذه الشعوب الإسلامية ، القاطنة ما بين مملكة الصين وتخوم بلاد الغال ، ويطلع منها على الجوانب الواسعة الممتدة التي حلّق في آفاقها أدباء العربية ، فيستنكر ما ينسجه الشعوبيون حولها من سفساف القول ومرذوله ، ويُدرك أن تاريخ الأدب العربي ـ على كثرة ما كُتب فيه في الزمن الأخير خاصةً ـ لم يكتب بعد كتابةً شاملة مستوعبة لحقائقه ودقائقه ، ويتبين له ـ من عظم ما يرى من آثار الشعراء والكتاب والأدباء وأئمة العربية في خزائن الكتب ، أن هذا التاريخ الأدبي لن تتيسّر كتابته على نحو يلائم عظمته ما لم تستخرج المدفونات من كنوز العرب من أماكنها ، وينشر المطويّ من سير الأدباء والمجهول من دواوين الشعر والأدب نشراً علياً محرر النصوص مجلوّاً بالشروح الضافية والتحقيقات الدقيقة .

* * *

من هنا كانت الثقافة (المجمع العلمي العلمي العراقي) ـ منذ أول العهد بانشائه في سنة ١٩٤٨م ـ الى هذه الناحية الخطيرة من نواحي النشاط الفكري الأدبي عند العرب والمسلمين ، وتفكيره في بعث ما كان للسلف في ذلك من تراث فخم ضخم ، خليق بمثله إحياؤه ونشره ، لتقف هذه الأجيال العربية الناشئة على مدى النشاط الذي تمتع به أسلافها في مختلف الأزمنة والأمكنة والبقاع فتتصلاً زهواً بسيرهم المحمودة ، ولتجد الهدى على آثارهم فتتّبع سننهم

في مجد العلم والأدب والحضارة ، مستلهمةً من أرواحهم فكرة البناء والإنشاء ، ومستوحيةً من روح العصر نزعة الإبداع والتجديد .

وقد كانت الجوانب التي تترتب على المجمع - وهو في مطلع حياته - دراستها ، والعناية بأمرها ، من وسائل وغايات : من طريف وتليد ، ومن تراث عربي وإسلامي ، ومن فكر غربي حديث ، ومن علم متجدد نام متسع الجوانب ، كثيرةً ، متعددة الصفات والمطالب ، مما يستنفد جهد الجماعات في السنين الطوال ثم لا تكاد تنال منها الا الصُّبابات ، لكثرة ما تناولته هذه الثقافات القديمة والحديثة من مطالب الحياة وشؤون النفس والعقل والطبيعة واللسان . . بل إن هذا الجانب وحده من تراث الفكر العربي ، في ناحية واحدة منه هي ناحية الأدب ، ليستدعي إحياؤه جهد الجماعات بَلْهَ الأفراد ، لامتداد زمانه وكثرة أربابه وتعدّد بيانه وتنوّع أغراضه وفنونه وأساليبه .. يستدعي إحياؤه جهداً ينفق في البحث عن فهارس المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب ، ويستدعي جهداً ثانياً ينفق في درس هذه الفهارس واستقراء محتوياتها للتهدّي الى الأصول من المخطوطات ، ويستدعي جهداً ثالثاً ينفق في الاتصال بالقائمين على المكتبات العامة وأصحاب المكتبات الخاصة ليسهلوا نسخ ما ينتهي الجهد الى اختياره من الأصول أو تصويره ، ويستدعي جهداً رابعاً يُعانىٰ في توطين النفس على الصبر الجميل في دراسة الأصول المنسوخة أو المصورة ومقابلتها وتحقيقها وضبطها وشرحها وصنع فهارس لها متنوعة الأغراض ... الى آخر ما هنالك من مطالب الطباعة والنشر مما لا يعرفه الا من كابده من العلماء الصابرين ، الناذرين أعمارهم لخدمة العلم وإذاعة الثقافة العالية في الأمة .

وما أنفقه المجمع العلمي العراقي ولا يزال ينفقه من جهد متواصل ، دون أن يثنيه وناء ، في ابتغاء نوادر التراث العقلي العربي والإسلامي في مظانها من المكتبات العامة والخاصة في العواصم الشرقية والغربية الحافلة بآثار العرب والمسلمين ، هو مما يستعصي على الوصف في هذه المقدمة ، ولا يقدره قدره الا الذين شارفوه واطلعوا على دراساته وأعماله من كثب .

وقد لاحظ المجمع على الجانب الأدبي من هذا التراث الفخم انقطاعاً في سلسلته ، لم يفكر المعنيّون بالإحياء والنشر في البلاد العربية والإسلامية والبيآت الاستشراقية كافّةً ، في وصل حلقاتها بعضها ببعض ، ولا سيما ما اتصل من ذلك بالعراق ، وهو مهد الثقافات وموطن الفحول من الأدباء والأعيان من العلماء والفلاسفة ، فطفق يبحث عن الأمهات التي تسدّ النقص في مظانّها من المكتبات العامة في الشرق الأدنى وفي أوربة ، حتى ظفر فيها بطائفة حسنة من الكتب التي يتطلبها ، وانتهى به دؤوبه الى نتائج قيمة سوف تظهر آثارها للناس اذا امتدّت به أسباب الحياة .

ومن هذه الأمهات التي جدّ في البحث عنها حتى ظفر بها ، فقرر إحياءها :

(خريدة القصر وجريدة العصر : للعماد القرشي الأصبهاني الكاتب)

وهو كتاب يملأ فراغ عصر كامل من عصور الآداب العربية ، تناول فيه مؤلفه كلّ من احتوته المملكة الإسلامية الشاسعة من الشرق الى الأندلس في القرن السادس وبعض القرن الخامس من شعراء وأدباء .

ولقد رأى المجمع أن يقتصر باديء بدء على إحياء القسم العراقي من هذا الكتاب الكبير ، ونشره محققاً ومضبوطاً ومشروحاً .

وها نحن أولاء نخرج منه اليوم أول أجزائه ، راجين من الله تعالى أن يكتب لنا التوفيق في متابعة إخراجها للناس ، والله تعالى وحده الذي يعلم مبلغ الجهد الذي أنفق في الحصول على أصوله ، ومدى صبرنا الجميل على درس هذه الأصول ، وعلى تحقيقه وضبطه وشرحه . وهو وحده مناط الرجاء في المثوبة على حسن النية وجزيل المسعى الذي بذل من أجله .

ولا بدّ لي - بعدُ - من أن ألمّ بوصف ذلك كله على قدر الاستطاعة ، بعد أن أعرّف القراء بمؤلف الكتاب وبالكتاب ، ليكونوا على بيّنة من مدى الصلة بين الأثر والمؤثر .

التعريف بعماد الدين القرشي الأصبهاني الكاتب

نسبه وبيته :

هو أبو عبد الله[1] عماد الدين محمد ، بن صفي الدين أبي الفرج محمد[2] ، بن نفيس الدّين أبي الرجاء حامد[3] ، بن محمد[4] ، بن عبد الله ، بن عليّ[5] ، بن محمود ، بن هبة الله ، بن أُلُه[6]

---

(١) كناه علي بن ظافر الأزدي في مواضع من كتابه بدائع البدائه بـ « أبي حامد » ، وفي موضع بـ « أبي محمد » ، وفي موضع بـ « أبي جعفر » ، كذلك كناه ابن كثير في تأريخه بـ « أبي حامد » ، والمشهور ما رويته .

(٢) من غرائب الغلط تسمية ابن الوردي اياه في تأريخه (٢/١١٧) « محمد بن عبد الله » ، وتسمية السيوطي اياه في حسن المحاضرة (١/٢٧٠ طبعة الموسوعات بمصر) « محمد بن أحمد » . والمعتمد ما أثبته ، وهو في التكملة لوفيات النقلة تأليف المنذري (مخطوط) ، والجامع المختصر ، والمختصر المحتاج اليه من تأريخ ابن الدبيثي ، ومرآة الزمان ، ووفيات الأعيان ، والوافي بالوفيات ، وطبقات الشافعية ، والبداية والنهاية ، وشذرات الذهب ، والدارس في تأريخ المدارس ، وغيرها .

(٣) رفعه ابن الفوطي في مجمع الآداب الى « أُلُه » ، وأسقط ما بينهما روماً للاختصار .

(٤) رفعه ابن الأثير في تأريخه (الكامل) الى « أُلُه » وأسقط ما بينهما كذلك .

(٥) زاد النعيمي في كتاب الدارس في تأريخ المدارس نقلاً عن تأريخ الأسدي بعد هذا (عبد الله) .

(٦) معظم المصادر التي ذكرتها في (ر ٢) على أن هبة الله هو ابن أُلُه ، الا وفيات الأعيان ، فوافقتها مرة (١/٦٠) ، وخالفتها مرة فجعلته لقباً للعماد كما هو ظاهر عبارته في (٢/٧٤) . كذلك جعله ابن الأثير في تأريخه (١٢/٧٠ طبعة بولاق) لقباً له أو لجده حامد ، وقال ابن السبكي (الطبقات ٤/٩٧) : « محمد بن محمد ... هبة الله المعروف بابن أُلُه » . والراجح أن « أُلُه » هو أبو هبة الله .

و (أُلُه) : اسم عجمي ، معناه بالعربية العقاب ، وهو الطائر المعروف . وقد اضطرب المؤرخون القدماء في ضبطه ، فنص ابن خلكان في وفيات الأعيان (١/٦١ و ٢/٧٤) والنعيمي في الدارس (١/٤٠٨) على أنه بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية (٤/٩٧) : هو بضم الهمزة واللام ، وسكت عن الهاء . واقتصر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٨/٥٠٤) على ضبط لامه بالتشديد ، ولم يتعرض للهمزة والهاء . وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/٣٠) : هو بتشديد اللام وضمها ولم يزد ، وقال ابن الأثير في الكامل (١٢/٧٠) : أوله باللام المشددة ، وزاد بعد الهمزة واواً . وقال صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات (١/١٣٢) : هو بفتح الهمزة وضم اللام ، وبمثله ضبطت الهمزة واللام في مجمع الآداب لابن الفوطي .

أما الباحثون المعاصرون ، فقد كتبه المستشرق الألماني بروكلمان Brockelmann في كتابه Geschichte der Arabischen litteratur (ص ٥٤٨) « آلُه » بمد الهمزة وضم اللام ، وتابعه على ذلك الدكتور شوقي ضيف في مقدمته للقسم المصري من « خريدة القصر » ص (ك) .

والصحيح المعتمد من كل ذلك ضبط القاضي ابن خلكان والنعيمي . وأما تشديد لامه ، فهو لغة فيه ، =

ـ المشهور بالعماد الأصبهاني [1] الكاتب .

كان بيته من بيوت الرئاسة والسؤدد والفضل والكتابة في القرنين الخامس والسادس الهجريين بأصبهان . وظاهر الحال من إضافته الى أصبهان أنه بيت فارسي الأصل . وقد كنت إخال ذلك حقيقةً مسلماً بها ، إذ كان جميع من ترجموا لرجاله من المؤرخين قد نصّوا على أصبهانيته ، ولم يتعرضوا لغيرها من صلاته ، فكأنهم وجدوا في هذه النسبة الى أصبهان ، وهي مدينة فارسية خالصة ، ما يدل على الأصل الذي ينتمي اليه ، فاكتفوا بالتلميح عن التصريح ، وطالما أغنت الإشارة عن صريح العبارة .

بَيْدَ أنّي وجدت مؤرخاً واحداً ممن وقفت على آثارهم من المؤرخين ، وهو ابن الفوطي ، قد شذّ عن هؤلاء جميعاً فنصّ في ترجمته للعماد في كتابه « مجمع الآداب » على تعيين أصله ، فنسبه الى (قريش) ثمّ الى (أصبهان) . وابن الفوطي من أوثق المؤرخين الذين ترجموا للعماد ولرجال بيته صلةً بأحوال فارس ، ومن أكثرهم معرفةً بدخائل أمورها ، لطول مقامه فيها . فاذا صح ما ذكره ، ولا إخاله إلا صحيحاً ، كان هذا البيت في الصميم من النسب العربي .

ولست أجد في هذا غرابة ، فان هجرة القبائل العربية بعد الفتوحات الإسلامية في الشرق قد امتدّت الى الصين ، وتوطّن كثير من الأسر العربية العريقة بلاد فارس وغيرها ، ما قرب منها وما بعد ، وأصهروا الى الأقوام التي دانت بالإسلام ، وكانت لأجيالهم من بعدهم خؤولة في الأمم المفتوحة ، ومن النوابغ العظماء في هذه الأجيال العربية الفارسية :

= ففي « كتاب تبيان نافع ترجه' برهان قاطع » (ص ٩٩) : « أله : فتح لام وخفاي ها ايله ـ مثل أزرق اسيدر ... وضم لام وظهور (ها) ايله : عقاب اسيدر كه طوشنجل تعبير أولنان قوشدر ، بعض ديارده بوكه « قره قوش » ديرلر . وتشديد لامله ده لغتدر » .

والجاري من نطق الفرس به اليوم فتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء عند ناس كما ضبطه ابن خلكان والتميمي ، واشمام الهمزة الضم وتشديد اللام المضمومة حيناً آخر عند ناس آخرين كما ذكر في برهان قاطع . ذكر لي هذا السيد حسين محقق رواية عن السيد قدسي نخعي السفير الايراني ببغداد . وهو من أدباء الفرس .

(١) قال ابن الأثير في اللباب (١/٥٥) : « إصبهان : بكسر الهمزة (أراد الألف) ، أو فتحها وسكون الصاد وفتح الباء الموحدة » .

أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، والأبيوردي الشاعر المشهور، وهما أمويان في الصميم من أمية بن عبد شمس، وبديع الزمان الهمذاني وخؤولته في مضر، وغيرهم كثير جداً ليس هذا مقام استيفائهم. فليس ما ذكره ابن الفوطي من نسب هذا البيت في قريش ببعيد عن الصدق، وإن انفرد به بين المؤرخين.

* * *

وقد ظهر هذا البيت في العهد السلجوقي، وكان وثيق الصلة بالدولة، فتقلب رجاله في الادارة والسياسة، وكان من خصائص رجاله التثقف بالثقافتين العربية والفارسية. ويظهر من استقراء أحوالهم أن العناية بالآداب العربية وبرواية الشعر العربي وقرضه كانت عريقة عند قدماء رجال هذا البيت.

فقد وجدت جد العماد[1]، وأعني به أبا الرجاء حامد بن محمد، على ما ذكر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، يحفظ شعر البحتري ودواوين العرب. وحفظ شعر البحتري ودواوين العرب ممتنع عقلاً، فكأن السبط أراد بهذه المبالغة وصف مبالغة أبي الرجاء في التوفر الشديد على الشعر العربي. ومن هنا استوفى حظه من البلاغة العربية والذوق الشعري، وتسنّى له أن يقرض الشعر الجيد. ومنه قوله، وقد ظرف في البيت الثاني منه:

تولّى الجهلُ وانقطع العتابُ ... ولاح الشيبُ وافتضح الشبابُ
لقد أبغضتُ نفسي في شبابي ... فكيف تحبّني الخود الكَعابُ؟!

ووجدت أبا نصر أحمد[2] بن حامد المستوفي المعروف بالعزيز - وهو عم عماد الدين - (٤٧٢ - ٥٢٦ هـ) شاعراً فصيحاً، وكان الى ذلك جواداً ممدّحاً، ووزيراً خطيراً. اختصّ بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، ودبّر قوانين الوزارة. ومن شعره ما كتب به الى بعض أصدقائه:

---

(١) في مرآة الزمان (٨/٥٠٥): «عمه»، وهو خطأ.
(٢) وفيات الأعيان (١/٦٠).

وجد من أخلاقهم العالية في المعاشرة ومن تقريب الدولة له ما جعله يحبهم حب عصبية ، ويحب الدولة التي أسبلت عليه ، وقدرت نبوغه فاستخدمته في شؤونها الجليلة . وقد بلغ من اندماجه في العرب ببغداد وإخلاصه للعباسيين أن أصبح يشعر بشعورهم ، وقد هاله استفاضة بحور الأعاجم من الديلم والترك على بغداد وشغبهم على الخليفة ، فاستفظع ذلك في بعض كتبه ، وشنّع على ادارتهم وسياستهم بعبارات لا تصدر الا من قلب عربيّ العواطف ، وكم في الفرس وفي غيرهم من الأمم التي دانت بالإسلام من رجال أخلصوا للعرب والعربية وخدموهما أجلّ الخدمات . على أنه اذا صح ما ذكره ابن الفوطي من (نسبه) في (قريش) ، كانت عصبيته هذه للدولة العباسية طبيعية لا غرابة فيها ، لأن الشيء من معدنه لا يستغرب !

نشأته الأولى :

كان مولد العماد بمدينة أصبهان في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وخمس مئة للهجرة . وأصبهان - كما قال ياقوت - مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وأعيانها ، يسرف الواصفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد الى غاية الإسراف . وأصبهان اسم للإقليم بأسره أيضاً . وكانت مدينتها أولاً (جَيّاً) ، ثم صارت (اليهوديّة) . وكانت مساحتها ثمانين فرسخاً في مثلها . وهي ستة عشر رستاقاً ، كلُّ رستاق ثلاث مئة قرية قديمة سوى المُحْدَثة . وهي صحيحة الهواء ، نقية الجو ، خالية من الهوام . وبها نهر يقال له (زَنْدَرُوذ) غاية في الطيب والصحّة والعذوبة ، وعليه قرى ومزارع .

وقد فتح العرب أصبهان ورساتيقها في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فعمرت بالإسلام ، وعلا شأنها ، حتّى صارت من أهم مراكز العلم في المملكة الإسلامية العظيمة ، وألّف فيها عدة تواريخ ، وخرج منها من العلماء والأئمة في كل فنّ ما لم يخرج من مدينة من المدن ، ولاسيّما علوّ الإسناد ، فان أعمار أهلها تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، فكان بها من الحفّاظ خلق لا يحصون .

لكنّها فشا فيها وفي نواحيها الخراب في أواخر القرن السادس الهجريّ ، لكثرة الفتن والتعصّب بين الشافعيّة والحنفيّة والحروب المتّصلة بين الحزبين . واستشرى ذلك في الربع الأوّل من القرن السابع ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلّة الأخرى وأحرقتها وخربتها ، لا يأخذها في ذلك إلٌّ ولا ذمّة . وكانت مع ذلك لا تدوم بها دولة سلطان أو يقيم بها فيصلح فاسد . قال ياقوت : وكذلك الأمر في رساتيقها وقراها التي كانت كلّ واحدة منها كالمدينة .

ويظهر من هذا ومما ذكره ياقوت نفسه عن خراب الرّيّ لعهده أيضاً أن موجة من التعصب الذميم الذي يأباه الإسلام ، قد اجتاحت إيران في العصور الوسطى ، أدت الى خرابها وذهاب العلم منها ، كما اجتاحتها موجة أخرى من إلحاد الباطنيين الذين أقلقوا البلاد بالفوضى والتخريب واغتيال الخلفاء والوزراء وأعيان علماء الملّة . وقد عجزت الدولة عن قمع فتنتهم ومحو باطلهم ، حتى طلعت عليهم جيوش التتار من صحاري آسية الوسطى ، فأخمدت أنفاسهم ، وأماتت بقايا دعوتهم في « ألموت » . ولست أشكّ في أنه كان لهؤلاء الباطنيين الأثر الأكبر في إيقاد نيران الحروب بين الحنفية والشافعية ، وبينهم وبين غيرهم ، إذ كان مذهبهم إشاعة الفوضى والاضطرابات في جوانب المملكة الإسلامية ، وضرب المتخالفين بعضهم ببعض ، لينفذوا من ذلك كله الى هدفهم الأكبر ، وهو إبعاد الإسلام ومحو آثار العرب والعربية وحكم المملكة بأسلوبهم الخاص .

* * *

تفتح ذكاء العماد في هذه البيئة ، وقد ذرّ فيها قرن الفساد والتخريب ، ورأى في صغره أشياء من مقدماته وصوراً منكرة للفساد السياسي الذي تعرض رجال بيته لشره ، كما أدرك فيها أعقاب عهود النشاط العلمي الحادّ الذي تفردت به أصبهان أو كادت ، وقد وجد فيما سمعه من أخبار أعيان العلماء والأدباء وأئمة العربيّة الذين أخرجتهم مدينته وفيما رآه من

سيرة أهل بيته في السَّراوة والرئاسة والفضل والكتابة ، ما حبّب اليه المثال الذي اُحتذوه في الحياة . وكان من سنة أهل بيته التبكير في تعليم أطفالهم وأخذهم بالسيرة العالية في العلم والأدب والسراوة ، وكان أهله على مذهب الإمام الشافعي ، وقد دلت سيرهم عامة وسيرته خاصة على أن أثر بيأتهم هذه في التعصب المذهبي كان ضعيفاً في نفسه وفي أنفسهم جميعاً ، لما أدركوا من سوء مغبّته من جهة ، ومن مجافاته لروح الإسلام وطبيعته من جهة أخرى . فلما دفعوه الى التعلم صبياً ، شغلوه بسماع الحديث وهو يشرب قلب سامعه حب التوحيد والوحدة الإسلامية ويجنّب المرء مزالق العصبيات المذهبية . وقد سمع العماد وهو في السادسة من عمره أو دونها : سمع من أبي عبدالله الفُراويّ النيسابوريّ ومن أبي القاسم ابن الحصين ، وأجازا له على ما سأذكره . وقد يلوح هذا شيئاً غريباً في أيامنا ، ولكن سماع الصغار كان مألوفاً في العصور القديمة ، فقد سمع الحافظ ابن عساكر الدمشقيّ وابن الجوزيّ البغداديّ وهما في السادسة من عمرهما ، وسمع الحميدي من كبار تلامذة ابن حزم وهو في الخامسة أو قد تخطّاها ، بل سمع أبو بكر بن شيرويه [1] مسند خراسان وهو ابن ثلاث سنين ونصف سنة ، وهكذا .

وقد تعلّم العماد العربيّة في أصبهان على ابن الأخوة الشيبانيّ البغداديّ نزيل أصبهان . وقد علمنا أنه كان يجيد الكتابة بالفارسية إجادته لها بالعربية ، فلا جرم أنه أخذ بتعلّم الفارسيّة وآدابها بأصبهان ناشئاً ، ومارسها من بعدُ في العراق حتى تسنّى له أن يكون من كتّابها المجيدين .

بيأته الثانية :

وكانت بيأته الثانية العراق والشام ومصر ، بيدَ أنّ الأثر العلمي الكبير في ثقافته إنما كان الفضل فيه لبغداد وعلماء (المدرسة النظامية) فيها وغيرهم . وقد ورد عماد الدين بغداد

(١) روى خبره صديقي الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمته لـ (تاريخ مدينة دمشق) للحافظ ابن عساكر (ص ١٥) نقلا عن التحبير (مخطوط ، ورقة ٤٩ ب) .

في سنة ٥٣٤ هـ وهو في السنة الخامسة عشرة من عمره [١] : وردها مع أبيه صفيّ الدين بعد خروجه من معتقله ونبوّ أصبهان به طالباً الأمن والسلامة والكرامة في ظلّ الخليفة العباسي ببغداد، فاتّخذها دار مقامه. واتّفق أن كان البيت الذي نزله جاراً لبيت ابن الدهّان النحوي [٢] المتوفّى سنة ٥٦٩ هـ، وكان يقال حينئذ : « النحويّون أربعةٌ : ابن الجواليقيّ، وابن الشجريّ، وابن الخشاب، وابن الدهّان [٣] »، وانعقدت صلة الودّ بين أبيه وبين ابن أفلح الشاعر، فكان ابن أفلح يختلف اليه ويبثه شجوه، لبث على ذلك زهاء ثلاث سنين ثم توفي، فكان هذان العلمان : ابن الدهان وابن أفلح من أوائل الأعلام الذين رآهم عماد الدين ببغداد في صباه، وقد ذكر في الخريدة [٤] أنه طالع ما جمع من شعر ابن أفلح، وهو قليل؛ لأن الخليفة أخذ من بيته أشعاره كلها. ولم يذكر عن علاقته بابن الدهّان شيئاً، إنما ذكر أنه تلمذ لابن الخشاب أحد هؤلاء النحاة الأربعة ببغداد، وأنه انتظم في سلك طلاب (المدرسة النظامية) فثقف النحو واللغة والأدب، وسمع الحديث، ووعى الفقه والخلاف والأصول، ودرس العلم الرياضي. وذكر في الخريدة أنه اشتغل بحل أقليدس [٥].

وكان شديد النشاط، عظيم التوفر على التحصيل، لا يني ولا يقف عند حدود ما يتلقاه من شيوخه في النظامية وغيرهم، بل كان يتعدى ذلك الى حلقات المناظرات ومجالس الوعظ الممتازة، فيتتبعها ويترصد أوقاتها، ليشهدها، ويفيد منها العلم والرأي ومناهج الجدل بين العلماء الذي بلغ الغاية من القوة والبراعة في عصره، ويقتبس أساليب الإلقاء والأداء والتأثير في السامعين، ويعلّق ما يسمعه من الفوائد والغرائب في هذه الحلقات والمجالس.

(١) نص المترجم على هذا في كتابه خريدة القصر (القسم العراقي ج ١ الورقة ٩٢)، ومنه يتبين خطأ ما ذهب اليه صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات، والدكتور شوقي ضيف في مقدمته للقسم المصري من كتاب الخريدة من أنه وردها ابن عشرين سنة أو نحوها.

(٢) الخريدة (٢ الورقة ٢٢٥).

(٣) تراجمهم في بغية الوعاة للسيوطي وغيرها.

(٤) الخريدة (١/ الورقة ٩٢).

(٥) الخريدة : القسم العراقي المطبوع (١/ ١٦١).

وتحدث في ترجمته لأبي الوفاء علي بن عقيل الإمام الحنبلي المشهور، في الخريدة، عن أستقرائه للمناظرات التي جرت بينه وبين الكيا الهراسيّ، فذكر أنه علق منها فوائد كثيرة ونكتاً غريبة، وقد أعجبه منها أنه وجد كلاماً جزلاً، وأسلوباً بديعاً رائقاً، ومنهاجاً قويماً واضحاً.

ووصف في «نصرة الفترة» ترصده، أيامَ صِباه، مجالس الأمير العالم قطب الدين أبي منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ المشهور، المتوفَّى سنة ٥٤٧ هـ، وحرصه على حضور مجالسه يكتبها من لفظه. وقد قدم هذا الأمير العالم الواعظ بغداد سنة ٥٤١ هـ رسولاً من السلطان سنجر الى الخليفة، ووعظ ببغداد بجامع القصر وبدار السلطان، ففتن السلطان فمن دونه بفصاحته، وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه، وأما العامة فانهم كانوا يتركون أشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه[1]. وكان العماد يومئذٍ في الثانية والعشرين من عمره فشهد بعض مجالسه على شاطىء دجلة، واذا السلطان وقد أطل عليه من أعلى مكان، والأمير عباس صاحب الريّ في شبّارته بدجلة بحيث يسمعه، والجماهير البغدادية محدقة به ملقيـــة بأسماعها اليه، وهو يفتنهم جميعاً بما يبديه من سحره وبدعه. وشهد العماد في هذا المجلس الخليفة المقتفي لأمر الله يقوم فيقبل على العبادي ويقبّله، ويرفعه ويبجّله، ويأمره بالجلوس في جامع القصر بحيث يقرب من منظرته ليجلس حيث لا يراه وهو بحضرته، فأخذ بما رأى من عبقرية الواعظ ومن إصفاق الدولة والشعب على تكريم النبوغ، فطفق يترصد مجالســه مدة مقامه ببغداد: يكتبها من لفظه، ليتملّى بدائعه وروائعه، وليكون له مثل حظه من العلم والفصاحة والبيان، إذ كان – كما حدّث عن نفسه فيما حمله على تعليق مناظرات أبي الوفاء والكيا الهراسي – يروقه الكلام الجزل السهل، والأسلوب البديع الرائق، والمنهاج القويم الواضح.

ثم إنّه، بعد أن أنفق زمناً في التحصيل ببغداد، عاد الى أصبهان مع أبيه في سنة ٥٤٣ هـ

(١) الكامل (١١/٤٨) بولاق، ومختصر تأريخ الاسلام للذهبي (مخطوط في خزانة الأوقاف ببغداد).

في زيّ طلبة العلم ، فتفقّه بها على الخجنديّ والوركانيّ [1] . وخرج منها في سنة ٥٤٨ هـ الى مكة حاجاً [2] ، ثم عاد اليها .

وفي سنة ٥٥١ هـ قدم مع أبيه ثانية الى بغداد على نيّة توطنها ، فانصرف هذه المرّة الى الأدب انصرافاً تامّاً ، وعانى الشعر والنثر فبرع فيهما ، ودأب على تجويدهما طوال حياته ، فلم يأنف بعد علوّ سنه وارتفاع مكانته من الاستفادة من كل إنسان يشيم عنده بارقة فضل وأدب ، فقد رأيته – وهو نائب الوزير بالبصرة في سنة ٥٥٦ هـ – يقرأ شيئاً من كتاب المجمل في اللغة لابن فارس على أديب بصري يقال له ابن الأحمر التميمي [3] ، ويسمع مقامات الحريري على ابن الحكيم [3] عن الحريريّ ، كما يسمعها على ابن الحريري أبي العباس محمد الملقب بزين الإسلام [3] ؛ إذ وجد فيه فصاحةً ولسناً وفضلاً ، ووجده متقناً لمقامات أبيه متناً وشرحاً ، وقد قرأ عليه من المقامات الخمسين أربعين مقامة ، فقطعه المرض عن إتمامها ، وعاد الى بغداد .

ورأيته يقرأ على الأمير أبي الفوارس المشهور بحيص بيص [3] ديوانه ، ويثبت معظمه في خريدة القصر روايةً عنه . ويسمع جميع شعر القاضي أبي بكر الأرّجاني على ابنه [3] عنه ، ويثبت كثيراً منه في الخريدة ، كما يسمع على الأديب النابه « النَّطَنْزيّ [3] » أكثر شعر أبي المظفر الأموي الأبيوردي .

ثم رأيته ، وقد علا شأنه في الدولتين النورية والصلاحية وتصدّر للتدريس والإفادة في المدرسة النورية بدمشق وأقبل الناس على سماع الحديث عنه وتلقي الفقه وغيره عليه [4] ،

---

(١) مرآة الزمان (٨/٥٠٥) ، وسأترجم لهما .

(٢) مرآة الزمان (٨/٥٠٥) ، والخريدة : القسم الشامي (مخطوط ، الورقة ١٨٨) في ترجمة محي الدين أبي حامد محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي حلب ، وكان شريكه في التعلم بالمدرسة النظامية ببغداد . وقسم شعراء العجم من الخريدة (الورقة ١) وفيها : « فارقت اصبهان سنة ٥٤٩ هـ » .

(٣) سأترجم لهم .

(٤) ذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب « التكملة لوفيات النقلة » (مصور في خزانة المجمع العلمي العراقي) : أن العماد « حدث ببغداد ودمشق ومصر » ، وأورد ابن السبكي في طبقات الشافعية (٤/٩٧) أسماء نفر من العلماء الذين رووا عنه ، وهم : ابن خليل ، والشهاب القوصي ، والعز عبدالعزيز =

مشابراً على خطته هذه من لقاء كبار الشيوخ للأخذ عنهم والسماع منهم . ففي دمشق سمع على الحافظ ابن عساكر بعض تاريخه الكبير وشيئاً من مؤلفاته ، وفي مصر سمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ أبي طاهر السِّلَفي" و« الموطأ » من الإمام أبي طاهر ابن عوف الزهري" على ما سأذكره في شيء من التفصيل في الكلام على شيوخه قريباً .

وهذا دأب المطبوعين على حب المعرفة واستكمال أسبابها ، يرون أنفسهم أبداً ناقصين فيسعون لتكميلها وتجميلها بحلية الفضل والأدب ، لا يأنفون من الأخذ عن كل ذي زاد من معرفة ، ولا تقعد بهم السن وسمو" المراتب وجلال الأقدار عن متابعة التحصيل . وقد دلّت سيرة العماد الكاتب في هذا الشأن على رجل مثالي في اقتباس أزواد المعرفة ، قليل النظراء في اعتكافه على الدرس والبحث والتدوين .

وقد أذكى هذه الحاسّة في نفسه عبقريةُ اللغة العربية ، وجاذبيتها ، وهذا السحر الذي تعظم حظوظ آدابها منه ، ثم رواج شأن الكتابة يومئذٍ في الدولة برفعها لأقدار الكتّاب ، وكانت البلاغة سبيل الوزارة عند العباسيين والأيوبيين ، وبها ضاهى العماد الوزراء في الدولة الصلاحية .

* * *

شيوخه :

كان للعماد عدد من الشيوخ غير قليل ، أخذ عنهم علمه وأدبه ، ودعاه الى الاستزادة منهم حرصه العظيم على الاستزادة من ثقافات عصره في جميع فروعها ، بقدر ما يتسع لمادرعه ، يذكر بعض مترجميه نفراً منهم ، ويضيف اليهم غيرهم نفراً آخر ، ويغفل هذا النفر جميعاً

= ابن عثمان الإربلي ، والشرف محمد بن ابراهيم بن علي الأنصاري ، والتاج القرطبي . وذكر في « المختصر المحتاج اليه من تأريخ ابن الدبيثي » (ص ١٢٣) ممن سمع منه ببغداد القاضي عمر بن علي . وقال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٥٠٦/٨) إنه أجاز له . وقال الحافظ المنذري في التكملة (الورقة ١٩) : « ولنا منه إجازة ، كتب الينا بها من دمشق في شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وخمس مئة » . أي قبل وفاة العماد بسنتين .

آخرون . والذين يذكرون منهم بعض شيوخه قد يصفون نوع ما أخذه عنهم من علم أو أدب ، وقد يغفلون وصفه إطلاقاً غير آبهين له ، فنحن نعلم أن العماد قد درس العلم الرياضي واشتغل بحل أقليدس ، ولكننا لا نعلم عن أستاذه في هذا شيئاً ، بل العماد نفسه لم يسمّه ولم يعرض له فيمن يعرض لهم أحياناً في « الخريدة » .

ولقد آثرت أن أتتبع شيوخه جهدي ، وأن أشير بإيجاز شديد الى أظهر خصائصهم ومنازعهم ، استجلاءً لعلاقاته الثقافية ، وتوضيحاً لنشاطه العقلي والأدبي ، وتصوراً لشيء مما كان شائعاً في عصره من تمازج الثقافات وما كان يُعنى به المثقفون عناية جامعة من أنماط العلوم والآداب ، أصيلة أو دخيلة ، لا يفترون في تحصيلها والعكوف على اقتباسها وهضمها ، ولا يألون في الإنتاج فيها طوال أعمارهم حتى تسلمهم آجالهم الى الموت .

(١) أبو القاسم ابن الحصين (٤٣٢ — ٥٢٥ هـ)

هبة الله [١] بن محمد بن عبد الواحد بن العباس بن الحصين الشيبانيّ البغداديّ ، الكاتب الأزرق ، مسند العراق . سمع على جماعة من علية المشايخ ، ورحل اليه الطلبة وازدحموا عليه . وكان ديناً ، ثقة ، صحيح السماع . سمع منه أبو الفرج ابن الجوزيّ البغداديّ مسند الإمام أحمد بن حنبل جميعه .

ذكره ياقوت وابن السبكيّ والمنذريّ فيمن أجاز للعماد . ويفهم من تاريخ مولد العماد ووفاة ابن الحصين أن العماد قد أخذ عنه بأصبهان وهو في نحو السادسة من عمره ، وقد رويت في (ص ١٦) ما ذكروا من سماع الصبيان قديماً .

(٢) أبو عبد الله الفراوي [٢] (٤٤١ — ٥٣٠ هـ)

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/٢٤) ، والبداية والنهاية (١٢/٢٠٣) ، وشذرات الذهب (٤/٧٧) .

(٢) ضبط في معجم الأدباء ، طبعة الرفاعي ، بفتح الفاء وتشديد الراء . والصحيح ضم الفاء وتسهيل الراء نسبة الى فراوة ، بليدة قريبة من خوارزم يقال لها « رباط فراوة » بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون وهو يومئذ أمير خراسان ، وخرج منها جماعة من العلماء . أنظر معجم البلدان واللباب .

محمد [1] بن الفضل بن أحمد الفُراوي الصاعدي النيسابوري، راوي صحيح الإمام مسلم عن عبد الغافر الفارسي [2]، ومسند خراسان، وفقيه الحرم. كان شافعياً، مفتياً، مناظراً، ظريفاً، يخدم الغرباء بنفسه. سمع من خلق كثير، وأملى أكثر من ألف مجلس. وكان يقال: «الفُراوي، ألفُ راوي»، حكاه ابن السمعاني عن بعضهم.

ذكر ياقوت وابن السبكي والمنذري أنه ممن أجاز للعماد. ويؤخذ من تاريخ وفاته ومولد العماد أن العماد لقيه بأصبهان وهو دون الحادية عشرة في أكبر تقدير.

(٣) جمال الدين ابن الأُخوة الشَّيباني

أبو الفضل عبدالرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن الأخوة البغدادي الشيباني. لم أر فيمن ترجموا للعماد من ذكره في شيوخه، وإنما ذكر ذلك العماد نفسه حين ترجم له في الخريدة. وقد أفاض في الثناء عليه، وذكر أنه أقام أربعين سنة بأصبهان، حتى كاد يعدّ من أهلها، وجمع بين لطافة بغداد وصحة هواء جيّ (أي أصبهان)، فانّ منشأه بمدينة السلام، وهو جامع للعلوم ومتفرّد بإنشاء المنظوم والمنثور. ثم قال: «وحضرت للاستفادة منه بأصبهان عنده، واستقدحت لاقتباس أنفاسه زنده، وانتظمت في سلك المستفيدين من غرر أشعاره، المتحلّين بدرر بنات أفكاره».

(٤) ابن البناء البغدادي (٤٥٣ — ٥٣١ هـ)

أبو عبد الله يحيى [3] بن الحسن بن أحمد بن البنّاء البغدادي الحنبلي. كان أبوه [4] من أعلام الحنابلة ببغداد، بكر به في السماع فسمع منه ومن غيره، وحدّث، وروى عنه جماعة

(١) وفيات الأعيان (١/٤٨٧)، وطبقات الشافعية (٤/٩٢)، والمنتظم (١٠/٦٥)، والكامل (١١/١٩)، والبداية والنهاية (١٢/٢١١)، وشذرات الذهب (٤/٩٦).

(٢) قال ابن الأثير في الكامل: «وطريقه اليوم أعلى الطرق، واليه الرحلة من الشرق والغرب».

(٣) شذرات الذهب (٤/٩٨)، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ص ٢٢٦) طبعة المعهد الفرنسي بدمشق، بتحقيق صديقينا: المستشرق الفرنسي الأستاذ هنري لاووست، والدكتور سامي الدهان.

(٤) له ترجمة حافلة في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب.

من الحفاظ : منهم ابن الجوزي البغدادي ، وابن عساكر الدمشقي . وروى عنه السمعاني إجازةً وقال : « كان شيخاً صالحاً حسن السيرة ، واسع الرواية ، حسن الأخلاق ، متودداً ، متواضعاً ، براً لطيفاً بالطلبة مشفقاً عليهم » .

ذكره المنذري [١] في شيوخه ، ولم أره عند غيره .

(٥) أبو البركات النيسابوري البغدادي (٤٣٥ — ٥٤١ هـ)

اسماعيل [٢] بن أحمد بن محمود بن دوست ، الصوفي المعروف بشيخ الشيوخ . كان أبوه من أهل نيسابور ، فاستوطن بغداد ، وولد بها ابنه اسماعيل ، وسمع الحديث عن أبي القاسم ابن البسري وطائفة ، ورواه . وكان مهيباً جليلاً وقوراً .

ذكره المنذري [٣] في شيوخه ، ولم أره عند غيره .

(٦) أبو الفتوح الاسفرايني (٤٧٤ — ٥٣٨ هـ)

محمد [٤] بن الفضل بن محمد بن المعتمد ، كان من أفراد الدهر في الوعظ ، وأوحد وقته في مذهب الأشعري ، وله في التصوف قدم راسخة وكلام دقيق ، صنف فيه كتباً منها (كتاب كشف الأسرار) . قدم بغداد ، وكان يتكلم على مذهب الأشعري ويروج له ، فثارت عليه الحنابلة ، ووقعت فتن . فأمر الخليفة المسترشد بالله باخراجه ، فخرج الى أن ولي المقتفي ، فعاد واستوطن بغداد ، فلم يزل يعظ ويظهر مذهب الأشعري الى أن عادت الفتن على حالها ، فأخرج ثاني مرة ، وأدركه أجله ، ودفن ببسطام .

انفرد سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان في عده من شيوخ العماد بأصبهان .

(٧) ابن الرزاز البغدادي (٤٦٢ — ٥٣٩ هـ)

---

(١) التكملة لوفيات النقلة (الورقة ١٩ ، من النسخة المصورة بخزانة المجمع العلمي العراقي) .
(٢) المنتظم (١٠/١٢١) ، ومرآة الزمان (٨/١٨٨) ، وشذرات الذهب (٤/١٢٨) .
(٣) التكملة لوفيات النقلة (الورقة ١٩) .
(٤) طبقات الشافعية (٤/٩٤) ، والمنتظم (١٠/١١٠) .

أبو منصور[1] سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزّاز[2] ، من كبار أئمة بغداد فقهاً وأصولاً وخلافاً . تفقه على الغزاليّ وغيره ، وولي التدريس بالنظامية مدة ثم عزل ، وانتهت اليه رئاسة الشافعية ببغداد .

أخذ العماد عنه فقه الإمام الشافعي في النظامية ، وذكر مشيخته له في الخريدة ، في ترجمته لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي .

(٨) ابن عبد السلام البغدادي (٤٥١ — ٥٣٩ هـ)

أبو الحسن علي[3] بن هبة الله بن عبد السلام ، الكاتب البغدادي شيخ كبير من بيت الرئاسة والتقدم ، واسع الرواية . سمع الكثير بنفسه ، وكتب وجمع ، وحدث عن الصريفيني وابن النقور . وكان حسن الأصول ، صحيح السماع ، وحدث بواسط وبغداد .

عدّه ابن الدبيثي وابن السبكي وياقوت والصفدي والمنذري من شيوخه ببغداد .

(٩) ابن خيرون (— ٥٣٩ هـ)

أبو منصور[4] محمد بن عبد الملك بن خيرون[5] ، المحدّث . سمع من الصريفيني وابن النقور والخطيب وغيرهم ، وقرأ القرآن بالقراءات ، وصنّف فيها (كتاب المفتاح) و (الموضح) ، وأقرأ وحدّث . وكان سماعه صحيحاً .

عدّه ابن خلكان وابن الساعي والصفدي وابن السبكي والمنذريّ من مشايخه ببغداد .

(١٠) أبو المكارم السمذي (— ٥٣٩ أو ٥٤٠ هـ)

---

(١) ترجمته في المنتظم (١٠/١١٣) ، وطبقات الشافعية (٤/٢٢١) ، وشذرات الذهب (٤/١٢٢) . والكامل لابن الأثير (١١/٤٢) بولاق ، ومختصر تأريخ الاسلام للذهبي (مخطوط في خزانة الأوقاف ببغداد) .

(٢) في وفيات الأعيان (٢/٧٤) ـ طبعة الميمنة ـ : « الوزان » ، وهو تحريف .

(٣) المنتظم (١٠/١١٥) ، والشذرات (٤/١٢٢) .

(٤) المنتظم (١٠/١٥٥) ، والشذرات (٤/١٢٥) ، والكامل لابن الأثير (١١/٤٢) بولاق .

(٥) في وفيات الأعيان (٢/٧٤) : « جيرون » ، وهو تحريف .

أبو المكارم المبارك[1] بن عليّ بن عبد العزيز السَّمَّذي[2] البغداديّ . شيخ صالح ، سمع الصريفيني وطائفته ، وكان سماعه صحيحاً . وسمع منه أبو سعد السمعاني ، والعماد الأصبهاني ، وغيرهما .

ذكره ياقوت وابن خلكان وابن السبكي وابن الدبيثي والصفدي في شيوخه ببغداد .

(١١) ابن الأشقر (— ٥٤٢ هـ)

أبو بكر أحمد بن علي بن عبد الواحد[3] الدلال . روى عن المهتدي بالله والصريفيني . وكان خيراً ، صحيح السماع .

ذكره ابن الدبيثي وياقوت والصفدي وابن السبكي والمنذري في شيوخه ببغداد .

(١٢) أبو عبد الله المقرئ الحنبلي (— ٥٤١ هـ)

أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ، المقرىء الحنبلي . ترجم له في الخريدة ، وأثنى على علمه وتفرده بعلم القرآن وإقرائه ، ثم قال : « ترددت اليه في حال التفقه والصبا ، وسمعت عليه الحديث ، وفزت بإجازته جميع مسموعاته ومصنفاته . وتوفي ، وأنا ببغداد ، يومَ الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين » . ثم أورد نتفاً من

---

(١) اللباب (١/٥٦١) ، والمنتظم (١٠/١١٨) ، وشذرات الذهب (٤/١٢٥) .

(٢) السمذي (بكسر السين وتشديد الميم المكسورة أيضاً وقيل فتحها) : نسبة الى السمذ ، وهو نوع من الخبز الأبيض يعمل للخواص . نص على ذلك في اللباب وشذرات الذهب ، والمعروف السميذ والسميد بوزن أمير ، وبالذال أفصح وأشهر ، وفي تاج العروس : « والاسميد الذي يسمى بالفارسية السمد ، معرب » . وأهل بغداد يسمونه اليوم « السميط » . وقد ذكر صاحب القاموس المحيط المنسوبين اليه فقال : « ... السمذيون بكسر الميم والذال ، محدثون » ، وقال الزبيدي : « ومنهم من شدد الميم » . قلت : وكان الحق أن يقال « السميذيون أو السميديون » ، غير أنهم راعوا فيه الأصل الفارسي على ما يظهر . وقد حرف « السمذي » في معجم الأدباء (١٩/١٢) ووفيات الأعيان (٢/٧٤) والوافي بالوفيات (١/١٣٢) الى « السمرقندي » ، وظنه هـ . ريتر ناشر الوافي بالوفيات « السمندي » وأحال على ذيل تأريخ بغداد لابن الدابيثي « كذا بزيادة الألف وصوابه ابن الدبيثي » (نسخة الشهيد علي باشا ١٨٧٠) ، وأنساب السمعاني ، والمشتبه للذهبي . وهو وهم .

(٣) الشذرات (٤/١٣١) وفي المختصر المحتاج اليه : « أبو بكر أحمد بن علي بن الأشقر » .

شعره[1] .

(١٣) عليّ بن محمد بن الهيثم العلوي

انفرد سبط أبن الجوزي في عدّه من شيوخه بأصبهان ، ولم أقف على ترجمته .

(١٤) ابن الصباغ (— ٥٤٢ هـ)

أبو القاسم علي[2] بن العلامة أبي نصر عبد السيّد المعروف بأبن الصباغ . سمع من الصريفيني . وكان صالحاً ، حسن الطريقة .

عدّه سبط أبن الجوزي من شيوخ العماد بأصبهان ، ويدلّ سياق إيراده في ترجمة العماد في معجم الأدباء وشذرات الذهب أنه كان من شيوخه ببغداد .

(١٥) محمد بن عبد اللطيف الخجندي[3] (— ٥٥٢ هـ)

أبو بكر محمد[4] بن عبد اللطيف بن ثابت الخُجَنْديّ ، المهلّبي ، من أولاد المهلب بن أبي صفرة . من أهل أصبهان ، كان رئيسها والمقدم عند السلطان . قدم بغداد ، وولي تدريس النظامية . ووعظ بها وبجامع القصر . قال أبن الجوزي : « حضرت مناظرته وهو يتكلم بكلمات معدودة مثل الدر . وكان مهيباً ، وحوله السيوف ، وهو بالوزراء أشبه منه بالعلماء » . وكان يروي الحديث على رأس المنبر من حفظه .

عدّه ياقوت وأبن السبكي من شيوخه في الفقه بأصبهان . وكان له حفيد يسمى محمد بن عبد اللطيف أيضاً ، ترجم له أبن السبكي في الطبقات بعده مباشرة .

(١٦) أبو المعالي الوركاني[5] (— ٥٥٩ هـ)

---

(١) الخريدة (الورقة ٢٢٦) من مصورة طهران .

(٢) ترجمته في شذرات الذهب (٤/١٣١) ، وترجمة أبيه في وفيات الأعيان (١/٣٠٣) .

(٣) خجند ، ويقال خجندة بزيادة الهاء : مدينة كبيرة على طرف سيحون من بلاد المشرق ، ينسب اليها جماعة من العلماء في كل فن (اللباب ١/٣٤٨) .

(٤) المنتظم (١٠/١٧٩) ، طبقات الشافعيـة (٤/٨٠) ، البـداية والنهاية (١٢/٢٣٧) ، الوافي بالوفيات (٣/٢٨٤) ، شذرات الذهب (٤/١٦٣) .

(٥) نسبة الى وركان من قرى قاشان (معجم البلدان ٨/٤١٧) .

الحسن[1] بن محمد بن الحسن ، الفقيه الشافعي . مدرس نظامية أصبهان نيابة عن أولاد الخجندي . كان إماماً فاضلاً ، مناظراً ، أصولياً ، عارفاً بالأدب .

عدّه ياقوت وابن السبكي من شيوخه في الفقه بأصبهان ، وقال عنه العماد في الخريدة[2] : « كان فصيحاً ، لا يشقّ غباره في المناظرة ، ولا يلحق شأوه في المجادلة ... » ، وقال ابن العماد الحنبلي : « كان سريّاً ، مفتياً للفريقين ، وله طريقة في الخلاف » .

(١٧) يوسف الدمشقي (— ٥٦٣ هـ)

شرف الدين يوسف الدمشقي الكبير . تفقه على أسعد الميهني ، وبرع في المناظرة ، ودرس في النظامية والثقتية ببغداد . وكان متعصباً في مذهب الأشعري . بُعث رسولاً نحو خوزستان الى شملة التركماني ، فمات هناك في شوال سنة ٥٦٣ هـ .

أشار العماد الى تلمذه عليه في الخريدة ، ولم يذكره أحد من مترجميه في شيوخه . أنظر ما كتبته في (ص ١٤٤)[3] من هذا المجلد .

(١٨) أحمد الحريري

ذكر مشيخته له في ترجمته لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي ، في الخريدة[4] ، ولم أقف على ترجمته .

(١٩) ابن الخشاب (— ٥٦٨[5] هـ)

أبو محمد عبد الله بن أحمد ، المشهور بابن الخشاب النحويّ من علماء بغداد ، قال القفطي : كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، حتى يقال إنه كان في درجة الفارسي . وكانت له معرفة بالحديث والتفسير والفرائض واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة . تخرج به

---

(١) ترجمته في التحبير لابن السمعاني (مخطوط) ، والخريدة (مخطوطة) ، وطبقات الشافعية (٢١٢/٤) ، وشذرات الذهب (١٩٧/٤) .

(٢) نقله ابن السبكي في طبقات الشافعية (٢١٢/٤) .

(٣) وقع عند ذكره في الفهرس الأبجدي خطأ في الرقم ، فليصحح .

(٤) الخريدة : مصورة طهران ، (الورقة ٢٢٦) .

(٥) الخريدة : مصورة طهران ، (الورقة ٢١٨) ، والذي في الوفيات ، والمنتظم ، والبغية ، ومعجم الأدباء : سنة ٥٦٧ هـ .

جماعة ، وروى كثيراً من الحديث . وكان ثقة في الحديث ، صدوقاً ، نبيلاً ، حجةً . صنّف شرح الجمل للجرجاني ، وشرح اللمع لابن جني (لم يتمّ) ، والردّ على ابن بابشاذ في شرح الجمل ، والرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح ، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ، والردّ على الحريري في مقاماته .

ترجمه العماد في هذا الكتاب[1] ، وأطنب في وصف فضائله ومحاسنه ، وقال : « شيخنا في علم الأدب ، أعلم الناس بكلام العرب ، وأعرفهم بعلوم شتى من النحو واللغة والتفسير والحديث والنسب . الطود السامي ، والبحر الطامي . وكان فضله على أفاضل الزمان ، كفضل الشمس على النجوم والبحرِ على الغدران . وله المؤلفات العزيزة ، والمصنّفات الحريزة ، والغرر المفيدة ، والفكر المجيدة . واذا كتب كتاباً بخطه يشترى بالمئين .. ومعظم قراءتي عليه في بغداد في كتب الأدب والشعر ، وبعث تحسينه وتنقيحه وتصحيحه لكلماتي على تجويد النظم والنثر .. » .

(٢٠) زين الاسلام ابن الحريري (— ٥٥٦ هـ)

أبو العباس محمد الملقب بزين الإسلام بن أبي محمد القاسم بن علي الحريري المشهور ، ترجم له العماد في « الخريدة[2] » وقال : « لقيتُهُ بالمَشانِ[3] ، كبيرَ الشأنِ ، في شهور سنة ست وخمسين وخمس مئة ، وسمعت عليه من « مقامات » والده أربعين مقامة ، وهو لها متقن ، ولشرحها مُتَبَيِّنٌ ، وفيه فصاحة ولسن ، وفضله حسن . وكنت نائب الوزير عون الدين[4] في الصدريات ، وقد توجّه على هذا — أعني ابن الحريري — أداء شيء من

---

(١) الخريدة : مصورة طهران (الورقة ٢١٨) .
(٢) الخريدة : القسم العراقي (نسخة الفاتيكان ، الورقة ٢٠٧) .
(٣) المشان : بليدة قرب البصرة ، كثيرة النخل والفواكه ، موصوفة بشدة الوخم . وكان أهل الحريري منها ، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة . وهي منفى قديم يضرب المثل بعده ، وذكر ياقوت أنها — الى زمانه — اذا سخط ببغداد على أحد ينفى اليها . معجم البلدان (٨/٦٠) ، ووفيات الأعيان (١/٤٢١) .
(٤) أنظر ترجمته في (ص ٩٦) من هذا المجلد .

الخراجات . ولقد كان شديد الانقباض ، كثير الاعتراض ، فاحتلت عليه بأن أنفذتُ المُطالبَ بالخراج اليه ، فلما حضر عندي أعفيتُهُ من الخراج ، وتقدمت لأملاكه وأسبابه بالإفراج ، وقلتُ له : كان الغرض وصولك وحصولك ، وقد أجيب سؤالك وما خُيِّب سؤالك . ولو أطلت الإقامة لاستماع المقامة ، خصصتني بالكرامة ، وخلصت من الملامة . فشرح صدراً ، وشرح مني صدراً ، حتى مرضت وأشفيت ، فعدت الى بغدادَ وشفيت . لكنه مرض بعدي وأشتدّت حُمّاه ، واستباح [الموت] حِماه ، رحمه الله ، وذلك في سنة ست وخمسين » . ثم ذكر دَرّ‌ْواً من مراسلاتهما .

(٢١) أبو الفوارس التميمي (— ٥٧٤ ﻫ)

الأمير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن علي الصيفي التميمي ، الشاعر المشهور الملقب بـ « حيص بيص » . قرأ العماد عليه ديوانه ، وانتخب طائفة كبيرة منه على ترتيب الحروف ، ورواها في ترجمته في « الخريدة »[1] مع مقدمة الديوان وقطع من رسائله .

(٢٢) ابن الحكيم

سمع العماد عليه « مقامات الحريري » عن الحريري نفسه ، ذكر ذلك في أثناء ترجمة الحريري في « الخريدة[2] » . ولم أجد ترجمة ابن الحكيم[3] في الأجزاء التي جمعها المجمع العلمي العراقي من هذا الكتاب ، ولا أظن العماد أغفله ، فلعل ترجمته في القسم الذي لم نظفر به من « الخريدة » .

(٢٣) ابن الأحمر التميمي

أبو عليّ الحسين بن أبي منصور بن حامد بن أبي علي بن مقلد بن الأحمر التميمي ،

(١) أنظر (ص ٢٠٢ ــ ٣٦٦) من هذا المجلد .
(٢) الخريدة : القسم العراقي (نسخة الفاتيكان ، الورقة ١٨٦) .
(٣) في نسخة باريس « ابن الحليم » وقد كتبت لامه ممالة كهيأة الكاف في الخط الثلث وأهمل الجزء المتمم لها .

وصفه العماد[1] بأنه « شيخ كبير السنّ والقدر ، غزير الأدب وقّاد الفكر ... متبحر في فنه ، أديب أريب ، عربي النجار تميمي الفصاحة » ، ووصف شعره بأنه « متكلف جيد كشعر الأدباء » ، وقال : « كان يتردد اليّ مدة كوني[2] بالبصرة . وله رواية عالية بـ « مجمل اللغة » ، وقرأت عليه بعضه » . ثم روى من شعره ما أنشده إيّاه سنة ٥٥٨ هـ بالبصرة في مدح بعض القضاة .

(٢٤) ابن ذي البراعتين النطنزي[3]

ترجم له العماد في قسم شعراء العجم من الخريدة ، وقال : « سمعت منه أكثر شعر الأبيوردي » ، غير أن اسمه غير مدوّن في النسخة التي وقعت الينا ، وخلاصة ما جاء فيها :

« [4] بن ذي[5] البراعتين تاج أصفهان أبو الشيخ[6] بن محمد النَّطَنْزي[3] سبط الأديب النَّطَنْزي[3] . كان كبير القدر ، نبيه الذكر ، رفيع المرتبة ، شريف المنقبة ، قرب بفضله من السلاطين ، وكانت « نَطَنْز[3] » من جملة أقطاعه .

سمعت منه أكثر شعر الأبيوردي . فاضل مفضل على الأفاضل ، جامع شمل المحامد والفضائل . فارقت أصبهان سنة تسع وأربعين وخمس مئة[7] ، وهو بها وافر الجاه ، عالٍ عن الأضراب والأشباه ، وقد شرع في بناء دار كتب بأصبهان تنوّق في بنائها ، وأغرب في إنشائها ، وفيها يقول مجد الدين العامري :

دار كتبٍ بغير كتبٍ ، ومال ... من تراب أنفقتَهُ في تراب

توفي بعد خروجي من أصبهان بسنيّات . ذكر أنه سافر في أبتداء عمره الى خراسان

---

(١) الخريدة : القسم العراقي (نسخة الفاتيكان ، الورقة ٢١٢) .

(٢) الأصل : « لكوني » .

(٣) في الأصل – في كل هذه المواضع – « النطزي » ، وتصحيحه من القاموس وشرحه تاج العروس ومعجم البلدان . ونطنز (كجعفر) ويقال نطنزة بزيادة هاء : بلد بين قم وأصبهان .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) الأصل : « ذو » .

(٦) بياض في الأصل .

(٧) أنظر هامش (ص ١٩) .

وغزنة وما وراء النهر ، ومدح الملوك فيها بالقصائد الغر . ثم أمسك في آخر عمره عن الشعر ، وزعم أن النجم المعروف برأس الغول قطع عليه طريق الفكر ! » . ثم أورد نماذج من شعره .

(٢٥) رئيس الدين الأرجاني

هو محمد بن القاضي الشاعر المشهور أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني المتوفى سنة ٥٤٤ هـ . قرأت في كتاب بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي ، وكان معاصراً للعماد ، أن العماد أخبره أنه سمع جميع شعر القاضي أبي بكر على ابنه ، عنه [١] ؛ قال : « وطلب مني قراءته عليه ، فلم أتفرغ له ، وأجازنيه في جملة ما أجازني روايته عنه » . أما الذي ذكره العماد نفسه في ترجمة أبيه أبي بكر في « الخريدة [٢] » ، فلم يرد فيه أنه قرأ شعره جميعه على ابنه هذا ، وإنما قال إنه لقيه في عسكر مكرم سنة ٥٤٩ هـ ، فأعاره أضبارة كبيرة من شعر والده ... الى آخر الخبر ، وهو مذكور أيضاً في وفيات الأعيان [٣] نقلاً عن الخريدة مع اختلاف في الألفاظ . فان صح ما أخبر به علي بن ظافر عن العماد ، كان رئيس الدين داخلاً في جملة شيوخه . ولم أجد لرئيس الدين هذا ترجمة ولا ذكراً في غير هذين الموردين .

(٢٦) ابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١ هـ)

أبو القاسم علي [٤] بن الحسن الدمشقي ، الإمام الحافظ الرحالة المشهور . ولد في دمشق ، ورحل في طلب العلم الى الشرق ، ودخل بلاداً كثيرة ، وحضر الدرس بالمدرسة النظامية في بغداد . وبلغ عدة شيوخه ثلاث مئة وألف شيخ ونيفاً وثمانين امرأة . وكان إمام أهل الحديث والتأريخ في زمانه . صنّف التصانيف المفيدة ، وتجاوزت كتبه الستين كتاباً ، عدا الأجزاء والمجالس والمشيخات . وأجلها كتابه (تأريخ مدينة دمشق [٥]) في ثمانين

---

(١) بدائع البدائه بهامش معاهد التنصيص (١٦٦/٢) طبعة المطبعة البهية بالقاهرة ، سنة ١٣١٦ هـ .
(٢) قسم شعراء العجم (الورقة ١٦ ، القطعة المصورة عن نسخة باريس) .
(٣) وفيات الأعيان : ترجمة القاضي الأرجاني (٤٨/١) .
(٤) ترجمته الجامعة في معجم الأدباء ، وفي مقدمة كتابه تأريخ مدينة دمشق .
(٥) قال ابن خلكان في ترجمته (الوفيات ٣٣٥/١) : « أتى فيه بالعجائب . قال لي شيخنا الحافظ .. =

مجلداً[1] .

لقيه العماد بدمشق عند وروده اليها سنة ٥٦٢ هـ فآختلف اليه ، وسمع منه بعض التأريخ المذكور وشيئاً مما ألفه ، وأنشده الحافظ شعره ، وترجم له العماد في القسم الشامي من الخريدة[2] فقال : « لما وصلت الى الشام ، وأقمت بدمشق ، ترددت اليه ، ورأيته قد صنف تأريخ دمشق ، وذكر أنه في سبع مئة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة ، وسمعت بعضه منه ، وأورد من شعره فيه . ودخل اليّ بكرة يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة احدى وسبعين ، فعرضت عليه ما أورده السمعاني في حقه ، وسمعت المقطعات الثلاث اللامية والتائية والعينية من لفظه ، وقال : صدق السمعاني .. » .

(٢٧) أبو طاهر السلفي[3] (٤٧٨ — ٥٧١ هـ)

أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني ، الحافظ المتقن الرحالة المُعمَّر المشهور . خرج من أصبهان ، وطاف الأقاليم ، وسمع فأكثر وأطاب ، وتفقه فأتقن مذهب الإمام الشافعي ، وجوّد القرآن بالروايات ، وبرع في الأدب ، وآستوطن الاسكندرية بضعاً وستين سنة مكبّاً

= المنذري ، وقد جرى ذكر هذا التأريخ وأخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في أمره واستعظامه : ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التأريخ من يوم عقل على نفسه ، وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه » .

(١) قرر المجمع العلمي العربي نشره ، وأصدر منه الى الآن مجلدين ضخمين بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ولست أرى صنيعها بأقل احساناً من صنيع المؤلف .

(٢) الورقة ٤٧ من النسخة المصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي . وانظر أيضاً مرآة الزمان (٣٣٦/٨) .

(٣) السلفي (بكسر السين وفتح اللام) : نسبة الى سلفة لقب جده أحمد ، وقيل ابراهيم . وهو تعريب لفظ عجمي ، الأصل فيه « سه لبه » بالباء الفارسية ، ومعناه ثلاث شفاه ، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية . ومعظم المعاصرين يضبطونه بفتح السين واللام ظناً منهم أنه منسوب الى السلف ، ومن هذا ما جاء في ظهر الاسلام (٥١/٤) .

وترجمة أبي طاهر في طبقات الشافعية (٤٣/٤) ، ومعجم الألقاب (٢٤٦/٤) ، ووفيات الأعيان (٣١/١) ، والنجوم الزاهرة (٨٧/٦) ، وشذرات الذهب (٢٥٥/٤) ، ومرآة الزمان (٣٦١/٨) ، ومعجم الأدباء (٢٥٥/١ و ٨٢/٢) ، ومختصر تأريخ ابن الدبيثي (٢٠٦) ، ولسان الميزان (٢٩٩/١) ، ودول الاسلام (٦٥/٢) ، والكامل في حوادث سنة ٥٧٦ هـ ، وغيرها .

على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب ، ورُحِلَ اليه من الآفاق ، ومكث نيفاً وثمانين سنة يُسْمَعُ منه . قال الذهبي : « ولا أعلم أحداً مثله في هذا » . عمل معجماً لشيوخه الأصبهانيين (١) . وكان ثقة ، ورعاً ، وكانت له حرمة عظيمة . وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي وإخوته يزورونه ويسمعون عليه الحديث .

قال ابن السبكي : « وقدم [العماد] مصر ، وسمع من السِّلَفي وغيره » ، وقال الصفدي : « وروى وسمع من السِّلَفي بالاسكندرية » .

(٢٨) أبو زرعة المقدسي (٤٨١ — ٥٦٦ هـ)

أبو زرعة طاهر (٢) بن الحافظ محمد بن طاهر المقدسي الأصل ، الرازي المولد ، الهمذاني الدار ، سمع بالريّ والدون وهمذان والكَرَج وساوة ، وروى الكثير عن أبيه وغيره ، ومما كان يرويه مسند الإمام الشافعي . وتوفي بهمذان . نقل ابن العماد الحنبلي عن « العبر » أنه كان رجلاً عرياً من العلوم ، وهو كلام غريب جداً .

ذكره المنذري (٣) في شيوخه ، ولم أره عند غيره .

(٢٩) ابن عوف الزهري الإسكندراني (— ٥٨١ هـ)

صدر الاسلام اسماعيل (٤) بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي . تفقه على أبي بكر الطرطوشي ، وسمع منه ومن أبي عبد الله الرازي ، وبرع في المذهب ، وتخرج به الأصحاب ، وممن سمع عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي وأولاده والعماد الكاتب في شوال سنة ٥٧٧ هـ ، قال العماد : « .. وتوجه السلطان الى الإسكندرية ، وخيم عند السواري ، وشاهد الأسوار التي جددها ، والعمارات التي مهدها ، وأمر بالإتمام

---

(١) معجم السلفي : منه نسخة بدار الكتب المصرية . وانظر « حديث السلفي » في فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) ص ٢٢٩ .

(٢) البداية والنهاية (١٢/٢٦٤) ، وشذرات الذهب (٤/٢١٦) .

(٣) التكملة (الورقة ١٩) .

(٤) شذرات الذهب (٤/٢٨٦) .

والاهتمام ، وقال : تغتنم حياة الشيخ الإمام أبي طاهر بن عوف . فحضرنا عنده ، وسمعنا عليه « مُوَطّأ » مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ بروايته عن الطرطوشي في العشر الأخير من شوّال ، وتمّ له ولأولاده ولنا به السماع [1] .. » ، قال أبو شامة : « ووجدت للقاضي الفاضل كتاباً كتبه الى السلطان يهنئه بهذا السماع » وذكره بطوله ، وهو رائع حقاً في موضوعه [2] .

تفرد المنذري [3] من مترجميه بذكره في شيوخه في الحديث ، وذكر العماد نفسه حكاية أخذه عنه هذه في بعض كتبه ، وأحسبه « البرق الشامي » ، ونقله عنه أبو شامة المقدسي في « الروضتين » .

* * *

هؤلاء هم شيوخ العماد الكاتب بأصبهان وبغداد والبصرة وعسكر مكرم ودمشق ومصر ، استقصيتهم في مختلف المظانّ بقدر الطاقة ، ولن تجدهم مذكورين في غير هذه الدراسة على هذا النحو من الجمع والحصر ، ولا أدعي أنني استوفيتهم جميعاً .

وقد أدخلت في جملتهم نفراً من الأدباء سمع عليهم دواوينهم أو دواوين غيرهم ، وآخرين قرأ عليهم كتاباً من الكتب كلّه أو بعضه ، وأسقطت من عدادهم فقيهاً شافعياً مشهوراً في عصره يقال له (أسعد الميهني [4]) زعم ابن قاضي شهبة [5] والنعيمي [6] أن العماد تفقه عليه في النظامية ببغداد ، ولم يصح ذلك عندي ، لأنه ورد الى بغداد وخرج منها [7]

(١) أبو شامة المقدسي : كتاب الروضتين (٢/٢٤) ، وسبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨/٣٦٦) وقد حرفت فيه كلمة « تغتنم » الى « نعم » ، وأسقط ذكر العماد الكاتب من الحكاية .

(٢) أنظره في كتاب الروضتين (٢/٢٤ ـ ٢٥) .

(٣) التكملة (الورقة ١٩) .

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (١/٦٧) ، وطبقات الشافعية (٤/٢٠٣) ، والمنتظم (٩/٢٤٦ و ١٠/١٣) ، وشذرات الذهب (٤/٨٠) ، والبداية والنهاية (١٢/٢٠٥) ، وغيرها .

(٥) طبقات الشافعية (الورقة ٥٤ ب) في المكتبة الوطنية بباريس ، رواه لي عنها الدكتور علي جواد الطاهر .

(٦) الدارس في تأريخ المدارس (١/٤٠٨) .

(٧) أنظر تحقيق ذلك في وفيات الأعيان (١/٦٧) .

قبل مولد العماد بأصبهان ، ثم توفي في سنة ٥٢٣ هـ[1] والعماد بأصبهان ابن خمس سنوات ، وقيل : توفي في سنة ٥٢٧ هـ[2] ولم يدخل العماد بغداد الا في سنة ٥٣٤ هـ كما قدمت ذلك في (ص ١٧) .

* * *

في كنف الخلافة العباسية ببغداد :

لما رجع عماد الدين من أصبهان الى بغداد سنة ٥٥١ هـ ، جذبه طبعه ، وهو الناشيء في بيت الرئاسة والسؤدد والكتابة ، الى مسلك أهله . وكانت الدولة لا تزال على ما سنّه لها الخلفاء الأوائل من رعاية الأدباء ومن إسناد مناصبها الى البلغاء والكُفاة من أرباب المواهب الممتازة ، فاستقلّ بعلم الأدب ومعاناة صناعة الكتابة والشعر ، ليتخذ ذلك الوسيلة الى تسنّم المناصب . وما هو الا أن برع فيما عاناه من الصناعتين ، فبدأ صلته بالدولة بالتقرب الى الخليفة المقتفي لأمر الله ، فمدحه بقصيدة رفعها اليه عقيب انكشاف كربة حصار بغداد برحيل السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي عنها . وقد أرخ بدء هذه الصلة في الخريدة ، فقال :

« وكان وصولي الى بغداد في الأيام المقتفوية ، وفي ظلّها النشأ ، وفي فضلها المَرْبَى ، وفي جوارها حصل الأمن ، ووصل المنّ ، وبخدمتها عُرِفت ، وبنعمتها تعرفت ، وفي جنابها حلا الجنى ، وعلا السنا . وأوّل من مدحته من الخلفاء ، المقتفي ـ رضي الله عنه ـ . خدمته في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة ، بقصيدة عقيب انكشاف كربة الحصار برحيل محمد شاه عن بغداد ، أوّلها :

أضحت ثغورُ النصرِ تبسمُ بالظَّفَرْ وغدت خيولُ النصرِ واضحةَ الغُرَرْ

والقصيدة طويلة ، ولقصدها فضيلة ، وكانت لي بها الى إفضاله وسيلة .

ووليت بعد ذلك الأعمال الجليلة ، ووليت بواسط نيابة وزيره عون الدين ابن هبيرة ،

---

(١) المنتظم (١٠/١٣) .
(٢) وفيات الأعيان (١/٦٧) .

فانحدر اليها الخليفة مع الوزير ، وأنا هناك في دست التصدير ، فخرجت للاستقبال ، في أهْبَةِ الإعظام والإجلال . ولما نظرت الى الموكب الشريف ، نزلت عن المركب المنيف ، وجئت أسعى معفِّراً خدَّ الضراعة ، موفِّراً حدَّ الطاعة . فلما بَصُرَ بي الإمام ، أمسك عنانه فوقف ، واستوقف موكبه الشريف فشرَّف ، وقال مثنياً : هذا الذي له القصيدة التي من شأنها كذا وكذا ، فقال له المخلص الكيا الإمام : وهو الذي يقول في هذه المظلَّة الشريفة :

وكأنما تلك المظلّة هالةٌ | وجهُ الإمام يضيء فيها كالقمرْ

فلم يبرح حتى وصّى الوزير بي ، وعرّفه بيتي ومحتدي وحسبي ، وذلك في سنة أربع وخمسين [1] » .

ووجدته يذكر في موضع ثان من « الخريدة » أنه ناب عن الوزير المذكور في الهمامية[2] من أعمال واسط ، وفي موضع ثالث أنه ولي الأعمال الوزيرية من بعد استقلالاً في واسط سنة ٥٥٤ هـ . ثم ناب عنه في البصرة فوردها في ذي القعدة سنة ٥٥٧ هـ .

ولما توفي الوزير عون الدين ابن هبيرة[3] مسموماً في ١٣ جمادى الأولى سنة ٥٦٠ هـ ، اعتقل عماد الدين في الديوان ببغداد مع من اعتقل من أنصاره ، فأخذ يستعطف بشعره الخليفة المستنجد بالله ، وكتب الى أستاذ الدار عماد الدين [4] بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء يطلب الشفاعة له عند الخليفة ، ويقول له في بعض شعره :

قُل للإمام : عَلامَ حبسُ وليِّكم ؟ | أَوْلُوا جميلَكُمُ جميلَ وَلائِهِ

(١) الخريدة (ص ٣٦) من هذا المجلد .

(٢) قال ياقوت : « الهمامية : بلدة من نواحي واسط ، بينها وبين خوزستان ، لها نهر يأخذ من دجلة . منسوبة الى همام الدولة منصور بن دبيس بن عفيف الأسدي ، وليس هذا بصاحب الحلة المزيدية . هؤلاء أمراء تلك النواحي في أيام بني مزيد أيضاً » .

(٣) ترجمته في الخريدة (ص ٩٦) من هذا المجلد .

(٤) ترجمته في الخريدة (ص ١٦٦) من هذا المجلد .

خلّى أبوك سبيلَهُ بدعائِهِ أوَ ليس إذ حبَسَ الغمامُ وَليّهُ[1]

فأمر بإطلاقه، وتوفير أرزاقه[2] ».

* * *

مقامه في الدولة النورية بدمشق :

لم تطب الإقامة لعماد الدين ببغداد بعد نكبته ، فولّى وجهه نحو الشام ليعيش في كنف الدولة النورية ، وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين محمود بن أتابك زنكي[3] ، فبلغ دمشق في شعبان سنة ٥٦٢ هـ ، فأنزله مدبر دولته قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري[4] بالمدرسة النورية[5] الشافعية عند باب الفرج .

وكان العماد له معرفة بنجم الدين أيوب بن شادي ، والد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، من تكريت ، بسبب عمه العزيز أحمد بن حامد الذي أعتقله السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بقلعة تكريت ، وكان معتزماً قتله ، ونجم الدين أيوب إذ ذاك واليها فسعى في إنقاذه ولم يفلح على ما قدمتُ من خبره ، فانتسجت المودة بين الأسرتين من هناك . فلما سمع نجم الدين بوصوله ، بكر الى منزله لتبجيله ، فاهتزّ العماد لزيارته له ومدحه بقصيدة طويلة ، أولها :

يوم النّوى ، ليس من عمري بمحسوبِ ولا الفراقُ الى عيشي بمنسوبِ

وكان أخوه أسد الدين شيركوه بن شادي وأبنه صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر ، فبشّره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية ، وقال :

---

(١) الولي : مطر الربيع الذي يأتي بعد الوسمي الذي هو مطر الربيع الأول .
(٢) الخريدة (ص ٦٣) من هذا المجلد .
(٣) أنظر ترجمته في (ص ٦٣) من هذا المجلد .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٤٧٢/١) وغيره .
(٥) الدارس في تاريخ المدارس (٤٠٧/١) .

ويستقرُّ بمصرِ يوسفٌ ، وبه تَقَرُّ بعد التنائي عين يعقوب

ويلتقي يوسف فيها بإخوته واللهُ يجمعهم من غير تثريب

وتمّ ملك صلاح الدين مصر بعد سنتين ، قال العماد : « نظمت ما في الغيب تقديره » . فشكره نجم الدّين ، وأحسن اليه ، وأكرمه ، وقدّمه على الأعيان وميّزه . ووالاه العماد ووالى فيه وفي أخيه أسد الدين وأبنه صلاح الدين أناشيده العذبة ، وبقي موصول الأواصر بأسرته الى وفاته .

وكان قاضي القضاة الشهرزوريّ يحضر مجالس العماد ، ويذاكره بمسائل الخلاف والفروع ، وكلاهما كان فقيهاً شافعياً ، فذكره للسلطان نور الدين ، وعرّفه به ونوّه بشأنه ، وعرض عليه قصيدة طويلة من شعره في مدحه ووصف جهاده للفرنج ، مطلعها :

(محمّدٌ) بمحمّدٌ عيشٌ بلدةٍ مالكُها بعدله (محمودُها)

فرتّبه السلطان في ديوانه منشئاً لاستقبالِ سنة ثلاث وستين وخمس مئة ، في مكان كاتبه أبي اليسر [1] شاكر بن عبد الله المَعَرّيّ الذي أستعفى من الخدمة في كتابة الإنشاء وقعد في بيته [2] . وكان العماد ينشيء الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها إجادته بالعربية ، فعلت منزلته عند السلطان ، وأعتمد عليه في خاصّ أسراره ، وسيره الى بغداد رسولاً في أيّام المستنجد بالله . ولما عاد الى دمشق ، فوّض اليه في شهر رجب سنة ٥٦٧ هـ تدريس المدرسة النُّوريّة الشافعيّة التي نسبت من بعد اليه فعرفت بالمدرسة العمادية [3] لكثرة إقامته بها وتدريسه فيها ، قال أبن كثير : « وكان بارعاً في درسه ، يتزاحم الفضلاء فيه

(١) في مرآة الزمان وشذرات الذهب : « أبو اليسر » ، وفي الروضتين : « أبو البشر » .

(٢) قال أبو شامة المقدسي في الروضتين : « كذا ذكر العماد في « الخريدة » ، وقال : « تولى ديوان الإنشاء بالشام سنين كثيرة ، وله مقاصد حسنة في الكتب ، وهو حميد السيرة جميل السريرة » . وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٨١ هـ وقال : « أبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد التنوخي المعري ثم الدمشقي صاحب ديوان الإنشاء في الدولة النورية ، عاش خمساً وثمانين سنة » . وانظر مرآة الزمان (١٠٦/٨ ، ٢٣٩ ، ٣٢٢) .

(٣) أنظر الدارس في تأريخ المدارس (٤٠٧/١ ـ ٤١٣) .

لفوائده وفرائده » . وقال أبن الفوطي : « وكان له مدرسة بدمشق يلقي فيها الدرس ، وحلقة بجامع دمشق للمناظرة » ، ولم أر من أشار الى هذه الحلقة غيره . وولّاه نور الدين في سنة ٥٦٨ هـ الإشراف على ديوان الإنشاء [١] مضافاً الى كتابة الإنشاء .

وهكذا وجد على الأيّام منه الإعزاز والتمكين ، وبلغ منزلة رفيعة لديه ، فذكر أنّه حضر رسل الخليفة المستضيء بأمر الله عنده ، وقد تَفَشّوا على من يحضر في مجلسه وأغفلوا ذكر العماد ، فطلبه نور الدين ، وقام لقيام الرسل له لما حضر ، وقصد أن يعرفهم منزلته عنده . وزاره في مدرسته عقيب تشعثها في حادث زلزال ، وبسط سجادته بنفسه في قبلتها لسنّة الضحى وصلّاها ، وأمر بترخيم قبلتها وتذهيبها ، وأنفذ له — لعمارتها — فصوصاً مذهبة وذهباً ، ثم حُمّ مقدور حِمامه ، وعاقه القدر عن إتمامه .

وكان العماد لا يكاد يفارق السلطان في حضره وسفره ، فسار معه في مواكبه ، وشهد حروبه مع الفرنج ، وطرب لفتوحاته ، وتغنى ببطولته وأنتصاراته ناظماً أوصافه الجليلة بأحسن لفظ وأرقّه . قال أبو شامة المقدسيّ : « .. لم يبق بعد موت القيسرانيّ وأبن منير فحل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغي ، إلّا أبن أسعد الموصلي ، الى أن قدم العماد الكاتب الشام في سنة أثنتين وستّين ، فتسلّم هذا الأمر ، وعبّر عن أوصاف نور الدين وغزواته بأحسن العبارات وأتمّها نظماً ونثراً » . وقد أودع أبو شامة في كتاب الروضتين كثيراً من هذه الروائع التي وصفت أنضر صحائف البطولة في التأريخ الإسلامي ، وخلّدت أجمل مناقب الوطنية في نهوضها لحماية محارم الأوطان ودفاعها المغيرين المعتدين على أقداس الحمى والشرف والمجد .

ولبث العماد على هذه الحال الجميلة طوال أيامه . فلما توفّي نور الدين ، بكى سوالف عهوده ، ورثاه أبلغ الرثاء ، وأحسن الوفاء له ولم يَسْلُهُ .

(١) ذكر الدكتور شوقي ضيف أنه (رتبه في أشرف الديوان) ، ولست أتبين لهذا التعبير معنى .

وكان العماد خليقاً بأن ينعم ، في كنف خلفه ابنه الملك الصالح اسماعيل ، بالرعاية التي عوّده إيّاها أبوه وبالاستمرار في خدمته . ولكن الملك كان صبيّاً لا حولَ له ، فاستولى عليه وزيره العدل أبو صالح ابن العجمي ، وأتابكه الأمير شمس الدين بن المقدم ، وطواشيه جمال الدين ريحان ، وخازن بيت ماله الشيخ اسماعيل ، وتحالف هؤلاء أن يكونوا يداً واحدة ، فتصرفوا في الدولة والخزانة كما أرادوا ، وولّوا وصرفوا ، ونقصوا وزادوا ، واتجهوا الى نسخ ظلّ العهد السابق وابعاد رجاله ، فاقتصروا للعماد على الكتابة ، محروم الدعوة من الإجابة ، على حد تعبيره ؛ ثم ضايقوه وأخافوه الى أن ترك جميع ما هو فيه ، فخرج الى العراق خائفاً يترقب وهو معتلّ الأحوال كاسف البال ، تاركاً بلاد الشام وراءه نهبة للمطامع : تتقسم الأمراء نواحيها ، وتطمع الفرنج في غزوها وانتزاعها من أيدي المسلمين ؛ وما هو إلا أن بلغ « الموصل » فمرض بها مرضاً شديداً ، وأقام ينتظر الشفاء ، ليستأنف السير الى بغداد أملاً في استعادة مجده الذاهب في ظلال الخلافة العباسية .

* * *

في الدولة الصلاحية الأيوبية :

بلغ العمادَ بالموصل ، وهو في عقابيل الداء موشك أن يُغِذّ ركابه الى بغداد ، خروجُ الملك الناصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ بجيوشه التركيّة ـ من مصر الى البلاد الشاميّة ، ليحفظها من الفرنج الذين كانوا يتأهّبون لغزوها .. وأتاه بالبشرى نجّاب الى الموصل ذكر للناس أنه فارق السلطان بقرب دمشق[1] بالكسوة[2] ، وهو يستكمل من أهل دمشق الحُظوة . فهاجه الطربُ لقصده ، لسابق معرفته وقديم ودّه ، طامعاً في العودة الى ديوان الكتابة في هذا العهد الجديد ، وله من قصائده الرنّانة التي سيّرها من قبل في

(١) دخل السلطان صلاح الدين دمشق يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الأول سنة ٥٧٠ هـ .

(٢) الكسوة : قرية ، هي أول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر . معجم البلدان (٧/٢٥٢) .

مناقب السلطان ووصف انتصاراته وفتوحاته ألف شفيع بين يديه ، فخرج من الموصل في رابع جمادى الأولى سالكاً طريق الصحراء ، فبلغ دمشق في ثامن جمادى الآخرة ، فوجد السلطان قد جازها الى حلب . وكان لا يزال في عقابيل الداء ، فلما شفي وعاد السلطان الى حمص ، قصده فيها وقد تسلّم قلعتها في ٢١ شعبان ، فحضر بين يديه وأنشده مدحه وأطال فيه وأجاد . ثم لزم بابه يرحل برحيله وينزل بنزوله .

واستمرّ على عطلته مدةً ، وهو يغشى مجالسه وينشده في كلّ وقتٍ المدائحَ والتهاني ، ويعرّض بودّه القديم ، حتى كاد يذهب خياله باطلاً من إغفال السلطان لتعيينه . ثمّ عرف أن حسّاده قد زينوا له أن يصرفه برفد جزيل ، ووجه جميل ؛ لأن الكتابة التي يطلبها هي منصب « القاضي الفاضل »[1] الذي هو في أرفع المنازل عند السلطان ، وهو يستنيب فيه من يراه ليصون أسراره من أن تتشعّث .

وكان العماد قد أنِسَ ـ مدة مقامه بالعسكر ـ بالأمير الأديب الشاعر نجم الدين بن مصال المصري[2] من أعيان الدولة الأيوبيّة ، « وهو ذو فضل وإفضال ، وقبول وإقبال ،

(١) أبو علي عبد الرحيم بن علي اللخمي البيساني ، أشهر كتاب العربية في العصور الوسطى وأحد عظماء الوزراء الأكفاء في الإسلام . ولد سنة ٥٢٩ هـ بعسقلان ، وكان أبوه يلي قضاء بيسان فنسب اليها ، ونشأ بمصر ، واشتغل بعلم الأدب والترسل فبرع ، وتميز بطريقة خاصة في الكتابة يقال لها الطريقة الفاضلية ، وكان من أشهر أتباعها : العماد الأصبهاني الكاتب ، وابن الأثير صاحب المثل السائر . ووزر لصلاح الدين الأيوبي فساس ملكه خير سياسة ، ثم وزر من بعده لولده الملك الأفضل ، ثم لابنه الملك المنصور ، وتوفي سنة ٥٩٦ هـ بالقاهرة . وفضائله أكثر من أن تحصى . أنظر عنه الخريدة ـ القسم المصري (١/٣٥) ، والجامع المختصر (ص ٢٨) ، والروضتين (٢/٢٥١) ، وطبقات الشافعية (٤/٢٥٣) ، والوشي المرقوم لابن الأثير (ص ٩) ، ووفيات الأعيان (١/٢٨٤) ، وشذرات الذهب (٤/٣٢٤) ، والبداية والنهاية (١٣/٢٤) ، ومرآة الزمان (٨/٤٧٢ وغيرها . أنظر فهرست الكتاب) ، والدارس في تأريخ المدارس (١/٨٩) .

(٢) روى أبو شامة المقدسي في « الروضتين » عن العماد الأصبهاني الكاتب أنه كان مقدماً عند السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وله منه ومن القاضي الفاضل ـ لجلالة قدره ـ اجلال ، وقال : « وكان أبوه قد وزر للحافظ (الفاطمي) في آخر عهده ، منفرداً بسؤدده ومجده . وكان من أهل السنة والجماعة ، والتقى والورع والعفاف والطاعة ، وله يد عند السلطان في النوب التي قصدوا فيها مصر ، وأجزل عنده الإحسان والبر ، لا سيا عند كونه بالإسكندرية محصوراً ، وكان احسانه مشكوراً ، واعتناؤه لحفظه مشهوراً . فلما ملك ، أحبه ، واختار قربه » . وقال في موضع آخر يذكر وفاته وحزن السلطان عليه نقلا عن العماد الكاتب أيضاً : « في الثاني عشر من جادى الأولى (سنة ٥٧٤ هـ) توفي الأمير نجم الدين بن مصال بمصر ، =

وله من السلطان ومن القاضي الفاضل ـ لجلالة قدره ـ إجلال » ، فلزم التودّد له ، وجعله الوسيط بينه وبين القاضي الفاضل ، ووقف خاطره على تقاضيه نظماً ونثراً ، وأخذ يقدم بين يديه الى القاضي الفاضل مدائحه . وكان أول ما أهداه اليه ، مدحة رائعة حين لقيه بحمص في شعبان ، منها :

عاينتُ طودَ سكينةٍ ، ورأيتُ شمسَ فضيلةٍ ، ووَرَدْتُ بحر فواضلِ
ولَقِيتُ « سَحْبانَ » البلاغةِ ساحباً ببيانه ثوبَ الفَخارِ « لوائل »
أبصرتُ « قُسّاً » في الفصاحة معجزاً فعرَفتُ أنّي في فهاهةِ « باقلِ »[1]

فصادف ذلك استحسانه ، وأعجبه ما خبره من اقتدار العماد في الصناعتين وحذقه الأدب الفارسي ، فقرر تعيينه في ديوان الكتابة لينتفع من مواهبه ، ودخل على السلطان صلاح الدين فأجرى ذكره منوّهاً بفضله ومزاياه ، وقال له وهو يرشحه للكتابة عن السلطان : غداً يأتيك ملوك الأعاجم ، ولا تستغني في الملك عن عقد الملطّفات وحلّ التراجم ، والعماد يفي بذلك ، وأنا أختاره ، وقد عرفت في الدولة النُّوريّة مقداره . ولم يكن أحد أعزّ على السلطان من القاضي الفاضل ، فقال له : مالي عنك مندوحة ، أنت كاتبي ووزيري ، وقد رأيت على وجهك البركة ، فاذا استكتبتُ غيرك تحدث الناس . وطغت لباقة الوزير على تردّد السلطان ، فأقنعه وأخذ خطّه باستكتابه . فلزم العماد حضرته ، وأفاء عليه صلاح الدين من رعايته ، وركن اليه بأسراره ، فتقدم الأعيان ، وضاهى الوزراء ، وكان الكاتب الثاني في الدولة الصلاحية . وقد غرّ بعضَ الكتاب تقدُّمُه في المرتبة بعد القاضي الفاضل فحسبوه « وزيراً » ، كالذي نعته به ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[2] ، بل قال ابن الفوطي في مجمع الآداب : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال :

= وجاءنا نعيه ونحن بحمص ، فجاوز اهتمام السلطان برزئه حده ، وجلس في بيت الخشب مستوحشاً وحده ، وقال : لا يخلف الدهر لي صديقاً مثله بعده . وأجرى ما كان له جميعه لولده ، وحفظ عهده . وكان لجماعة من الأعيان والشعراء والأماثل والأدباء بعنايته ووساطته من السلطان رزق ، أبقاه عليهم كأنه مستحق » .

(١) خريدة القصر ـ قسم شعراء مصر (١/٣٧) .

(٢) شذرات الذهب (٤/٣٣٢) .

« كان أحد وزراء الملك الناصر » ، ولم أجد هذا النصّ في معجم الأدباء لا في طبعة مرغليوث ولا في طبعة أحمد فريد رفاعي ، وإنّما الذي فيهما أن السلطان « ... استكتبه واعتمد عليه ، فتصدّر ، وزاحم الوزراء وأعيان الدولة » ، وهذا غير ذاك .

وكان اذا انقطع القاضي الفاضل بمصر لبعض شؤون الدولة والسياسة ، قام مقامه ؛ وكان القاضي الفاضل آمنًا من توثّبه عليه ، ولهذا كان يطمئن اليه اذا غاب عن السلطان .

ولما استتمّت للسلطان صلاح الدين بالشـــام أمور ممالـكه ، وأمن على مناهج أمره ومسالـكه ، أزمع الإياب الى مصر ، فخرج من دمشق يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول ٥٧٢ هـ ، وخرج معه العماد تاركاً أهله وراءه بدمشق ، فما كانوا ينزلون منزلاً إلّا نظم أبياتًا حنينًا الى أسرته وشوقًا الى ملاعب حبّه في جنّات الغوطة والنيربين ، ودخل القاهرة يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فاستولت على مجامع قلبه ، وجعل يذكر محاسنها وما اختصّت به من بين البلدان ، وتعلّق بالمصريين وأثنى عليهم ثناءً جميلاً حلو الألفاظ بارع النغمات ، كالذي تراه من ذلك فيما كتبه في مقدمة القسم المصري من « خريدة القصر » ، وفيما تغنى به من مناقبهم في شعره ، وما أحلى دعاءه لهم في بعض أشواقه :

بقيتم وعشتم سالمين من الأذى ومنيةُ قلبي أن تعيشوا وتسلموا !

ونعم في أفياء صـــلاح الدين ـ رحمه الله ـ بعيشة راضية رافهة ، واستمتع من هباته وألطافه حتى بالغادات الأوربيات الشُّقر الحسان اللائي كنّ يقدمن مع الجيوش الباغية للترفيه ، فيقعن مع من يقع منهم في أسر أهل البلاد المناضلين . وقد ظفر العماد من السلطان ـ فيما استقصيت من أخباره ـ بغادتين جميلتين منهنّ : واحدة استوهبها من سبي الأسطول بالإسكندرية ، والأخرى كان أمّلها ـ في بعض شعره ـ من كرائم السبي في القدس ، فلما جاء الفتح ، حقق السلطان أمله ، وأعطاه غادة حسناء من اللائي أسرهنّ جيشه المظفر في أكبر معركة من المعارك الفاصلة في التأريخ بين الشرق والغرب .

وعاش العماد ما عاش في خدمة السلطان صلاح الدين مصاحباً له في حضره وسفره ، فحضر مجالسه ، وطاف معه في أنحاء مملكته ، وشاركه في اقتباس العلم وسماع « الحديث » من كبار العلماء ، وصحبه في حروبه وغزواته كلها ، لم يتخلّف إلا مرّةً واحدة ، وأبصر بأمّ عينه قهره للجيوش الأوربيّة في سهول مصر وهضاب فلسطين وبطاحها ، فتغنّى بمناقبه وبانتصارات جيوشه ، وأنشد في ذلك أروع أناشيد الوطنية والفخر ، من وحي المشاهدات ، فكان لصلاح الدين وللدولة الأيوبية كما كان لنور الدين ودولته من قبله : أرّخ مفاخر أسرته العظيمة ومناقب جهادها الخالد في مطاردة البغاة ، وكتب وقائع بطولاته الرائعة في كفاحه لإنقاذ الشرق من قبضة المعتدين كتابة شاهد عيان صادق الرواية والرويّة ، ووصف مناقبه في شعره بأرقّ لفظ وأعذب بيان . ولما توفي – رحمه الله – حفظ عهده ، ورثاه أحرّ رثاء بقصيدة طال تنفّسه فيها فبلغت ٢٣٢ بيتاً ، وكتب سيرته كتابة مستفيضة .

* * *

العماد بعد وفاة مؤسس الدولة الصلاحية الى وفاته :

عاش العماد بعد السلطان صلاح الدين – رضوان الله عليه – ثماني سنين وستة أشهر وبضعة أيام ؛ لأن السلطان توفي سحرة يوم الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ، والعماد توفي مستهلّ شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

وقد كانت هذه الفترة ، والعماد في شيخوخته محتاج الى الهدوء والسكينة كل الاحتياج ، من أخطر الأيام التي مرت به في حياته ، وأكثرها إزعاجاً لراحته وايلاماً لنفسه . انحلّت فيها وحدة الدولة الصلاحية ، وتوثب أبناء صلاح الدين وإخوته بعضهم على بعض ، وكثرت في ممالكهم المتجزئة الأحداث ، واشتدت بينهم الحروب ، ومُني الناس من الفتن والشرور بما لا عهد لهم بمثله من قبل ، وكان نصيب النابهين – في أثباج تلك الأحداث والفتن – شيئاً

كبيراً جداً ، لأن الأحداث العظمى والفتن الجسام تتناول في العادة الرؤوس ، وتتناش الوجوه من أرباب المناصب والمقامات الرفيعة في الدولة . ولم يكن نصيب العماد أقل من نصيب أمثاله ، فقد أضاع مركزه السياسي الكبير في الدولة ، وحرم أرزاقه أو هو تبرّضها تبرّضاً ، واضطر الى الانزواء بدمشق حيناً والى مغادرتها والاضطراب في جوانب الأرض حيناً آخر لينجو بنفسه من مخاوف الفتن والمهالك أو ليدرك بعض آرابه في الحياة . ومن عجب أن يمر مترجموه جميعاً ، لا أكاد أستثني أحداً منهم ، بهذه الفترة العصيبة النكراء من أيامه ، فلا يذكرها منهم ذاكر ، وإنما يقتصرون على خبر واحد من حياته طوال تلك المدة ، وهو استيطانه دمشق ولزومه مدرسته أو بيته للتصنيف والإفادة ، لا يذكرون من أمره غير ذلك .

قال ابن السبكي يصف أواخر أيامه هذه : « ولم يزل عند السلطان صلاح الدين في أعز جانب وأنعم نعمة ، والدنيا تخدمه ، والأرزاق يتصرف فيها لسانه وقلمه ، الى أن تُوُفّي السلطان صلاح الدين ، وبارت سوق العلم والدين بوفاته ، فاستوطن دمشق ، ولزم مدرسته العمادية [1] » . وقال ياقوت الحموي : « ولما تُوُفّي السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ اختلّت أحوال العماد ، ولزم بيته ، وأقبل على التصنيف والإفادة حتى تُوُفّي [2] » . وقال ابن خلكان : « ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته ، الى أن توفي السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله تعالى ـ فاختلّت أحواله ، وتعطلت أوصاله ، ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً ، فلزم بيته ، وأقبل على الاشتغال بالتصانيف [3] » . وأوجز الصفدي ألفاظه وقال مثل قوله [4] ، وهكذا قال غيرهم من مترجميه مثل قولهم اتباعاً ومحاكاة ، تشابهت ألفاظهم كما تشابهت معانيهم ، واتفقوا على هذا الغرض وحده لم يعرفوا غيره

والحق الذي تهديت له بالاستقراء التاريخي أن حياة العماد في عهود خلفاء السلطان

---

(١) طبقات الشافعية (٤/٩٧) . (٢) معجم الأدباء (١٩/١٩) .
(٣) وفيات الأعيان (٢/٧٦) . (٤) الوافي بالوفيات (١/١٣٣) .

صلاح الدين قد تلوّنت بألوان من الهدوء والسكينة ، والحركة والاضطراب ، والحرمان والاستمتاع ، فلم ينقطع للتصنيف والتدريس في بيته أو في مدرسته انقطاعاً تاماً طوال أيام حياته كلها كما تصوره هذه الحكاية المردّدة في كل ترجماته ، ولكنه شارك بعد السلطان صلاح الدين ـ غيرَ بعيد من وفاته ـ في بعض أعمال الدولة ، فكتب للملك الأفضل [1] نور الدين عليّ أكبر أولاد صلاح الدين ووليّ عهده الذي استقل بملك دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد . ذكر ذلك العماد نفسه في بعض كتبه ، وقال : « فعرف ـ أي الملك الأفضل المذكور ـ افتقاره الى معرفتي وفقري ، وعطل الملك ومحلّه من غزارة حلب دَرّي ، ونضارة حلي دُرّي ، فكتبت له ، وحلّيت من الملك عَطَلَهُ ، ووشّيت الكتب ووشّعتها ، وجلّيت الرتب ووسعتها ، وهززت اليراعة ، وأغزرت البراعة ، وهجرت الجماعة ، ولزمت القناعة [2] » .

على أنه أشار قبل هذا الى ما كان من حؤول أحواله ، وزوال إدلاله ، وبطلان حقه ، وتنازل جاهه ، وتنازق أشباهه ، بعد وفاة السلطان صلاح الدين . ولكن أمد ذلك لم يطل عليه ، فما لبث الملك الأفضل ، بعد أن استقر الملك له بدمشق في مقام أبيه ، أن استخدمه في الكتابة له افتقاراً الى معرفته وخبرته الإدارية والسياسية التي أفادها في خدمة الدولتين النورية والصلاحية وفي مصاحبة مؤسسيها العظيمين نور الدين وصلاح الدين ومعاشرة كبار رجالها من أمثال القاضي الشهرزوري والقاضي الفاضل وابن مصال .

قال ابن كثير : « لما استقر الملك الأفضل مكان أبيه بدمشق ، بعث بهدايا سنية [3] الى باب الخليفة الناصر [لدين الله العباسي ببغداد] وأنشأ له العماد الكاتب كتاباً حافلاً

(١) ترجمته في وفيات الأعيان (١/٣٧١) ، ومرآة الزمان (٨/٢٠، ٤ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (١٣/١٠٨) ، وشذرات الذهب (٥/١٠١) والكامل (١٢/١٧٦) .

(٢) الفتح القدسي (ص ٣٥٦) ، المطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٢٢ هـ .

(٣) قال ابن كثير : « من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات ، ومنها صليب الصلبوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلا مرصعاً بالجواهر النفيسة ، وأربع جواري من بنات ملوك الفرنج » .

يذكر فيه التعزية بأبيه والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب الى ذلك[1] » . قلت : وقد حمل هذا الكتاب والهدايا الى باب الخليفة ضياء الدين القاسم بن الشهرزوري في أواخر جمادى الآخرة سنة ٥٨٩ هـ ، وكانت وفاة السلطان صلاح الدين سحرة صفر من هذه السنة ، فلا جرم أن الملك الأفضل قد استخدم العماد في الكتابة له في أثناء هذه المدة بين التاريخين .

على أن الأحوال التي اكتنفت قصر الملك بدمشق ، لم تكن مواتية لبعث الطمأنينة في نفس العماد على نحو ما كان عليه أيام السلطان صلاح الدين ، فلزم القناعة بأداء واجبه اليومي الرسمي في الدولة احتفاظاً ببعض ما رُدّ اليه من جاهه وشأنه ، ولم يشارك أقطاب القصر السياسيين في أعمالهم ومؤامراتهم طلباً للعافية ، أو هم لم يريدوا أن يشاركهم فيها . ولكن ما أخذ به نفسه من هذا وذاك لم يجده نفعاً كبيراً ، فما لبث ضياء الدين ابن الأثير الجزري[2] وزير الملك الأفضل حين استقل سيّده بملك دمشق أن استقل هو بالوزارة ، وردت أمور الناس اليه ، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ، وغلبه سكر السلطة والشباب فبدأ يؤذي أكابر الدولة ، والأفضلُ يسمع منه ولا يعدي أحداً ولا يخالفه ، ثم حسّن للأفضل طرد أمراء أبيه ورجال دولته ليخلو له الجوّ ويتصرف كما يشاء على نحو

(١) البداية والنهاية (٨/١٣) . والكتاب مثبت في الفتح القدسي غير منسوب الى كاتبه .

(٢) هو الأديب المتفنن الكاتب المنشيء البليغ أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب بضياء الدين . ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨ هـ ، ودرس بالموصل ، وحفظ كتاب الله وكثيراً من الأحاديث النبوية وما لا يحصى من الأشعار القديمة والمحدثة ، ونبغ في الترسل ، وقصد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧ هـ فوصله القاضي الفاضل بخدمته ، ثم طلبه ولده وولي عهده الأفضل نور الدين علي ، فانتقل اليه واستوزره . ولما توفي السلطان واستقل الأفضل بملك دمشق استقل ضياء الدين بالوزارة الى أن طرد مع الأفضل من دمشق ، ثم تطورت به الأحوال ارتفاعاً وانخفاضاً الى وفاته سنة ٦٣٧ هـ ببغداد وقد توجه اليها رسولا من جهة صاحب الموصل ، فأدركته منيته فيها ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي . وله تآليف بارعة في البلاغة والأدب الكتابي تدل على فضل غزير وتحقيق وأصالة ، منها كتابه المشهور « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، و « الوشي المرقوم في حل المنظوم » ، و « المعاني المخترعة في صناعة الانشاء » ، وغيرها ، وكلها في غاية الحسن والإفادة ونهاية في بابها .

وترجمته في وفيات الأعيان (١٥٨/٢) ، وشذرات الذهب (١٨٧/٥) .

ما تطمع فيه كل نفس شريرة من الاستبداد ، ففارقوه الى أخويه : الملك العزيز بمصر[1] ، والملك الظاهر بحلب[2] . وأراد العماد الرحلة الى مصر ، فتلطف الأفضل وأصحبه رسالة الى أخيه العزيز ، فمضى العماد اليه ، إذ كان العزيز على خلاف سياسة أخيه ، كان يجتذب أصحاب أبيه اليه ويكرمهم ، فاجتمعوا حوله ، وحسّنوا له الانفراد بالسلطنة الى أن وقعت الوحشة بين الأخوين ، واستحكم الفتور في سنة ٥٩٠ هـ بينهما فكانت حروب ووقائع تعرضت فيها دمشق للحصار الطويل . ولم يستطع العماد الرجوع اليها إلا مع العزيز وعمه العادل[3] لما خرجا بالجيش المصري لانتزاعها من الأفضل في شهر رجب سنة ٥٩٢ هـ ، فحاصراها ، ثم دخلاها قهراً ودخلها معهما العماد ، وأخرجا منها الأفضل ووزيره ابن الأثير الجزري الذي أساء تدبيره وجرّ هذه الكارثة عليه وعلى نفسه .

وأقام العماد بدمشق ، مع الملك العادل الذي استنابه العزيز عليها ثم مع ابنه المعظم عيسى[4] وقد أنابه على دمشق وسار الى ملكه بالجزيرة ، أربع سنين لا أعلم أنه شارك في أثنائها في أعمال الدولة ، ولكن من المؤكد عندي أنه انصرف فيها الى التصنيف والتدريس والإفادة انصرافاً تاماً ، وآية ذلك كتاب من القاضي الفاضل كتبه اليه من مصر ذكر فيه ذلك كله واعتدّه نعمة يتعين شكرها على أمثاله من العلماء حين يبتلون بأزمنة الفساد ، فيه : « وأنا على ما يعلمه المولى من العزلة إلا أنها بلا سكون ، وفي الزاوية المسنونة لأهل العافية إلا أني على مثل حدّ المنون ، وكيف يعيش العاقل في الزمان المجنون ؟ ونحن على

(١) ترجمته في وفيات الأعيان (٣١٤/١) ، ومرآة الزمان (٣٥٤/٨ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (١٨/١٣) ، وشذرات الذهب (٣١٨/٤) ، والكامل (٥٨/١٢) .

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان (٤٠٢/١) ، ومرآة الزمان (٩٢/٨ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (٧١/١٣) ، وشذرات الذهب (٥٥/٥) ، والكامل (١٢٩/١٢) .

(٣) ترجمته في وفيات الأعيان (٤٨/٢) ، ومرآة الزمان (٢٩٤/٨ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (٩٧/١٣) ، وشذرات الذهب (٦٥/٥) ، والكامل (١٤٥/١٢) .

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٣٩٦/١) ، والبداية والنهاية (١٢١/١٣) ، ومرآة الزمان (٤٤٢/٨ وما بعدها) ، وشذرات الذهب (١١٥/٥) ، والكامل (١٩٥/١٢) .

آنتظار « البرق الشامي » أن يمطر ، وحاشا ذمّـة الوعد به أن تخفر . وآشتغالُ سيّدنا ـ في هذا الوقت ـ بالدرس والتدريس والتصوير والتكييف ، والتصانيف التي تصرّف فيها بالبلاغة أحسن التصاريف ، نعمةٌ يتعيّن شكرها على العلماء ، ويختصّ باللذّة بها سادتهم من الفقهاء » .

وفي سادس عشر شعبان وصل الى دمشق الكامل محمد[1] بن الملك العادل من « حرّان » وهو يريد مصر ، تلبية لدعوة أبيه ليستنيبه فيها ، وكان أبوه يومئذ بمصر مدبّر الملك الصبي القاصر الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ، فخدمه العماد بكلمةٍ ، منها :

قد كان يهضمني دهري ، فأدركني محمّدُ بنُ أبي بكرِ بنِ أيّوبِ
دعتك مصر الى سلطانها ، فأجبْ دُعاءَها ، فهْوَ حقٌّ غيرُ مكذوبِ

وعزم على صحبته الى مصر ، فخرج معه في الثالث والعشرين من شعبان ، وبلغها في الثلث الأخير من شهر رمضان ، فأقام فيها أشهراً أقبلت أوائلها فسرّته ، ثم أدبرت أواخرها فساءته وأجفل الى دمشق هرباً من الموت .

أنس ـ أول أيامه ـ بما شهد من مظاهر البهجة في آستقبال الملك العادل في موكبه الفخم آبنَهُ من آلعَبّاسة[2] ، وفي زفافه اليه مؤنـسة خاتون آبنة أخيه السلطان صلاح الدين[3]

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان (٢/٥٠) ، ومرآة الزمان (٨/٤٣٤ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (١٣/١٤٩) ، وشذرات الذهب (٥/١٧٢) .

(٢) العباسة : هي بليدة مصرية أول ما يلقى القاصد لمصر من جهة الشام ، بينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخاً ، سميت بعباسة بنت أحمد بن طولون لسبب بسطه ياقوت في معجم البلدان ، وعمرت في أيام الملك الكامل بن العادل بن أيوب ، جعلها من متنزهاته ، وأكثر من الخروج اليها للصيد ، لأن الى جانبها مما يلي البرية مستنقع ماء يأوي اليه طير كثير ، فكان يخرج اليها للصيد .

(٣) توفي السلطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ عن ستة عشر ذكراً وابنة واحدة ، قال سبط ابن الجوزي : « وأما البنت فاسمها « مؤنسة خاتون » ، تزوجها الكامل بن العادل ، (و) ماتت عنده . وكان لصلاح الدين ولد اسمه اسماعيل ، مات في حياة أبيه » .

أول ما آستقرّ الكامل في قصره ، وفي خروجه مع الكامل في بعض نزهه ببرج المقسم[1] وحضور سماطه للأمراء والأعيان وإنشاده هناك شعراً عذباً رقيقاً في مدحه[2] .

كما شهد بعد زمن قصير من هذا الزفاف زفافَه عرش مصر الى نفسه وآبنه هذا من بعده ، آنتزاعاً من حفيد أخيه السلطان صلاح الدين : الملك المنصور بن الملك العزيز بن صلاح الدين ، وهو مربّيه ومدبّر دولته والأمين على ولايته ، فخامر عليه ونقل ملكه الى نفسه ، وخطب الخطباء على منابر المساجد له ولآبنه الكامل ليس بعد الدعاء للخليفة العباسي ببغداد الا الدعاء لهما .

ثم بدت ـ آخر العام ـ في الأفق نُذُر كوائن هائلة ، فهبط النيل هبوطاً لم يعهد مثله في الإسلام الا مرّةً على حينَ كان مرجوَّ الزيادة مأمولَ الوفاء على العادة ، واذا لم يزد النيل الزيادة التي تركب الأرض تعذّر على الناس الزرع ، فآشتدّ بالديار المصرية الغلاء ، وتعذّرت الأقوات ، حتّى أكل الناس الميتة ، وأكل بعضهم بعضاً ، وجرت أمور تتجاوز الوصف ، ثم لحقهم على ذلك وباء وموت كثير أفنى الناس . حدث ذلك في ذي الحجة ، وآمتدّ الى منتصف سنة ٥٩٧ هـ ، فأجفلت الخلائق حذر الموت الى المغرب والحجاز واليمن والشام ، وهرب العماد فيمن هرب الى الشام . وقد روى عنه سبط آبن الجوزي في مرآة

---

(١) برج المقسم : أغفله ياقوت في مظانه من حرفي الباء والميم من معجم البلدان ، وذكره العماد في « خطفة البارق » ووصفه وصفاً جيداً فقال ، وقد ركب اليه مع الملك الكامل يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة ٥٩٦ هـ : « والمقسم : موضع على شاطىء النيل نزار ، وهناك مسجد يتبرك به الأبرار . وهو المكان الذي قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على مصر . ولما أمر صلاح الدين ـ رحمه الله ـ بادارة السور على مصر والقاهرة ، وتولاها الأمير قراقوش ، جعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقسم ، وبنى فيه برجاً هو مشرف على النيل ذو شرفات ، ومعقل ذو طبقات ، وثيق البناء ، رفيع الفناء . وبنى مسجداً جامعاً ، واتصلت العمارة منه الى البلد ، متتابعة المدد . وهو متنزه ، عن الأكدار والأقذار منزه ، وبالجنات مشبه ، والى البحر والبر بمناظرة الشبابيك موجه » .

(٢) قال في أوله :

مغـرم القلب مدنف   وجـده ليس يوصف
وعـدونا وأخـلفوا   ووفينـا ولم يفـوا

الزمان ، في حوادث سنة ٥٩٧ هـ ، حكايةَ ما شاهده في طريقه الى دمشق من الأضرار التي لحقت الناس والحيوان ، قال : « ولقد رأيت الأرامل على الرمال ، والجمال باركة تحت الأحمال ، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللَّقَم[1] ، تسترق الجياع باللُّقَم[2] » .

وما كاد العماد ينجو من الموت في مصر بالجوع أو بالوباء ، ثم من خطف الفرنج الواقفين بطريق المجفلين المنكوبين ، ويبلغ دمشق منهوكاً مهدود القوة ، حتى روّعته فيها ، في شعبان ، الزلزلة العظيمة الهائلة التي امتدّت في ساعة واحدة من صعيد مصر الى أذربيجان ، فخسفت مدن كثيرة ، وهلك بها خلق لايحصون ، ومُنيت منها عامة دور دمشق — الا القليل — بالخراب فهرب الناس الى الميادين يستغيثون . وكان العماد يومئذٍ ينوء بالسنين الثماني والسبعين وبالمرض من هول ماشاهد من هذه الكوائن بمصر ودمشق ، فما لبث بعد هذه الزلزلة أن أدركته منيته ، ففارق الحياة كئيباً ممتلئةً نفسه من الرعب والجزع مما رأى وسمع وحزيناً من فقدانه معارفه الذين كان يألفهم ويألفونه ويجد بعضهم ببعض تأساءه وتعزيته .

ذكر القاضي ابن خلكان عن بعض الرؤساء ممن كان ملازمه مدة مرضه أنه كان ، اذا دخل عليه يعوده ، أنشده :

أنا ضيفٌ بِرَبْعِكُمْ　　　أينَ أينَ المضيِّفُ ؟
أنكرتني مَعَارِفي　　　　ماتَ مَنْ كنتُ أعرِفُ

***

هذا ما غاب من أخبار العماد — بعد وفاة السلطان صلاح الدين — عن مترجميه جميعاً

(١) في مرآة الزمان : « اللهم » ، وقد تحير ناشرها فلم يدر ما هي ، وصوابها ما أثبته ، وهو (بفتح اللام والقاف وبضم اللام وفتح القاف أيضاً) معظم الطريق أو وسطه .

(٢) اللقم : جمع لقمة ، وهي ما يهيأ للفم من الطعام . ومراد العماد أن الفرنج كانوا يتخطفون الناس من الطرقات ويغرونهم من أنفسهم ويغتالونهم بالقليل من الأقوات كما أوضح ذلك ابن كثير في تاريخه (٢٢/١٣) بعبارته المرسلة .

من ابن خلكان وأضرابه الى بروكلمان [1] وجرجي زيدان [2] ومحمد كرد علي [3] والدكتور شوقي ضيف [4]، جلّيته على قدر ما استطعت من بذل الجهد في استقصاء التواريخ العامة واستقراء الحوادث، وأودعته هذا التعريف الجامع لأهم جوانب سيرته .

* * *

وفاته :

أما وفاته، فقد اتفقت كلمة مترجميه، القريبين من عصره والبعيدين منه، على أنها كانت بدمشق يوم الاثنين مستهلّ شهر رمضان سنة ٥٩٧ [5] هـ، لم يخالفهم في ذلك الا المستشرق الألماني بروكلمان Brockelmann في كتابه تاريخ الأدب العربي Geschichte der Arabischen Litteratur وملحقه، على أنه اضطرب كلامه فجعل وفاته في الخامس عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة تارةً [6]، وفي الخامس منه تارةً أخرى [7]، وكلاهما لم يقل به قائل قبله ولا بعده .

ودفن – رحمه الله – في مقابر الصوفية [8] بالشرف القبليّ [9] عند المُنَيْبِع على الجادّة [10] .

---

(١) Geschichte der Arabischen Litteratur (٣١٤/١) .

(٢) تأريخ آداب اللغة العربية (٦١/٣) .

(٣) كنوز الأجداد (ص ٣١٦)، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٠—١٩٥٠ .

(٤) مقدمته لقسم شعراء مصر من « خريدة القصر » ص (ل) .

(٥) ووقع في كشف الظنون (٧٠٢/١)، استنبول، طبعة وكالة المعارف : (٥٥٧)، وهو خطأ ظاهر .

(٦) Geschichte der Arabischen Litteratur (٣١٤/١) .

(٧) الملحق (٥٤٨/١) .

(٨) قال الأستاذ محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب نزهة الأنام في محاسن الشام (ص ٣٧٩) : « مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق » .

(٩) الروضتين (٢٤٥/٢) .

(١٠) مرآة الزمان (٥٠٥/٨)، والنجوم الزاهرة (١٧٨/٦) . والمنيبع – كما في نزهة الأنام – محلة وسويقة وحمام وأفران، وبها المدرسة الخاتونية – وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس، ونهر القنوات على بابها – وهذه المحلة من محاسن دمشق .

٭ ٭ ٭

عقبه :

وأعقب العمادُ بدمشق ، وبقيت الوجاهة والنباهة والعلم والتقوى في عقبه الى القرن الثامن الهجري على ما انتهى اليه بحثي ، ولا أعلم من أمرهم بعد ذلك شيئاً .

وممن اتصلت آصرته بالعلم من عقبه ، ولده (عزّ الدين) . فقد ذكر ابن شدّاد ـ فيما نقله عنه صاحب الدارس في تاريخ المدارس ـ أنّه تولى التدريس بعد أبيه في مدرسته المعروفة بالعمادية التي رتّب السلطان نور الدين محمود بن زنكي الشهيد العماد فيها مدرساً وناظراً بعد خطيب دمشق الفقيه الإمام الكبير أبي البركات ابن عبد الحارثي في سنة ٥٦٧ هـ [١] .

وذكر سبط ابن الجوزي وابن كثير وابن تغري بردي ، في حوادث سنة ٦٤٥ هـ ، من عقبه ابناً له عدّوه في أعيان الدمشقيين ، فأضافوه الى أبيه وسمّوه « ابن العماد الكاتب » ولم يزيدوا . فهل كان هذا هو عز الدين المذكور أو غيره من بنيه ؟ لم أكشفه بعد مع طول بحثي وتنقيبي ، ولكن غالب ظني أنه ولد آخر من أولاده غير عز الدين هذا .

وكان « ابن العماد الكاتب » هذا معدوداً في خواص الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل الأيوبي ، فنقل ذلك الى غريمه ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي ، صاحب مصر ، فخاف أن يجري ما جرى في النوبة الأولى من أخذ دمشق منه ، فأرسل الى دمشق من خواصّ رجاله من حملوا هؤلاء الأعيان الدمشقيين ، وفيهم « ابن العماد الكاتب » الى مصر ، فأقاموا فيها مطلقين ، أو بين مطلق وسجين ، الى وفاته في منتصف شعبان سنة ٦٤٧ هـ ، فأعيدوا الى دمشق [٢] .

واشتهر من ذريته في القرن الثامن الهجري الشيخ شرف الدين الحسين بن علي بن محمد ابن العماد الكاتب ، الذي نعته تلميذه الإمام الحافظ مؤرخ الاسلام الذهبي في « العبر »

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس (١/٤٠٧ و ٤١١) .

(٢) مرآة الزمان (٨/٧٦٦) ، والبداية والنهاية (١٣/١٧٣) ، والنجوم الزاهرة (٦/٣٥٨) .

بـ « الشيخ المُعَمَّر الصالح » ، وقال صاحب الدارس في تأريخ المدارس « الشيخ الإمام العالم الأصيل ، الأصفهاني الأصل ، الدمشقي » . ولد في المحرم سنة ٦٥٧ هـ ، وسمع جماعة ، وأشتغل وأفتى ، وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب ، وسمع منه المؤرخ المحدث البرزالي ، وخرج له جزءاً من حديثه بالسماع وجزءاً بالإجازة وحدّث بهما ، ودرس بالعمادية (١) وبالطبرية (٢) بدمشق ، وتوفي في شهر رجب سنة ٧٣٩ هـ ودفن بقاسيون (٣) .

* * *

صفته وأخلاقه :

من تمام التعريف بالمترجم أن يرسم شكله وقسماته وشارته ، وتوصف طبيعته ومزاجه وأخلاقه ، لتتألف من ذلك صورة حقيقية أو كالحقيقية لظاهره وباطنه ، تُعين على تخيّله وتمثيله ، وتقوم مقام رؤيته ، لتزيدنا معرفةً به أو لتكمل المعرفة به ؛ ففي التصوير الدقيق لظاهر آمرئ وباطنه ما يقربه من نفوسنا ، ويزيد في فهمنا له .

ولكنّ هذا المطلب ـ بالقياس الى العماد الكاتب من حيث تراد له صورة كاملة ، قد يبدو محالاً أو كالمحال ، لقلّة عناية مترجميه بتقييد ملامحه ووصفِ مزاجه وأخلاقه ، شأنهم في هذا معه كشأنهم مع غيره .

فكل ما ظفرت به من وصف شكل العماد أنه « كان كَوْسَجاً وفي عينه عَمَش » (٤) ، وقد تفرّد آبن القوطي (٥) برسم هذا الشكل الناقص له ، وقال آبن الساعي وغيره (٦) : « وكان بالعماد فترة اذا نُظِر اليه ، فاذا أخذ القلم وكتب جاء بالعجائب » (٧) ، ونقل

(١) الدارس (١/٤٠٦ ـ ٤١٣) . (٢) الدارس (١/٣٦٦) .

(٣) الدارس (١/٣٦٦ و ٤١١) ، وشذرات الذهب (٦/١٢٠) .

(٤) الكوسج : هو الذي لا شعر على عارضيه ، فارسي معرب كوسه ، وهو الأثط . وقد اشتق العرب منه فعلا ، فقالوا : « من طالت لحيته تكوسج عقله » أي نقص . والعمش : ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات .

(٥) مجمع الآداب (الورقة ١٦٦) . (٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨/٥٠٥) .

(٧) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (ص ٦٤) .

الصفدي عن شمس الدين محمود المروزي قال : « كنت بحضرة القاضي الفاضل ـ رحمه الله ـ وكان العماد حاضراً عنده . فلما انفصل ، قال الفاضل للجماعة : بِمَ تشبّهون العماد ؟ ـ وكان عنده فترة عظيمة وجمود في النظر والكلام ، فاذا أخذ القلم أتى بالنثر والنظم ـ فكلّهم شبهه بشيء ، فقال : ما أصبتم ، هو كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار »[1] .

وقد أغفلت الحكاية ما قاله فيه جلساؤه من التشبيهات والآراء ، وظاهر من هذا أن مظهر العماد كان لا يروق الناظرين اليه ، فكانوا يسيؤون لذلك تقديره . ومما لا شكّ فيه أن جلساءه حين خاضوا في حديثه لتحديد صفته فاختلفوا ولم يصيبوا شاكلة الصواب من أمره ، إنّما عرضوا لباطنه من جهة ظاهره ، واستدلّوا بهذا على ذاك ، فوقعوا في الخطأ ولم يهتدوا الى حقيقته ؛ لأن فراسة الظاهر لا تستلزم المطابقة لفراسة الباطن في جميع الأحوال . وقد كان القاضي الفاضل خبيراً كل الخبير بكنه العماد ، فرفض هذا القياس وأنصفه بما وصفه به ، على حين غاب ما يعرف من أمره عن الجماعة فظلمته بقياسها باطنه على ظاهره ولم تفقه حقيقته .

وأرى القاضي الفاضل كان على حق في جملة ما عرفه من شأن العماد وتفصيله ؛ لأن العماد قد اجتمع صفات ممتازة قلما يستجمعها رجل : من علم وأدب ، وشعر ونثر ، وعلم بالتأريخ ، وفقه وتقوى ، واجتهاد وسداد ، وذكاء وسماحة قريحة وقوة بديهة وارتجال . وقد دلّ على ذلك كله مجموع آثاره ، والمأثور المعروف من أخباره ، مما يصعب استقصاؤه في مقام الايجاز .

وقد نجد في أخبار العماد ما يعرب عن مروءته وكرم أخلاقه وحسن تأتيه فيما يريده ، مثال ذلك : زوّر خطيب المزّة على السلطان صلاح الدين خطّاً بما يطلق له الأموال ، ورفعه الى عزّ الدين فرخ شاه[2] ـ ابن أخي السلطان صلاح الدين ـ فعلم تزويره عليه ، وهمّ بالإيقاع به ، فهرب الى القاهرة واستجار بالسلطان ، وكان قد داوم على ذلك زماناً ما يشكّ صاحب ديوان ولا متولي خزانة في أنه صحيح . ولما جلس السلطان ، وأمراؤه عنده يغرونه

---

(١) الوافي بالوفيات (١/١٣٩) . (٢) ترجمته في مرآة الزمان (٨/٣٧٢) ، وغيره .

به ، رقّ العماد له فقال السلطان سرّاً بالفارسية : « تَهَبُهُ للقرآن » ، فقال : نعم ، فنفس من خناقه ، وأمر بإطلاقه ، وأبقى عليه خيره [1] .

وعلمنا من سيرة العماد ، من لَدُنْ نشأته إلى وفاته ، أنه ربي على التقوى والطاعة والتخلق بأخلاق الإسلام ، وأنه تفقه في المدرسة النظامية ببغداد وأخذ عن أكابر العلماء بأصبهان وبغداد ودمشق والإسكندرية حتى آستولى على الأمد وعدّ من أفاضل الفقهاء والمحدثين ، وحج بيت الله الحرام في عنفوان شبابه ، وبلغ مرتبة عالية في الدين والدنيا ، وولاه السلطان نور الدين محمود بن زنكي الشهيد في مدرسته بدمشق مدرساً وناظراً ، وأئتمّ به السلطان صلاح الدين في صلواته . وكان الى هذا وغيره ، كما هو المعروف من أخلاقه ، مغرى بآلجد ، مغرماً بطلب المعالي ، ووقته كله مصروف في تحصيل العلم والأدب ، وفي نظم الشعر وكتابة الرسائل وتصنيف الكتب في ثقافة عصره وتأريخه ، وفي الأسفار ما بين أصبهان ومصر سعياً وراء لباناته كما قال في معنى تنقّله في البلاد :

يوماً بجَيٍّ ، ويوماً في دمشقَ ، وبآلـ ... فُسطاط يوماً ، ويوماً بالعراقَيْنِ
كأنّ جسمي وقلبي الصّبّ ما خُلقا ... إلّا لِيَفْتَنِيا بالشوقِ والبَيْنِ

فلا جرمَ أنه كان ينأى بنفسه عما يشينها من الشبهات والآثام ، ما صغر منها وما كبر ، غير أن صلاح الدين الصفدي ـ كما عرفنا من ولعه وآلتذاذه برواية الأحاديث والقصص الماجنة في كتابه « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » قد تجاهل كل ذلك من أخلاق الرجل ، وأبى الا أن يَزِنَّهُ بتهمة ثقيلة من مقارفة الكبائر المهلكة المسقطة للعدالة [2] ، لو عرف بها حقاً لما بلغ في الدولتين النورية والصلاحية ما بلغ من جلال الشأن ، وهما على ما نعلم من حرص مؤسسيهما العظيمين على إقامة شعائر الإسلام وآصطفاء الأخيار من أكابر علماء الملة للوزارة والقضاء والكتابة . فنقل في أثناء ترجمته للعماد في كتابه « الوافي بالوفيات » عن « بدائع

---

(١) الروضتين (٢/٢٦) . (٢) الوافي بالوفيات (١/١٣٦) .

البدائه » خبراً رواه علي بن ظافر الأزدي عن فخر الدين الحلبي عن العماد نفسـه ، زعم أنه حدثه به ، وما نرى أنه يحدث بمثله عن نفسه إلا سفيه أو معتوه ، لا فقيه جليل له المكانة الرفيعة في قومه كالعماد الكاتب . وقد نعت الخبرُ العمادَ بـ « القاضي الأجل » ، فلا أدري كيف يُنعَتُ بالأجلّ من يقترف كبائرَ ما ينهاه عنه دينه ، أو كيف يقترف كبائر ما ينهى عنه الدينُ رجلٌ منعوت بهـذا النعت الخطير ؟ وما عرف عن العماد أنه كان من القضاة في يوم من أيام حياته . ثم هو ألصق التهمة به أيام كان في الموصل ، وأنا أعلم أن العماد الكاتب قد ألمّ بالموصل مرتين في حياته : مرة في سنة ٥٤٢ هـ ، وكان في ذلك العهد متفقّهاً ببغداد ، لحضر عند وزيرها جمال الدين بالجامع في جمعتين ، وتكلم عنده مع الفقهاء في مسألتين ، ومدحه بقصيدة ، وعاد الى بغداد [1] . وألمّ بها ثانيةً بعـد ولاية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الشهيد ، فقضى أيامه فيها مريضاً أشد المرض ، ثم غادرها الى الشام وهو في عقابيل الداء على ما قدمت من خبره [2] ، وهو في كلتا الإلمامتين لم يكن متفرغاً لما يتفرغ له الماجنون من السـيرة القبيحة التي يزنّه بها فخر الدين الحلبي ويزعم أنه حدثه بها عن نفسه . وقد تصفحت كتاب « بدائع البدائه » المطبوع على هامش « معاهد التنصيص » ، فلم أقع فيه على هـذا الخبر ، وسواء أأخطأت رؤيته أم لم أخطئها ، فان مثل العماد الكاتب ـ في عقله وفقهه ومركزه ـ اذا جاز أن يقع ذلك منه ، فلا يجوز في مذهب العقل مطلقاً أن يحدث به عن نفسه حديثاً يزري بفقهه ويسقط عدالته . واذا محصت العلائق بين ابن ظافر والعماد ، أو بين فخر الدين الحلبي والعماد ، انكشف سرّ هذا الاختلاق السافر .

وكان الصفدي — فيما يبدو لي — يتعمد إيذاء العماد في دينـه وأخلاقه ، لسبب لم أتبينه ، فقد رأيته ينسب اليه في كتاب آخر [3] من كتبه آثاماً وكبائر أخرى أيضاً زعم أنه اقترفهـا ، وذلك أيام بلغ الذروة في علوّ السن وفي مقامي الدين والدنيـا تحت راية الدولة

(١) الروضتين (١/١٣٦) . (٢) راجع ص (٤٠) .
(٣) الغيث المسجم في شرح لامية العجم (١/١٤٣) .

الصلاحية ؛ وأنه ما لبث أن خرج عن كل ما كان فيه ، ولم يعد الى ذلك البتة ، لبيتين سمعهما من القاضي الفاضل حين دخل عليه داره ورأى ما رأى من آثار مجلس أنس ورائحة خمر وآلات طرب ، في خبر ظاهر الافتعال يرويه الصفدي عن « بعض المجاميع الأدبية » على حد كلامه .

ومن المعقولات البديهية أن كتابة التأريخ ينبغي أن تقوم على صدق الرواية وحسن الدراية ، وكلا هذين العنصرين غير موفور في خبره . ومن عجب أن الصفدي في « الوافي بالوفيات » قد اشترط في المؤرخ — نقلاً عن غيره — شروطاً تسعة فيما ينقله وما يترجمه من عند نفسه ، أحدها « أن يسمي المنقول عنه » ، وهو — ها هنا — يحيد حتى عن هذا الشرط الاعتيادي ، فينقل غير متردد عن « مجهول » ؛ ولو كان عالماً منهجياً ثبتاً لما أخل بشرط من أهون الشروط التي فرضها على المؤرخين ونسي نفسه .

ووصف صاحب « كنوز الأجداد[1] » من أخلاق العماد شدة حرصه على تحصيل الدنيا ، ومثل لذلك بحكايتين تصفان دناءة نفسه على حد تعبيره ، صيغتا بأسلوب واهٍ بعيد من المنطق السديد ، وإحداهما تجعل من العماد — الكاتب الثاني في الدولة الصلاحية — صبياً مدللاً لم يأخذ حظاً من تهذيب ، كما تجعل من القاضي الفاضل صاحب شعبذة وأضاحيك كالهازلين في تمثيلية « طيف الخيال » ، ومن السلطان صلاح الدين العظيم مخلوقاً خفيف الوزن يطرد كاتبه ثم يسعى بنفسه اليه — في خانكاه الدراويش — مترضياً !!

ولعل هذا القصص المصنوع هو الذي غرّ المنذري أن يقول في التكملة لوفيات النقلة واصفاً أخلاق صلاح الدين مع العماد : « وللسلطان الملك الناصر معه من الإغضاء والتجاوز والبسط وحسن الخلق ما يتعجب من وقوع مثله من مثله[2] » . ولو تأمل المنذري وأمثاله في هذه المرويات ، لرفضوها ، وقالوا مع ابن الفوطي من أنه « جرى بصحبة السلطان صلاح

(١) الأستاذ محمد كرد علي : كنوز الأجداد (ص ٣١٥) .
(٢) التكملة لوفيات النقلة (الورقة ١٩) .

الدين على وفق الصلاح والسَّداد [1] » ؛ لأنه هو الأمر الطبيعي من مثل العماد مع صلاح الدين [2].

هذا وكأني بالعماد قد استشف بذكائه مغامز حساده فيه حين قال في بعض حكمياته واصفاً عزة نفسه :

إقنعْ ولا تطمعْ ، فإنّ الفتى — كمالُهُ في عزةِ النفسِ
فإنّما ينقُصُ بدرُ الدُّجى — لأخذه الضوءَ من الشمسِ

وهما بيتان جميلان حقاً ، وقد رواهما صاحب « كنوز الأجداد [3] » — رحمه الله — كما رواهما مترجموه القدماء [4] في جملة مختاراته .

---

(١) مجمع الآداب (الورقة ١٦٦) .
(٢) أنظر « الفتح القسي » ص (٣٧٥) .
(٣) كنوز الأجداد (ص ٣١٨) ، وفيها « الغنى » بدل « الفتى » وهو — فيما أرى — تصحيف ، ومثله في طبقات الشافعية لابن السبكي ، وفي معجم الأدباء طبعة أحمد فريد رفاعي .
(٤) مثل ياقوت الحموي : معجم الأدباء (٢٨/١٣) ، وابن السبكي : طبقات الشافعية (٩٩/٤) .

ثقافة العماد الكاتب ، ونثره ، وشعره ، وكتبه وآثاره

ثقافته :

اشتهر العماد بالكتابة ، وكانت بعض أدواته ؛ ذلك لأنه خدم طويلاً في ديوان إنشاء الدولتين : النورية والصلاحية ، وصدرت عنه رسائل ديوانية كثيرة جداً في الإدارة والسياسة تأنق بكتابتها وإخراجها في أجمل القوالب الأدبية الفنية مما كان يبهر الناس في زمانه ، فلفتت اليه الأنظار ، وشهر بها عند الخاصة والعامة ؛ ومن طالت صحبته لشيء عرف به وغلب على سائر صفاته .

وكانت له — وراء كتابته — مادة خصبة من الثقافتين العربية والفارسية تمدّه وتبسط ذرعه في أسباب القول البارع ، وحظوظ عظيمة من الأدب ترفده فيما يعانيه من فنون النثر في رسائله وكتبه ، تهيأت له — في السنين الطّوال — بتوفّره ، منذ نعومة أظفاره ، على معاناة الأدب وحفظ دواوين العرب وترسّم نماذج البلاغات العالية ، في حرص بالغ ونشاط حادّ منقطع النظير لازماه طَوالَ حياته ، حتى أطاعه العصيّ من اللغة وأسلست له البلاغة مقادتها .

كذلك كان له رصيد ضخم من العلوم الإسلامية والدخيلة ومعرفة التواريخ وأيام الناس ، أعانه على هذا التميز بالفن الكتابي الذي رفع منزلته عند أعلام عصره من ملوك ووزراء وعلماء وأدباء ، وقد أفضتُ ببيان حظه في ذلك فلا أعيده ، وأشاد مترجموه بمحصوله الثقافي العظيم هذا ، وقدروه له حق قدره ، فعدوه في العلماء المتقنين للفقه والخلاف والأصول ورواية الحديث ، وسلكوه في فصحاء العرب والعجم وأرباب الفضل والبلاغة والمعرفة ، ووصفوه بالأدب والشعر والنثر وصفاً كثيراً وبالتميز باللغة والنحو والحفظ لدواوين العرب ومعرفة التواريخ وأيام الناس ، حتى قال بعضهم في جملة ما أطراه به إنه « كان من محاسن الدنيا ، لم

تر العيون مثله [1] » .

ولا ريب في أن للعماد آثاراً بارعة تشهد بتقدمه ، ولا سيما في الشعر والنثر ، وتؤيد جملة ما أشاد به معاصروه ومؤرخوه من فضائله ، ولا بدّ أن نجد خلف كل شهرة مستفيضة من لمع من الصدق وبوارق من الحقيقة .

* * *

نثره :

نهج العماد في كتاباته منهجاً فنياً خالصاً معقداً كل التعقيد ، وكتب بـه التأريخ الثقافي والسياسي والحربي لعصره كما كتب رسائله الديوانية ، فسجع ورصّع ووشّع وجانس وطابق وقابل ووازن ، وآفتنّ ما شاء له أدبه أن يفتنّ به من هذه الألوان البديعية ، فلا تدري ، وأنت تقرأ تواريخه ، أيـكتب أدباً أم يكتب تاريخاً .

وقد كان من أوائل من حفلوا بالأسلوب المسجوع في تدوين التأريخ أبو النصر العتبي ، المتوفّى سنة ٤٢٧ هـ ، في تأريخـه « اليميني » الذي أرخ فيه يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، فأبرّ العماد عليه ، وزاد في التصنع والتعقيد ، وأغرق في آستخدام ألوان البـديع إغراقاً لاحدّ له ، آنسياقاً في طريقة أصحـاب « المقامات » التي سيطرت على أقلام الكاتبين في العصور الإسلامية الوسطى ، وكانت طراز الأدباء في البلاغة والفن ما بين المشرق والأندلس .

وقد بلغ هذا التصنع ذروته في القرن السادس عند القاضي الفاضل وأتباع طريقته ، وكان العماد الـكاتب من أظهرهم شأناً فيها . ومن سمات هذه الطريقة الـكتابية المبالغة الشديدة في آنتقاء الشوارد والفُصَح وما له رنين في السمع من ألفاظ اللغـــة ، للمجانسة والمشاكلة والموازنة والترصيع ، والإمعانُ في زخرفة الـكلام وإشاعة ألوان البديع فيه ، ليدل بذلك الـكاتب على مقدرته البالغة .

---

(١) ابن الساعي ، وقد نقله عنه ابن السبكي في طبقات الشافعية (٤/٩٨) .

وقد أُفتنّ العماد في هذا كله أفتناناً عجيباً ، وألتزم التعقيد حتى في أسماء كتبه من نحو « خريدة القصر وجريدة العصر » و « نصرة الفترة وعصرة القطرة » و « الفتح القُسّي في الفتح القُدسي » و « خطفة البارق وعطفة الشارق » وغيرها ، كما كان يصنع معاصروه ومن قبلهم وبعدهم من أدباء التصنّع المغرقين في هذا النهج ، إذ كان مسحوراً بهذه الطريقة ، يشيد بها وبأربابها إشادة عظيمة كما ترجم لأحد أعمتها البارعين كالحريري والحصكفي والقاضي الفاضل . وفي أخذه نفسه باتّباعها وتطبيق منهجها في كتاباته تطبيقاً عملياً كاملاً في غير رفق ولا هوادة ، الا في القليل منها ، ما يغني عن الإطالة في إيراد الشواهد من أقواله في هذا الباب .

وهو قد تأثر هذه الطريقة من إدمان قراءة « مقامات الحريري » منذ فجر نشأته ، وقد كان الشداة المتطلبون لصناعة النثر في عصره مسحورين بهذه المقامات يتدارسونها ويحفظونها ويصوغون على مثالها ؛ لأن الحريري قد بلغ الذروة في كتابتها ، وافتنّ في صياغتها وتجميلها بما لم يفتنّ كاتب بمثله ، فأكب عليها صارفاً مدة مهله فيها وهو ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفّها في كل لحظة [1] ؛ ثم قدم بها بغداد سنة ٥٠٤ هـ فأخذها عنه البغداديون ، وطفق شيوخ الأدب واللغة من أمثال الإمام ابن الخشاب البغدادي يقرئونها الطلاب ، ولعل هذه المقامات أخذت عنه أكثر من أخذها عن الحريري نفسه ، وله عليها تعليقات غاية في القوة والأصالة وإن ناقشها ابن بري بما ناقشها به . وقد علمنا أن ابن الخشاب كان من شيوخ العماد في الأدب ببغداد [2] ، فلا شك أنه قرأ عليه هذه المقامات في جملة ما قرأ من أصول الأدب وفروعه وأخذ عنه تعليقاته عليها هذه ، وعلمنا أيضاً من ولع العماد بتدارس هذه المقامات أنه قرأها على ابن الحكيم [3] عن الحريري كما قرأها على ابن الحريري [4] عن أبيه أيام نيابته عن الوزير ابن هبيرة بالبصرة . فلا جرم أنه تأثر — أولَ ما تأثر — بأسلوبها وفنّها ،

(١) ابن الخشاب البغدادي : مقدمة تعليقاته على مقامات الحريري .
(٢) راجع ص (٢٧) . (٣) راجع ص (٢٩) . (٤) راجع ص (٢٨) .

وانطبعت قوالبها في نفسه ، لكثرة ما استعرضه ذهنه من نصوصها . وإدمان الدرس لشيء يورث في نفس صاحبه إرادة مشاكلته ، ويجذب طبعه الى ترسمه واحتذائه . ثم ما برحت ملكته تشتد في اتباع هذه الطريقة الكتابية ، وبسمو بها سمتاً بعد سمت ، حتى استولى على الأمد .

وكانت الزعامة الكتابية في هذا العصر للقاضي الفاضل ، الذي أضفت حلاوة أدبه على هذه الطريقة رونقاً جذاباً أوحى الى أهل زمانه أنه نهج طريقة أو « شريعة جديدة » للكتابة كما يقول العماد ، لا منافس له فيها إطلاقاً . ولكن ذهب ياقوت الى أن العماد زاحمه فيها بمنكب ضخم ، وخالفه آخرون فعدوا العماد وضياء الدين ابن الأثير الجزري من أتباع الطريقة الفاضلية (١) .

ولا جدال فيما كان بين الكاتبين من تماثل في التصنع ، فلقد كانا يتجاريان فيه حتى في محاوراتهما فيتكافآن في القوة ، كالذي روي من لطائفهما وقد التقيا مرة فقال العماد للقاضي الفاضل وهو يسايره : « سِرْ فلا كبا بكَ الفرسُ » — وأراد أنه يقرأ طرداً وعكساً — فأجابه القاضي الفاضل في الحال : « دام علاء العماد » ، وهو أيضاً يقرأ طرداً وعكساً ، ويسمي أصحاب الفن مثل هذا « ما لا يستحيل بالانعكاس » .

غير أن بينهما بوناً كبيراً من حيث الرشاقة والحلاوة وانكشاف المعنى . ولقد جرى نفر من النقاد على الموازنة بينهما (٢) ، فخرجوا الى تفضيل بيان القاضي الفاضل ، ولم يغمطوا فضل العماد .

وقد ظفر العماد من تقدير العلماء لفنه بالإطراء الكثير ، فقال ابن الأثير المؤرخ : « كان كاتباً مُفْلِقاً قادراً على القول » (٣) ، وقال ابن الساعي : « كان سمح القريحة ،

---

(١) راجع ص (٤١) .

(٢) القاضي ابن خلكان : في ترجمة السلطان صلاح الدين الأيوبي في وفيات الأعيان (٢/٣٩٥) ، وصلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات (١/١٣٤) ، وابن السبكي في طبقات الشافعية (٤/٩٨) .

(٣) تأريخ ابن الأثير (١٢/٧) بولاق .

جيد النظم ، كثير القول ، له الترسل المليح والكتابة البليغة . وذكره القاضي عمر القرشي في مشايخه الذين روى عنهم ، وأثنى عليه بالفضل والبلاغة والمعرفة [1] » ، وقال : « قيل : وكان بالعماد فترة اذا نظر اليه ، فاذا أخذ القلم وكتب جاء بالعجائب [1] » ، وقال ابن الفوطي : « كان من فصحاء العرب والعجم ، كاتباً سديداً [2] .. » ، وقال ابن العماد الحنبلي : « تعانى الكتابة والترسل والنظم ، ففاق الأقران ، وحاز قصب السبق ؛ وخدم في ديوان الإنشاء فبهر الدولة ببديع نظمه ونثره [3] » ، ووصفه السيوطي [4] بالشق الأول ، وقد أخذ ابن العماد لفظه ولم ينسبه اليه ، وخرج زكي الدين المنذري — فيما نقله عنه صاحب « الدارس في تاريخ المدارس » — الى الغلو في إطراء بلاغته ، حتى عدّه « إمام البلغاء ، وشمس الشعراء ، وقطب رحى الفضلاء ... » وأنه « فاق الأوائل طراً ، نظماً ونثراً ، واستعبدت رسائله المعاني الأبكار ، وأخجلت الرياض عند إشراق النوّار [5] » ، ومثل هذا الكلام لا وزن له ، وإنّما أرويه لأنه يمثل مدى إعجاب الناس بأدب العماد .

ونظر بعض الأدباء القدامى كالصفدي الى نثر العماد نظرة الناقد ، ولكنه لم يمس بنقده إلا ناحية « البديع » ، ومنها إغراقه في استخدام الجناس ، فوصف ما استكثر فيه منه بأنه ضرب من الرقى والعزائم ، وما خلا منه استحسنه كل الاستحسان وقال في الإعجاب ببعض أمثلته : « لما كان هذا خالياً من الجناس عذب في السمع وقعُهُ ، واتسع في الإحسان صقعه ، ورشفه اللبُّ مدامة ، وكان عند من له ذوق أطرب من تغريد حمامة [6] » . كذلك أخذ عليه إكثاره من « رد العجز على الصدر » ، والتزامه في بعض رسائله حرفاً

---

(١) الجامع المختصر (٦٣/٦٤) .
(٢) مجمع الآداب (١٦٦ — ١٦٧) .
(٣) شذرات الذهب (٣٣٢/٤) .
(٤) حسن المحاضرة (٢٧٠/١) ، مطبعة الموسوعات ، ١٣٢١ هـ .
(٥) الدارس في أخبار المدارس (٤٠٩/٢) .
(٦) الوافي بالوفيات (١٣٤/١) ، وطبقات الشافعية (٩٨/٤) .

بعينه في كل كلمة ، وأشياء من هذا النمط الذي يقذفه السمع ويمجه ، ويقطعه الإنكار ويحجّه ، كما يقول[1] .

والصفدي حين يشتد في حملته على هذه الفنون البديعية ، ينسى السجع أو يتناساه ، وهو أظهرها في الكلام لاستخدامه في كل قرينة ؛ لأنه كان يتعاطاه كما يتعاطاه رجال هذه الطريقة الكتابية ، فلم ينكره .

ومن هذه الزاوية الضيقة نظر أيضاً بعض الأدباء المحدثين الى نثر العماد فنقدوه ، وتناول نقدهم سجعه وجناسه وألوان البديع الأخرى دون معانيه وأفكاره . وعنف صاحب « كنوز الأجداد » عليه ، فقال في نقده : « .. أما إنشاؤه فسجع ، وفي « الفتح القُسّي » منه مثال يأتي على حلم الحليم ، لما أكثر فيه من الجناس وأتى من البديع . وقد شهد القاضي الفاضل بأنه كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار . ونحن نقول : إن شهرته أعظم من حقيقته . لا جرم أنه متمكن من اللغة يصرفها كما يشاء بقلمه ، وتكلفه لا يخفى على صاحب هذا الفن . وفي الفصل الذي عقده في « الفتح القُسّي » لوصف نساء الافرنج اللاتي فدين أنفسهن في الحروب الصليبية ، للترفيه عن بني قومهن في فلسطين ، مثال بين من ذلك[2] » الى آخر ما قال .

والحق أنّ إخضاع آداب العصور القديمة وأساليبها للمقاييس الحديثة لا يصحّ على إطلاقه ، والمثال الواحد لا يكون شاهداً عدلاً في تصحيح الدعوى .

على أن هذا الحكم هو على الشكل الخارجي أو الأسلوب وحدَهُ ، لم يتناول الأغراض والمعاني والأفكار وهي اللباب الذي يطلبه النقاد ، وهو — الى ذلك — تلوح عليه أماراتُ الارتجال والسرعة من غير شك .

ونحن نعلم أن نثر العماد كثير جداً ، وأن ديوان رسائله وحده في مجلدات ، وأنه متنوع

(١) الوافي بالوفيات (١/١٣٥) .
(٢) الأستاذ محمد كرد علي : كنوز الأجداد (ص ٣١٧) .

الأغراض والمقاصد شديد الاتصال بالحياة الاجتماعية والسياسية في زمانه ، فالحكم عليه بالعدل يستلزم تقصّي ذلك كله ، وما سلم حكم يبنى على الأبعاض والنظرة العجلى من دفع أو نقض وإبطال .

* * *

شعره :

أما شعره ففيض غزير متدفق . وقد شبهه ابن السبكي بالبحر الذي لاساحل له ، وذكر الصفدي أن ديوانه في أربع مجلدات كبار ، وله أيضاً ديوان صغير جميعه « دوبيت » . وهما مفقودان أو نحن لا نعلم من أمر وجودهما شيئاً . غير أن العماد قد أودع كتبه صوراً غير يسيرة منه ، وحفلت بعض كتب التأريخ وتراجم الرجال كذلك بطائفة من قصائده ومقطوعاته وأبياته المختارة . وقد تتبعت ذلك كلّه — بقدر الاستطاعة — فاستوى لي منه جزء لطيف ، قد يتيح للناقد أن يبدي بعض رأيه في جملة شعر العماد .

وهو — كنثره — متنوع الأغراض ، حافل بالصور والأخيلة والأفكار ، شديد الاتصال بالحياة الاجتماعية والسياسية والحربية في زمانه . ولكنه يفضله في وضوح المقاصد ، ولطف المعاني ، وجمال الصياغة ، وحلاوة الأسلوب ، وقلة التعقيد الفني اذا قيس بما زخر منه في نثره . ومن هنا كان شعره في الغالب أقرب الى نماذج الشعراء المطبوعين أو الشعراء الذين يذهبون مذاهب الفصاحة ، ويجنحون الى السلاسة والرقة والوضوح ، ويستخدمون من ألوان الفن ما يزينون به المعنى ويجملون الصورة .

وهو قد أحسن ذلك ، وأحسّه في نفسه ، وافتخر به مذ قال — أيام شبابه — يخاطب الخليفة المقتفي لأمر الله العبّاسيّ :

هذي — أميرَ المؤمنينَ — قصيدةٌ غرّاءُ تقصِدُ قبّةَ الملكِ الأغرّ
حسناءُ يُهديها وليٌّ مخلصٌ لكمُ الولاءَ ، فأولِها حسنَ النظرْ

(صورٌ تقوم بها معانٍ منكمُ   إنّ المعانيَ زائناتٌ للصُّوَرْ
دَقَّتْ لِمعنى السِّحرِ، إلّا أنّها   راقتْ ورَقَّتْ مثل أنفاسِ السَّحَرْ)

وهذان البيتان الأخيران، وهما من الوصف البارع النادر، يصفان فن العماد ويجملان وجهته فيه الى المزج بين الطبع والصنعة الدقيقة، والاحتفال بالمعنى والصورة، ولا بدّ — لتكامل الفن — من تكافئهما.

وقد أحسّ الصفدي ظاهرة الجمال هذه في شعر العماد، فآثره على نثره، وقال: «أرى أن شعره ألطف من نثره»، وحصر علّة ذلك في إكثاره الجناس في نثره. وأما النظم فقد كان الوزن فيه — كما يقول — يضايقه فلا يدعه يتمكن فيه من الجناس.

وهذا وجه واحد من الوجوه التي يمكن أن تذكر في تفضيل شعر العماد على نثره، وليس كل ما يقال فيه.

ولعلّ أهم ما يبدو في ذلك من الأسباب هو جودة طبعه الشعري، وسماحة قريحته، وانسياقه في مذاهب الفصاحة والرقة والسلاسة، وما يمده في ذلك من رصيده الضخم: من حفظ دواوين العرب، وإدمانه قراءة الشعر البليغ، وقراءته دواوين بكاملها على أصحابها أو أبنائهم أو غيرهم من الأدباء كما روى من قراءته على الحيص بيص ديوانه وعلى ابن الأرجاني ديوانَ أبيه وعلى الأديب النَّطَنْزيّ أكثر شعر أبي المظفر الأموي الأبيوردي، وكذلك شدة اتصاله بشعراء عصره وروايته أشعارهم على نحو ما ترى من كثرة ما أودعه في خريدة القصر من كلام الشعراء الذين لقيهم في فارس والعراق والحجاز والشام ومصر. وهي أشياء واضحة عند العماد فيما يبدو من طول نَفَسه في قصائده، واتّساعه في أفكاره وعباراته في غير اجتلاب ولا تكلّف، وانكشاف معانيه مع استواء لغته ومتانتها وشدة قوافيه أحياناً، وقدرته على ارتجال الشعر المطبوع المصنوع مع الإجادة التامة فيه.

وهذه الصفة الأخيرة يندر حصولها عند الشعراء ؛ لأن الارتجال فورة من فورات الطبع ، واختشاب للألفاظ ، لا تتأتى معه المجانسة والتنوق والاجتلاب . وقد اشتهر من أمثلته البارعة ما تهيأ له ، وهو يساير القاضي الفاضل في موكب حاشد كثرت فرسانه وأثارت سنابك خيله من الغبار ما سد الفضاء وأثار دهشة القاضي الفاضل منه ، فقال العماد فوراً مرتجلاً :

أمّا الغُبارُ ، فإنّــــهُ مما أثارته السَّــنابِكْ
والجوُّ منـــه مظلِمٌ لكنْ أنار به السَّنابِكْ
يا دَهْرُ ! لي (عبدُ الرَّحيـ ـمِ)، فلستُ أخشى مَسَّ نابِكْ

وهذا جناس مطبوع أشبه بالمصنوع ، وارتجالُ مثله أثرٌ من آثار تمكن الفن من نفس الشاعر وقدرته البالغة في القول .

وهو في طريقته من الرقة والسلاسة والاتساع في العبارات وامتداد النَّفَس كأنه يجري مجرى « مِهْيار » ، ولعل من شعره ما لو مزج بشعر « مهيار » لالتحم به وما بان غريباً عنه ، فديباجتاهما متشابهتان ، وأسلوباهما بعضها قريب من بعض . ولقد جاراه العماد فعلاً في أشهر قصائده الرقيقة :

بَكَرَ العارضُ تحدوه النُّعامى فسُقيتِ الغيثَ يا دارَ أماما

فبدا على قصيدته طابعُ مِهْيار ، وإن شهد على نفسه بتقصيره عن شأوه في « بيتي قصيدته اللذين هما في رقة الصَّبا ورونق الصِّبا » :

حمِّلوا ريحَكُمُ نَشْرَكُمُ قبلَ أن تحملَ شيحاً وثُماما
وابعثوا أشباحَكُمْ لي في الكرى إنْ أذِنتم لجُفُوني أن تناما

وقصيدة العماد هي في هذا الجزء من الخريدة (١) .

ولقد طار خيال العماد في أجواء متعددة ، ونظم في أغراض مختلفة ، فتغزل غزلاً رقيقاً

(١) راجع ص (١١٢ — ١١٦) .

عذباً لا يخلو من أثر الحب واحتراق القلب بالمواجد والأشواق ، وقد اختار ابن الساعي جملة منه في كتاب « غزل الظراف ومغازلة الأشراف » ؛ وصور ألواحاً جميلة لمظاهر الطبيعة من أنهار وحدائق ذات بهجة وثمار وفاكهة ، ومدح ، واستعطف ، وتشوق ، ورثى .

ولقد تعلق في مدائحه ومراثيه بشمائل العظماء من أمثال المقتفي والمستنجد والمستضيء من الخلفاء ، ونور الدين وصلاح الدين وأبيه وأخيه وغيرهم من عظماء الأسرة الأيوبية ، وابن هبيرة الحنبلي والقاضي الفاضل وابن مصال وغيرهم من أعيان الوزراء والقادة في الاسلام ، وكانوا جميعاً جمال ذلك العصر بجلال أسرهم وعظم مناقبهم وما سجلوه من غرر آيات الجهاد في ساحتي الدين والدنيا ، وهم بما أشاد به من مناقبهم جديرون كل الجدارة ، ولو لم يفعل لعُدّ مقصراً .

وأكبر أغراضه شأناً ، وأجلّها خطراً ، أوصافه للحروب الصليبية . وهي تتصل عنده بتغنّيه بمناقب البطلين العظيمين نور الدين وصلاح الدين ، وانتصارات جيوشهما على جيوش الفرنج الذين بغوا على هذا الشرق العربي حقبة طويلةً من الدهر فدوّخوه ، وأفسدوا حياته ، وكان العماد ـ كما قدمتُ من القول فيه ـ شاهد عيان في هذه المعارك والانتصارات الماتعة ؛ لأنه شارك هذين المجاهدين العظيمين فيها جميعاً ، لم يتخلف إلا عن غزوة واحدة أيام السلطان صلاح الدين ، فوصف في قصائده ما أداه اليه العيان ، مثله في ذلك كمثل أبي الطيب المتنبي في مشاركته سيف الدولة في حروب الروم البيزنطيين ، وكان العماد في زمانه فارس الشعراء الفحول في هذا الشأن على ما رويت لك من شهادة أبي شامة المقدسي في حقه [1] .

ولو نشر ديوانه العظيم ، لألقى أضواء جديدة على شاعريته ، وأبان لنا فضله في تخليد كبريات حوادث عصره في شعره كما خلدها في نثره ، وأطلعنا على ما غاب عنا من الصور التي رسمها لها والآفاق التي سبح فيها خياله أو طافت حولها أفكاره .

---

(١) راجع ص (٣٩) .

* * *

كتبه وآثاره :

أولع العماد بالتأليف ولعه بقرض الشعر وتحبير الرسائل الفنية ، وتعلق بذلك منذ نشأته الأولى وهو يطلب العلم ببغداد ، وعاش والتأليف حِجّيراه وديدنه ، ولعله قضى وهو ينظم قصيدة أو ينشيء رسالة أو يؤلف كتاباً .

وتنقسم كتبه وآثاره الى أربعة أقسام :

أ — تعليقات .

ب — كتب مترجمة .

ج — كتب التأريخ الثقافي الأدبي والتأريخ السياسي والاجتماعي .

د — شعر ونثر .

أ ـ التعليقات :

وهي أول ما تعلق به في التأليف ، وله فيها :

١ ـ مجالس وعظ الأمير العالم قطب الدين أبي منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ المشهور ، المتوفى سنة ٥٤٧ هـ : كتبها من لفظه في سنة ٥٤١ هـ ، وكان يتتبع وعظه ببغداد بجامع القصر وبدار السلطان ، وهو يومئذ من طلاب النظامية ، وكان في الثانية والعشرين من عمره [١] .

٢ ـ مناظرات الإمام أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي : علق منها فوائد كثيرة ، ونكتاً غريبة ، لأنه وجد كلاماً جزلاً سهلاً وأسلوباً بديعاً رائقاً ومنهاجاً قويماً واضحاً [٢] .

---

(١) راجع (ص ١٨) .

(٢) راجع (ص ١٨) من هذه المقدمة ، و (الورقة ٢٢٤) من الخريدة مصورة طهران .

وهذان الأثران كلاهما لا أعرف لوجودهما خبراً ، وقد أفدت العلم بهما من كتبه ، ولم يذكرهما ذاكر لا من مترجميه ولا من المؤلفين في الكتب .

ب ـ الكتب المترجمة :

كان العماد — كما قدمت — يتقن اللغة الفارسية ، ويجيد الكتابة فيها والنقل منها إجادته للكتابة العربية ، ولعل له في الترجمة منها الى اللغة العربية آثاراً غابت عن مترجميه فلم يعرضوا لها بشيء . وقد تهديت بطول التنقير الى أثرين له في الترجمة ، وهما :

٣ ـ ترجمة كتاب « فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور » تأليف الوزير أنوشروان بن خالد ، وهو في تأريخ الدولة السلجوقية من أوسط عهد نظام الملك الى آخر عهد طغرل بن محمد بن ملكشاه . ولهذا الكتاب حديث سأذكره في مكانه قريباً .

٤ ـ ترجمة كتاب كيمياء السعادة لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ في مجلدين : نقله من الفارسية الى العربية في سنة ٥٧٦ هـ بإشارة القاضي الفاضل [1] ، وهو في الموعظة والأخلاق مرتب على أربعة عنوانات وأربعة أركان للعوام الملتمسين طريقة المعرفة كما قال في خطبته ، وهي : معرفة النفس ، ومعرفة الرب ، ومعرفة الدنيا ، ومعرفة العقبى .

وهذا الكتاب قد حاز إعجاب علماء الترك ، فترجمه غير واحد منهم الى لغتهم ، كالمولى محمد بن مصطفى المعروف بالواني ، ونجاتي الشاعر ، وترجمه سحابي الشاعر للسلطان سليمان القانوني ، وكامي للسلطان سليم ولم يكمله [2] .

جـ ـ كتب التأريخ الثقافي الأدبي والتأريخ السياسي والاجتماعي :

احتفل في هذه الكتب بثقافة عصره وتأريخه السياسي والاجتماعي ، وقلّما تعرض فيما

(١) الروضتين (٢/٢٠) : قال العماد : « وفي هذه السنة (٥٧٦ هـ) بمصر عربت كتاب كيمياء السعادة تصنيف الإمام أبي حامد الغزالي في مجلدين ، وفزت من تعريبه وعلم ما فيه بسعادتين ، وذلك بأمر الفاضل لزمني امتثاله ، وشملني في إتمامه إقباله » .

(٢) كشف الظنون (٢/١٥٣٣) .

كتبه فيها لغير عصره ، فدون أدبه ما بين فارس والأندلس ، وملأ منه أجلاداً كباراً عن رواية ومشافهة ، ونقل من موارد صافية ، وبات ما كتبه وجمعه في هذا الشأن مرجع الباحثين في ثقافة القرن السادس الهجري مدى الأيام . وكتب تاريخ عصره السياسي وأحداثه الحربية والاجتماعية كتابة شاهد عيان في الغالب لابس السياسة ، وكتب عن السلطان ، وحضر معه الوقائع والحروب ، وعالج برأيه وقلمه مشكلات الدولة . وهو قد عاش في كنف الدولة العباسية ببغداد ، وتحت ظلال الدولتين النورية والصلاحية في الشام ومصر ، ورأى آخرة سلاجقة العراق وكردستان ومصرع الدولة الفاطمية وخلافة الدولة الأيوبية لها في مصر والشام ، وشارك في أعظم ما عرف التاريخ القديم من حروب الشرق والغرب على ثرى الوطن المقدس ، وذاق لذة الانتصارات ... ثم فرغ لهذا وغيره ، فكتب فيه الكتب الضخام ، وتميزت كتاباته فيها بالرواية الصادقة وطول النفس ونصاعة البيان لولا ما ثقلها به من أثقال السجع والجناس والإطناب والترادف ، فباتت كذلك المرجع الأول للمؤرخين في أحداث القرن السادس الهجري مدى الأيام .

وهذا ما كتبه في التاريخ الثقافي الأدبي :

٥ ـ خريدة القصر وجريدة العصر : وهو في عشرة مجلدات ، وسأوفيه حقه من الوصف والتعريف .

٦ ـ السيل : ذيل خريدة القصر ، وهو في ثلاثة مجلدات . وقد ظن كاتب جلبي في كشف الظنون أنه ذيل على الذيل لابن السمعاني الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ذكر فيه العماد ما أغفله أو أهمله [١] . وهو وهم منه وقع فيه قبله ابن خلكان ، ثم ما لبث أن وقف على الكتاب فوجده ذيلاً على خريدة القصر [٢] . وقد أفاد منه كثيراً

---

(١) كشف الظنون (١/٢٨٨) .

(٢) في وفيات الأعيان (٢/٧٥) « وصنف كتاب « السيل على الذيل » ، جعله ذيلا على الذيل لابن السمعاني الذي ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب الحافظ ، هكذا كنت قد سمعت . ثم اني وقفت عليه ، فوجدته ذيلا على كتابه خريدة القصر » . وفي (٢/٢٥٤) : « فلما كان في أوائل سنة اثنتين وسبعين =

في كتابه « وفيات الأعيان » ، وهو يسميه السيل مرةً (1) ، والسيل والذيل مرة ثانية (2) ، والسيل على الذيل مرةً ثالثة (3) . وجاء في معجم الأدباء (4) والوافي بالوفيات (5) ما يؤكد كلام ابن خلكان .

ومن المؤسف حقاً أن وهم كاتب جلبي قد سرى حتى الى المعاصرين ، لأنه المرجع الأول للباحثين في الكتب ، فقال بقوله الأستاذ جعفر الحسني في تعليقاته على كتاب « الدارس في تاريخ المدارس » (6) ، واسماعيل باشا البابائي البغدادي في كتابه « هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (7) » .

وكتب في التأريخ السياسي والأحداث الاجتماعية :

٧ ـ نصرة الفترة وعصرة القطرة (8) : في تأريخ الدولة السلجوقية ، ووزرائها ، وأكابر دولتها . أخذ بعضه من كتاب « فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور » للوزير أنوشروان بن خالد ، وقد كتبه باللغة الفارسية وقصره على زمانه وبناه على وفق غرضه وقصد التشفي والانتقام ، فنقله العماد الى العربية (9) وهذبه واعتمد فيه الصدق والصواب ، وزاد عليه زيادات مهمة مكملة لتأريخ هذه الدولة ، فبدأ فيه ببداية العهد السلجوقي

= وست مئة ، وقفت بالقاهرة المحروسة على مجلد من كتاب السيل والذيل تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، وقد جعله ذيلا على كتابه خريدة القصر » .

(1) وفيات الأعيان (١/٥٣ ، ٩٨ ، ٤٩٤) .

(2) وفيات الأعيان (١/٥١ ، ٧٠ و ٢/٢٠٤ ، ٤٠٩) .

(3) وفيات الأعيان (٢/٧٥) .

(4) معجم الأدباء (١٩/١٩) .

(5) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .

(6) طبعة المجمع العلمي العربي (١/٤١٠) .

(7) طبعة وكالة المعارف (تركية) (٢/١٠٥) .

(8) في رواية هذا الاسم اختلاف كثير ، فروي « نصرة الفترة وعصرة القطرة » ، وروي « الفطرة » بدل « الفترة » ، وصحفت « القطرة » في الدارس (١/٤١٠) وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ٥٩٢) بالفاء ، ورويت فيه أيضاً في (ص ١٣٧٥) على الصحة ، وصحفت في تأريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣/٦٢) مرة الى « نصرة العترة وعصرة الفترة » ، وفي « هدية العارفين » الى « عصرة الفترة » ، وهما أقبح ما رأيت من تصحيفات هذا الاسم .

(9) راجع (ص ٧١) ، ووفيات الأعيان (١/٤٢١) وفيه : « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور » ، والأول رويته عن مقدمة مختصره .

وجعل مفتتحه وزارة عميد الملك أبي نصر الكندري ، ثم وصله بمبتدأ كتاب أنوشروان بن خالد ، ثم ذيّله بما عاينه في عصره من حديث الأعيان وحادث الزمان [١] . وكان يؤثر أن ينهيه الى آخره بشرح حوادث كل عام ، لكنه بغيبته الى الشام وتباعده عن معرفة صروف تلك الأيام ، اقتصر على ما عرفه من الجمل ، واستغنى بها عن ذكر المفصّل ، ولأن السلطنة السلجوقية في تلك الأيام وهنت وهانت وبانت أسباب اختلالها ، فلم يتمكن وزير من سيرة سارّة ومبرة بارّة حتى ينوّه بذكره ، فاكتفى بما أنشأه ، واتجه الى التأليف في محاسن الدولة الصلاحية الناشئة وأعمالها العظيمة في إنقاذ الشرق الإسلامي من الفرنج [٢] .

وقد ظن بروكلمان [٣] أن عمل العماد في هذا الكتاب لم يتعدّ الترجمة والاختصار لكتاب أنوشروان ، فقصر إشارته على ذلك ، ولم يتعرض لزياداته .

ومن الكتاب نسخة مخطوطة في بودليان Bodl. I. 662 وأخرى في باريس Paris 2145 . [٤]

وله مختصران :

أ — زبدة التواريخ : نسبه بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي الى صدر الدين أبي الحسن علي بن السيد الشهيد أبي الفوارس ناصر بن علي كاتب الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢ هـ) ، وقال : زبدة التواريخ مقتبس من كتاب عماد الدين الأصبهاني في تاريخ آل سلجوق — يعني « نصرة الفترة » — الى وفاة السلطان طغرل سنة ٥٩٠ هـ ، وأضاف اليه تاريخ الأتابك الى سنة ٦٢٠ هـ ، ومنه نسخة في المتحف البريطاني ، رقمها في ملحق الفهرست ٥٥٠ [٥] . وقد لخّص كلامه جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية [٦] ولم يعزه اليه . ثم عاد بروكلمان الى ذكره في الملحق وقال : زبدة التواريخ عند

---

(١) أنظر مقدمة كتاب « زبدة النصرة ونخبة العصرة » للبنداري ، طبعة هوتسما M. Th. Houtsma .
(٢) أنظر المرجع السابق .
(٣) Brockelmann . ges. I. P. 314.
(٤) المرجع السابق .
(٥) Br. ges . I. P. 321 — 322.
(٦) تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٦٢) .

Sussheim أحد المصادر في تأريخ آل سلجوق ، مؤلفه غير معروف ، ولعله ابن ظافر [1] .

ب ـ زبدة النصرة ونخبة العصرة : للفتح بن علي البنداري الأصبهاني ، اختصره للملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ظن كاتب جلبي أنه من عمل العماد الكاتب نفسه ، فنسبه اليه في موضعين من كتابه « كشف الظنون » [2] ، وحاكاه في وهمه اسماعيل باشا البغدادي في كتابه « هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين » [3] .

طبعه هوتسما M. th, Houtsma في بريل (ليدن) سنة ١٨٨٩ م ، (ص ٣٠٤) ، وله مقدمة باللغة الفرنسية وفهارس لأسماء الرجال والأمم والمدائن وغيرها . وطبع أيضاً بمطبعة الموسوعات (مصر) ، سنة ١٣١٨ هـ « ١٩٠٠ م » ، في (ص ٢٤٨) ، موسوماً بـ « تأريخ دولة آل سلجوق » [4] .

وقد أضاف الصفدي في « الوافي بالوفيات » الى العماد كتاباً آخر في هذا الموضوع سماه « أخبار الملوك السلجوقية » [5] ، ذكره بعد أن ذكر ـ « نصرة الفترة وعصرة القطرة تأريخ الدولة السلجوقية » ـ وكتباً أخرى له ، ولم يقل بهذا غيره لا من أصحاب المصنفات في الكتب ولا من مؤلفي كتب التراجم ، ولا أراه الا واهماً ، ويبدو لي أن هذا الاسم هو الجملة التفسيرية التي كتبها ياقوت [6] وابن خلكان [7] عقب « نصرة الفترة وعصرة القطرة » ـ وفيها الدولة بدل الملوك ـ لتبيان موضوع الكتاب وإيضاح تسميته الغامضة كما فعل الصفدي نفسه أيضاً [8] ، ولكنه سها وكرر الجملة أو أقحمها بعض النساخ ظاناً أنها اسم كتاب آخر

---

(١) Br. Supple. I. P. 555.

(٢) راجع (٢/٩٥٤ و ١٩٥٦) . (٣) راجع (٢/١٠٥) .

(٤) كأن الطابع المصري قد وجد اسم الكتاب غامضاً لا يدل على شيء ، فطرحه ، واختار له هذا الاسم ليعرف به موضوعه في يسر وسهولة ، وقد جر صنعه هذا صاحب « معجم المطبوعات العربية والمعربة » الى التخليط ، فعد الكتاب الواحد كتابين ، وذكره في كتابه مرتين : مرة (في ص ٥٩٢) باسم « تأريخ دولة آل سلجوق » وأنه من إنشاء العماد واختصار البنداري ، ومرة أخرى (في ص ١٣٧٥) باسم « زبدة النصرة ونخبة العصرة » كما سماه مختصره ، وهو الصحيح .

(٥) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) . (٦) معجم الأدباء (١٩/١٩) .

(٧) وفيات الأعيان (٢/٧٥) . (٨) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .

للعماد ، لاشك في هذا . وقد عوّدنا العماد التعقيد والغموض في تسمية كتبه ، وليس هذا الاسم الواضح الدلالة بسبيل منها ، ثم ما كانت حاجته الى أن يكتب كتابين في غرض واحد ؟

٨ — الفتح القُدْسي : أرخ فيه فتوحات السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وبدأه بسنة فتحه البيت المقدس ٥٨٣ هـ ، وختمه بوفاته رحمه الله — في سنة ٥٨٩ هـ . قال فيه بعد كلام طويل على التواريخ التي ترجع اليها الأمم والدول واتخاذ المسلمين هجرة الرسول من مكة الى المدينة تاريخاً يؤرخون به : « وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الأولى بأن أمدها بالقيامة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المذوق ، وهذه الهجرة هي هجرة الإسلام الى بيت المقدس ، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التأريخ وينسّق ، وتُسفر عن أهلّتها دآديّ[1] الدادِ وتنشق .. » . ثم قال : « وسميته « الفتح القدسي » تنبيهاً على جلالة قدره ، وتنويهاً بدلالة فخره ، وعرضته على القاضي الأجل الفاضل .. فقال لي : سمّه « الفتح القُسّي » في الفتح القُدْسي » ، فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة « قُسّ » وبلاغته ، وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته »[2] .

وقد يروى « الفَيْح القُسّي » مكان « الفتح » كما في معجم الأدباء وكشف الظنون[3] ، وليس بشيء .

وأغرب كاتب جلبي فسمّاه « القدح القسي[4] » ، معولاً في ذلك على ما وجده مسطوراً في ظهر نسخة من الكتاب ، وجعل هذه التسمية أصلاً فأثبتها في حرف القاف ، وأهمل

---

(١) الدآدي : الظلم الشديدة .

(٢) الفتح القدسي (ص ١٠) طبعة المطبعة الخيرية ، سنة ١٣٢٢ هـ . وقد آثر عليها الصفدي « الفتح القدسي في الفتح القدسي » ، وقال — ويظهر من كلامه أنه لم ير الكتاب — : « يقال إنه لما عرضه على الفاضل ، قال : سمه « الفتح القسي في الفتح القدسي » . قلت : ولو قال « الفتح القدسي في الفتح القدسي » لكان أحسن ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لحسان : روح القدس ينفث في روعك » . أنظر الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .

(٣) طبعة وكالة المعارف ، وهو تصحيف للفظ القاضي الفاضل .

(٤) كشف الظنون (٢/١٣١٦) .

تسمية المؤلف فلم يشر اليها في حرف الفاء لا في « الفتح » ولا في « الفيح » مع اطلاعه عليها وروايته لها في أثناء كلامه على الكتاب ، غير أنه اطّرح ذلك ، وأخذ بالتسمية المجهولة ، وهذا شيء عجاب !

واعتدّ جرجي زيدان ، بعد عصور ، بهذه التسمية المجهولة [1] محاكاة لكاتب جلبي ، فجعلها واحدة من ثلاثة أسماء ، ولو أراد التحقيق لرجع الى الكتاب ولم يجاوز تسمية المؤلف ومقترح القاضي الفاضل .

طبعه لندبرج في ليدن ، سنة ١٨٨٨ م ، (ص ٥٠٤) ، وله مقدمة باللغة الفرنسية .

وطبع بمطبعة الموسوعات (مصر) سنة ١٣٢١ هـ ، (ص ٣٤٧) ، وبالمطبعة الخيرية (مصر) سنة ١٣٢٢ (ص ٣٧٦) .

ونسخه الخطية كثيرة في برلين وباريس وبودليان ورامبور [2] وغيرها .

٩ — البرق الشامي : قال ياقوت : « هو تأريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق الى الشام ، وأخباره مع الملك العادل نور الدين والسلطان صلاح الدين ، وما جرى له في خدمتهما ، وذكر فيه بعض الفتوحات بالشام وأطرافها . وهو بضعة مجلدات [3] . وقد حدد عدّتها ابن خلكان [4] والصفدي [5] والنذري [6] وكاتب جلبي [7] بسبعة مجلدات ، وقال ابن خلكان : « هو من الكتب الممتعة . وإنما سمّاه « البرق الشامي » لأنه شبّه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها [8] » .

منه الجزء الخامس في حوادث ٥٧٨ — ٥٨٠ هـ (١١٨٢ — ١١٨٤ م) في بودليان (أكسفورد) Bodl. I. 76 ، وفي ليدن منتخبات منه [10] 966 [9] Leyden, 824 ,

---

(١) تأريخ آداب اللغة العربية (٣/٦٢) .
(٢) Brockelmann, Suppl. I. P. 548.
(٣) معجم الأدباء (١٩/١٩) .
(٤) وفيات الأعيان (٢/٧٥) .
(٥) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .
(٦) الدارس في تأريخ المدارس (١/٤٠٨) .
(٧) كشف الظنون (١/٢٣٩) .
(٨) وفيات الأعيان (٢/٧٥) .
(٩) Brockelmann, Ges. I. P. 314. ، وآداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣/٦٢) .
(١٠) Brockelmann, Suppl. I. P. 549. نقله عنه الدكتور جواد علي .

وقد رأيت مصورة الجزء الخامس في مكتبة المجمع العلمي العربي (دمشق) في سنة ١٩٥١ م ، وقرأت في أوله « ذكر العزم على قصد حلب ، وعبور الفرات الى بلاد الجزيرة ، والاستيلاء عليها ، والنزول على الموصل ، والعود الى سنجار وأخذها سنة ٥٧٨ هـ » . وهي في ٣١٧ ورقة ، أي ٦٣٤ صفحة ، تبتدي بالرقم ٢٢ وتنتهي بالرقم ٣٣٩ ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً ، وكلمات سطورها تتراوح من ٧ كلمات الى ١٠ كلمات .

وللفتح بن علي البنداري منتخبات منه ، أشار اليها في مقدمة « زبدة النصرة ونخبة العصرة » .

١٠ ـ عُتْبَى [١] الزّمان في عُقْبَى الحدثان : ذكر فيه الحوادث التي تلت وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبيّ الى سنة ٥٩٢ هـ . ذكره أبو شامة [٢] وياقوت [٣] ، والصفدي [٤] ، واسماعيل باشا [٥] ، وبروكلمان [٦] ؛ وأغفله ابن الساعي ، وابن خلكان ، والمنذري ، وابن السبكي ، وابن الدبيثي ، وسبط ابن الجوزي ، وكاتب جلبي ، وجرجي زيدان ، وغيرهم .

وقد أورد أبو شامة حاصل ما فيه في كتاب « الروضتين » (٢/٢٢٨ الى ٢٣١) .

١١ ـ نُحْلَةُ الرحلة وحِلْيةُ العطلة [٧] : ذكر فيه اختلال الأحوال وتغيّر الأمور بعد موت السلطان صلاح الدين ، واختلاف أولاده ، وما وقع من الخلاف بين الأمراء والعمّال [٨] .

---

(١) في الوافي بالوفيات (١/١٤٠) : « عتب » ، وهو تحريف .

(٢) الروضتين : « عتبى الزمان » (٢/٢١٤) ، و « العتبى والعقبى » (٢/٢٢٨) .

(٣) معجم الأدباء (١٩/١٩) وفيه : « وله رسالة سماها عتبى الزمان ، وتسمى أيضاً العتبى والعقبى » .

(٤) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) : « وكتاب عتب (؟) الزمان في عقبى الحدثان » .

(٥) في كتابيه : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢/٩٢) ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢/١٠٥) طبعة وكالة المعارف .

(٦) Ges . suppl. I. P. 548.

(٧) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .

(٨) ياقوت : معجم الأدباء (١٩/١٩) ، والتسمية عنده « نحلة الرحلة » فقط ، ومثلها عند الآخرين .

ذكره أبو شامة [١] ، وياقوت [٢] ، والصفدي [٣] ، واسماعيل باشا [٤] ، وأغفله الباقون . ولخص أبو شامة ذروا منه في كتاب « الروضتين » (٢/٢٣١) .

١٢ ـ خطفة البارق وعطفة الشارق : في التأريخ أيضاً ، كمّل به كتبه السابقة ، وأحسبه آخر ما ألفه العماد ؛ لأنه دوّن فيه الحوادث من سنة ٥٩٣ هـ الى سنة ٥٩٧ هـ وهي سنة وفاته . ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات [٥] ، واسماعيل باشا في « هدية العارفين » [٦] ، وبروكلمان في الملحق [٧] ولم يعين مكان وجوده ، وأغفله الباقون .

وحفظ لنا أبو شامة في كتاب الروضتين (٢/٢٣٣ ـ ٢٤٤) جانباً مهمّاً منه .

ج ـ الشعر والنثر :

١٣ ـ ديوان شعره : قال ياقوت : « في مجلدين [٨] » ، وقال المنذري وكاتب جلبي : « في أربع مجلدات [٩] » ، وكذلك قال ابن خلكان وزاد قوله « ونَفَسه في قصائده طويل [١٠] » ، وقال الصفدي : « يدخل في أربع مجلدات (كبار) [١١] » . وهو مفقود أو لا يعرف مكان وجوده . وقد نظمت ما تناثر في الكتب من شعره في جزء لطيف [١٢] .

١٤ ـ ديوان دوبيت [١٣] : قال ابن خلكان والمنذري وياقوت وكاتب جلبي :

(١) كتاب الروضتين (٢/٢٣١) . (٢) معجم الأدباء (١٩/١٩) .
(٣) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) .
(٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢/٦٢٩) .
(٥) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) . (٦) راجع (٢/١٠٥) .
(٧) Ges. suppl. I. P. 549. (٨) معجم الأدباء (١٩/٢٠) .
(٩) الدارس في تأريخ المدارس (١/٤١١) ، وكشف الظنون (١/٨٠٣) .
(١٠) وفيات الأعيان (٢/٧٥) . (١١) الوافي بالوفيات (١/١٣٥) .
(١٢) راجع (ص ٦٦) .
(١٣) هذا الاسم مركب من كلمتين : إحداهما فارسية وهي (دو) بمعنى اثنين ، والأخرى (بيت) العربية . سموه كذلك لأنه لا يكون أكثر من بيتين . وقد أخذه أدباء العرب عن الفرس ، ورجح الرافعي في تأريخ آداب العرب (٣/١٧٣) أن هذا النوع من الشعر لم يكن في العربية قبل القرن السابع الهجري ، قال : « لأننا لم نجد للشعراء ولعاً به الا في أواخر تلك المئة وما بعده » . وهو حكم منقوض بهذا الديوان ، لأن صاحبه العماد كان من أهل القرن السادس ، وفي البحث تفصيل يضيق عنه هذا الموضع .

« ديوان صغير جميعه دوبيت »[1]. وقد روى أبو شامة في كتاب الروضتين أمثلة منه في معنى الجهاد قالها على لسان الملك العادل نور الدين الشهيد، كقوله:

مالي في العيش غيره من أرب ... للغزو نشاطي واليه طربي
والراحةُ مستودعة في التعب ... بالجدّ وبالجهاد نُجْحُ الطَّلبِ

وقوله أيضاً في المعنى:

وسيفي طرباً الى الطلى يهتز ... لا راحة في العيش سوى أن أغزو
والقدرة في غير جهادٍ عجز[2] ... في ذلّ ذوي الكفر يكون العزّ

١٥ ـ ديوان رسائله: قال ياقوت: « في مجلدات »[3].

وفي خزانة كتب نور عثمانية في استنبول نسخة من إنشاء أحد الكتاب في حدود سنة ٥٩٧ هـ، كتب على ظهر الورقة الأولى إنها ترسّلات العماد الكاتب، وقد ألصق على هذه الكتابة ورقة بيضاء. وقد كتبت النسخة في القرن السادس بخطّ نفيس في ٩٩ ورقة من الحجم المتوسط، ولها صورة شمسية في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية[4].

* * *

هكذا أنفق العماد الكاتب عمره جدّاً وسعياً وتحصيلاً، وجهاداً وإنتاجاً، فكان علماً في العلم، وزعيماً في الكتابة، وقائداً في الشعر، وحجّة في التأريخ، وإماماً في التأليف. نفع بمواهبه المتنوّعة أمته حيّاً وميّتاً، صادقاً مخلصاً، ولم يبخل عليها بفضله، وكانت سيرته العِلْمِيّة العَمَلِيَّة من حجج الإثبات لنبوغ الشرقي وكفاياته البارعة في مختلف مطالب الحياة على اختلاف العصور، ومن أجل ذلك أوليته هذه العناية في التعريف به، ولعلّه أوّل تعريف جامع مستقصى يظفر به العماد.

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٧٥)، والدارس (١/٤١١)، ومعجم الأدباء (١٩/٢٠)، وكشف الظنون (١/٨٠٣).

(٢) كتاب الروضتين (١/٢٠٧). (٣) معجم الأدباء (١٩/٢٠).

(٤) فهرس المخطوطات المصورة: تصنيف فؤاد سيد، من منشورات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (١/٤٧٥).

* * *

مستدركات :

١ — أضيف الى ما رويته من سيرة صفي الدين محمد بن حامد في (ص ١٢) : أن ٱبنه عماد الدين الكاتب ذكر في « الخريدة » أنّ الخليفة الراشد بالله العبّاسيّ (الذي فتكت بـه الملاحدة في معسكره بالقرب من أصبهان يوم الثلاثاء ٢٦ / ٩ / ٥٣٢ هـ) « كان قد ٱستدعى أباه صفيّ الدين — رحمه الله — ليولّيه الوزارة ، فتعلل عليه [١] » .

٢ — وأضيف الى ما ذكرت في (ص ١٧) من دراسة العماد في « المدرسة النظاميّة » ببغداد : أنه أقام أيضاً ثلاث سنين للتفقّه في « المدرسة الثقتيّة » . وهي مدرسة بناها ثقةُ الدولة عليّ بن الحسن الدُّرَيْنيّ المعروف بٱبن الأَنْبَارِيّ — وكان من أركان دولة المقتفي لأمر الله العبّاسيّ — على الشطّ تحت دار الخِلافة ، لأصحاب الإمام الشافعي ، وسلّمها لشرف الدين يوسف الدمشقي الكبير [٢] .

٣ — « شبابي » في البيت الثاني في (ص ١١) ، جرى بها القلم سهواً ، وصوابها : « مشيبي » .

---

(١) الخريدة : القسم العراقي (٣٤/١) .
(٢) الخريدة : القسم العراقي (١٤٤/١) .

التعريف بكتاب « خريدة القصر وجريدة العصر »

وصف موجز للكتاب :

يؤرخ عماد الدين الكاتب في هذا الكتاب الضخم طائفة من شعراء القرن الخامس ومعظم شعراء القرن السادس الذين عاشوا في المملكة الإسلامية العظمى من أواسط بلاد المشرق الى أقصى الأندلس ، فيلمّ بتراجمهم ، ويعرض نماذج من أشعارهم ، ويورد في أثناء ذلك فوائد وفرائد تأريخية نفيسة يعزّ وجودها في غير هذا الكتاب .

وقد زعم ابن خلكان أنّه « لم يترك أحداً الا النّادر الخامل » ، والصحيح أنّ العماد — مع استقصائه — ترك شعراء كثيرين لم يهتد الى معرفتهم ، بدليل تذييله على الكتاب من بعدُ بكتاب « السيل » ، كما فعل الثعالبي من قبله فيما استدرك على كتابه « يتيمة الدهر » ما فاته من الشعراء ، فألف التّتمّة .

وقد وصل العماد الكاتب بهذا الكتاب وذيله سلسلةَ الكتب التي ألّفها العلماء قبله في الشعراء المُحْدَثين ، وسلكوا فيها طريقة خاصةً تجمع بين التأريخ والخبر وبعض المختارات ، فخلّد شعراء عصره ، وحفظ نماذج كثيرة من أشعارهم تعين الباحث على اجتلاء الصورة الحقيقية للشعر العربي ، في شكله وموضوعه ، في حقبة طويلة من الدهر .

ولولا هذا الكتاب وذيله وكتابان آخران في تأريخ شعراء القرن السادس أيضاً يقال لأحدهما « زينة الدهر » للحَظيريّ ، ويقال للآخر « وشاح الدمية » تأليف البيهقي ، لانبهم على الناس عصر كامل من تأريخ الشعر العربي .

على أن كتاب الحَظيريّ قد فُقد ، إلّا نصوصاً قليلة منه استشهد بها بعض المؤرخين ليست بذات بال لقصرها وقلّتها ، كما فقد « وشاح الدمية » أيضاً ، إلّا بقيّة منه عُثر

عليها في بعض البلاد التركية مؤخراً . فلم يبق لنا إذن ما يعرفنا تعريفاً كاملاً بتواريخ الشعراء في هذه الحقبة الطويلة غير هذا الكتاب ، إذ سلم من الضياع ، فتداولته الأيدي ، ورجع اليه المؤلفون ينقلون عنه ويفيدون منه علمهم بالشعر في الزمن المديد الذي توفر مؤلفه على تدوين تاريخه الأدبي .

* * *

الأصل الذي نسج المؤلف على منواله :

والمعروف عند مؤرخي الآداب العربية السابقين أن أول ما وضع المؤلفون من هذه السلسلة ، كان في أواخر القرن الثالث للهجرة . وقد خصّوا به الشعراء المُحْدَثين أو المولّدين كما قلتُ . وكان أول كتاب وضع فيه ، « كتاب البارع في أخبار الشعراء المولّدين » لهارون بن علي بن يحيى بن أبي المنصور المنجّم البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ [١] . وقد أوجز ابن النديم وصفه في كتاب الفهرست فذكر أنه اختيار شعر المُحْدَثين ، وأنه لم يستقص ذكرهم [٢] . وفصّل ابن خلكان فقال : إنه جمع فيه ١٦١ شاعراً ، وافتتحه بذكر بشّار بن بُرْد العقيلي ، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه . وقد اختصر ابن المنجم هذا الكتاب من كتاب ألّفه قبله في هذا الفن ، وكان طويلاً فحذف منه أشياء ، واقتصر على هذا القدر . قال : « وبالجملة ، فإنّه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم ، فإنّه اختصر أشعارهم ، وأثبت منها زُبْدَتَها ، وترك زَبَدها [٣] » . ثم قال : « وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الأصبهانيّ ، وقلت إنّ كتاب الخريدة ، وكتاب الحَظِيريّ [٤] ،

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان (١٩٤/٢) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٠٦) من الطبعة المصرية .

(٣) وفيات الأعيان (١٩٤/٢) .

(٤) في الأصل « الخطيري » بالخاء المعجمة والطاء المهملة ، وهو تصحيف سيأتي تحقيقه في (ص ٨٦) .

والباخرزيّ ، والثعالبيّ — فروعٌ عليه ، وهو الأصل الذي نسجوا على منواله [1] » .

وإذا كان هذا الكتاب — كما يقول ابن خلكان — الأصل الذي نسج هؤلاء الأعلام ، وغيرهم أيضاً ، على منواله ، فقد كان كذلك المورد المهم لأعلام المؤلفين في تاريخ الشعراء ، ومنهم ابن خلكان نفسه ، فقد أفاد منه في تأليفه كتابه « وفيات الأعيان » ونقل عنه في مواضع عدة منه [2] ؛ وأبو الفرج الأصبهانيّ [3] من قبله ، فهو كثيراً ما ينقل عنه في كتابه « الأغاني » ويشير الى ذلك بقوله : « نقلت من كتاب هارون ابن علي [4] » .

على أن القرن الثالث الذي ألّف فيه هذا الكتاب ، قد حفل بنظائر له عرفنا أسماءها ولم نرَ أعيانها ، الا كتاباً واحداً من ألصقها به ، وصل الينا ، هو « كتاب طبقات الشعراء المحدثين »[5] لأبي العبّاس عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ [6] (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) . وقد جمع فيه ١٢٧ شاعراً مُحْدَثاً ، وافتتحه ببشّار بن بُرْد كما افتتح ابن المنجّم كتابه به ، وختمه بالشاعرتين الرقيقتين : عَريب جارية المأمون وفضل الشاعرة ، ونصّ في مقدّمته على أنّه تابع فيه ابن المنجّم [7] قبله بكتابه المسمّى بـ « طبقات الشعراء » ، ولا أراه يعني الا كتابه « البارع » .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٩٤) ، وكشف الظنون (١/٢١٧) مختصراً من وفيات الأعيان ، وتأريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي (٣/٣٦١) .

(٢) يراجع منه (١/١٩٢ ، ٣٤٩ ، ٤٩٥ ، ٥٢٢) و (٢/١٩٢) .

(٣) ينظر عن أبي الفرج الأصبهاني كتاب الأستاذ شفيق جبري (دمشق) ، وكتاب الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي (مصر) . ومعجم الأدباء (١٣/٩٤) ، ووفيات الأعيان (١/٣٣٣) .

(٤) ينظر فهرست الأغاني .

(٥) ويقال له « كتاب طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء » . وقد نشره الأستاذ عباس إقبال ، وأنفقت على طبعه « لجنة وصية ا . ج . و . جب التذكارية » . وهو مطبوع بالفتغراف عن نسخة سقيمة جداً كتبت في سنة ١٢٨٥ هـ .

(٦) ينظر عنه كتاب الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل (مصر) ، وكتاب الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي (مصر) .

(٧) حرف فيه « ابن المنجم » إلى « ابن نجيم » (ص ١) .

ثم ألَّف أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ النيسابوريّ [١] المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ كتابه المشهور « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر [٢] » ، وهو في أربعة مجلدات اشتملت على أخبار شعراء القرن الرابع في المملكة الإسلامية العظمى ، ومختارات أشعارهم . وقد ذكر ابن خلكان أن الثعالبيّ جعل كتابه ذيلاً على « كتاب البارع » لابن المنجّم البغدادي ، ولم أجد الإشارة فيه الى ذلك . ثم ألَّف الثعالبي كتابه « تتمة اليتيمة » [٣] ، استدرك فيه ما فاته في اليتيمة من تراجم الشعراء وأشعارهم .

ثم ذيَّل على « يتيمة الدهر » أبو الحسن علي بن الحسن الباخَرْزيّ [٤] الشاعر المشهور المقتول في سنة ٤٦٧ هـ بكتابه « دُمية القصر وعصرة أهل العصر [٥] » ، وجمع فيه خلقاً كثيراً من شعراء زمانه ، بلغوا في بعض النسخ المعتمدة ٥٣٧ شاعراً .

كذلك ذيَّل عليها القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزُّبير الأسوانيّ المصري المقتول في سنة ٥٦٢ [٦] هـ بكتابه « جِنان الجَنان ورياض الأذهان » . ذكر هذا عماد الدين الأصبهاني الكاتب في ترجمته في الخريدة ، وقال : « طالعت منه جزءاً ذكر فيه شعراً [٧] » ،

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان (١/٢٩١) .

(٢) طبع بدمشق سنة ١٣٠٤ هـ ، وبالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) .

(٣) طبع بطهران سنة ١٣٥٣ هـ في جزءين صغيرين ، بتحقيق الأستاذ عباس إقبال .

(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (١/٣٦٠) ، ومعجم الأدباء (١٣/٣٣) ، وطبقات الشافعية (٣/٢٩٨) ، والبداية والنهاية (١٢/١١٢) ، ودائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية (٣/٣٦٣) .

(٥) طبعه الشيخ راغب الطباخ الحلبي مؤلف « إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء » ، سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) بمطبعته « المطبعة العلمية » في حلب ، في ٣١٦ صفحة ، وأضاف اليه « الملتقط من ديوان الباخرزي » وما جمعه هو من شعر الباخرزي ، وأثبت في آخره خمس تراجم سقطت من الكتاب عثر عليها المستشرق المعروف سالم الكرنكوي في نسخة متحف لندن .

وليته استأنى وأعد أصول الكتاب الصحيحة التامة قبل الإقدام على طبعه ، فإن النسخة التي اعتمد عليها نسخة مشوهة ومحرفة ، وفيها نقص كبير جداً يبلغ زهاء نصف الكتاب . ولدى صديقي الأستاذ صادق كمونة نسخة تامة من هذا الكتاب تغلب عليها الصحة ، كتبت سنة ١١٠٧ هـ في ٤٥٧ صفحة ، طولها ٢٠ س م وعرضها ١٤ س م ، وفي كل صفحة ٢٥ سطراً . وقد عارضنا بها المطبوعة معاً ، فأحصينا فيها ٥٣٧ ترجمة ، وعدة التراجم في المطبوعة الحلبية ٢٩٢ ترجمة ، فالزيادة في هذه المخطوطة هي ٢٤٥ ترجمة ، لاخمس تراجم كما زعم المستشرق سالم الكرنكوي .

(٦) ترجمته في وفيات الأعيان (١/٥١) ، وخريدة القصر : قسم شعراء مصر (١/٢٠٠) .

(٧) خريدة القصر : قسم شعراء مصر (١/٢٠٢) .

وهو قد اُعتمد عليه في قسم شعراء مصر من الخريدة ، كما اُعتمد عليه كل من كتبوا من السابقين في شعراء العصر الفاطمي .

ووضع على « دُمْية القصر » ثلاثة أدباء :

١ — أبو الحسن عليّ بن زيد [1] البيهقيّ [2] المتوفّى سنة ٥٦٥ هـ ، وضع كتابه « وشاح الدمية » . قال ابن خلكان : « وهو كالذّيل له ، هكذا سمّاه السمعانيّ في الذّيل » [3]. وقال كاتب جلبي : « جمع فيه أشعار أهل عصره بعد دمية القصر للباخرزي وهو مجلّد » [4] . ونقل ياقوت عن المؤلف نفسه أنه مجلّد ضخم ، وأنه ألف له تتمة في مجلد خفيف سماها « درة الوشاح » [5] . وكان المظنون أنه من المفقودات ، غير أنه عثر في خزانة كتب حسين جلبي بمدينة « بروسة » على جزء منه ناقص من أوّله وآخره ، كتب في القرن السابع [6] . وفي « معجم الأدباء » نقولٌ كثيرة عن الكتاب .

٢ — أبو المعالي سعد بن عليّ الكتبيّ الحَظيريّ [7] الأديب الورّاق المعروف بدلّال

---

(١) ترجمته في معجم الأدباء (٢١٩/١٣) وقد أحال ناشره الدكتور أحمد رفاعي في حاشيتها على « بغية الوعاة » (ص ٣٣٨) وهو وهم منه ، اذ لم يترجم السيوطي للبيهقي ، وإنما ترجم لعلي بن زيد القاشاني أحد أصحاب ابن جني ، وهو غير علي بن زيد البيهقي هذا .

(٢) ذكره ابن خلكان في أثناء ترجمة الباخرزي (الوفيات ٣٦٠/١) وقال : « أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ، وقال العماد في الخريدة : هو شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي ، والله أعلم » .

(٣) وفيات الأعيان (٣٦٠/١) .

(٤) كشف الظنون (٢٠١١/٢) : « وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر » .

(٥) معجم الأدباء (٢٢٦/١٣) .

(٦) فهرست المخطوطات المصورة « في معهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية » : تصنيف الأستاذ فؤاد سيد (٥٤٥/١) ، القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

(٧) منسوب الى الحظيرة (بفتح الحاء) ، قال ابن خلكان (٢٠٤/١) : « هي موضع فوق بغداد ينسب اليه كثير من العلماء » وذكرت في معجم البلدان (٢٩٩/٣) . وقد تصحفت في معظم المطبوعات الى « الحطيري » بالحاء المعجمة والطاء المهملة ، والى « الحضيري » بالضاد المعجمة . وكثر ورود الأول في وفيات الأعيان طبعة الميمنية بمصر ، وفي فوات الوفيات طبعة الشيخ محمد محيي الدين (٦١٥/٢) ، والدارس في أخبار المدارس (٤١٠/١) ، وكشف الظنون طبعة وكالة المعارف التركية (٩٧٢/٢) ، وتأريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٦٢/٣) ، وفهرست المخطوطات المصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية (٤٢٤/١ و ٥١٩) ، وغيرها . وورد « الحضيري » بالضاد المعجمة في تأريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي (٣٦١/٣) .

الـكتب ، المتوفَّى سنة ٥٦٨ [١] هـ ، وضع كتابه « زينة الدهر وعصرة أهل العصر » [٢] ، قال ابن خلـكان : « جمع فيه جماعة كثيرة من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لـكلّ واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره » [٣] . وقال كاتب جلبي : « هو ذيل على دُمية القصر للباخرزي » [٤] .

٣ — العماد الأصبهاني الكاتب ، وضع كتابه هذا ، وذيله المسمّى بـ « السيل » .

* * *

ثمّ ما زالت هذه السلسلة تمتدّ مع الزمن ، وتوصل حلقةً بعـــد حلقة من بعد العماد الأصبهاني الكاتب ، لم تـكد تنقطع الا في القرن الرابع عشر هذا ، إذ لم يؤلَّـف فيها كتاب مستوفٍ للشعراء ، وغاية ما أُلّف مجاميع اقتصرت على شـــعراء قطر واحد قلّما تعداه الى قطر آخر ، ومنها ما تعلّق بجمعه أناس لم يتحققوا بالشعر ، بل لعلّهم لايحسنون قراءة الشعر ولا يفرقون بين مستقيمه ومعوجّه . وهذا من دواهي التأليف في هذا العصر .

* * *

تصحيح غلط لبعض المؤرخين :

وأحبّ أن أصححّ هاهنا وهماً وقع فيه جماعة من عظماء المؤلفين ، كياقوت الحموي [٥] وابن خلكان [٦] وزكي الدين المنـــذري [٧] وكاتب جلبي [٨] ، وتابعهم عليه جرجي زيدان [٩] ، إذ زعموا أن العماد الكاتب قد ذيّل بكتابه هذا على « زينة الدهر » للأديب

(١) ترجمته في خريدة القصر ، ووفيات الأعيان (٢٠٣/١) ، ومعجم الأدباء (١٩٤/١١) .

(٢) وسماه ابن الديبثي « زينة الدهر في لطائف شعراء العصر » ، وأغرب جرجي زيدان فسماه في تاريخ آداب اللغة العربية (٦٢/٣) : « زينة دمية القصر » !

(٣) وفيات الأعيان (٢٠٣/١) .

(٤) كشف الظنون (٩٧٢/٢) .

(٥) معجم الأدباء (١٩/١٩) .

(٦) وفيات الأعيان (٧٤/٢) .

(٧) الدارس في تأريخ المدارس (٤١٠/١) .

(٨) كشف الظنون (٧٠٢/١) .

(٩) تأريخ آداب اللغة العربية (٦٢/٣) ، ولم يقف جرجي زيدان عند هـــذه التابعة على الخطأ ، بل أضاف اليها تحريفين عجيبين في اسم الـكتاب والمؤلف ، فسمى الـكتاب « زينة دميـــة الدهر » ، وسمى المؤلف « الحظيري » !!

الحَظِيريّ المذكور ، بل زاد أحدهم — وهو كاتب جلبي — على هذا الزعم بأن قال : « خريدة القصر وجريدة أهل [1] العصر ... أوله : الحمد لله مودع أرواح المعاني أشباح الألفاظ الخ . (ذكر) أنه جعل كتابه ذيلاً على زينة الدهر [2] » . وهو عَزْوٌ من نتاج الخيال وصنعه من غير شكٍّ ووددت لو لم يقع من مثل كاتب جلبي مثلُه .

والصحيح أن كلا الكتابين قد أُلِّف في عصر واحد وفي أهل عصر واحد ، إذ كان المؤلفان الحَظِيريّ والعماد الكاتب متعاصرين وإن سبقت وفاةُ الأول وفاةَ الثاني ، وترجم هذا لصاحبه في « الخريدة » .

ولا جدال في أنّ كتاب العماد قد استوفى من شعراء عصره عدداً أكبر من العدد الذي استوفاه كتاب الحَظِيريّ ، إذْ نسأ الله في أجله بعد صاحبه تسعاً وعشرين سنة مكنته من الزيادة والاستقصاء بقدر طاقته . غير أنّ ما قد يكون في كتابه من زيادة على تراجم « زينة الدهر » ، لا يجعل من كتابه ذيلاً على كتاب صاحبه .

ولقد نصّ العماد في مقدمة « الخريدة » على ما احتذاه في تأليفه من كتب ، فسمّى « يتيمة الدهر » للثعالبي و « دمية القصر » للباخرزيّ ، ولم يسمّ غيرهما . وقال في ترجمة الباخَرْزيّ : « وهو الذي صنف كتاب « دمية القصر في شعراء العصر » ، وطالعت هذا الكتاب بأصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها ، وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا » [3] يعني خريدة القصر ، ولم يزد على ذلك . وهو قد ترجم أيضاً في هذا الكتاب للحَظِيريّ ، وروى له كثيراً من شعره ، وسمى ما وقف عليه من كتبه ، إلّا « زينة الدهر » ، فإنه أغفلها إغفالاً تامّاً وقد تكون أهمّ ما ألّف الحظيريّ من كتب .

(١) سمى العماد الكاتب مؤلفه « خريدة القصر وجريدة العصر » كما تجده في مقدمة القسم العراقي منها (ص ٦) وفي صدر بعض أجزاء الكتاب ، ومنها القسم المصري المطبوع (ص ٤٤) . فالظاهر أن كاتب جلبي أقحم هذه اللفظة من عنده . وقال ياقوت في معجم الأدباء (٣٤/١٣) : « سماه خريدة القصر في شعراء العصر » ، وهو عجيب من مثله .

(٢) كشف الظنون (٧٠٢/١) . (٣) معجم الأدباء (٣٣/١٣) .

ثمّ هو، حين ذكر « يتيمة الدهر » و « دمية القصر » وأطراهما، عرّض بغيرهما ممّا ألّف المؤلّفون بعد هذين الكتابين في تراجم الشعراء . ولعلّه كان يومىء الى كتاب معاصره هذا حين قال : « وكنت قد طالعت كتابَيْ « يتيمة الدهر » و « دمية القصر » : للثعالبيّ والباخَرْزيّ، في محاسن أهل عصريهما الشعراء، وقد بلغا الجهد في إظهار اجتهاد البلغاء، وما وجدت بعد ذلك مَنْ عُنِيَ بذلك كعنايتهما، ولا مَنْ حدّثَ نفسه أنّه يبلغ إلى غايتهما . فصنّفت هذا الكتاب ... » .

ومن الواضح أنّ هذه الايماءة تشمل كلّ ما أُلّف بعد هذين الكتابين من الكتب التي سمّيتها، ومنها كتاب الحَظيريّ، لا شكّ في ذلك . وأنا أستبعد أنّ العماد لم يَرَهُ ولم يطالعه، إذ كان صديقاً له موصول الأواصر به، واقفاً على آثاره، كما تدلّ على هذا ترجمته له، ولكنه لأمرٍ ما أغفل ذكره . على أن الفعل (ذكر) في كلام كاتب جلبي، من الجائز أن يقرأ بالبناء للمجهول، فيكون كاتب جلبي ناقلاً لا قائلاً . ولكنّ الناقل كالقائل، يلزمه التثبّت ويزري به عدم الرويّة، وكاتب جلبي في كلا التقديرين — كأمثاله ممن ذكرنا — مخطئٌ ومؤاخَذٌ على مجانبة التحقيق .

والكتاب — بعدُ — كما يتّضح لمن يدرسه — بأدنى تأمّل — لا يمكن أن يكون إلّا تذييلاً لكتاب الباخَرْزيّ — الذي هو من شعراء القرن الخامس — دون سواه .

* * *

بواعثُ المؤلِّف على تأليفه :

ذكر المؤلف في مقدّمة الكتاب باعثَيْنِ له على تأليفه : باعثاً عامّاً، وباعثاً خاصّاً . وقدّم بيان الباعث العامّ فقال : « لمّا رأيت الفضل في عصرنا هذا، وإن ضاع عرفه، قد ضاع عرفه ... آثرت أن آثُرَ من مآثر أهل العصر ما يخلّد آثارهم، ويجدّد منارهم [1] » .

(١) مقدمة المؤلف (ص ٣) .

ثم عاد فذكر الباعث الخاصّ ، أو الباعث « الأوّل » كما أحبّ أن يصفه ، فقال : « والذي يعني — أولاً — على جمع هـذا الكتاب ، أنني وجدت المعاصرين لعمّي الصدر الشهيد عزيز الدين أبي نصر أحمد بن حامد : من الشعراء ، ما فيهم إلّا من أمّ قصدَهُ ، وطلب رِفدَه[1] ، ووفد عليه بمدحِه ، واسترفده من منحِه ... فأحببتُ أن أحيي ذكرهم ، وأقابل بمجازاة شكري شكرَهم[2] » . ومن الواضح أن هؤلاء نفر قليل في الكتاب بالقياس إلى عدد الشعراء المترجَمين فيه .

ولكنّ المؤلّف لمّا ترجم للباخَرْزيّ — في أثناء الكتاب — ذكر أنّ مطالعته لكتابه « دمية القصر » بأصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها ، هي التي بعثته على تأليف كتابه هذا ، كما رويته قريباً[3] نقلاً عن ياقوت في كتابه « معجم الأدباء »[4] .

والظاهر أن هذا سبب حافز ، أثار في نفسه الرغبة في تخليد مآثر شعراء عصره مجاراةً للباخرزي كما قال هنا ، أو مجاراة له وللثعالبي كما ذكر في مقدمة الكتاب .

* *

السكتاب بين الرضى والسخط :

وكان المؤلف راضياً عن كتابه هذا أكبر الرضى ، مفتوناً بـه أشدّ الفتنة ، وهو يكشف ذلك عن نفسه في صراحة تامّة لا يشوبها شيء من إبهام أو خفاء حين يعلّل تسميته للكتاب فيقول : « وسمّيته خريدة القصر وجريدة العصر ؛ لأنّها حسناء ذات حلي وحُلَل ، غانية تغبطها على الحسن أقارُ الكِلل » ، وحين يطالب الصور الجميلة المتنوّعة له فيمعن في التماسها في الطبيعة وفي المكان والزمان إمعاناً يرضي بـه زهوه ، ويصوّر هـذه الفتنة التي استولت عليه ؛ وإنّه ليشبّهه بالروض الأُنُف يجمع أنواع الزهر تارةً ، وبالبحر

---

(١) سقطت هذه الكلمة في الطبع سهواً ، فأثبتت في مكانها (ص ٧) .
(٢) مقدمة المؤلف (ص ٨) . (٣) أنظر ص (٨٨) .
(٤) معجم الأدباء (١٣/٢٣) .

تضمن نواصع الدرر تارةً ثانية ، وبالدهر يأتي بعجائب العِبر تارةً ثالثة . ويمضي في هذا النحو من الافتنان باصطياد التشبيهات حين يريد أن يصف ما ضمّنه كتابه من فنون المعاني وأصناف الفوائد والفرائد ، فاذا هو يحشد لذلك طائفةً من النعوت — في الجمل المجانسة المسجوعة مما كان يستمرؤه ذوق عصره — قد تنبو عنها أذواقنا على طرافتها أحياناً ، ولا تكاد تجدها ذوات مدلولات معقولة ؛ لأنها لا تعيّن حدوداً ، ولا ترسم صورة ، ولا توضّح غرضاً .

* * *

وأحسب أنّ رضى العلماء والأدباء عن « الخريدة » وإعجابهم جميعاً بها ، لا يقلّ عن رضى المؤلف وإعجابه . ولعلّ رضاهم عنها يكاد يكون إجماعياً ؛ إذ سجلت تاريخاً ضخماً وديواناً عظيماً لشعراء العربية وأدبائها في حقبة طويلة الأمد ، وأتاحت للباحثين الموغلين في دراسات العصور الأدبيّة ثروة تاريخيّة وشعريّة لا تقدّر بثمن .

* * *

وقد نجد في بعض الآثار شيئاً من السخط على الكتاب والزراية به ، مرويّاً في خبرٍ ماجنٍ سوقيّ الأسلوب يضاف الى القاضي الفاضل ، ضُمّن بيتين من الشعر معزوّين الى ابن سناء الملك الشاعرِ المصري المشهور نال بهما من المؤلف والكتاب .

وقد روى هذا الخبر صلاح الدين الصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ ، في « الوافي بالوَفَيات » ، وحكاه بصيغة التمريض فقال :

« ويقال إنّه — أي العماد — لما فرغ منها — أي الخريدة — ، جهزها إلى القاضي الفاضل في ثمانية أجزاء . فلمّا وقف عليها ، ما أعجبته ، وقال : أين الآخرانِ ؟ لأنّه قال « خرِي دَهْ » ، يعني خري عشرةً ؛ لأنّ « ده » بالعجمي عشرة » .

ثم قال : « ومن هنا أخذ ابن سناء الملك قوله فيها :

خـريـدةٌ أفيـه من نتنها كأنّها من بعض أنفاسِـهِ
فنصفُـها الأوّلُ في ذَقْنِـهِ ونصفُها الآخرُ في راسِـهِ[1] » .

ثم جاء ابن العماد الحنبلي المتوفّى سنة ١٠٨٩ هـ ، فروى في « شذرات الذهب » هذا الخبر الذي حكاه الصفدي عن مجهول وصدّره بصيغة التمريض « يُقالُ » الدالّة على نكارة الرواية أو ضعفها ، مجرّداً منها [٢] ، كأنّه حقيقة واقعـة قد صدرت فعلاً من القاضي الفاضل .

والقاضي الفاضل هو من عرفت سموّ نفسه ، ورفعة تهذيبه ، وجلال مقامه في السياسة والأدب ؛ ومن عرفت أيضاً شدّة رضاه عن مؤلّف الخريدة وإعجابه بأدبه وتوقيره لشخصه . وهو قد أعان العماد على تأليف القسم المغربي من هذا الكتاب ، فأهدى اليه تسع مجلدات من الكتب النفيسة تشتمل على أشعار أهل عصره من المغربيّين وآدابهم [٣] . والعماد من جانبه قد أنفق أجزاء غالية من حياته في تحبير الثناء البليغ عليه ، وهو قد صدّر القسم الرابع من الكتاب ، قسم شعراء مصر ، بطائفة ضخمة من هذا الثناء البليغ : من نثر وشعر ، ثم أردفها بترجمته له ، وافتنّ في هذه الترجمة بإطرائه وتعظيمه وتوقيره ، منوّهاً بأياديه العظيمة عليه ، رافعاً قدره فوق أقدار الكتّاب السابقين في هذه الموازنة التي عقدها بينه وبينهم ، ففضله عليهم جميعاً ، وشبّه فضله عليهم بـ « الشريعة المحمّديّة التي نسخت الشرائع » !

فليس معقولاً ، وهذا مدى ما كان بين الرجلين من صلات وثيقة وإعجاب متبادل ، أن يقول القاضي الفاضل — الذي قرأ هذا الثناء العظيم عليه في الكتاب من غير شكّ — هذه القولةَ الساقطة غير المهذّبة ، وأن يزدري الكتاب وحشوُ إهابه ثناء عليه وامتداح له ، أو يحقّر المؤلف وهو صنّاجته وداعيته الذي لا يفتر من مدحه والإشادة بمجده . فلا جَرَمَ

(١) الوافي بالوفيات (١/١٤٠) . و « راسه » مخفف « رأسه » .
(٢) شذرات الذهب (٤/٣٣٣) . (٣) خريدة القصر : القسم المصري (١/٤٤) .

أن الحكاية موضوعة ، دُسّت على القاضي الفاضل للنيل من العماد .

أما بيتا ٱبن سـناء الملك ، فقد يكون صدورهما عنه صحيحاً ؛ لأنّ له عند مؤلّف « الخريدة » وتراً ، منشؤه أن العماد كان قد ترجم للشاعر في القسم المصري من الكتاب[1] وكان العماد — كما علمتَ — رجلاً فقيهاً عنده حفاظ على الدين وتأدّب مع الله ، فوجد في بعض شعره ما دلّ على تحلّل الشاعر ، فأسقط روايته في كتابه ، وغمز الشاعر « بنقص الدين ، وضعف الإيمان ، وقلّة التوفيق » . فلا ريب أن هذا مصدر ما كان من سخط ٱبن سناء الملك على المؤلّف وكتابه ، وإرساله فيهما بيتيه السوقيين اللذين لم يسيئا إلى العماد بقدر ما أساءا الى الشاعر نفسه .

* * *

أثر الخريدة في كتب المؤلفين :

وتظهر قيمة هذا الكتاب التأريخيّة والأدبيّة فيما نجده من عناية أعيان المؤلّفين ، من مؤرخين وأدباء ، بدرسه ، وعكوفهم على تنخّله ونثر أطايبه في ثنايا كتبهم ، وٱستغلالهم له ٱستغلالاً كاملاً ، كلٌّ في غرضه الخاصّ .

وفي طليعة المؤلفين الذين نهلوا من « خريدة القصر » وعلُّوا ، وملؤوا كتبهم بالرواية عنها جهدهم ، يأتي هؤلاء الأعلام من القدماء :

ياقوت الحموي : في « معجم الأدباء » أو « إرشاد الأريب » .

القاضي شمس الدين ٱبن خلكان : في « وَفَيات الأعيان » .

ابن شاكر الكتبي : في « فَوات الوَفَيات » .

صلاح الدين الصّفدي : في « الوافي بالوفيات » .

ابن السبكي : في « طبقات الشافعيّة » .

---

(١) الخريدة : قسم شعراء مصر (١/٦٤ ـ ١٠٠) .

ابن الفُوَطي : في « مجمع الآداب » .

سبط ابن الجوزي : في « مرآة الزمان » .

أبو شامة المقدسي : في « الروضتين في أخبار الدولتين » ، و « الذيل » .

ابن كثير : في تأريخه « البداية والنهاية » .

ابن تغري بردي : في « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » .

ابن العماد الحنبلي : في « شذرات الذهب في أعيان من ذهب » .

عبد الملك بن سعيد : في « المُغْرِب في حلي المَغْرِب » .

جلال الدين السيوطي : في « حسن المحاضرة » .

وغيرهم .

* * *

ومن آثار عناية القدماء بهذا الكتاب ، عكوفهم على تلخيصه واختصاره . وقد عرفت له مختصرين :

١) « مختصر الخريدة للحافظ » . هكذا ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان (١) ، في ترجمة أبي منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي البغدادي الأديب اللغوي .

وقد بحثت عن هذا المختصر طويلاً ، في المظانّ المعروفة ككشف الظنون وذيله وغيرهما من الكتب ، فلم أجد له ولا لمؤلّفه ذكراً . فانثنيت إلى حفاظ الحديث أستعرضُ الذين عاشوا منهم في عصر العماد وبعد عصره إلى أيام ابن خلكان وكانت لهم عناية خاصّة بالأدب والتاريخ إلى جانب عنايتهم بالحديث ، فقام في نفسي أنّ الحافظ الذي يعنيه ابن خلكان هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ؛ إذ كان من شيوخ ابن خلكان ، وهو يروي عنه في مواضع عدّة من كتابه « وَفَيات الأعيان » . ثمّ

---

(١) راجع (٢/ ١٤٣) .

دخلت خزانة كتب المجمع العلمي العراقي بأخرة نسخة مصوّرة « في ٨٩ لوحاً » من كتاب مضطرب ، ذُكر في أوّله أنّه « السَّيْلُ » أي ذيل « خريدة القصر » ، وفي آخره أنّه مختصَرٌ من مختصَرٍ له ، وضمّ الكتاب بين دفّتيه تراجم مختصرة من الخريدة نفسها ولا سيما قسم شعراء مصر . وقد نصّ كاتب النسخة ، وهو مجهول ، على أنّه نقل نسخته من خطّ الحافظ أبي عبد الله محمد بن الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري . فلعلّه هو الحافظ الذي عناه ابن خلكان ، لا أبوه كما حدستُ .

٢) عود الشباب : ويسمى أيضاً « الشهاب بطرد الذباب [١] » ، لعليّ بن محمد المعروف برضائي الرّومي ، المتوفّى قاضياً بمصر سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ م) .

وهو في برلين Berlin 741/3. (بروكلن ٣١٤/١) ، وفي مكتبة سليم أغا في استنبول Selim aga 976. ، وفي فينة Wien 412, Dr. Mus. Ar. 7011 (بروكلن : ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩ من الجزء الأول من الملحق) .

* * *

تجدد العناية بالخريدة عند المعاصرين :

وقد تجددت العناية بـ « الخريدة » في هذا العصر ، فبدأ الباحثون يرجعون اليها ، ويقتبسون منها ، ويحققون أصولها ، ويعملون على نشرها .

وظهر أثرها في بحوث المستشرقين ، ومنهم بعض كتّاب « دائرة المعارف الإسلاميّة » ، إذ تنبّهوا لها ، وانتفعوا بمادتها في الدراسات التأريخيّة والأدبيّة .

وبدا التنبّه لها في مصر عند نفر من أساتذة الجامعات ، ممّن اتصلوا بالمستشرقين ، وثقفوا أصول الدراسات القديمة ، وأولعوا بالتأليف والتحقيق والنشر . وقد ظهرت العناية بها واضحة كلّ الوضوح عند الأساتذة أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس حين

(١) كشف الظنون (٧٠٢/١) .

أقبلوا على تحقيق القسم المصري ونشره ، وتميّز مجهود الدكتور شوقي ضيف في هذا التحقيق موفور الحظّ من التجويد والإتقان وإن لم يخل من مآخذ يسيرة ، كما تميّز مجهوده في استغلال الكتاب استغلالاً جيداً في دراساته التاريخيّة الأدبيّة لشخصيّة الأدب المصري ، ولا سيّما في كتابه « الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ » .

كذلك سعى « المجمع العلمي العربي » في دمشق بأخرة سعياً مشكوراً في إحياء قسم شعراء الشام من الخريدة . ولقد بلغني ، وأنا أكتب هذا ، نبأ صدور مجلّد منه حقّقه الدكتور شكري فيصل .

وكنّا في العراق قد سبقنا إلى التفكير في نشر قسم شعراء العراق ، وجهدنا جُهْدنا في إعداد أصوله وتحقيقه وضبطه وشرحه ، وأعاننا « المجمع العلمي العراقيّ » على إخراج الفكرة من القوّة إلى حيّز الفعل قبل أن ينشط إخواننا في مصر والشام لنشر القسمين المذكورين (1) . ولكن تأخّر صدور إنتاجنا بسبب أحوال خاصّة قاهرة ، صعب علينا تذليلها والخروج من سلطانها .

وهكذا ظفر هذا الكتاب من عناية العلماء في الأقطار الثلاثة الكبرى بما يساوي خطر قيَمه الموضوعيّة والذاتيّة .

* * *

عصر « الخريدة » :

فكّر العماد في تأليف هذا الكتاب ، وهو في أصبهان ، حين طالع في دار كتب تاج الملك بجامعها كتابَ « دمية القصر » ، كما حكى هذا في ترجمته للباخرزي (2) . وأظنّ أنّ ذلك كان قبل رجوعه إلى بغداد في سنة ٥٥١ هـ (3) .

(1) أشار الأستاذ أحمد أمين — رحمه الله — في مقدمة قسم شعراء مصر من الخريدة إلى قيام المجمع العلمي العراقي بنشر القسم الخاص بالعراق ، واطلاعه على ثماني ملازم منه .

(2) أنظر (ص ٩٠) من هذه المقدمة .

(3) أنظر (ص ١٩) من هذه المقدمة .

وهو قد ترجم فيه لشعراء عصره وهو القرن السادس ، ولطائفة من شعراء « عصر آبائه وأعمامه » وهو النصف الثاني من القرن الخامس . ولكنّ هؤلاء قلّة في الكتاب بالقياس إلى شعراء عصره الذين آستغرقت تراجمهم معظم الكتاب .

وقد نصّ المؤلّف على هذا المعنى في مقدمة كتابه ، لكنّه لم يعين فيها تأريخ بدايته ، فقال : « وقد ذكرت أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي . فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي ، والحاضر النامي . وأكثر ما أوردته شعر من أروي عن واحد ، عنه ، إن لم يكن أدركته وسمعته منه [١] ... » .

كذلك أغفل تأريخ نهايته ، على ما لاحظت ذلك في خواتيم أقسام الكتاب التي وقفت عليها في خزانة كتب « المجمع العلمي العراقي » ؛ إذ لم أجد فيها تحديداً للزمن الذي وقف عنـــده .

ولعلّ من أقدم من ترجم لهم من شعراء القرن الخامس ، هو أبو الحسن الباخرزيّ مؤلّف « دمية القصر » التي حفزته لتأليف « الخريدة » . وقد نقل ياقوت في « معجم الأدباء » [٢] عن « الخريدة » نفسها سنة مقتله ، وهي سنة ٤٦٧ هـ . وفي هذا المجلد من قسم شعراء العراق نفر من أهل القرن الخامس كذلك ، تغنينا سهولة مراجعة الكتاب عن الإشارة اليهم . كذلك سيـــرد في أثناء هذا القسم باب مستقلّ ذكر فيه « جماعة تقدّم عصرهم على عصره ، ومنهم من تُوُفّي في عنفوان عمره » كآبن العلّاف وأبي الكرم آبن الشعيري وأحمد بن عطية الضرير والموفّق النظاميّ وآبن دينار وآبن ناقيا وعلي بن طاهر الخباز الكرخي ، وغيرهم من أهل بغداد كما أوردهم السمعاني في ذيل تاريخ بغداد ، وقد عقد لهؤلاء باباً أيضاً بعد هذا الباب .

---

(١) خريدة القصر : قسم شعراء العراق (١/٧) .
(٢) معجم الأدباء (١٣/٣٤) طبعة أحمد فريد رفاعي .
(٣) كتاب الروضتين (٢/٤٢) .

وقد يكون آخر من ترجم لهم من شعراء القرن السادس هو الأمير تاج الملوك الأيوبيّ — أخو السلطان صلاح الدين — المتوفّى في تاسع صفر سنة ٥٧٩ هـ ، فقد نقل أبو شامة المقدسي في « الروضتين » [٣] كلاماً عن « الخريدة » في تحديد عمره يدلّ دلالة قاطعةً على أن العماد بلغ بالخريدة سنة ٥٧٩ هـ ، وقد يكون جاوز بها هذه السنة ، لاسبيل لي الى الجزم بسنة بعينها ما لم أقع على النصّ .

وهاتان الترجمتان — ترجمة الباخَرْزيّ وترجمة تاج الملوك — تدلّان على أن « عصر الخريدة » يزيد على القرن ، وقد يصح أن تكونا طرفي هذا العصر إن لم تكن في الكتاب نصوص غيرهما تعيّن بدايته ونهايته .

هذا هو التحقيق في تحـديد « عصر الخريدة » . ولكن شاء ياقوت الحموي ، والمنذري ، وابن خلكان ، وكاتب جلبي ، أن يعيّنوا عصرها تعييناً مرتجلاً ، فاتّفقوا على بدايته بما سمّوه « ما بعد المئة الخامسة » . ولما أرادوا تعيين نهايته التي وقف المؤلّف عندها ، اختلفوا اختلافاً كبيراً ، فحدّدها ياقوت [١] تحديداً مبهماً وقال « الى ما بعد سنة سبعين وخمس مئة » ، وهذا يحتمل أن يكون ما بين هذه السنة وسنة وفاة المؤلّف ٥٩٧ هـ ، وحدّدها المنذري [٢] وابن خلكان [٣] بسنة اثنتين وسبعين وخمس مئة ، وكاتب جلبي بسنة اثنتين وتسعين وخمس مئة [٤] .

وأنت اذا عارضتَ هذا بما حقّقتُهُ — بالرجوع الى نصوص كلام المؤلّف في الخريدة وفي الكتب الناقلة عنها — تبيّنت تساهل هؤلاء الأعلام ، ومجانبتهم للتحقيق في شقّي المسألة كليهما .

---

(١) معجم الأدباء (١٩/١٩) . (٢) الدارس في تاريخ المدارس (٤٠١/١) .
(٣) وفيات الأعيان (٧٥/٢) .
(٤) كشف الظنون (٧٠٢/١) ، والتأريخ الذي يذكره هو جزء من كلامه الذي نقضته في (ص ٨٨ — ٨٩) .

وقال بروكلمان (١) وجرجي زيدان (٢) : « هو في شعراء القرن السادس للهجرة » ، ولم يتعرضا لبدء ولا ختام اجتيازه بالمشهور ، وكان عليهما أن يستنطقا الكتاب ؛ لأن عصرهما يتطلب من مثلهما التحقيق .

* * *

أجزاء الكتاب وأقسامه :

ذكر صلاح الدين الصفدي في « الوافي بالوفيات (٣) » أنه رأى الكتاب بخط المؤلف ، ولكنه لم يذكر أين رآه ، وما عدد أجزائه وأقسامه .

وفي القصة المحكية على لسان القاضي الفاضل التي قدمناها (٤) : أن العماد لما فرغ من تأليف هذا الكتاب ، جهزه اليه في ثمانية أجزاء ، وأنه - أي القاضي الفاضل - لما وقف عليه ، لم يعجبه ، وسأل : أين الآخران ؟ إلى آخر ما جاء فيها من تعليل لسؤاله هذا .

وحام كلام ياقوت وكاتب جلبي حول تحديد أجزائه بعشرة على سبيل التقريب ، لا الجزم ، فقال الأول : « يدخل في عشر مجلدات لطيفة (٥) » ، وقال الآخر : « هو في نحو عشر مجلدات (٦) » .

وقطع المنذري وابن خلكان أنه « عشر مجلدات (٧) » .

لكن ذكر في آخر بعض أجزاء النسخة المصورة التي دخلت خزانة كتب « المجمع العلمي العراقي » من هذا الكتاب أنه في اثني عشر جزءاً ، وهذا نص ما كتبه ناسخها المجهول في خاتمة الجزء الخاص بشعراء صقلية والمغرب وقسم من شعراء الأندلس :

« تم الجزء الحادي عشر من كتاب الخريدة : خريدة القصر وجريدة العصر ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلامه عليهم أجمعين . يتلوه في الجزء

(١) Geschichte der Arabischen Litteratur, Bd. I. S. 314

(٢) تأريخ آداب اللغة العربية (٣/٦٣) .

(٣) أنظر (١/١٤٠) . (٤) أنظر (ص ٩١ وما بعدها) من هذه المقدمة .

(٥) معجم الأدباء (١٩/١٩) . (٦) كشف الظنون (١/٧٠٢) .

(٧) الدارس في تأريخ المدارس (١/٤١٠) ، ووفيات الأعيان (٢/٧٥) .

الثاني عشر شعرُ ابن خفاجة الأندلسي ، وهو [1] آخر الكتاب » .

وقال في آخر الجزء الثاني عشر :

« هذا آخر ما أوردَهُ من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر الإمامُ العالم الأوحد ، الصاحب الصدر الصاحب ، ذوالرياستين ، جمال الحضرتين ، أكفى الكُفاة ، أفصح البلغاء ، أبلغ الفصحاء ، أشرف الكتاب ، أمتن [2] الملك ، عمدة الملوك والسلاطين ، عماد الدين ، زين الإسلام ، مغني الفرق ، ذوالبلاغتين ، رئيس الأصحاب ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ، الكاتب الملكي الناصريّ — قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه — والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً » .

* * *

ويبدو من قول المؤلف في مقدمته — إنه « قسم هذا الكتاب أقساماً » ، ومن إغفاله تحديد هذه الأقسام وتسميتَها أيضاً ، خلا نصّه على تسمية القسم الأول — أنه حين رسم في ذهنه صورة الكتاب على النحو الذي جرى عليه الثعالبيّ والباخرزيّ في الأسلوب والتقسيم ، ارتسمت له العقبات التي قد تعترضه في سبيله وتقوم دون غايته فلا تمكّنه من البرّ بوعده ، فاحتاط ، ولم يتقيّد بشيء يسمّيه ويحدّده لا يدري أيرافقه التوفيق لبلوغه أم يستعصي عليه ؛ إذ كان تأليف مثل هذا الكتاب الشامل ، الذي يجمع شعراء العالم الإسلامي كلّه في مدى فسيح من الزمن ، مع بُعد المسافات بين البلاد وقلّة الوسائل وصعوبة الأسفار ، أمراً شاقاً جداً ، ومطلباً بعيد المنال على من يتطاول اليه ؛ وهو إلى ذلك يتطلّب وقتاً فسيح الرقعة ، ودُؤوباً على البحث والتدوين ؛ ويتطلّب كذلك الرحلة

---

(١) أي الجزء الثاني عشر المتضمن بقية تراجم شعراء الأندلس ، وهو في ٢١٧ لوحاً وصفحة واحدة ، أي ٤٣٥ صفحة .

(٢) لعله أمين الملك .

للقاء الشعراء ، ومشافهتهم ، وتقصّي أخبارهم وأشعارهم من منابعها الصافية ، وكيف له أن يعلم ما سيستقبل من أيامه وأحواله ، وما سيتهيأ له من هذه الشؤون التي لا يمكن أن يتسنّى له بغيرها إنجاز كتابه كما يرسمه في ذهنه ؟ من هنا قام في نفس العماد - فيما يظهر لي - أن يستأني ويحتاط ، وأن يؤجل تحديد أقسام الكتاب وتسميتها إلى حين شروعه فيها قسماً بعد قسم .

وقد أجمل بعض المؤرخين والمؤلفين في أسماء الكتب والفنون الإشارةَ إلى أسماء الأقاليم التي دوّن العماد تراجم شعرائها ، فسمّوا « العراق والعجم والشـام والجزيرة ومصر والمغرب [1] » ، ولم يزيدوا على هذا شيئاً .

ولقد أتاحت لي مراجعة أجزاء الكتاب التي دخلت خزانة كتب « المجمع العلمي العراقي » أن أجد فيها أسماء أقاليم وبلاد أخرى — غير ما ذكره هؤلاء — حفل المؤلف بشعرائها ، وأن أجد فيها تسمية الأقسام وتحديدها أيضاً ، فاذا هي أربعة ، خصّ المؤلف كلّ قسم منها بعدة أقاليم ، خلا القسم الأول فانه قصره على شعراء العراق وأدبائه ، ثم خصّ القسم الثاني بشعراء العجم وفارس وخراسان ، وجمع في الثالث شعراء الشام والموصل وجزيرة بني ربيعة وديار بكر وما يجاورها من البلاد ، وألحق بهم شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وجمع في الرابع شعراء مصر وأعمالها وشعراء جزيرة صقلّيّة والمغرب والأندلس .

والكلام على كل قسم ، وبيان خصائصه ، ليس من أغراضي في هذا البحث ، فحسبي هنا إجمال لوصف هذا القسم الذي ننشره واشارة إلى قيمته .

* * *

قسم شعراء العراق :

بدأ المؤلف قسم شعراء العراق وأدبائه بقوله : « القسم الأول — فضلاء بغداد ، وما

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٧٥) ، ومعجم الأدباء (١٩/١٩) ، وكشف الظنون (١/٧٠٢) .

يجري معها من البلاد . وابتدأت القسم الأوّل من العراق مركز عرقي ، ومنشأ حقّي ، وموطن أهلي ، ومجمع شملي . وهو الإقليم الأوسط ، والأُقْنُوم الأحوط ، وأهلهُ الراسخون علوماً ، الباذخون حلوماً . وقدّمت « مدينة السلام » ؛ لأنّها حوزة الإسلام ، وبيضة مملكة الإمام . وتبرّكت بذكر مَنْ أدركته من الخلفاء ، ومن أدركه منهم والدي وأعمامي ، الذين يشتمل هذا الكتاب على محاسن أيّامهم ، ومزاين أجوادهم وكرامهم . وذكرت من شعر كلّ واحد منهم ما سمعته ، تفضيلاً لكتابي هذا على الكتب المصنّفة في فنّها ، ليربي بحسنه على حسنها ، فهو — بإشراق أضواء ذكر الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن الإمام المستنجد — مضيء المطالع مشرقها ، صافي الشرائع مغدقها » . وأردف هذا بترجمته والثناء عليه ومدائحه فيه ، ثم ترجم لسبعة خلفاء وأمير عباسي تعاطوا الأدب والشعر ، أو قال هو فيهم الشعر (٩ — ٧٦) ، وهم : المستنجد بالله ، والقائم بأمر الله ، والمقتدي بأمر الله ، والمستظهر بالله ، والمسترشد بالله ، والراشد بالله ، والمقتفي لأمر الله ، والأمير عليّ بن المستظهر بالله . وأورد في أثناء هذه التراجم وبعدها طرفاً من أخباره وطائفة من أشعاره . ثم ثنى على الباب بـ « باب في ذكر محاسن الوزراء والكتّاب للدولة العباسيّة وما نمي إليه من شعرهم » (٧٧ — ١٤٦) ، وأردف هذا الباب بتراجم « جماعة أفاضل أماثل من بيت رئيس الرؤساء آل الرفيل بني المظفر » و « بني المطلب » (١٤٧ — ٢٠١) ، ثمّ بـ « باب في محاسن الشعراء » بدأه بترجمة الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد بن محمد بن الصيفي التميمي الشاعر المشهور بحيص بيص ، وأطال في إيراد المختار من شعره ونثره (٢٠٢ — ٣٦٦) ، وهو يطيل في إيراد الأشعار أحياناً ، ويوجز أحياناً أخرى ، على حسب الموادّ التي تتهيأ له ، ليس له في ذلك منهج ملتزم معلوم .

ولم يكن لنا معدى من أن نختم هذا الجزء بهذه الترجمة ، لاتّساع جوانب هذا الباب ،

ونترك بقية تراجم الباب والأبواب الأخرى إلى الأجزاء التالية .

وأقدر أن هذا القسم من الكتاب سيكون في عدة أجزاء أرجو من الله تعالى العون على بلوغ الغاية من تحقيقها ونشرها .

* * *

فحجز هذا القسم :

وسيقفنا هذا القسم على عدد ضخم من الشعراء الكبار ، وعلى حركة أدبية شاملة ازدهرت في العراق ، في أثناء القرن الخامس والقرن السادس ، واتصلت شعلتها بأضواء النهضة العظيمة التي بلغت الذِّروة في القرن الرابع : عمّت مدنه الكبار كبغداد وواسط والبصرة ، وشملت النواحي ، وتغلغلت في أحشاء القرى من سواد بغداد وأعمالها شرقيها وغربيها ، وأعمال الفرات أعلاه وأسفله ، واتصلت من الشمال الى الجنوب : من الحديثة وهيت والأنبار ، الى الحلة والكوفة وقُرى واسط والغرّاف والطِّيب وقُرْقُوب ومَشُّوث وغيرها ؛ وشارك فيها الخلفاء والأمراء والوزراء وأعيان البلاد فلم تشغلهم مراكزهم السياسية وأعمالهم عن تشجيع الأدب وتعاطي الشعر وتأليف الكتب ، وتعاونَ فيها المسلمون والنصارى ، فلم يَخلُ الكتاب من تراجم بعض أدباء النصارى : مَنْ أسلم منهم مثل العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا كاتب القائم والمقتدي والمستظهر ، وابن أخته تاج الرؤساء ، وأبي غالب ابن الأصباغي ؛ ومن لم يسلم مثل الطبيب ابن ماري صاحب المقامات التي احتذى بها الحريري [1] ، كما تعاون فيها أبناء المدن وأبناء القبائل العربية بل أبناء بعض القبائل الكرديّة التي توطّنت الحلّة والبطائح وما حولها أيضاً ، وكانت لها عناية ظاهرة بالشعر والشعراء . وما خلت هذه النهضة الرائعة من مشاركة النساء ، من مثل الفقيهة الشاعرة أم

(١) ظفرت في عهد الطلب بهذه المقامات النادرة ، وهي خمسون مقامة على غرار مقامات الحريري البصري ، والمؤلف بصري مثله وعصره قريب من عصر الحريري ، وشرحتها شرحاً موجزاً قصدت به الى تقريب البعيد واجلاء الغامض .

عليّ الرشيدة بنت أبي الفضل محمد التميمي المالكيّ البصريّ ، وقد أورد لها المؤلف شعراً جميلاً لطيفَ المنحى عذبَ اللغة والأسلوب يجعلها كوكب سماء الشعر في عصرها بالعراق .

وليس مثل هذه النهضة الأدبيّة — حين يتصل شأنها بالعراق — بغريبة عنه ، ولا بعجيبة منه ؛ وإنّما الغريب عنه والعجيب منه هو أن تخلوَ مطالعه منها ، وأن تصفر مرابعه الحسان ومسارحه الجميلة من الباغمين على أوتار الشعر ومن المغرّدين بالقصائد السواحر على الخفاف السواجي الخُضْر من وادي دجلة والفرات . وما رزئت هذه البلاد ـ بحمد الله ـ بمثل هذه الرزيئة ، حتى في أعقاب نكبة الحضارة الإسلامية بغارة المغول وفي أثناء رسوخ جرانهم في بغداد وثرى بقاع الوطن الحبيب عامةً . فقد أخذ هذا الصُّقْع العربيّ العريق هذا التراث الأدبي الفخم باليمين ، ورعاه عصوراً طِوالاً ، وكانت اليه ـ بعد الحجاز والشام ـ زعامةُ الأدب العظمى ، وما برح موطن العلم والفكر والشعر ، وكلّ ما تفرّع من بعد من نهضات الأقاليم الدانية والشاسعة إنما كان اليه يشخص بطرفه ، ومنه يقبس أضواءه ، ومن مَراشده يتنوّر مناهجه .

وقد جاء هذا الكتاب دليلاً جديداً على ما تمتّع به العراق من نعمة الفكر والفن طوال تاريخه المجيد ، وعنواناً من عناوين حياته الثقافية ، طوّحت به يد الزمان في زوايا النسيان ثمانية قرون حتى أذن الله له بالظهور .

تحقيق هذا الجزء

وبعد هذا التعريف بالمؤلّف وبالكتاب ، لابدّ لي من الإشارة إلى المجهود الذي بذله « المجمع العلمي العراقي » في سبيل الحصول على نسخ الكتاب ، والمجهود الذي أنفقناه في درس هذه النسخ وفي تحقيق هذا الجزء وضبطه وشرحه وطبعه أيضاً ، آستيفاءً لأغراض هذه الدراسة .

قرار إحياء الكتاب :

فكر « المجمع » في إحياء هذا الكتاب ، وليس لديه ولا في خزائن الكتب بالعراق شيءٌ من نسخه . فبدأ سعيه في إحيائه بالبحث عن مظانّ وجوده ، وآنتهت بـه دراساته إلى المعرفة بأجزائه المبثوثة في مكتبات كلكتا وطهران واستنبول وبروسة والقرويين وروما وليدن ومونيخ وباريس ولندن ، فشرع يراسل بعض هذه الجهات يتعرّف ما عندها من أقسامه ، ليهيءُ لنفسه نسخة كاملةً يقطع بعد دراستها بالرأي الذي يستقيم له في نشره كلّه أو بعضه .

وفي أثناء هذا السعي الذي بدأه ، تلقّى من الدكتور جميل سعيد الأستاذ بكلّيّة الآداب والعلوم ببغداد كتاباً يعرض فيه رغبته في القيام على نشر القسم العراقي من الكتاب ، ويقترح إشراكي معه في تحقيقه .. فأحيل كتابه على مجلس المجمع ، ليبتّ فيه . وسُئلت في أثناء الآجتماع رأيي في رغبته هذه جملةً وتفصيلاً ، فأثنيت على أدبه الجمّ فيما يتّصل بي ، ولم أجد ما يمنعني من قبول هذه المشاركة الكريمة . وكان الرأي أن تُقصَر أعمال المجمع على أعضائه وحدهم ؛ لأن ذلك أشبه بالضرورة له في بداية نشأته ، فقرّرتُ أن الخبر

كلّ الخير في أن تنداح دائرة هذه الأعمال سريعاً من غير تلبّث ، وأن لا مانع من أن يكون بعض هذا في بادىء الأمر على سبيل المشاركة والتعاون بين أعضائه ومن يتوسم المجمع فيهم ملامح القدرة على هذه المشاركة من غير الأعضاء ، ليشجع الأدباء على خوض الدراسات العالية ، وليكثر عندنا العلماء المعنيّون بالثقافة العربيّة الأصيلة ، وليزداد إنتاجنا العلمي والأدبي . وهذه الأغراض هي بعض ما أنشىء هذا المجمع لتحقيقه .

وبعد الاستماع إلى ما ذكرت ، قرّر بالإجماع إحياء القسم العراقي من الكتاب ، وإيداع تحقيقه الينا ، تاركاً طريقة ذلك إلى اختيارنا .

* * *

أصول الكتاب :

وما لبثنا بعد هذا القرار أن تهيأت لنا نسخة من الكتاب صُوّرت من نسخة دار الكتب المصرية المصوّرة من نسخة باريس (٣٣٢٦) ، فأقبلنا عليها نفحصها وندرسها ، وأمضينا في ذلك زمناً خلصنا بعده إلى الشكّ في أصالة النسخة ، فقد حاك في أنفسنا أنها مختصرة من الأصل وليست الأصل .

وكان لابدّ لنا من إزالة هذا الشكّ باليقين ، فطلبنا نسخةً أخرى منه ، فجلب لنا الجزء الذي في مكتبة « الفاتيكان » ، فاذا هو يبدأ من وسط الكتاب ، أعني القسم العراقي ، بتراجم جماعة من أعيان سواد بغداد شرقيها وغربيها ، ويفصل بين هذه التراجم وبين أول الكتاب — على ما قدرناه من الاستئناس بنسخة باريس — تراجم كثيرة جداً .

ولما كان المقصد أن ينشر هذا القسم كاملاً ، وأن تكون البداية به من أوله ، وكان ذلك ممكناً غير متعذر ولا متعسّر ، بإمكان الحصول على أجزاء الكتاب من البلاد التي ذكرتُ ، بادر المجمع إلى إسعافنا ، فصوّر لنا نسختي المتحف البريطاني وطهران . وبعدَ لأيٍ كانتا بين أيدينا : ندرسهما ونوازن بينهما ، لنختار النسخة التي نعتمد عليها . فأنفقنا في ذلك ما أنفقنا من زمن ومن مجهود ، حتى اطمأننّا الى إمكان الشروع في تحقيق هذا

الجزء وإخراجه في صورته الأصلية ، بالاعتماد على هاتين المصوَّرتين معاً [1] .

وتمتاز مصوَّرة نسخة المتحف البريطاني بأنّها أصحّ ضبطاً ، وأقلّ خطأً وتصحيفاً من مصوَّرة نسخة طهران . ولكنّها مُنيت بإسقاط كبيرة في مواضع عدة ، ووُضعت فيها صفحات كثيرة في غير مواضعها ، لا ندري أكان ذلك كذلك في أصل النسخة أم حدث في أثناء التصوير ؟

وتمتاز مصوَّرة نسخة طهران بأنّها قد سلمت — في هذا الجزء الذي ننشره — من هذا كلّه .

ولكنّنا مع هذا لم نرَ مندوحةً من أن نتّخذ مصوَّرة نسخة المتحف البريطاني أصلاً نعتمد عليه ، لمكانها من الصحّة والضبط ، وأن نستعين على توفير الكمال لها بنسختي طهران وباريس .

وقد انتفعنا بمصوَّرة نسخة طهران أكبر انتفاع ، فرممنا منها مواضع الإسقاط ، وتيسّر لنا بها ترتيب صفحات الكتاب ووضعها في مواضعها من غير عناءٍ كبير .

وقد أثبتّ في آخر هذه الدراسة أمثلة من هذه المصوَّرات الثلاث ، ورأيت الاكتفاء بها عن وصف خطوطها وأطوالها وأعراضها ونحو ذلك مما لاطائلَ فيه لجمهرة القارئين .

* * *

العمل :

وكان عملنا في تحقيق هذا الجزء — من بعدُ — مختلفاً ، لم يجرِ على وتيرة واحدة من المشاركة التامة في كل الأحيان . فقد استلزم الانفراد حيناً ، واستلزم المشاركة حيناً آخر ، فجارينا هذه المستلزمات ، لم يكن لنا من ذلك بُدّ ، لتسهيل العمل وضبطه وتعيين تبعاته .

لزم انفراد زميلي الفاضل بنقل نسخة عن مصوَّرة نسخة المتحف البريطاني — بالآلة

(١) ومن الحق علي أن أسجل هنا شكري للدكتور جواد علي أمين سر المجمع على مابذله من همة صادقة في تيسير ما أردناه من نسخ هذا الكتاب .

الطابعة — ليكون عليها العمل ، فاستقلّ به . ثم لزمت مشاركتنا في معارضة هذه النسخة بالأصل وبالنسختين المساعفتين ، أعني نسختي طهران وباريس ، فوالينا الاجتماعات ، وعارضنا هذه الأصول بعضها ببعض ، وأثبتنا في نسختنا الاختلافات ، ورمّمنا أسقاطها من نسخة طهران ، حتى استوت لنا الصورة التي نطمئنّ الى كمالها وصحّتها في الجملة ، ليكون منها مُنطَلَقُنا في التحقيق والضبط والشرح . ولمّا جاءت نوبة هذه الأشياء ، وددت لو نمضي فيها معاً ، وجرّبت في بعض المرحلة الأولى المشاركة ، فبدت لي غير ممكنة على وجه سهل ميسور ، بل بدا الاجتماع على هذا — على صعوبته — أدعى الى تبديد الوقت . ووجدت انسجام التحقيق والضبط والشرح ، يفرض الانفراد بتحمّل التبعة ، فانفردت بها على ما فيها من عناء ومشقة ، كما انفردت أيضاً بالإشراف على طبع الكتاب ثم بكتابة هذه الدراسة ، إذ كانت المشاركة في هذين على نحوٍ تتعيّن به التبعات متعذّرة أيضاً . ولمّا نجز طبع الكتاب ، رأينا أن نيسّر فوائده بصنع فهارس تفصيلية له ، فنهض بها زميلي الفاضل ، وصنع هذه الفهارس السبعة التي تراها في آخره ، أنفق فيها مجهوداً مشكوراً حقّق به النفع في تيسير مراجعة موضوعاته وأعلامه من رجال وقبائل ومدن . وقد أعدّها قبل شروعي في كتابة هذه الدراسة ، فخلت من الأعلام التي زخرت فيها .

* * *

منهجي في التحقيق والشرح :

أما طريقتي في التحقيق والضبط ، فان نظرة واحدة الى متن الكتاب تغني عن وصفها . وأمّا منهجي في التعليقات والشروح ، فقد انتحيت به اللغة والتاريخ ، لأوضح مقاصد الكتاب ، وأيسّر فوائده . فلغة الكتاب وما تضمّنه من شعر ونثر ، تتطلّب التقريب من أفهام جمهرة القارئين ، لقلّة ألفتهم لمثلها ، فلم يكن بدّ من إيضاح أكبر قدر منها ، ليتحقّق انتفاعهم بالكتاب ، وتعزز مادّتهم في اللغة من أيسر السبل من غير أن

يضطرّوا عند كلّ كلمة غريبة الى مراجعة دواوين اللغة . لقد باعدت عصور الأستعجام بين العرب وبين لغة هذه الأصول الأدبية من شعر ونثر ، فلن يفيد إحياء هذه الأصول ما لم توضح لغتها ، ليأنس الناس بمعانيها ، وليألفوها رويداً رويداً ، حتى تحيا في نفوسهم وألسنتهم كما حييت وأزدهرت إبانَ العصور السالفة من عصور السيادة العربية . فهذا ما حملني على كتابة التعليقات اللغوية ، وبغيرها تبقى معظم جوانب الكتاب صوامت لا تُبين .

وأمّا الجوانب التاريخية في الكتاب ، فقد أستدعى كتابة التعليقات عليها أنّها قد زخرت الإشارات اليها في الكتاب ، ما كان منها أحداثاً وما كان منها أعلاماً من ملوك ووزراء وعلماء وأسماء مدن ونحوها ، وقد كان كلّ ذلك معروفاً عند المؤلف وأهل عصره ، ولكنه في عصرنا مجهول . وقد رأيت الأنتفاع بالكتاب سيظلّ ضئيلاً ما لم توضّح هذه الإشارات التي ترد في أثناء كلام المؤلف ، فعمدت الى معظم الحوادث والأعلام ، أعلّق عليها بإيجاز ، وأُحيل على الكتب التي تتوسع في الشرح ليرجع إليها من يحبّ الأستزادة .

ورجائي من العلماء المحققين أن يتفضّلوا علينا بإصلاح ما يرونه من هذه التحقيقات والتعليقات جميعاً محتاجاً الى إصلاح ، وكل ذي تطوّل مشكور .

* * *

اعتذار وشكر :

وبعد ، فسيرى الناظر الى الكتاب أختلافاً في ورقه وفي طبعه ، قد يحمله على التساؤل عن أسبابه . فلهذا قصّة طويلة ومزعجة حقّاً ، إن كنت أكره أن أعرض لها ، لما تثيره في نفسي من آلام تتصل نتائجها بهذا الأختلاف الملحوظ في لون الورق وفي تأخير إخراج الكتاب بضع سنين ، فإني لمسرور حقّاً بأنها أنتهت بالجمع الى نتيجة من أفضل النتائج ، بأنْ هيأت له مطبعة خاصّةً به أنقذته من عناء هذه المطابع التجارية ، ومكّنته من

مطبع إنتاجه في يسر وإتقان وإحسان ، ومنها هذا السفر الذي أنجزتْ منه ما بعد الصفحة الرابعة والثمانين والمئة ، وهذه الدراسة ، بحروفها الجيلة وأناقتها التامّة .

والى « المجمع العلمي العراقي » الكريم أزفُّ جزيل الشكر وصادق الثناء على تيسيره لنا كلّ وسائله الممكنة لإخراج هذا السفر القيّم .

محمد بهجة الأثري

الجمعة ١٢ شهر رجب ١٣٧٥
٢٣ شباط ١٩٥٦

الرموز

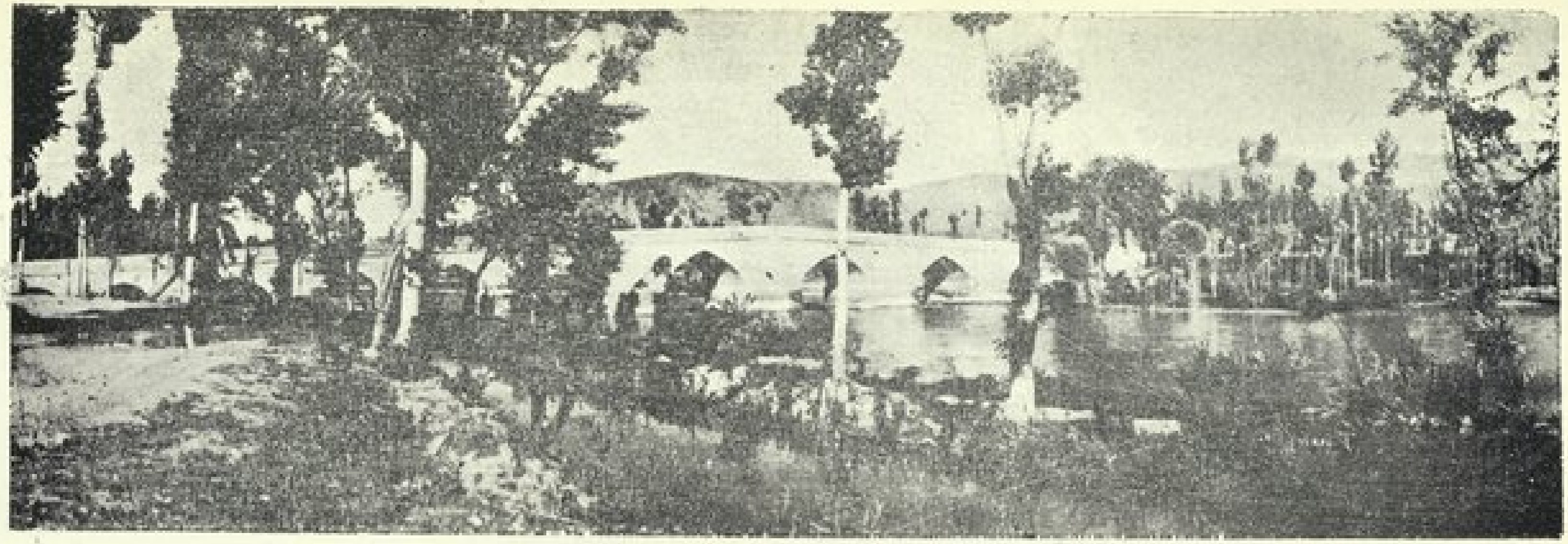
ل : نسخة الأم (مصوّرة نسخة المتحف البريطاني) .

ط : نسخة طهران .

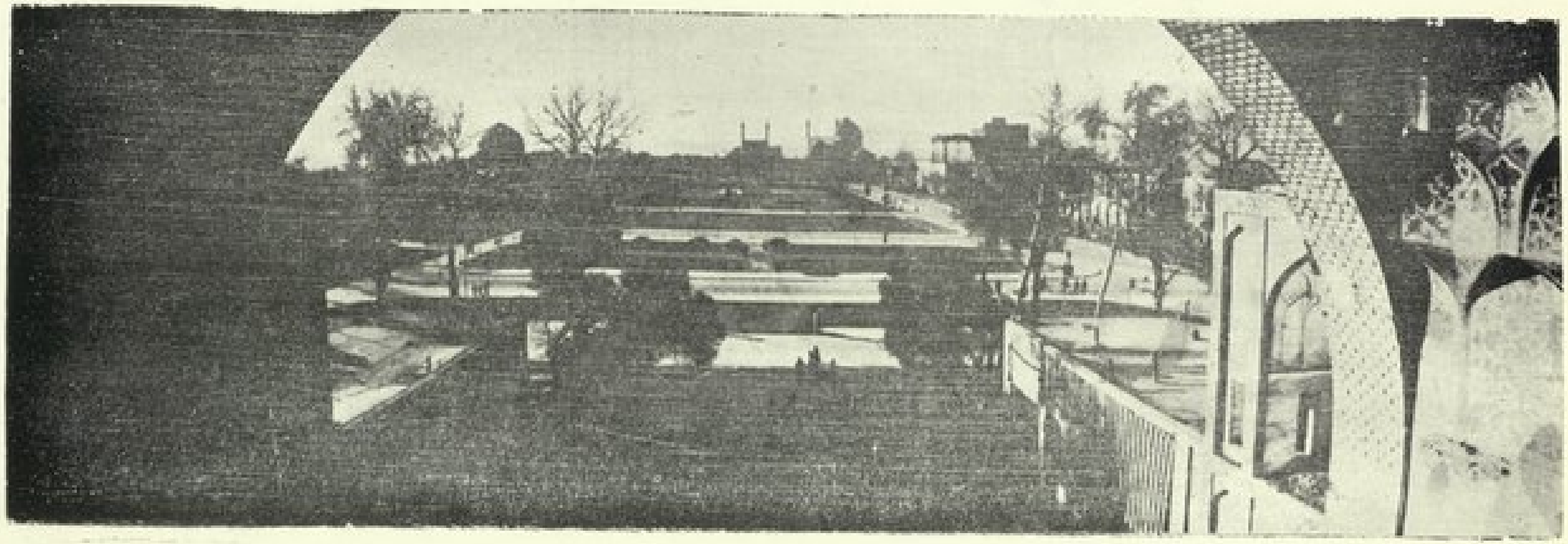
ب : نسخة باريس .

[ ] : ما بينهما أضيف من مصوّرة طهران ، وليس هو من الأصل .

أمثلة
من النسخ المخطوطة

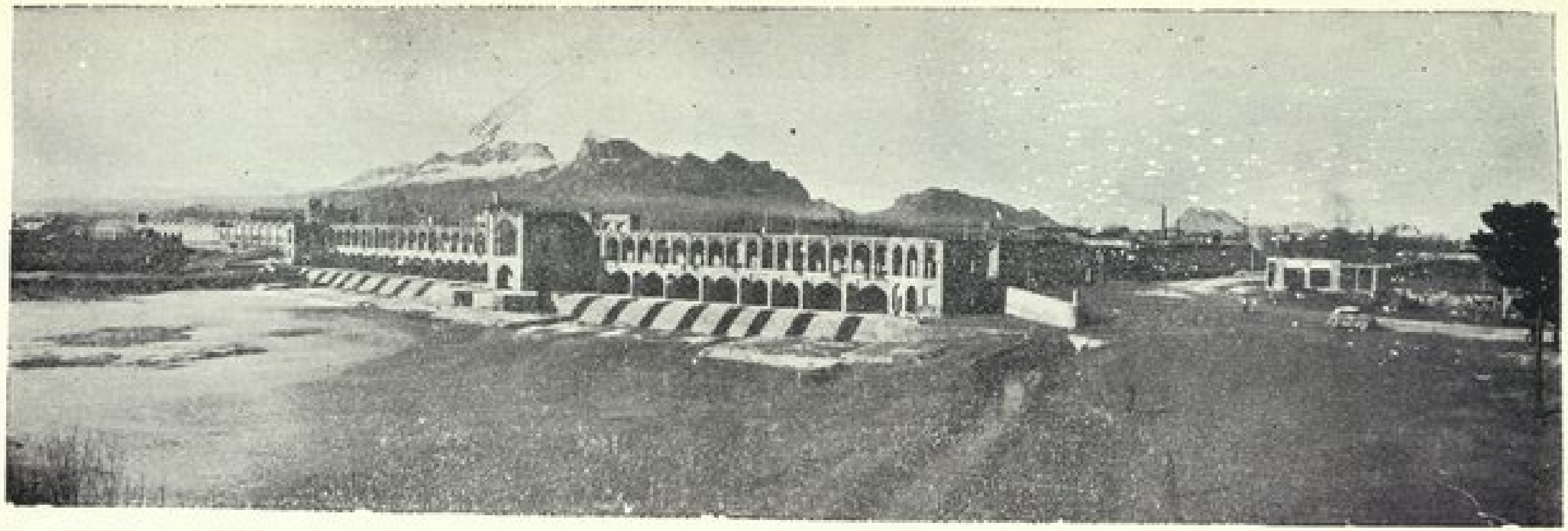


نهر زندروذ بأصبهان (زندەرود = النهر الحي) ، ويسمى اليوم زاينده‌رود (النهر الولود).

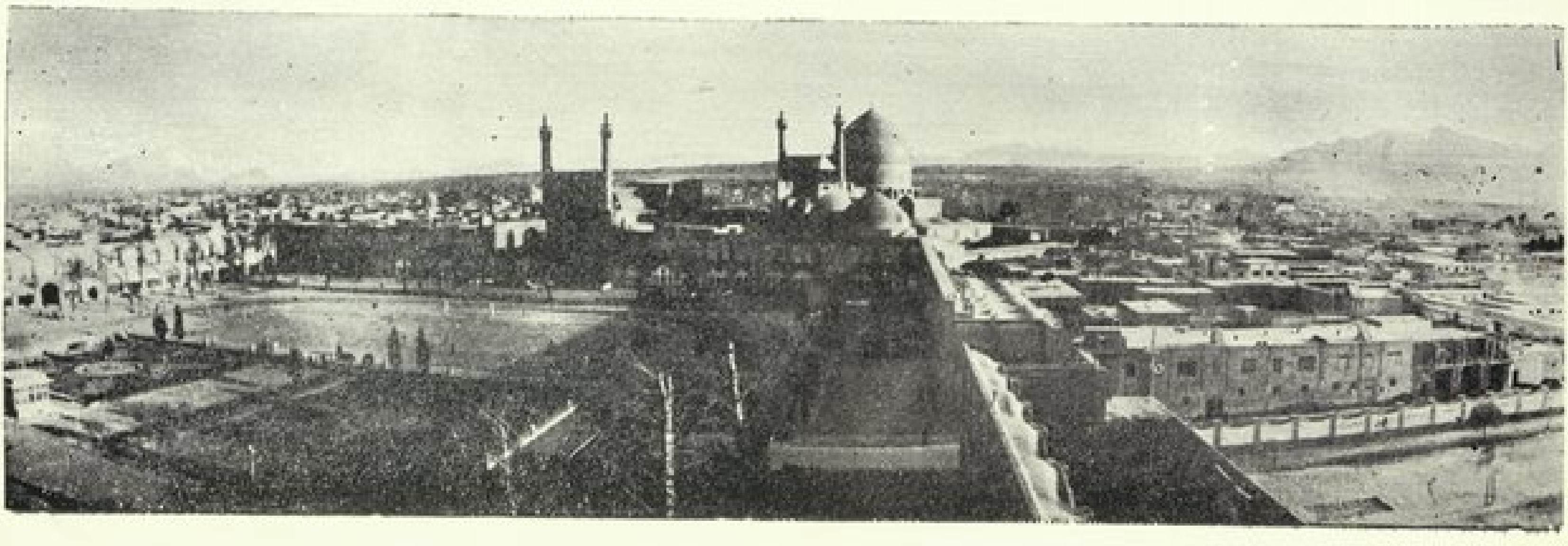


حدائق أصبهان

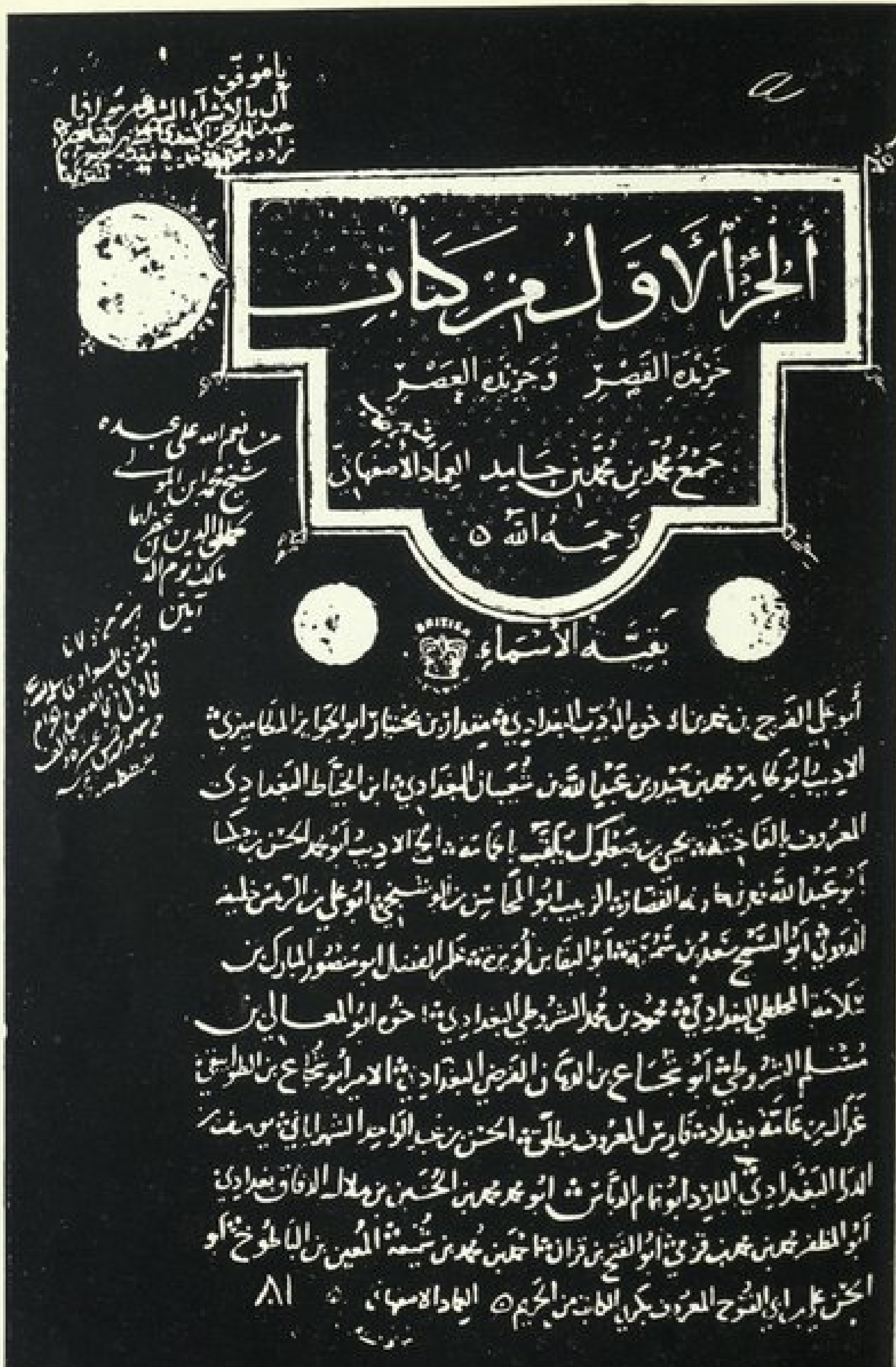
منظر عام آخر لمدينة أسيوط



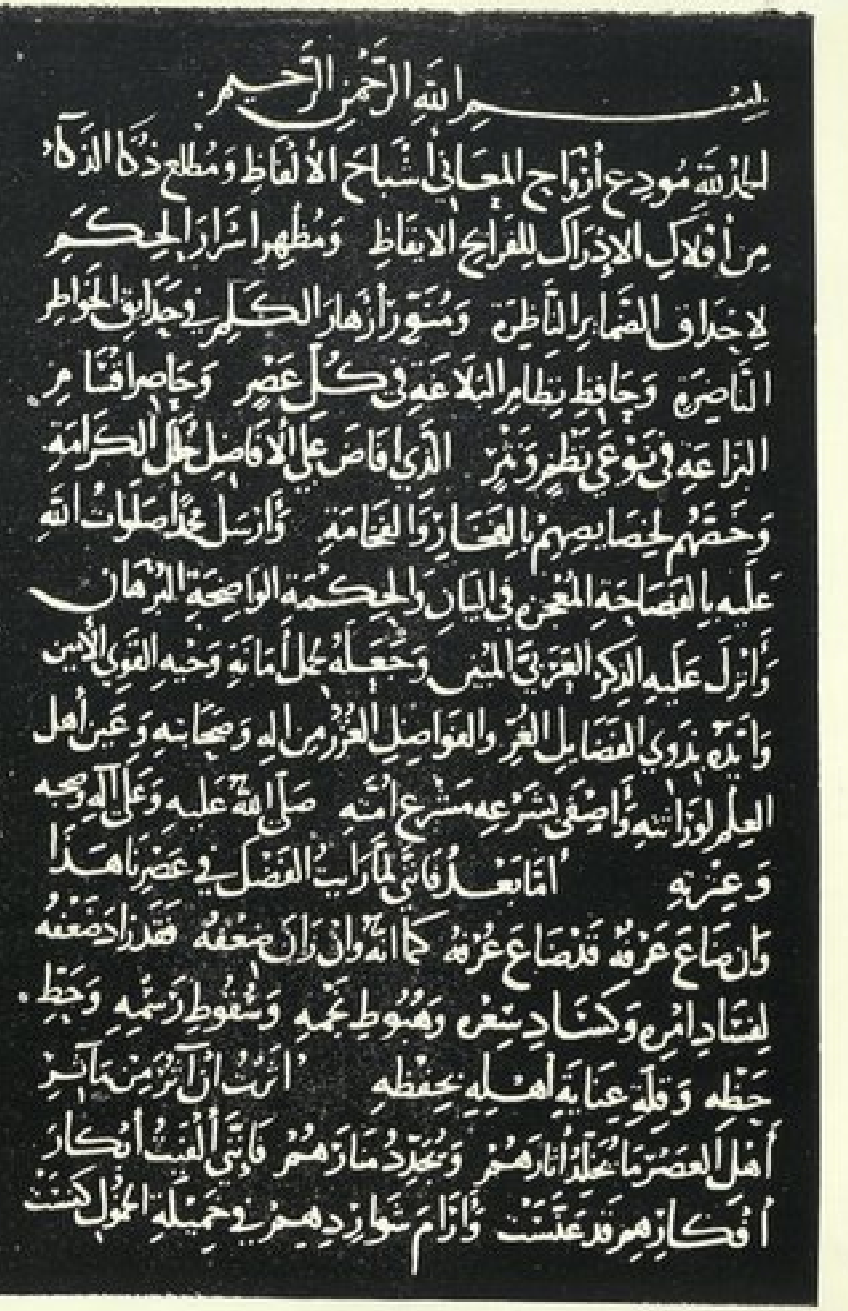
منظر عام لمدينة أصبهان وقناطرها



منظر عام آخر لمدينة أصبهان


الجزء الأول من كتاب
خريدة القصر وجريدة العصر
جمع محمد بن محمد بن حامد العماد الاصفهاني
رحمه الله
بقية الأسماء

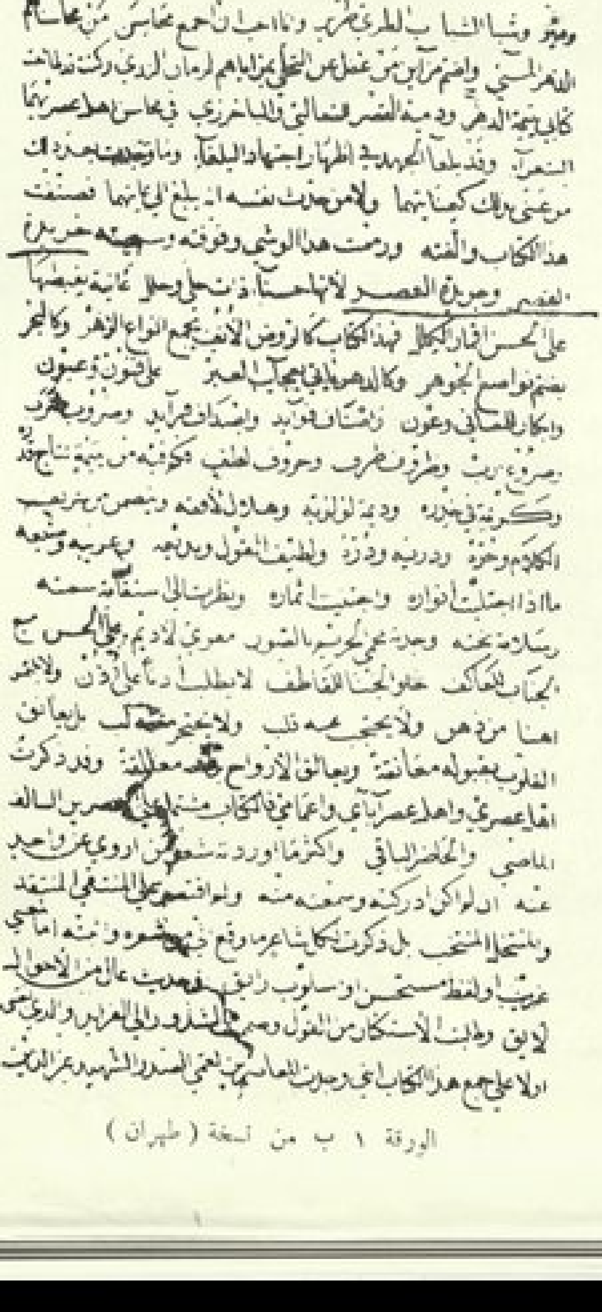
الورقة الأولى من نسخة (المتحف البريطاني)


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله مودع أزواج المعاني أشباح الألفاظ ومطلع ذكاء الذكاء
من أفلاك الإدراك للفراغ الإيقاظ ومظهر أسرار الحكم
لإحراق الضمائر النواظر ومنوّر أزهار الكلم في حدائق الخواطر
النواضر وحافظ نظام البلاغة في كل عصر وحاصر أقسام
البراعة في نوعي نظم ونثر الذي فاض على الأفاضل حلل الكرامة
وخصّهم لخصائصهم بالفخار والفخامة وأرسل محمدا صلوات الله
عليه بالفصاحة المعجزة في البيان والحكمة الواضحة البرهان
وأنزل عليه الذكر العربي المبين وجعله لحمل أمانة وحيه القوي الأمين
وأيّده بذوي الفضائل الغرّ والفواضل الغزر من آله وصحابته وعين أهل
العلم لوراثته وأصفى لشرعه مشرع أمته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وعترته أما بعد فإني لما رأيت الفضل في عصرنا هذا
وإن ضاع عرفه فقد ضاع عرفه كما أنه وإن زاد ضعفه فقد زاد ضعفه
لفساد أمره وكساد سعره وهبوط نجمه وسقوط رسمه وحط
حظه وقلة عناية أهله بحفظه آثرت أن آثر من مآثر
أهل العصر ما تخلّد آثارهم وتجدد منارهم فإني ألفيت أبكار
أفكارهم قد عنست وآرام شوارد همهم في خميلة الخمول كنست

الورقة ٢ آ من نسخة (المتحف البريطاني)


وعرائس نفائسهم عند الأكفاء ما عرست وبعد الوحشة ما
أنست والبواعث قلت بل عدمت والحوادث حلت بل عظمت
وكنت منذ شممت بارقة الأدب وركبت في استفادة العلم
متن الطلب وذلك وصبا الصبي في ريعان الصبوة لها مشتري ونسيم
وشباب الشباب الطري طري وأنا أحب أن أجمع محاسن من نجا
شاعر الدهر المتنبي وأظهر من ابن من غفل عن التحلي مزاياهم
الزمان الذي وكنت مطالعت كتابي يتيمة الدهر ودمية
القصر الثعالبي والباخرزي في محاسن أهل عصرهما الشعراء
وقد بلغا الجهد في إظهار اجتهاد البلغاء وما وجدت بعد ذلك من
عني بذلك كعنايتهما ولا من حدثت نفسه أنه يبلغ إلى غايتهما
فصنفت هذا الكتاب وله المنة وزينت هذا الوشي وفوّفته
وسميته خريدة القصر وجريدة العصر لأنها حسناء ذات حلى وحلل
غانية تغبطها على الحسن أقمار الكلل فهذا الكتاب
كالروض الأنف تجمع أنواع الزهر وكالبحر تتضمن على نواصع
الدرر وكالدهر يأتي بعجائب العبر يشتمل على فنون وعيون
وأبكار المعاني وعون وأصناف فوائد وأصداف فرائد
وضروب ضرب وضروع أرب وظروف ظرف وحروف لطف

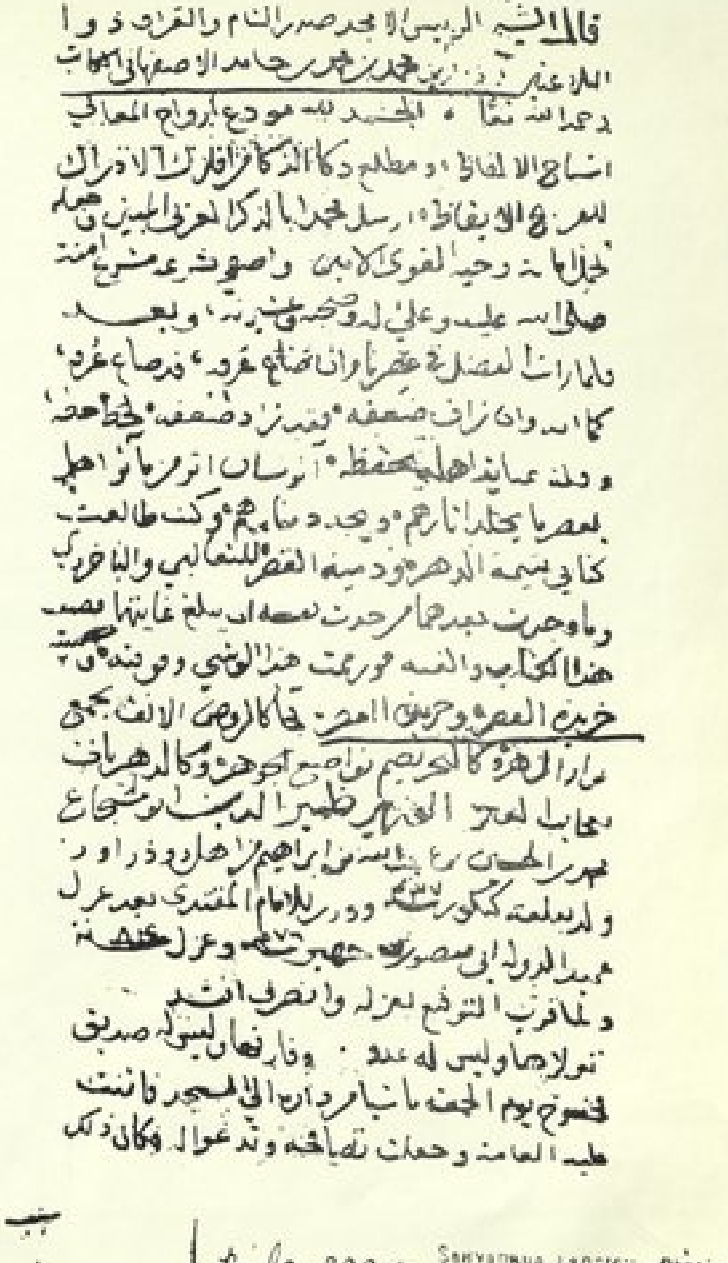
الورقة ٢ ب من نسخة (المتحف البريطاني)



الورقة ١ ب من نسخة (طهران)



الورقة ١ أ من نسخة (طهران)



الورقة ١ آ من نسخة (باريس)



الورقة ١ ب من نسخة (باريس)

خريدة القصر وجريدة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

* الحمد لله مُودِع أرواح المعاني أشباحَ الألفاظ، ومطلع ذُكاء الذَّكاء[1] من أفلاك الإدراك للقرائح الأيقاظ، ومظهر أسرار الحِكَم لأحداق الضمائر الناظرة، ومُنَوِّر أزهار الكَلِم في حدائق الخواطر الناضِرة، وحافظ نظام البلاغة في كلّ عصر، وحاصر أقسام البَراعة في نوعي نظم ونثر، الذي أفاض على الأفاضل حُلَلَ الكَرامة، وخصّهم لخصائصهم بالفخار والفَخامة، وأرسل محمداً — صلوات الله عليه — بالفصاحة المعجزة في البيان، والحكمة الواضحة البرهان، وأنزل عليه الذِّكر العربيَّ المبين، وجعله لحمل أمانة وحيه القويَّ الأمين، وأيَّده بذوي الفضائل الغُرّ، والفواضل الغُزْر، من آله[2] وصحابته؛ وعين أهل العلم لوراثته، وأصفى بشرعه مَشْرَعَ أُمَّتِه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعِتْرَتِه[3].

أمّا بعدُ[4]، فإنّني لمّا رأيتُ الفضل في عصرنا هذا، وإن ضاعَ[5] عَرْفُه، قد ضاع

(*) جاء في أول ط، وقد بدئت بغير «بسملة»:

«قال الشيخ الامام العالم الفاضل، الرئيس الأوحد الأمجد، صدر الشام والعراق، ذو البلاغتين، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني الكاتب، رحمه الله تعالى.»

(١) ذكاء الأولى (بالضم غير مصروفة): الشمس. والذكاء الثانية (بالفتح): سرعة الفطنة.

(٢) «آله»: لم ترد في ط.

(٣) ط: «وعشيرته». وعترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون.

(٤) ط: «وبعد».

(٥) ضاع المسك يضوع: فاح. العرف (بفتح العين): الريح طيبة أو منتنة، وأكثر استعماله في الطيبة، وإياها عنى المؤلف.

عُرفُه[1] كما أنه ، وإن زان ضَعفُه[2] ، فقد زاد ضَعفه[3] ، لفساد أمره ، وكساد سعره ، وهُبوط نَجمه ، وسقوط رسمه ، وحطّ حظّه ، وقلة عناية أهله بحفظه ، آثرتُ أن آثُرَ[4] من مآثر أهل العصر ما يُخلّد آثارهم ، ويجدّد منارهم ، فانني ألفيتُ[5] أبكار أفكارهم قد عَنست[6] ، وآرام شواردهم في خميلة الخمول كنست[7] ، وعرائس نفائسهم عند الأكفاء ما عرست ، وبعدَ الوحشة ما أنست ، والبواعث قلّت بل عدمت ، والحوادث جلّت بل عَظُمت ، وكنتُ منذ شِمْتُ بارقة الأدب[8] ، وركبتُ في استفادة العلم صَهوة الطلب[9] ، ذاكَ وصَبا الصِبا[10] في رَيْعان الهبوب[11] لها مَسرى ومَسير[12] ، وشبا الشباب الطري

---

(١) ضاع الشيء يضيع ضياعا : هلك . العرف (بضم العين) : ضد النكر ، يقال : أولاه عرفاً ، أي معروفاً .

(٢) الضعف (بالفتح فالسكون) : واحدة الأضعاف ، وهي من الجسد أعضاؤه أو عظامه ، أو هي العظام فوقها لحم . والضعف (محركة) : الثياب المضعفة ، وقد أراد المؤلف بضعف الفضل مظهره .

(٣) الضعف (بفتح الضاد وضمها) : ضد القوة .

(٤) آثرت : فضلت . آثر : أنقل ، يقال : أثر الحديث ذكره عن غيره ، فهو آثر ، وبابه نصر ، ومنه : « حديث مأثور » أي ينقله خلف عن سلف .

(٥) ط : « فالفيت » .

(٦) عنست الجارية : اذا طال مكثها في منزل أهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ، هذا اذا لم تزوج ، فان تزوجت مرة فلا يقال عنست .

(٧) الآرام : الظباء البيض الخالصة البياض ، واحدها رئم . شواردهم : سوائرهم في البلاد ، تشرد كما تشرد الابل ، فهي من المجاز . كنست : كنس الظبي : دخل في كناسه ، وهو موضعه في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٨) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر ، وشام مخايل الشيء : تطلع نحوها ببصره منتظراً له ، وبابها (باع) .

(٩) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس .

(١٠) الصبا (الأولى) بالفتح : ريح ، ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ، مؤنثة ، ومقابلتها الدبور . والصبا (الثانية) بالكسر : الصغر .

(١١) ريعان كل شيء : أفضله وأوله ، كريعان الشباب .

(١٢) المسرى : سير الليل كله ، يقال : سرى الرجل يسري سرى ومسرى اذا سار الليل كله . والمسير :=

طَرِير [1] ، وأنا أحبُّ أن أجمع محاسن مَنْ محا سَنامَ الدهرُ المسيء ، وأُظْهِرَ مزايِن من غفل عن التحلّي بمزاياهم الزمان البذيء [2] ، وكنت قد طالعت كتابي (يتيمة الدهر) و (دمية القصر) للثعالبيّ [3] والباخـرْزيّ [4] في محاسن أهل عصريهما الشعراء ، وقد بلغا الجهد في إظهار اجتهاد البلغاء ، وما وجدت بعد ذلك مَنْ عُنِيَ بذلك كعنايتهما ، ولا مَنْ حدّثَ نفسه أنّه يبلغ الى غايتهما ، فصنّفت هذا الكتاب وألّفته ، ورَقَمْتُ [5] هذا الوشي [6]

= السير ، يقال : بارك الله في مسيرك ، أي في سيرك . يريد أن صبا صباه دائمة الهبوب ليلا ونهاراً ، يصف ريعان شبابه بالقوة والقوة والنشاط . ورواية ط : « مري ومير » ، ولها وجه ، غير أنها لا يتأتى بها تحقيق السجع الذي التزمه المؤلف ، اذ تنبو حركة « مير » عن حركة « طرير » . والمري : مصدر مارت الريح السحاب اذا استدرته ، والمير : مصدر مار عياله يميرهم اذا أتاهم بميرة ، والطعام ، ومنه قولهم : « ما عنده خير ولا مير » أي لا عاجل ولا آجل .

(١) الشبا : جمع شباة ، وشباة كل شيء حد طرفه . الطرير : المطرور ، أي المحدد .

(٢) ط : « الندي » ، وليست بشيء .

(٣) الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (٣٥٠-٤٢٩هـ) ، و « الثعالبي » نسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء ، وقيل رفاء ، وهو من أعيان المؤلفين ومن كبار الكتاب المترسلين في زمانه ، وله أشعار كثيرة مليحة . ومن مؤلفاته : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها ، وفقه اللغة وسر العربية ، والاعجاز والايجاز ، وخاص الخاص ، ولطائف المعارف ، وسحر البلاغة ، وثمار القلوب ، وغيرها . وقد عدد مؤلف « تأريخ آداب اللغة العربية » منها ستة وثلاثين كتاباً أكثرها مطبوع معروف . (وترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٩١ ، والبداية والنهاية ١٣/٤٤ ، وطبقات الأدباء ٣٦٠ ، وتأريخ آداب اللغة العربية ٢/٢٧٦ و ٢٨٤ الى ٢٨٧) .

(٤) الباخرزي : علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب ، ونسبته الى باخرز ناحية من نواحي نيسابور . اشتغل في شبابه بالفقه على مذهب الامام الشافعي ، وسمع الحديث ، ثم أخذ في الأدب واختلف الى ديوان الرسـائل ، وارتفعت به الأحوال وانخفضت ، وغلب أدبه على فقهه فاشتهر بالأدب والشعر ، وصنف كتاب « دمية القصر وعصرة أهل العصر » وهو ذيل « يتيمة الدهر » التي للثعالبي ، وجمع فيها خلقا كثيراً ، وديوان شعره مجلد كبير ، قال ابن خلكان : والغالب عليه الجودة . وقتل في مجلس أنس بباخرز في ذي القعدة سنة ٤٦٧هـ وذهب دمه هدراً . (وترجمته في خريدة القصر ، وطبقات الشافعية ٣/٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ١/٣٦٠ ، ومعجم الأدباء ١٣/٣٣ الى ٤٨ ، والبداية والنهاية ١٢/١١٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ٣/٢٦٣ .

(٥) رقت : كتبت . وهو في ط ، ب : « ورسمت » ، ولا معنى له هنا .

(٦) الوشي : النقش والنمنمة .

وفوّفته[١]، وسمّيته (خَريدة القصر وجريدة العصر[٢])، لأنّها حسناء ذات حُلِيٍ وحُلَل، غانيـة تغبطها[٣] على الحسن أقار الكِلَل . فهذا الكتـاب كالروض الأُنُف[٤] يجمع أنواع الزَّهَر، وكالبحر تضمنَ[٥] على نواصع الدُرَر[٦]، وكالدهر يأتي بعجائب العبر، يشتمل على فنون وعيون، وأبكارٍ للمعاني وعُون[٧]، وأصناف فوائد، وأصداف فرائد، وضروب ضَرَب[٨]، وضروع أدَب، وظروف ظَرْف[٩]، وحروف لُطف، فكم [فيه][١٠] من يتيمة لتاج قدره، وكريمة في خِدْره، ودمية لِوَدْقِه[١١]، وهلال لأفقه، ويتضمن من شريف الكلام وحُرِّه، وكُدَرِّيِّه[١٢] ودُرِّه، ولطيف القول وبديعه، وغريبه وصَنيعه[١٣]، ما اذا اجتليت أنواره، واجتنيت أثماره، ونظرتَ الى استقامة سَمْتِه، وسلامة نحته، وجدته محميّ الحريم بالصون، مَفْرِيّ الأديم[١٤] عليّ الحسن، منيعَ الجناب للعاكف[١٥]، حلوَ الجنى

---

(١) فوفته : وشيته . والفوف : ثيـاب رقاق من ثياب اليمن موشاة . وبرد مفوف : رقيق ، أو فيه خطوط بيض .

(٢) الخريـدة : البكر لم تمس ، أو الخفرة « الحيية » الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة . والجريدة : الصحيفة تكتب فيها الجوائب ، أي الأخبار الطارئة ، وهي مولدة بهذا المعنى .

(٣) ط : « يغبطها » .

(٤) أنف : لم يرعه أحد .

(٥) عدى المؤلف هذا الفعل بالحرف (على) ، وهو متعد بنفسه لا تعرف تعديته بالحرف ، وقد يعتذر عنه في تخريجه بأنه ضمنه معنى (اشتمل) فعداه بما يتعدى به هذا الفعل . وهو في ط : « يضم » .

(٦) ط : « الجوهر » .

(٧) عون : جمع عوان ، وهي النصف في سنها من كل شيء ، وهي هنا على سبيل المجاز .

(٨) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

(٩) ل : « وخروف » ، وهي تصحيف ظاهر .

(١٠) الزيادة من ط .

(١١) ط « ودمية لؤلؤية » وليست بشيء ، والأصل أنسب لمقتفى سجعات المؤلف .

(١٢) ل : « درته » ، وما أثبتناه من ط أنسب ، ويريد بدري الكلام فصيحه المتلألىء المشرق .

(١٣) الصنيع : الجيد النقي .

(١٤) مفري : مصلح .

(١٥) ل : « العاكف » ، والتصحيح من ط .

القاطف ، لا يطلب إذناً على أذن ، ولا يلتمس رهناً[1] من ذهن ، ولا يحتجب عنه قلب ، ولا يحتجز[2] معه لُب ، بل يعانق القلوب بقبوله معانقةً ، ويعالق الأرواح براحه معالقة .

وقد ذكرتُ أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي ، فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي ، والحاضر النامي[3] . وأكثر ما أوردته شعر من أروي عن واحد ، عنه ، إن لم يكن[4] أدركته وسمعته منه ، ولم أقتصر على المنتقى[5] المنتقد ، والمتنخَّل[6] المنتخَب[7] ، بل ذكرت لكل شاعر ما وقع اليَّ من شعره ، وأثبتُّه : إمّا لمعنى غريب ، أو لفظٍ مستحسن ، أو أسلوبٍ رائق ، أو حديثٍ بحالٍ[8] من الأحوال لائقٍ ، وطلبت الاستكثار من الفوائد[9] ، وضممت الشذور الى الفرائد[10] .

والذي بعثني أولاً على جمع هذا الكتاب أني وجدت المعاصرين لعمي الصدرِ الشهيد عزيزِ الدين[11] أبي نصرٍ أحمدَ بنِ حامدٍ من الشعراء ما فيهم الاّ من أمّ قصده ، وطلب

---

(١) ط : « اهناً » ، وليست بشيء .

(٢) يحتجز : يتحجر .

(٣) ط : « الباقي » .

(٤) ط : « ان لم أكن » .

(٥) ل : « المستنقى » ، وما أثبتناه عن ط أنسب .

(٦) ط : « المتنخل » ؛ وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « المستنخب » ؛ والتصحيح من ط .

(٨) ط : « حال » وهي محرفة ، لأنه أراد أن يقول : « أو حديث لائق بحال من الأحوال » ، فعدل الى التقديم والتأخير ، لاقتضاء السجع له .

(٩) ط : « القول » ؛ والسجع يقتضي الأصل .

(١٠) الشذور : في (القاموس) الشذر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا اذابة ؛ أو خرز يفصل بها النظم ؛ أو هو اللؤلؤ الصغار ، الواحدة بهاء . والفرائد : الجواهر النفيسة ، والدر اذا نظم وفصل بغيره .

(١١) ط : عز الدين ؛ والصواب الأصل ، وهو — كما في وفيات الأعيان (١/٦٠) : أبو نصر أحمد بن حامد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله (لفظة عجمية معناها بالعربية العقاب) الأصبهاني ، الملقب عزيز الدين المستوفي . كان رئيسا كبير القدر . ولي المناصب العلية ، في الدولة السلجوقية ، ولم =

وَوَفد عليه بمدحه[1]، واسترفَدَه من مِنَحِهِ ، وفاز عنده بنُجْحِهِ ، وأدركَ في ليل الأمل من الفوز ضوءَ صبحه ، وحمل اليه بضائع فضله فحصل من إفضاله بربحه ، وكلهم ممتدَحه ، ومستميحه ومستمنحه ، فأحببت أن أحيي ذكرهم ، وأقابل بمجازاة[2] شكري شكرهم .

وكانت للمدائح المجموعة في عمي العزيز[3] مجلدات ، غير أن العدوَّ لما نكبه ، نهبها ، وذهب بها وأذهبها ، لكنه لم يسلب الأصل والمحتِد ، ولم ينهب المجدَ والسؤدد . وقد كتبت منها بعض ما حصلته ، ومهدت به ذكره على قاعدة الخلود وأثلته .

وقد قسمت هذا الكتاب أقساماً :

القسم الأول : فضلاء بغداد ، وما يجري معها من البلاد

وابتدأت القسم الأول من العراق مزكى عرقي ، ومنشأ حقي ، وموطن أهلي ، ومجمع شملي . وهو الاقليم الأوسط ، والأُقْنُومُ[4] الأحوط ، وأهله الراسخونَ علوماً ، الباذخون حلوماً . وقدَّمتُ مدينة السلام[5] ، لأنها حَوْزَة الاسلام ، وبيضة مملكةَ الامام ، وتبركتُ بذكر من أدركته من الخلفاء ، ومن أدركه منهم والدي وأعمامي[6] ، الذين يشتمل هذا الكتاب على محاسن أيامهم ، ومزاين أجوادهم وكرامهم ، وذكرت من شعر كلِّ واحد منهم ما سمعته ، تفضيلاً لكتابي هذا على الكتب المصنفة في فنها ، ليربي بحسنه على حسنها ،

= يزل مقدما فيها ؛ قصده بنو الحاجات ، ومدحه الشعراء ، وأحسن جوائزهم . وكان في آخر أمره متولي الخزانة للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، ثم قبض عليه وسيره الى قلعة تكريت لسبب مذكور في الوفيات ، فحبسه بها ، ثم قتله بعد ذلك في أوائل سنة ٥٢٥ وفي الخريدة ٥٢٦هـ . وكانت مولده بأصبهان سنة ٤٧٢ هـ .

(١) ل : « ومدحه » ؛ وقد آثرنا رواية ط لموافقتها السجع الذي جرى عليه المؤلف .

(٢) ط : « بمجازاة » ؛ والباء لازمة .

(٣) « العزيز » : لم ترد في ط .

(٤) ل : « الأنوم » ؛ ط : « الأنيوم » ؛ وهو أشبه أن يكون تصحيف « الأقنوم » كما أثبتناه . والأقنوم : الأصل ؛ رومية .

(٥) بغداد .

(٦) ط : « ومن أدركه والدي منهم وأعمامي » .

فهو — باشراق أضواء ذكر « الإمام المستضيء بأمر الله[١] أمير المؤمنين أبي محمد الحسن ابن الإمام المستنجد » — مضيء المطالع مشرقها ، صافي الشرائع مغدقها .

المستضيء بأمر الله

والامام المستضيء واحد العصر نُبلاً ، وثاني البحر فضلاً ، وثالث العُمَرَين[٢] عدلاً ، بل ثالث القمرين[٣] أنواراً ، وثاني القَدَر[٤] أثراً وإيثاراً ، وواحد الزمان قَدْراً ومقداراً[٥] . وهو الثالث والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ذو الفضل والإفضال والنائل والسطوة والباس ، ترجى موهبته ، وتخشى هيبته[٦] ، وتدعى هبته[٧] ، ويُنادَى نداه فيجير ويجيب ، ويُجتدى جَداه فيصوب ويصيب . أما السماح فهو بدر سمائه الزاهر ، وأما الكرم فهو بحر عطائه الزاخر ، وأما الفضل فهو جامع شتاته ، ورافع راياته ، وواضع شرعه ، وشارع وضعه ، ومشرق آفاقه ، ومنفق[٨] أسواقه . قُسّ الفصاحة[٩] ، وقيس

---

(١) ط : « فهو باشراق الامام المستضيء بأمر الله » .

(٢) العمران : الخليفتان الراشدان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ؛ أو عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز (أنظر تاج العروس ٣/٤٢٣ ، وجنى الجنتين ٨١و١٢٥و١٤٦) ، وقد اقتصر الثعالبي في المضاف والمنسوب (ص٦٦) على الأول فقال : « هما أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) ؛ يضرب بسيرتهما المثل ، اذ لم يعهد مثلها بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) » . فالتثنية على هذا جارية على التغليب ، وعلى الرأي الاول حقيقية .

(٣) القمران : الشمس والقمر ، غلب لفظ القمر لخفته بالتذكير ، وان كانت الشمس أنور ؛ وهي أصل النور القمر (جنى الجنتين ١٢٦) .

(٤) القدر : القضاء والحكم ، وهو ما يقدر الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور .

(٥) القدر : الغنى واليسار ، والقدر : تدبير الأمور ، والقدر : الشرف والعظمة ، والمقدار : القوة .

(٦) ط : «هبته» ؛ والهبة (بكسر الهاء وتشديد الباء) : هياج الفحل ، ومضاء السيف في الضريبة وهزته .

(٧) « وتدعى هبته » : سقطت في ط .

(٨) منفق : مروج .

(٩) هو قس بن ساعدة الإيادي ، من خطباء العرب وحكمائهم في الجاهلية ، يضرب به المثل في الخطابة والبلاغة . كان يدين بالتوحيد ، ويأمر الناس بمجانبة الأوثان ، ويرشدهم الى عبادة الخالق . وقد سمعه النبي (صلى الله عليه وسلم) في سوق عكاظ يخطب على جمل أورق ، فراقه كلامه . وكان قس يفد على قيصر الروم فيكرمه . وتوفي قبيل البعثة . وقد اشتهر بخطبته التي سمعه النبي يخطبها في سوق عكاظ واعظاً ومذكراً ، اذ يقول فيها : « أيها الناس ! اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ... » . وهي تروى =

الحَصَافة (١) ، وصدّيق السماحة ، وفاروق الحماسة ، وعثمان الحلم ، وعليّ العلم (٢) . حُلَل الأيام مُعلَمَةٌ منه بطراز العدل ، وحَلَلُ الأنام مكرمة بإعزاز الفضل (٣) . وفي عصره للذهب تسنّت (٤) الفتوح الأبكار ، وجرت على الإيثار الآثار ، واستخلصت مصر من الأدعياء (٥) ، واليمن من الأعداء (٦) ، وملك بنو أيوب ، ومكن الله

= بصور تختلف طولاً وقصراً ، وتقديماً وتأخيراً . وقد قال العلامة العسقلاني في (الاصابة في تمييز الصحابة ٥/٢٨٦) : « أفرد بعض الرواة طريق حديث قس وفيه شعره وخطبته ، وهو في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » . أنظر (المجمل في تأريخ الأدب العربي للازري ١/٢٨) طبع مطبعة العراق ببغداد سنة ١٩٢٩م .

(١) هو قيس بن زهير بن جذيمة ، أمير بني عبس وداهيتها ، يضرب بدهائه المثل ، وكان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه ، وهو معدود في الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء ، ومن أقواله : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت » . (أنظر أمثال الميداني ١/١٨٤ وفرائد اللآل ١/٢٢٤ ، وشرح نهج البلاغة ٤/١٥٠ ، والكامل لابن الأثير ١/٢٣٤) .

(٢) شبه المؤلف الخليفة العباسي المستضيء بالخلفاء الأربعة الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزعم له ما تفرد به كل منهم من الخلال .

(٣) ط : « وجلل الأنام تكرمه بإعزاز الفضل » ، والتحريف في هذه الجملة ظاهر .

(٤) تسنت : فتحت وسهلت .

(٥) يريد بالأدعياء « العبيديين » الذين ظهروا بالمغرب في سنة ٢٩٦هـ ثم ملكوا افريقية ومصر والشام وغيرها ، وانتهى ملكهم على يد قاهر الصليبيين السلطان المجاهد صلاح الدين يوسف بن أيوب في المحرم سنة ٥٦٧هـ ، في عهد خلافة المستضيء بأمر الله العباسي .

وهم أبناء عبيدالله المهدي . ويدعون أنهم من نسل فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) ، والمؤرخون في ذلك على خلاف ، وهم بين مؤيد وطاعن ، والذين يصححون ذلك يروون صوراً مختلفة في نسبهم ويقولون : « فيه اختلاف كثير أيضاً » كما ترى ذلك في (الفخري) ، والطاعنون في نسبهم أكثر عدداً ومنهم المؤلف والمقريزي وابن خلكان . والله أعلم بصحة ما خفي وما ظهر .

أنظر (الكامل لابن الأثير ، والعبر لابن خلدون ، ووفيات الأعيان ١/٢٧٢ ، والبداية والنهاية ١٢/٢٧٣ و٢٧٤ ، وخطط الشام ١/٢٢٧ ، وفضائح الباطنية ، والمستظهري ، والقسطاس المستقيم : وهذه الثلاثة للغزالي ، والعواصم والقواصم لأبي بكر بن العربي) .

(٦) يشير الى فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي بلاد اليمن واقامة الخطبة فيها للخليفة العباسي المستضيء ، وكان قد تغلب فيها على زبيد رجل من الخوارج يقال له علي بن مهدي الحميري ، انتزعها من أيدي أهلها ، =

ليوسفهم[1] في الأرض ، وعادت مصر آهلة بالمقيمين وظائفَ السنّة والفرض .

ولمّا بويع له بالخلافة في تاسع ربيع الآخر[2] سنةَ ستٍّ وستين وخمس مئة ، كنت

= ومات سنة ٥٦٠ هـ ، وقيل غير ذلك ، فملكها بعده أخوه عبدالنبي بن مهدي ، ودعا الى نفسه وتسمى بالامام ، وزعم أنه سيملك الأرض كلها ، وكل منهما كان سيء السيرة والسريرة ، فسير اليه السلطان صلاح الدين في سنة ٥٦٩ هـ سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدين توران شاه بن أيوب ، فقاتله ، فهزمه وأسره واستولى على زبيد ، ثم توجه الى عـــدن فقاتله ياسر ملكها ، فهزمه وأسره واستولى على البلد والحصون والمعاقل والمخالف ، واستوسق له ملك اليمن بحذافيره ، وخطب للخليفة المستضيء ، وقتل عبد النبي ، وكتب الى أخيه يخبره بما فتح الله عليه (الكامل ١١/١٦٠ ، والبداية والنهاية ١٢/٢٧٣ و ٢٧٤ ، والعبر ٤/٢١٩) .

(١) بنو أيوب : هم الأيوبيون أبناء أيوب بن شاذي الملقب بالملك الأفضل نجم الدين . اتفق المؤرخون على أن أيوب وأهله من دوين بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج ، وأنهم أكراد روادية ، والروادية بطن من الهذبانية « الهذبانية » وهي قبيلة كبيرة من الأكراد . وقد رأى ابن خلكان مدرجاً رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرامي سلسل فيه نسب أيوب الى عدنان ، ورأى في تأريخ حلب لابن العديم بعد أن ذكر الاختلاف في نسبهم أن المعز اسماعيل بن سيف الاسلام بن أيوب ملك اليمن كان ادعى نسباً في بني أمية وادعى الخلافة ، وقال : وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك ، وقال : ليس لهذا أصل أصلا .

وقد كان لهذه الأسرة في الحروب الصليبية وطرد الصليبيين من ديار العروبة والاسلام أجل الأيادي الباهرة والأعمال المعجزة ، وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب واسطة عقدها ، وكانت ولادته في تكريت سنة ٥٣٢ هـ اذ كان أبوه يلي ولايتها . وقد ملكه الله الديار المصرية والبلاد الشامية والعراقية واليمنية ، وقضى على دولة العبيديين بمصر ، وقهر الصليبيين ، فكان الفاتح الثاني لبيت المقدس كما كان عمر بن الخطاب الفاتح الأول . وتوفي رضي الله عنه ليلة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ بعد أن ملأ الدنيا جهاداً وعدلا وصلاحاً ، وخلف سبعة عشر ولداً وبنتاً واحدة . واستمر الملك في الأيوبيين الى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري « وكان انقراضهم بيد المماليك البحرية الذين غذوا بنعمتهم فلم يعرفوا لهم بيض أياديهم ، وبيد السفاك هولاكو وجماعته من التتار » .

أنظر عن الأيوبيين وصلاح الدين (الكامل لابن الأثير ، ووفيات الأعيان ١/٨٤ الى ٨٦ و ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٣٧١ و ٣٩٦ و ٤٠٢ و ٢/٣٧٦ الى ٤٠٧ وغيرها من طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ ، والفتح القدسي في الفتح القدسي للعماد الأصبهاني ، والنوادر السلطانية لابن شداد ، وخطط الشام ٢/٤٧ الى ١٣٣) .

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢٦٢) : « بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر » .

بالموصل ، فعملت هذه الأبيات المهموزة ، ونفّذتها [1] اليه على يد الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون [2] ، فعاد إليّ بخلع منه سَنِيّة ، ودنانير أميرية ، وصيّرها الإمام رسماً في كلّ سنة ، والأبيات [3] هي [4] :

* قد أضاء الزمانُ بالمستضيء ... وارث البُرْد ، وابن عمّ النبيء (*)
جاءَ بالحقّ والشريعة والعد ... لِ ، فيا مرحباً بهذا المجيء !

---

(١) ل : « ونفذتها » بالدال المهملة ، والتصحيح من ط .

(٢) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو سعد عبدالله بن محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون ابن أبي السري ، التميمي الموصلي ، الفقيه الشافعي . كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره وممن سار ذكره وانتشر أمره . ولد سنة ٤٩٢ هـ بالموصل ، ورحل في طلب العلم الى بلدان شتى ، وأقام بسنجار مدة ، ثم انتقل الى حلب ، ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ودرس بجامعها ، وتقدم عنده ، وبنى له مدارس بحلب وحمص وحماة وبعلبك وغيرها ، وبنى هو لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بدمشق ، وتولى أوقاف المساجد ، وتولى القضاء بسنجار وحران ونصيبين وغيرها ، ثم تولى قضاء القضاة بدمشق ، وأضرّ آخر عمره وهو قاض ، فصنف جزءاً في قضاء الأعمى وجوازه ، وتوفي سنة ٥٨٥ هـ بدمشق ودفن في مدرسته . وله تآليف في الفقه . (وقد ذكره العماد في هذا الكتاب (الخريدة) وأورد له أشعاراً كثيرة ، وابن عساكر في تأريخه ، وابن خلكان في الوفيات ١/٢٥٥ ، وابن كثير في البداية والنهاية ١٢/٢٦٣ و ٣٣٣ ، والصفدي في نكت الهميان في نكت العميان ١٨٥) .

(٣) ل : « فالأبيات » ، وما أثبتناه من ط .

(٤) في هامش ل : « هذه الأبيات من العروض الأولى من الخفيف ، وهي الضرب الأول منه . القافية متواتر ، وهو متحرك بين ساكنين » .

(*) أورد ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢٦٢) أربعة أبيات منها : الأول ، والثاني ، والسادس ، والثالث عشر .

(٥) عم النبي : العباس بن عبدالمطلب جد الخلفاء العباسيين . والبرد : يريد به بردة النبي (صلى الله عليه وسلم) التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب . وقد كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) بردتان : بردة كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها معاوية منه أو من ورثته ، وأخرى كان أعطاها أهل أيلة أماناً لهم ، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أوفى ، وكان عاملاً عليهم من قبل مروان بن محمد ، فبعث بها اليه ، وكانت في خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقد اختلف المؤرخون في التي صارت منها لبني العباس (أنظر في ذلك : صبح الأعشى ٣/٢٧٣ ، وتأريخ الخلفاء للسيوطي ، وحاشية ابن هشام على بانت سعاد ، ومقالة الآثار النبوية لأحمد تيمور في مجلة « الهداية الاسلامية » المصرية م ١ ج ٨ سنة ١٣٤٨ هـ) .

رَتَعَ العالمون من عدله الشا ... مل في المرتع الهنيء المريء
ورعوا منه في مَرادٍ خصيبٍ ... لا وخيم ، ولا وبيل وبيء[1]
رقدوا بعد طول خوف مقضٍ ... في ذَرا الأمن والمهاد الوطيء[2]
فهنيئاً لأهل بغدادَ ، فازوا ... بعد بؤسٍ بكلّ عيش هنيء
سأوافي فِناءَهُ عن قريب ... مسرعاً كي أفوز غيرَ بطيء[3]
وأحلّي عيشي بجدّ جديد ... وأهنّي فضلي بحظّ طري
وتُريني الأيام نقداً من الآ ... مال ما كان قبله في النسيء[4]
وأماني سوف يظهر منها ... عند قصدي ذَراه كلُّ خبي
عاد حظّي من النحوس بريئاً ... وغدا السعد منه غير بري
ولقيتُ الدّهرَ العبوسَ وقد عا ... دَ بوجهٍ طَلْقٍ إليّ وضيء
ومُضيء إن كان في الزمن المُظـ ... ـلم فالعود في الزمان المُضيء

ثم مدحته بعد ذلك بقصائد .

ولما خُطِبَ له بمصرَ[5] سنة سبع وستين [في أيام الوزير عضد الدين][6] ، كتبت

---

(١) المراد (بفتح الميم) : المكان الذي يذهب فيه ويجاء . الخصيب : الخصب ، ضد الجديب والجدب .

(٢) مقض : أقض عليه المضجع : تترب وخشن ، وأقض الله عليه المضجع ، يتعدى ويلزم . الذرا (بالفتح) : كل ما استترت به ، يقال : أنا في ظل فلان وفي ذراه ، أي في كنفه وستره ودفئه .

(٣) فناء الدار : ما امتد من جوانبها .

(٤) النسيء : المنسوء ، وهو المؤخر .

(٥) أنظر تفصيل حادث الخطبة للمستضيء وقطعها عن العاضد آخر خلفاء العبيديين الفاطميين بمصر في الكامل لابن الأثير ١١/١٤٨ ، ووفيات الأعيان ٢/٣٨٣، والبداية والنهاية ١٢/٢٦٤ و٢٦٥، وتاريخ أبي الفداء ، « وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة ٣٥٩ هـ في خلافة المطيع العباسي حين استولى الفاطميون على مصر أيام المعز باني القاهرة الى سنة ٥٦٧ هـ ، وذلك مئتا سنة وثماني سنين . قال ابن الجوزي : وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته (النصر على مصر) » . البداية والنهاية ١٢/٢٦٤ .

(٦) الزيادة من ط . وهو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس =

إليه قصيدة ، أولها :

قــد خطبنا للمستضيء بمصرٍ　　　وارثِ المصطفى[1] إمامِ العصرِ[2]

وخذلنا لنصره[3] العَضُدَ العا　　　ضدَ والقاصرَ الذي بالقصرِ[4]

قصدت بـ « العضد العاضد » المجانسة ، ونصرة[5] وزير الخليفة كنصرته .

وأشعنا بها شعارَ بني العـ　　　ـباس فاستبشرتْ وجوهُ النصرِ

ووضعنا للمستضيء بأمر الـ　　　ـله عن أوليائه كلَّ إصْرِ[6]

= الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة . كان أستاذ الدار في أيام المستنجد . فلما مات المستنجد مخنوقاً في ٥٦٦هـ استولى عضد الدين ونهض في اخراج المستضيء من الحبس ومبايعته واخلافه ، فاستوزره المستضيء ، وما زال أمره يجري على السداد حتى عزله وقبض عليه سنة ٥٦٧هـ ، ألزمه بذلك قطب الدين قايماز فلم يمكنه مخالفته ، ثم أراد في سنة ٥٦٩هـ اعادته الى الوزارة فمنع منه ، وقتله أحد الباطنية في رابع ذي القعدة سنة ٥٧٣هـ . وهو من بيت مشهور بالرئاسة يعرفون قديماً ببيت الرفيل ، وستأتي في الباب الذي خصصه المؤلف بالوزراء والكتاب تراجم نفر من أولاده وبني عمه . وأخباره في (الكامل ١٤٦/١١ و ١٥١ و١٦٦ و ١٨٢ ، والفخري ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ الى ٢٨٦ من طبعة دار المعارف بمصر) .

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٩٦) : « نائب المصطفى » .

(٢) في هامش ل : « العروض الأولى (في الأصل « الأول ») من الخفيف ، سالم . والضرب الأول منه أيضاً على قول من أجاز التشعيث (في الأصل : « التسعيث ») فيه ، وهو مفعول . القافية متواتر » .

(٣) ط : « لنصرة » .

(٤) العاضد : آخر خلفاء العبيديين الفاطميين بمصر ، اسمه عبدالله ، ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ ابن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور أبي القائم بن المهدي أولهم . ولد سنة ٥٤٦ هـ ، وقام بعد الفائز سنة ٥٥٥ هـ ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة ، وزوجه بابنته ، وحجر عليه لصغره ، واستحوذ على الأمور والحاشية ، ثم طغى الصليبيون بالديار المصرية فاستغاث العاضد بالسلطان نور الدين ، فأنجده بالعساكر والأمراء ، وكان من جملتهم الأمير أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب ، ففتحوا مصر في سنة ٥٦٤ هـ ، وولى العاضد بأخرة صلاح الدين الوزارة بعد عمه أسد الدين ، فصار قصره يحكم فيه هو ونائبه قراقوش ، ثم قطع الخطبة عنه كما تقدم في (ص ١٣ رقم ٥) . وكانت وفاته سنة ٥٦٧ هـ . أنظر عن العاضد (وفيات الاعيان ٢٦٩/٦) ، وعنه وعن الفاطميين (البداية والنهاية ٢٦٤/١٢ الى ٢٦٨) .

(٥) ل : « ونصرة » ، وما أثبتناه من ط .

(٦) الإصر : الذنب والثقل . قال الله تعالى : « ويضع عنهم اصرهم » .

ومنها :

وجرى من نداه دِجْلَةُ بغدا ... دَ بشطر ، ونيلُ مصر بشطرِ[1]

وقد اهتز للهدى كلُّ عِطفٍ ... مثلما افترَّ بالمنى كلَّ ثغرِ

فبجدواه زائلٌ كلَّ فقرٍ ... وبنُعماه آهِلٌ كلَّ قفرِ

ونداءُ الهدى أزال من الأسـ ... ـماع ، في كلِّ خطةٍ ، كلَّ وَقْرِ[2]

نشكرُ اللهَ إذ أتمَّ لنا النصـ ... ـرَ ، ونرجو مزيدَ أهلِ الشكرِ

ونشرنا أعلامَنا السودَ[3] قهراً ... للعدى الزرق[4] ، بالمنايا الحمرِ[5]

خلفاءُ الهدى[6] سَراةُ بني العـ ... ـباس والطيّبونَ أهلُ الطهرِ

كشموس الضحى ، كمثل بدور الـ ... ـتمّ ، كالسحب ، كالنجوم الزهرِ[7]

---

(١) ط : « ... بشط ، ونيل مصر بسطر » ، والأصل هو الصحيح .

(٢) الوقر : الثقل في الأذن ، وقد حرف البيت في ط هكذا :

وبذا المهدي قد أزال من الأسـ ... ـماع في كل خطة كل وتر

(٣) كان السواد شعاراً لبني العباس ، فكانت راياتهم لذلك سوداً ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التأريخ « المسودة » بكسر الواو المشددة . والسبب في اتخاذهم السواد شعاراً ، مختلف فيه ، أنظره في صبح الأعشى (٣/٢٧٤ و٢٧٥) . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وذووهم والمنتصرون لهم يسمون « المبيضة » بكسر الياء المشددة . هذا هو المشهور . وقال القلقشندي في (صبح الأعشى ٣/٢٧٤) : « كان شعار بني أمية الخضرة ، ونقل عن صاحب حماة عن الملك السعيد اسماعيل أنه من ادعى الخلافة وأنه من بني أمية لبس الخضرة ، قال : « وهذا صريح أنه شعارهم » .

(٤) هم الشديدو العداوة ، وقال الشريشي في تفسير قول الحريري في المقامة الثالثة عشرة (١/٢١٩) « حتى رثى لي العدو الأزرق » : « أراد الروم ، وهم أعداء العرب » .

(٥) المنايا الحمر : القتل ، كناية عن سفك الدم ، وربما كنوا بالموت الأحمر عن الموت الشديد ، ومنه « الحسن أحمر » أي من أحب الحسن احتمل المشقة .

(٦) ط : « خلفاء المهدي » ، وهو تحريف .

(٧) التم : التمام . وأتم القمر : امتلأ فبهر ، فهو بدر تمام ، ويوصف به . الزهر : المتلألئة المشرقة .

وعلم الحبور ما تمّ من خطـ   ـبة خير[1] الخلائف ابن الحَبْرِ
مَهْبِطُ الوحي بيته منزل الذكـ   ـر بشفعٍ من المثاني و وِتْرِ[2]

ومنها :

ليس مُثري الرجال مَنْ ملكَ المـا   ـل ، ولكنما أخو اللبّ مُثْرِ
ولهذا لم ينتفع صاحب القصـ   ـر ، وقد شارف الدُّثورَ ، بدَثْرِ[3]

ومنها في مدح ا[4]

لسوى نظم مدحه أهجر النظـ   ـم ، فما مدحُ غيره غير هُجْرِ[5]
وأرتنا[6] له قلائدَ من مـ   ـنٍ ودِرٍ ، ليست بجيدٍ[7] ونَحْرِ
وبإنعامه تزايد شكري   وبتشريفه تضاعف فخري
كم ثراءٍ وقوةٍ وانشراحٍ   منه في راحتي وقلبي وصدري
وعليّ النُذُورُ في مثل ذا اليو   مِ ، وهذا يوم الوفاء بنذري[8]
واستهلّت بوارق الأنعم الغرّ   به في حَيا الأيادي الغُزْرِ[9]

---

(١) ط : « حبر » . والحبر : العالم ، أو الصالح .

(٢) الذكر : القرآن ، ومنه قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . المثاني : القرآن كله ، لاقتران آية الرحمة بآية العذاب كما في الصحاح ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني . . . » ، وقيل فيها غير ذلك . (أنظر تاج العروس في ثنى ٣/٦٠) . والشفع : الزوج . والوتر : الفرد .

(٣) الدثور : الدروس ، كالاندثار . والدثر : المال الكثير .

(٤) كذا في ل ، ولم ترد الجملة في ط .

(٥) الهجر : القبيح من الكلام .

(٦) ط : « ولدينا » .

(٧) ط : « لجيد » .

(٨) النذر : ما توجبه على نفسك من عبادة أو صدقة أو غير ذلك ، أو النذر ما كان وعداً على شرط ، فقولك : « علي ان شفى الله مريضي كذا » نذر ، وقولك : « علي أن أتصدق بدينار » ليس بنذر .

(٩) الحيا : المطر والخصب . والأيادي : جمع اليد ، وهي النعمة والاحسان تصطنعه . والغزر : جمع الغزير ، من الغزارة أي الكثرة .

دَمَشَ الحقُّ بعدَ طول عثارٍ   جَبرَ الحقَّ بعدَ وَهْنٍ وكسر
دام نصرُ الهدى بملك بني العـ   ـبّاس حتى يكونَ يوم الحشر

وهذه قصيدة طويلة جداً ، ولكنني اقتصرت[1] منها [على هذا القدر[2]] .

ومن قصائدي في مدحه[3] :

هل عائدٌ زمنُ الوصالِ المنقضي ؟   أم[4] عائدٌ لي في الصبابة ممرضي
لا أشتكي إلاّ الغرام فإنّهُ   بلوى عليَّ من السماء بها قُضي
يا لاح ! حالي في الهوى مشهورةٌ   حاولتَ تسليتي وأنت مُحرّضي
خفّضْ عليكَ[5] ، فما الملامُ بناجعٍ   فيمن يقولُ لكلِّ لاحٍ : خفّض !
كان التعرّضُ لي بنصحك نافعي   لو كان يمكن للسُّلوّ تعرُّضي
عرّضت وجدي للبلوّ[6] ، ومُتْعِبٌ   كتمانُ سرٍّ للوُشاة مُعرّض
أنفقتُ ذُخر الصبر من كلفي ، فهل   من واهبٍ للصبر أو من مُقرض ؟
أيبلُّ مُضنىً ، قلبُه مُتهدّفٌ   لسهام رامٍ للّواحظِ مُنْبضٍ[7]
شغفي بأغيدَ مُقبلٍ بوداده   لمحبّه ، ويصدّ صدّ المعرض

---

(١) ط : « اختصرت » .
(٢) هذه الزيادة منا ؛ لأن المقام يقتضيها .
(٣) مدح المستضيء .
(٤) ط : « أو » .
(٥) هون الأمر على نفسك .
(٦) ط : « للدموع » .
(٧) بل الرجل وأبل : اذا برأ . المضنى : الذي أثقله الضنى ؛ وهو المرض . متهدف : يقال أهدف الشيء واستهدف اذا انتصب فهو مهدف ومستهدف ؛ ولم نظفر في دواوين اللغة بفعل « تهدف » . الواحظ : في ط : « بالواحظ » . منبض : أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لترن .

شكوايَ من دَلٍّ يزيدُ مُحَبَّبٍ وضَنايَ من صدٍّ يدوم مُبغَّضِ
يا حبذا ماءُ العُذَيْبِ[1] وحبذا بنِطافه[2] الغُرِّ العذابِ تَمضمُضي !
كفّي على زمن الشباب ! فإنني بسوى التأسف عنه لم أتعوَّضِ
نُقِضَتْ عُهودُ الغانياتِ ، وإنها لولا انقضاءُ شبيبتي لم تَنقضِ
كان الصِّبا أضفى الثياب ، وإنما ذهبت نضارة عيشتي لمّا نُضي[3]
يا حسنَ أيام الصِّبا ، وكأنها أيامُ مولانا الإمام (المستضِيء) !

وهذه القصيدة أيضاً طويلة .

الإمام المستنجد بالله أمير المؤمنين

المستنجد بالله

المستنجد بالله أبو المظفَّر يوسُفُ أمير المؤمنين ابن الإمام[4] المقتفي لأمر الله[5] أمير المؤمنين أبي عبدالله محمد بن المُستظهِر بالله أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين عبدالله بن الذخيرة محمد بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبدالله بن القادر بالله أمير المؤمنين أحمد بن وليّ العهد إسحاق بن أمير المؤمنين المُقتدر بالله أبي الفضل جعفر ابن أمير المؤمنين المُعتضِد بالله أبي العباس أحمد بن المُوفَّق بالله أبي أحمد طلحة بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن أمير المؤمنين الرشيد أبي جعفر هارون بن أمير المؤمنين المهدي أبي عبد الله محمد بن

---

(١) العذيب : تصغير العذب ، الماء الطيب ، وهو ماء بين القادسية والمغيثة ؛ وقيل : هو واد لبني تميم من منازل حاج الكوفة ، وقيل : هو حد السواد . قال ياقوت (معجم البلدان ٦/١٣١) : « وقد أكثر الشعراء في ذكرها » ؛ ونحسب العماد انما ذكر العذيب على سبيل المحاكاة للشعراء .

(٢) النطاف : جمع النطفة ؛ وهي الماء الصافي قل أو كثر .

(٣) نضي : خلع .

(٤) « الامام » : لم ترد في ط .

(٥) ل ، ط : « بأمر الله » ؛ وما أثبتناه هو الصواب .

[أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن [1]] عليّ بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه وعن آبائه ، الذي نَطَقَتْ بشرفه السُّوَر ، وأرَّخَت بفضيلته السِّيَر ، ووَضَحَتْ حُجول أيامه والغُرَر ، وتسنى في زمانه للإسلام الظَّفَر .

أما شرفه ، فهو أوضح من ذُكاء . وأما مناقبه ، فهي بعدد أنجم السماء .

بويع له بالخلافة يوم الأحد ، ثاني ربيع الأول ، سنة خمس وخمسين وخمس مئة * يوم وفاة المقتفي ، وتُوُفي تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مئة * .

وكان يحب الفضل وذويه ، ويستخدمهم [2] ، ويقرّبهم .

وله شعرٌ حسَنٌ ، فمن ذلك ما ذكره الوزير عَون الدين يحيى بن هُبَيرة [3] في كتاب صنّفه له يشرح أبياته ، ويقول : « وإنما غرض كتابنا هذا شرح أبيات سمح [4] بها خاطره ارتجالاً ، وأنا قائم بين يديه ، في شخص لا أعلمه في الحقيقة إلاّ هو :

تَسهُلُ التَّعَطُّفِ في الصواب دِرايةً ... بما له متوقّفٌ في ضِدِّهِ [5]

مُتأيِّدٌ في رأيه لسداده ... طلاّع أنجده [6] واري زنده

والسيفُ يَفري الهامَ من إفرِنْدِه ... لا ما يُقال : مَضاؤه في حدِّه [7]

---

(1) الزيادة من ط .

(*) ما بين النجمين ، لم يرد في ط .

(2) ط : « ويستخير منهم » .

(3) ترجم له المؤلف في باب الوزراء والكتاب ، (أنظر الفهرست) .

(4) ط : « سنح » .

(5) جاء في هامش ل ما نصه على علاته : « العروض الأول من الكامل سالمة . الضرب الأول من هذا العروض دخله الإضمار ، فصار « مستفعلن » . القافية متدارك » .

(6) ط : « أنجده » .

(7) يفري : يقطع . الهام : الرؤوس ، مفردها هامة . الافرند والفرند : السيف وجوهره . مضاؤه : نفاذه .

وكذا اللبيبُ يرى الصواب برأيه   لا يَستريب بقربه أو بُعدِه
وإذا الشجاعةُ يُسِّرَت لمُسدَّدٍ   حاز النُّهى من حزمه ومجدِه

وله [1] :

وباخلٍ أشعل في بيته   طرمذةً [2] منه لنا شمْعَه
فما جرت من عينها دمعة   حتى جرت من عينه دَمْعَه

ولأمير المؤمنين المستنجد بالله [3] :

* خاله حالٍ وحالي خالُه   شَجِيَ الصبُّ به والخال خال [4]

ومنها :

بانَ لما بانَ فيه يَقَقٌ   ونُصولُ الشيب قَلَّ في النِّصال [5]

ونظم شَرف الدين مظفر [6] بن الوزير ابن هُبيرة على وزنها قصيدة ، منها :

---

(١) جاء في هامش ل ما نصــه على علامته : « العروض الأول من السريع . مكشوف مطوي وهو « فاعلن » . الضرب الثاني منه أصلم وهو « فعلن » » .

(٢) الطرمذة : المفاخرة والتفجع ، وفيها كلام راجعه في تاج العروس في مادة (ط ر م ذ) .

(٣) « بالله » : لم ترد في ط .

(*) جاء في هامش ل : « العروض الأولى من الرمل محذوفة وهي « فاعلن » . الضرب الأول منه سالم وهو « فاعلاتن » . القافية متواتر » .

(٤) يصف شامة حبيبه بأنها حالية ، ويقول : انه قد شغله حباً فشجي به وشغل وغدا حاله كلون خاله أي شامته ، وليس كذلك الخال (وهو الفارغ من علاقة الحب) ، فانه خال قلبه مما به ، وويل للشجي من الخلي . هذا الذي يتبادر الى الذهن من ألفاظ هذا البيت المشتركة والمتجانسة . والذي في ط :

حــاله حالي وحالي حاله   شجي الصب به والخل خال

(٥) اليقق : شدة البياض . ونصول الشيب : زوال خضابه عنه ، ومنه : « لحية ناصل » . والقل : النزر . والنصال : جمع النصل ، وهو حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض . والبيت في ط موصول بالبيت الذي قبله .

(٦) ل : « ظفر » ، ط : « ظفر » ، وما أثبتناه من (وفيات الأعيان ١/٢٥١) . وقد ترجم له المؤلف في باب الوزراء والكتاب من هذا الكتاب ، (أنظر الفهرست) .

وبنو الأشراف[1] من تحملهم   عزّة السُّؤل على ذل السؤال

وللمُستنجد في عامل له كان يمنّ[2] بخدمته[3] :

يَمُنُّ ولا يَدري بأني عالمٌ   بأفعاله ، والمنّ بالمنّ يُوزَنُ
وفي القول تعريضٌ وفيه غباوةٌ   ولو لا تغابيه لقد كان يَفطِنُ

وهذه الأشعار أكتبها لشرف قائلها ، وقد قيل[4] :

وخيرُ الشعر أشرفه رجالاً   وشرُّ الشعر ما قال العبيدُ

على أنها قد أعجزت الشعراء ، وأعجبت البلغاء الفصحاء .

ويُنسب إلى الإمام[5] المستنجد شعرٌ[6] :

وقد تُنظر[7] الأشياء بالسمع إن جرت   موانع صدَّت عن تأمُّلِ ناظرِ

وله ، رضي الله عنه ، في وصف شمعة[8] :

وصفراء مثلي في القياس ودمعُها   سِجامٌ على الخدّين مثل دموعي

---

(١) ط : « الأشواق » .

(٢) ل : « يمت » ، وما أثبتناه من ط هو الصحيح ، كما يدل عليه البيت .

(٣) في هامش ل : « العروض الأولى من الطويل مقبوضة ، وهي مفاعلن . الضرب الأول من الطويل مقبوض كالعروض » .

(٤) البيت للفرزدق ، وكان سمع انشاد نصيب الشاعر ، وهو عبد أسود ، عند الخليفة الأموي سليمان ابن عبدالملك :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال الخليفة للفرزدق : كيف تراه ؟ فقال : هو أشعر أهل جلدته ! ثم قام وهو يقول : « وخير الشعر . . . » البيت .

(٥) ط : « للامام » .

(٦) « شعر » : لم ترد في ط .

(٧) ط : « تنظر » .

(٨) ط : « الشمعة » .

تذوبُ كما في الحبِّ ذبتُ صبابة   وتحوي حشاها ما تحوته ضلوعي

* * *

وقد تبرّكنا بذكر الخلفاء الراشدين ، الذين أدركتهم وأدركهم والدي وجدّي ؛ وأوّلهم :

القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله [١]

القائم بأمر الله

توفي — رضي الله عنه — في[٢] ليلة الخميس ثالث عشر شعبان[٣] سنة سبع وستين وأربع مئة . وكان بويع له بالخلافة يوم[٤] موت أبيه القادر ، يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين[٥] وعشرين وأربع مئة . وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً[٦] .

وكان وليّاً من الأولياء ، ولو جاز بَعثُ نبي لكان من الأنبياء ، وهو أزهد الخلفاء[٧] .

---

(١) ط : « القادر بأمر الله » ، والمشهور الأول .

(٢) « في » : لم ترد في ط .

(٣) في أخبار الدولة السلجوقية من كتاب زبدة التواريخ (ص ٦١) : « وفاة أمير المؤمنين القائم بأمر الله الثاني عشر من شعبان ... » .

(٤) ط : « بعد » .

(٥) ل ، ط « اثنين » .

(٦) في البداية والنهاية (١٢/١٣) : « مكث خليفة احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر » ، وليس بصحيح ، وهو يعارض ما أثبته المؤلف نفسه من سنة خلافته وسنة وفاته . وفي أخبار الدولة السلجوقية (ص ٦١) : « فكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً » .

(٧) هذه الجملة : « وهو أزهد الخلفاء » لم ترد في ط .

وله شعر، وقد ذكرته — وإن سبق عصره — تيمناً بذكره، وأورده السمعاني[1].

فمن ذلك قوله[2]:

القلبُ من خَمرِ التَّصابي منتشٍ ... مَن ذا مُعذِري[3] من شراب مُعطشِ؟
والنفسُ من بَرْحِ الهوى[4] مقتولةٌ ... ولكَمْ قتيلٍ في الهوى لم ينعشِ
جُمعت عليَّ من الغرام عجائبٌ ... خلَّفن قلبي في إسار موحشِ
خِلٌّ يصدُّ، وعاذلٌ مُتنصِّحٌ ... ومُعاندٌ يؤذي، ونمَّامٌ يَشي

وقوله سَنَةَ الغرق[5] وهي سنة ست وستين وأربع مئة:

---

(١) السمعاني: هو الفقيه الشافعي، الحافظ، المؤرخ، النسابة، تاج الاسلام أبو سعد، ويقال أبو سعيد، عبدالكريم بن محمد . . . السمعاني نسبة الى سمعان بطن من تميم. كان واسطة عقد البيت السمعاني، واليه انتهت رئاستهم. ولد في مرو، ورحل في طلب العلم والحديث الى شرق الأرض وغربها، ودخل بلاداً يطول ذكرها، ولقي العلماء، وأخذ عنهم، وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ. وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة، ومنها (الذيل على تاريخ بغداد) الذي صنفه الحافظ أبو بكر الخطيب كما سماه ابن كثير في البداية والنهاية، أو (تذييل تاريخ بغداد) كما سماه ابن خلكان في وفيات الأعيان، وهو نحو خمسة عشر مجلداً، وسيمر بك النقل عنه في هذا الكتاب. ومن مصنفاته: (تاريخ مرو) يزيد على عشرين مجلداً. و(الأنساب) نحو ثمان مجلدات. وكانت ولادة أبي سعيد بمرو سنة ٥٠٦ هـ ووفاته فيها سنة ٥٦٢ هـ. (وترجمته في وفيات الأعيان ١/٣٠١، والبداية والنهاية ١٢/١٧٥، والمنتظم ١٠/٢٢٤، وقد ذكره في وفيات سنة ٥٦٣ هـ).

(٢) جاء هنا في هامش ل ما نصه: «العروض الأولى من الكامل، دخلها الاضمار، فقلبت من «متفاعلن» الى «مستفعلن». والضرب الأول منه دخله الاضمار كالعروض. القافية متدارك مطلق».

(٣) المعذر: العاذر.

(٤) البرح: الشدة.

(٥) ط: «الغزو»، والأصل هو الصحيح، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٦ هـ (الكامل ١٠/٣٦): «في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الجانب الغربي من بغداد. وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة، وانفتح القورج عند المسناة المعزية، وجاء في الليل سيل عظيم، وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة، وجاء الماء الى المنازل من فوق، ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقي، وهلك خلق كثير تحت الهدم، وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق، وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب . . .».

يا أكرم الأكرمين العفو عن غرق	في السيئات له وردٌ وإصدارُ[١]
هانت عليـــه معاصيه التي عَظُمَت	علــماً بأنّك للعاصين غفّـار
فامنُنْ عليَّ ، وسامحني ، وخذ بيدي	يا مَن له العفو والجنّـات والنـار !

وقوله ، رضي الله عنه[٢] :

سقى ليلنـا بأعالي الرُّبا	من المزن هطّالةٌ تنسجم
سَهرنا على سنّة العاشقين	وقلنا لمـا يكره الله : نَمْ !
وما خيفتي من ظهور الورى	إذا كان ربُّ الورى قد علِم

وقوله ، وما أحسن التشبيه الذي اخترعه ! :

قالوا : الرحيل ! فأنشبتْ أظفارها	في خدّها وقد اعتلقْنَ خضابا
واخضرَّ تحت بنانها ، فكأنّها	غرستْ بأرض بنفسج عُنّابا

المقتـــدي بأمر الله

المقتـــدي بأمر الله

أمير المؤمنين بن الذخيرة أبي العباس محمد [بن القائم][٣]

بويع له بالخلافة [نهار][٤] ليلة وفاة القائم جدّه[٥] ، بين الظهر والعصر ، وله

---

(١) جاء هنا في هامش ل : « العروض الأولى من البسيط مخبونة ، وهي « فعلن » . والضرب الثـاني منها « فعلن » مقطوع » .

(٢) جاء هنا في هامش ل : « العروض الثانية من المتقارب . . . القافية متدارك مقيد » .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) الزيادة من ط ؛ والسياق يقتضيها ؛ وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من سنة ٤٦٧هـ (البداية والنهاية ١٢/١١١) ، ويوم الجمعة — على ما في الكامل (١٠/٣٥) — يوافق الرابع عشر من شعبان ؛ وفيه (١٠/٣٦) أن البيعة تمت قبل العصر ؛ قال : « فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر »]

(٥) قال ابن الأثير (الكامل ١٠/٣٦) : « ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه (أي المقتدي) ؛ فإن الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه . . . » .

تسع عشرة سنة[١] . وظهرت في أيامه خيرات كثيرة ، ومبرّات وافرة ، وآثار حسنة في البلدان القاصية والدانية ؛ وكما ذكر عن المتوكل[٢] وأيامه إنها كانت أحسن من الخصب [بعد الجدب][٣] ، والسلم بعد الحرب ، والأمن بعد الرعب .

توفي يوم السبت رابع عشر المحرم[٤] سنة سبع وثمانين وأربع مئة . ومدة خلافته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام[٥] . والدي ، رحمه الله ، ولد في زمانه[٦] .

ومن شعره ، الذي أورده السمعاني[٧] ، قوله[٨] :

أردت صفاء العيش معْ من أُحبُّهُ   فحاولني عمّا أريد مَريدُ[٩]

---

(١) في البداية والنهاية (١٢/١٢١) : « وقد كان المقتدي حين ولي الخلافة عمره عشرين سنة ؛ وهو في غاية الجمال خلقاً وخلقاً » .

(٢) هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد . ولد في شوال سنة ٢٠٦ هـ ، وولي الخلافة في ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ ، وقتل ليلة الخميس رابع شوال ٢٤٧ هـ ؛ وكان من أعاظم خلفاء بني العباس .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) في الكامل (١٠/٨٥) : « يوم السبت خامس عشر المحرم » ؛ ومثله في أخبار الدولة السلجوقية من كتاب زبدة التواريخ (ص ٧٥) ؛ وفي البداية والنهاية (١٢/١٤٦) : « يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم » ، وفي النبراس (ص ١٤٤) : « ... فسته شمس النهار القهرمانة ، فمات بعد ما تناول الطعام عشية يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم . . . » .

(٥) في الكامل (١٠/٨٥) : « وكان عمره ثماناً وثلاثين سنة وثمانيـــة أشهر وسبعة أيام ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين » ؛ وفي البداية والنهاية (١٢/١٤٦) : « وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان (كذا) شهور وتسعة أيام ، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان (كذا) شهور الا يومين » ؛ وفي النبراس (ص ١٤٤ و ١٤٥) : « فكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر الا يومين ، وقيل : وخمسة أشهر ؛ وعمره ثلاث وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام » .

(٦) ط : « والدي رحمة الله عليه ولد في أيامه » .

(٧) السمعاني : أنظر ترجمته في (ص ٢٣) من هذا الكتاب .

(٨) في هامش ل : « العروض الأولى من الطويل مقبوضة ، والضرب الثالث محذوف وهو فعولن . القافية متواتر مطلق مردف » .

(٩) في مفردات الراغب : « المريد : من شياطين الجن والانس ، المتعري من الخيرات » .

وما اختربت الشمل بعد اجتماعه ولكنه مما يريد أريد[1]

وقوله[2] :

أما والذي لو شاء غيّر ما بنا فأهوى بقوم في الثريا إلى الثرى

وبدّلنا[3] ، من ظلمة الجور بعد ما دجا ليلها ، صبحاً من العدل مسفرا

لئن نظرت عيني إلى وجه غيره فلا صافحت أجفانها لذّة الكرى

وإن تسع رجلي نحو غيرك ، أو سعت فلا أمنت من أن تزلّ وتعثرا

فوالله إنّي ذلك المخلص الذي عزيزٌ على الأيام أن يتغيرا

الإمام المُستظهِر بالله

المستظهر بالله

أبو العباس أحمد أمير المؤمنين بن المقتدي بأمر الله[4] . وكانت علامته : « القاهر الله[5] » .

بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم من سنة سبع وثمانين وأربع مئة . فإنّ المقتدي توفي يوم السبت[6] ، ولم تظهر وفاته إلى يوم الثلاثاء ، وصلّي عليه في هذا اليوم . وسن المستظهر يوم بيعته ست عشرة سنة[7] وشهران وتسعة وعشرون يوماً[8] ؛ لأن مولده كان يوم السبت العشرين من شوال سنة سبعين وأربعة مئة .

---

(١) ط : « ولكنه مما أريد يريد » .

(٢) في هامش ل : « العروض الأولى من الطويل ، والضرب منه مفاعلن . والقافية متدارك مطلق مجرد » .

(٣) ل : « ومدّلنا » ، والتصحيح من ط .

(٤) ط : « المقتدي بالله » .

(٥) ط : « القاهر بالله » .

(٦) راجع (ص ٢٤) .

(٧) ل : « ست عشر سنة » ، ط : « ستة عشر سنة » ، وكلاهما مخالف للقاعدة النحوية .

(٨) في الكامل (٨٦/١٠) ، والبداية والنهاية (١٤٦/١٢) : « ست عشرة سنة وشهران » .

وكانت أيامه مواسم للتهاني ، ومباسم مفترة عن ثنايا[1] الأماني ، وزمانه مُذْهَباً[2] ، وإحسانه للبأس مُذهِباً ، وشانه مهذّباً ، وهو أوضح وأشرح صدراً ومَذْهباً . وكان [عصره] عصر العدل والجود ، وإشراق السعود وإخفاق الحسود ، وأسواقُ الفضلاء نافقة ، وحظوظ الكرام لهم موافقة ، إلى أن قبضه الله حميدَ الأثر ، كريم الوِرد والصَّدَر ، وجميل السير[3] ، يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر[4] سنة اثنتي عشرة وخمس مئة . وكانت مدة خلافته خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام[5] .

ومن شعره ، الذي أورده السمعاني[6] ، قوله رضي الله عنه :

أذاب حرُّ الجوى[7] في القلب ما جمدا ... يوماً مددتُ على رسم الوَداع يدا[8]

فكيف[9] أسلكُ نَهجَ الاصطبار ، وقد ... أرى طرائقَ في مَهوى الهوى قِدَدا[10]

قد أخلفَ الوعدَ بدرٌ قد شُغِفتُ به ... من بَعد ما قد وفى دهري[11] بما وَعدا

---

(١) ط : « نيل » ، وليست بشيء .

(٢) وقال السيوطي في تأريخ الخلفاء (ص ٢٨٢) : « ... ولم تصف له الخلافة ، بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب » .

(٣) ط : « جميل السنن » ، والأصل أنسب بالمقام .

(٤) في الكامل (١٠/٢٠١) والبداية والنهاية (١٢/١٨٢) : « سادس عشر شهر ربيع الآخر » ، وفي النبراس (ص ١٤٥) : « وتوفي ليلة الأحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر » .

(٥) في الكامل (١٠/٢٠٢) : « وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً » . وفي النبراس (ص ١٤٥) : « أقام خمساً وعشرين سنة وأشهراً ، وقيل : أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً » .

(٦) مضت ترجمته في (ص ٢٣) .

(٧) في الكامل (١٠/٢٠٢) وتأريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٥) : « الهوى » .

(٨) في الكامل (١٠/٢٠٢) : « لما مددت الى رسم الوداع يدا » .

(٩) في الكامل : « وكيف » .

(١٠) في البداية والنهاية (١٢/١٤٧) : « أرى طرائق من يهوى الهوى قددا » .

(١١) في البداية والنهاية : « دهراً » .

إن كنتُ أنقض عهد الحبّ في خَلَدي ... من بعد هذا ، فلا عاينتُه أبدا !

وله مثال[1] إلى زين المُلك أبي سعد[2] هندو بن محمد ، نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم * لكَ — يا زين الملك — من شريف الأوقات ، ما يُزلفك[3] إلى الحسنى ، في العاقبة والأولى ، وما أبديته من خبايا الإخلاص ، فهو يقتضي عطايا الاختصاص ، والسكون إلى ولائك مُستدام ، يبقى على مرور الأيام ، والثقة بطاعتك مشتهرة عند الخاص والعام . ومع هذه الأسباب والأواخي[4] ، فما نقنع منك بالإغفال والتراخي ، والله يعلم[5] أنّ الشفقة على السيرة الغياثيّة[6] أمرٌ قد ظهر حكمه وتمّ ،

---

(١) المثال ، في اللغة : المقدار ، وهو من الشبه والمثل ما جعل مثالاً ، أي مقداراً لغيره يحذى عليه . والمثال : صفة الشيء ، وأطلقه المؤلف هنا على الكتاب الملكي ، واستعمله في كتابه « زبدة النصرة ونخبة العصرة » (اختصار البنداري ١٣٧) مرادفاً للتوقيع والارادة الملكية ، وذلك قوله عن الوزير أنو شروان : « قال أنو شروان : كنت أنا قد تخلفت في بغداد . . . فاجتمع هؤلاء القوم ، واقتسموا غيبتي ، وأخذوا بأخذي وتعويقي (توقيعاً) ، وشنعوا على عمي وعملوا شيئاً ، وكان مضمون (المثال السلطاني) أن الأمر المطاع أعلاه الله ... » . وورد في أخبار الدولة السلجوقية (ص ٢٠) بمعنى الارادة الملكية ، اذ جاء فيه : « . . . وحمل الوزير على حمار ، وردفه يهودي ، واليهودي يصفعه وينتف لحيته ويقول : وقع هذا المثـــال » .

(٢) ل : « أبي سعيد » ، والتصحيح من ط ومختصر زبدة النصرة ونخبة العصرة (ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٥) والكامل (١٠/١٨٦) . وهو زين الملك أبو سعد هندو بن محمد بن هندو القمي ، من مستوفي ديوان السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، قتله الأمير كامياز في سنة ٥٠٦ هـ بأمر هذا السلطان ، اذ كان يكثر الطعن عليه وعلى الخليفة .

(٣) أزلفه : قربه . والزلفة أو الزلفى : القربة والمنزلة .

(٤) الأواخي : جمع آخية ، وهي الحرمة والذمة .

(٥) « والله يعلم » : في ط : « واعلم » .

(٦) السيرة الغياثية : يريد بها سيرة السلطان غياث الدين أبي شجاع محمد طبر بن السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي . تولى السلطنة عنـــد وفاة أخيه السلطان ركن الدين أبي المظفر بركيارق بن ملكشاه في شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٥١١ هـ ، وهو والد : محمود ، وطغرل ، ومسعود ، وسليمانشاه ، وسلجوقشاه . تولى السلطنة كلهم الا سلجوقشاه . (وترجمته « في أخبار الدولة السلجوقية » من كتاب « زبدة التواريخ » ص ٧٩ الى ٨٤) .

وقد قيل : « نبّه لها عُمراً ثُمّ نَمْ »[1] . وفي هذه الإشارة مَقْنَع ، مع خلوص عقيدتك — يا زين الملك — وأنت أجدر بالمذاكرة بما يجمع بين الأجر والثواب ، وجميل الذكر المُستطاب ، والله عنده حسن الثواب[2] » .

المسترشد بالله

الإمام المُسترشد بالله

أبو منصور الفَضْلُ أمير المؤمنين بن المُستَظْهِر .

ومولدي في عصره . بويع له بالخلافة يوم وفاة والده ، واستشهد بالمَراغة[3] في سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مئة[4] ، فتكت به

---

(١) قائله بشار بن برد ؛ وصدره : « اذا أيقظتك حروب العدا » ؛ ويروى : « اذا دهمتك عظام الأمور » ؛ ويروى أيضاً : « اذا أوقدتك جسام الأمور » . والبيت من قصيدة بلغت في (مختار بشار ص ٧٧) ثلاثة عشر بيتاً يمدح بها عمر بن العلاء أحد رؤساء الأجناد في عهد المنصور ، فتح طبرستان وكان عالماً بها .

(٢) ط : « المآب » .

(٣) المراغة (وتجرد من أل) : بلدة مشهورة عظيمة ، أعظم بلاد أذربيجان وأشهرها . وكانت تدعى افرازهروذ ، وأطلق عليها أصحاب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم « قرية المراغة » ، ثم حذف الناس القرية وقالوا « مراغة » . وينسب اليها جماعة من الرحالة في طلب الحديث وجمعه ، وكان فيها أدباء وشعراء ومحدثون وفقهاء . (معجم البلدان ٨/٤) .

(٤) في الكامل (١١/١١) : « وكان قتله يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة على باب مراغة ، وبقي حتى دفنه أهل مراغة » ، وفي المنتظم (١٠/٤٩) : « يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة . . . الى أن دفن بمراغة » ؛ وفي مختصر البنداري لزبدة النصرة تأليف العماد (١٧٨) : « يوم الخميس الثامن عشر ذي القعدة » ؛ وفي البداية والنهاية (١٢/٢٠٨) : « يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة ، وحملت أعضاؤه الى بغداد » ، وفي أخبار الدولة السلجوقية (١٠٧) : « يوم الأحد رابع شهر ذي الحجة » ؛ وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٨٧) : « يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة » ، وفي الفخري (٢٧٠) : « هجم جماعة من الباطنية على المسترشد فضربوه بالسكاكين في مخيمه بقرية بينها وبين مراغة فرسخ واحد ... ثم قتل المسترشد على رؤوس العلماء والأمراء الى مراغة ، فدفن بها » قال : « وقبره الآن بها معروف تحت قبة حسنة ، رأيتها عند وصولي الى مراغة في سنة سبع وتسعين وست مئة » . فانظر الى هذه الاختلافات ! .

الملاحـــــدة [1] — خذلهم الله — ، فكانت [2] مدة خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً [3] . وعلامته : « الناصر الله » .

ومن شعره ما أُنشدتُ له ، وهو قوله [4] :

أنا الأشقر الموعود [5] بي في الملاحم [6]	ومَن يملك الدنيـا بغير مُزاحِم
ستبلغ أرض الروم خيـلي وتُنْـتضى	بأقصى بلاد الصين بيضُ صوارمي

---

(١) الملاحدة : يريد بهم الباطنية ، ويقال لهم الاسماعيلية . قال ابن الأثير (الكامل ١١٦/١٠) : « وهم الذين كانوا قديماً يسمون قرامطة » . راجع أخبارهم متفرقة في الكامل (١٥٩/٧ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ . و ٢٩/٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ . و ١٥/٩ ، ٢١ ، ١٩٥ . و ٧٦/١٠ ، ١١٦ — ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٩٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ . و ٨١/١١ ، ٩٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢ . و ٧٩/١٢ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٩٤) . قال ابن الطقطقي في الفخري (٢٦٧) عن هؤلاء الباطنية : « ... وما زال يستفحل أمرهم الى أن قصدت العساكر المغولية قلاعهم ، وفعلت بها ما فعلت » .

(٢) ط : « وكانت » .

(٣) في الكامل (١١/١١) ، والبداية والنهاية (٢٠٨/١٢) : « سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرون يوماً » .

(٤) « قوله » : لم ترد في ط .

(٥) في تاريخ الخلفاء (٢٨٧) : « المدعو » .

(٦) الملاحم : جمع ملحمة ، وهي في الأصل المعركة أو الموقعة ، ثم استعملت في الحوادث المستقبلة ، ثم في العقائد التي يتنبأ فيها عن خبر ما سيكون . وتدل رواية الكتاب على ادعاء الخليفة المسترشد المهدوية ، وللعباسيين أحاديث على نمط أحاديث المهدي المنتظر وأحاديث السفياني الأموي ، اذ كانوا يرون أن المهدي فيهم لا في شيعة علي ولا في بني أمية ، ومن هذه الأحاديث ما عزي الى ابن عباس أنه قال : « منا أهل البيت أربعة : منا السفاح ، ومنا المنذر ، ومنا المنصور ، ومنا المهدي » ، فقال له مجاهد : « بيّن لي هؤلاء الأربعة » فقال ابن عباس : « (وذكر أوصاف الثلاثة) ، ثم قال : « وأما المهدي ، فانه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . . . » .

وأما المعنى على رواية السيوطي في تاريخ الخلفاء (٢٨٧) ، فلا يزيد على ادعاء المسترشد الشجاعة واشتهاره بها في الملاحم أي المعارك والحروب . قال السيوطي : « وكان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، واقدام ، ورأي ، وهيبة شديدة . . . يباشر الحروب بنفسه . . . » .

وقـــوله :

ودونَ بغـــدادَ وما حوْلَها　　　خليفةٌ أشجعُ من عَنْـترِ (١)

وأورد السمعاني في المُـذيل (٢) قوله (٣) :

أقول لشَرْخ الشباب : اصطبرْ　　　فولّى ، وردَّ قضاء الوَطَرْ

فقلتُ : قنعتُ بهـــذا المشيـــب ، وإن زال غيمٌ فهذا مَطَرْ

فقال المشيبُ : أيبقى القُتار (٤)　　　على جمرةٍ ذاب منها الحَجَرْ ؟

وقوله :

قصدتُمْ حقوق الوُدّ ، ثم نأيتُمُ　　　فقلت : أراني الله يُمْنَ جوارِكمْ

ولي ساعدٌ يَمري (٥) ضُروعَ سعودكم　　　وزنْبَهاريٌّ (٦) بفصٍّ سوارِكمْ ؟

وكل نسيم هبَّ من عرَصاتكم　　　يُعطّر أوقاتي بعَرْف صُوارِكم (٧)

ذكرتُ بخير في البوادي نَوارَكم　　　وخيّم في سمعي ملامُ نَوارِكم (٨)

---

(١) عنتر : هو عنترة بن شداد ، فارس بني عبس ، وأحد أصحاب المعلقات .

(٢) مضى قولنا فيه في (ص ٢٣) ، وقد رأينا ابن خلكان يسميه أيضاً في مواضع أخرى « المذيل » تارة ، و « الذيل » تارة أخرى .

(٣) هذه الجملة في ط قبل البيت السابق .

(٤) القتار (بضم أوله) : الدخان من المطبوخ . وهي في ط : « الغبار » .

(٥) مرى الناقة يمريها : مسح ضرعها لتدر .

(٦) كذا في ل ، ط . وقد ضبطت « زنبهاري » في ل بتشديد الياء الأولى ، وفي ط بتشديدها وتشديد الثانية وإعرابها بتنوين الرفع . وقد أطلنا البحث عنها في مختلف المظان ، فلم نظفر بها ، فهل حرفها الناسخان ؟ وكان أصلها « وزند يماريني » على ما تقتضيه المجانسة بينها وبين قوله : « ولي ساعد يمري . . . » ؟ وإذا جاز ذلك ، فهل تكون كلمة « بفص » صوابها « بافض » بالضاد المعجمة المشددة ، ومعنى الفض الكسر ؟ تأمل !

(٧) العرف : الريح طيبة كانت أم منتنة ، وأكثر استعماله في الطيبة كما استعمل هنا . والصوار (بضم الصاد) : الرائحة الطيبة والقليل من المسك . الجمع : أصورة .

(٨) النوار (كسحاب) : المرأة النفور من الريبة . ونوار : اسم علم لامرأة .

الإمام الراشد بالله

أبو جعفر منصور بن المسترشد . تولى الخلافة بعد والده في سادس عشر ذي القعدة[1] سنة تسع وعشرين وخمس مئة . ثم خرج من دار الخلافة متوجّهاً إلى الموصل ، وخُلع ؛ وبويع الإمام المُقتفي لأمر الله[2] يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة سنة ثلاثين[3] ، فكانت[4] مدة ولايته سنة . الراشد بالله

ثم تنقل إلى ديار بكر وأذربيجان ومازَنْدَران[5] ، ثم إلى أصفهان ، وأقام على بابها مع السلطان داوود بن محمود[6] ، والبلدُ محاصَرٌ ، وهناك قَحْط عظيم ، وحُمر عَميم . أذكر ، ونحن أطفال ، وقد خرجنا من البلد وأقمنا بالرُّبط المبنية[7] عند المصلى بالقرب

---

(١) راجع ص (٢٩) .

(٢) ل ؛ ط : « بأمر الله » ؛ وما أثبتناه هو الأشهر . والمقتفي : هو أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله ، فهو عم الراشد . استمر في الخلافة الى أن توفي ثاني شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ . وستأتي ترجمته عقب هذه .

(٣) في المنتظم (١١/١٠) : « وكانت بيعة المقتفي العامة يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة » ؛ وفي البداية والنهاية (٢١٠/١٢) : « خلع (الراشد) في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة ؛ وبويع المقتفي بعد خلعه بيومين ؛ وخطب له على المنابر يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة » .

(٤) ط : « وكانت » .

(٥) ط : « وباذندران » ؛ وهو تحريف . ومازندران : اسم لولاية طبرستان . قال ياقوت (معجم البلدان ١٧/٦) : « وهذه البلاد مجاورة لجيلان وديلمان ؛ وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجيـــل » .

(٦) هو السلطان داوود بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي . تولى الملك في شوال سنة ٥٢٥ هـ بعد أبيه ؛ وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان ؛ ثم خطب له ببغداد سنة ٥٣٠ هـ ؛ وقطعت الخطبة عن عمه السلطان محمود ؛ وجرت له مع عمه هذا حروب ؛ ثم صالحه وزوجه ابنته وأقتعه بتبريز . وقتـــل في سنة ٥٣٨ هـ بأيدي الملاحدة بتبريز غيلة . وقيل غير ذلك . (أنظر زبدة النصرة « ١٩٥ ») .

(٧) « المبنية » : لم ترد في ط .

من زَنْدَرُوذ[١] ، والمعسكر قريب[٢] منا ، فسمعنا أصواتاً هائلة وقت القائلة من نهار يوم الثلاثاء سادس عشرين شهر رمضان[٣] سنة اثنتين[٤] وثلاثين ، فقيل لنا : إن الخليفة قد فتكت به الملاحدة[٥] — خذلهم الله —[٦] ، وخرج أهل أصفهان حافين حاسرين ، وشيَّعوا جنازته الى مدينة جَيّ[٧] ، ودفنوه — رضي الله عنه — بالجامع .

وكان له الحُسن اليوسُفيّ ، والكرم الحاتميّ بل الهاشميّ .

وقد أورد السمعاني[٨] في تاريخه هذه الأبيات منسوبة إليه :

زمانٌ قد اُستنَّتْ فِصالُ صُروفه وذلّ آساد الكرام مع القَرعى[٩]

---

(١) ط : « بقرب زندرود » . وهي في ل : « زندرود » ؛ وفي ط : « زندرود » ؛ والصواب ما أثبتناه . قال ياقوت (معجم البلدان ٤/٤١٠) : « زندروذ : نهر مشهور عند أصبهان ؛ عليه قرى ومزارع . وهو نهر عظيم أطيب مياه الأرض وأعذبها وأغذاها » .

(٢) ل ، ط : « قريباً » .

(٣) ط : « سادس عشرى » . وقد أيد المؤلف روايته هذه في كتابه زبدة النصرة (ص ١٨٠) . وفي الكامل (١١/٢٦) ؛ والبداية والنهاية (١٢/٢١٢) : « الخامس والعشرون » ؛ وفي المنتظم (١٠/٧٦) ؛ والنبراس (١٥٦) : « السابع والعشرون » ، وفي تاريخ الخلفاء — طبعة المنيرية — (٢٨٩) : « سادس عشر » ؛ وهو تحريف لرواية العماد ، لأن السيوطي ينقل عنه .

(٤) ل ، ط : « اثنين » .

(٥) راجع (ص ٣٠) من هذا الكتاب .

(٦) زيد في ط : « تعالى » .

(٧) جي (بالفتح وتشديد الياء) : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة ، وتسمى شهرستان . قال ياقوت (معجم البلدان ٣/١٩٣) : « وفي جي مشهد الراشد بن المسترشد معروف يزار . وهي على شاطىء نهر زندروذ » .

(٨) تقدمت ترجمته في (ص ٢٣) .

(٩) استن الفرس في مضماره : اذا جرى في نشاطه على سننه (بفتح السين) في جهة واحدة . والفصال : جمع الفصيل ، وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه ؛ وهي في ط : « نصال » محرفة . وصروف الزمان : نوائبه ، واحدها : صرف (بفتح الصاد) . والقرعى : من الفصال التي أصابها قرع ، وهو بثر ، واحدها : قريع ؛ مثل : مرضى ومريض . وفي البيت تلميح الى المثل : « استنت الفصال حتى القرعى » ؛ ويضرب — كما =

أكولته تشكو صُروفَ زمانها فليس[1] لها مأوى ، وليس لها مرعى

فيا قلب ، لا تأسفْ عليه ، فربّما ترى القومَ في أكناف آفاته صرعى

وكان قد استدعى والدي صَفيَّ الدين - رحمه الله - ليولّيه الوزارة ، فتعلّل عليه ، وكانت الخيرة فيه[2] .

الإمامُ المقتفي لأمر الله[3]

المقتفي لأمر الله

أمير المؤمنين أبو عبدالله محمد بن المستظهر . قد ذكرنا يوم بيعته[4] . ونشأتُ أنا في ظلِّ عاطفته ، وخُصصتُ بتشريفه وكرامته ، وتشرفت بخدمته ، وغرفت من بحر نعمته .

ولقد كان عارفاً بأقدار الرجال ، محباً[5] لأهل المروءة والتجمُّل والجمال ، فائض السجال ، سابغ الظلال لبني الآمال .

توفي يوم الأحد ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، فكانت[6] مـــدّة خلافته - رضوان الله عليه - أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً ، وكانت مدة عمره خمساً وستين[7] سنة وأحد عشر شهراً وثمانية أيام ؛ لأن مولده كان في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول[8] سنة تسع وثمانين وأربع مئة .

= في التاج (مادة سنن ٩/٢٤٢) — لرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم . وانظر فرائد اللآل (١/ ٢٨٠) ؛ والفع النواجم (مادة ترع) .

(١) ط : « وليس » .

(٢) ذكر المؤلف هذا بشيء من التفصيل في كتابه زبدة النصرة (ص ١٨١) .

(٣) ل ، ط : « بأمر الله » ، أنظر (ص ٣٢) من هذا الكتاب .

(٤) ذكرها في ترجمة الراشد بالله ؛ أنظر (ص ٣٢) .

(٥) ط : « مختاراً » ؛

(٦) ط : « وكانت » .

(٧) ل : « وعشرين » ، وهي في ط كما أثبتناها .

(٨) في الكامل (١١/١٠٣) : « وكان مولده ثاني عشر ربيع الآخر » .

وكان ذا علم وافر، وفضل باهر[1]، وعدل شامل، وإحسان كامل. وهو الذي أقام حرمة دار الخلافة، وأعاد رونقها، وحفظ رمقها، وقطع طمع الأعاجم عنها، وحكم بأسهم منها.

وله مكاتبات حسنة، وتوقيعات مستطرفة[2].

وذكرتُ ولده المستنجد بالله[3] أولاً ؛ لأنه أقرب عصراً، وأسير شعراً.

الأمير أبو الحسن علي بن المستظهر بالله

علي بن المستظهر بالله

توفي[4] في أيام أخيه [المسترشد بالله. ومما كتب به إلى أخيه[5]] حين خرج من الدار العزيزة، واتصل بملك العرب دُبَيْس بن صَدَقَة[6]، فلم يَرْعَ ذِمام قصده، وسلّمه إلى أخيه[7]:

فأشمتَّ أعدائي، وأوهنتَ جانبي وهِضْتَ[8] جناحاً ريشته يد الفخر[9]

---

(١) ط: «وكان ذا فضل وافر، وعلم باهر».

(٢) ط: «وله مكافات حسنة، وتوقفات مستطرفة»، والتحريف في الجملة ظاهر.

(٣) أنظر (١٨—٢٢).

(٤) قال ابن الأثير في الكامل (١٠/٢٥٥) في حوادث سنة ٥٢٥: «وفيها توفي الأمير أبو الحسن ابن المستظهر بالله، أخو المسترشد بالله، في رجب».

(٥) الزيادة من ط.

(٦) دبيس بن صدقة المزيدي: هو صاحب الحلة المزيدية، كان جواداً كريماً، عنده معرفة بالأدب والشعر. وتمكن في خلافة المسترشد، واستولى على كثير من بلاد العراق. وهو من بيت كبير. ونشبت الحروب بينه وبين الخليفة المسترشد، وطال أمدها. وانتهت بمقتل المسترشد غيلة على باب مراغة سنة ٥٢٩ هـ. وكان المدبر لها السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، وكان هو ودبيس بن صدقة مع الخليفة، فأراد أن تنسب القضية الى دبيس فدس له مملوكا ضرب رأسه بالسيف فأبانه، وأظهر بعد ذلك أنه انما فعل هذا انتقاماً منه للمسترشد، وكان ذلك بعد قتله بشهر. (الوفيات ١/١٧٧).

(٧) أنظر تفصيل الحادث في الكامل (١٠/٢٠٢).

(٨) هاض العظم يهيضه: كسره بعد الجبور.

(٩) ط: «يد الصبر».

وما أنتَ عندي بالملوم ، ولا الذي   له الذنب . هذا قَدْرُ حظّي من الدَّهر !

ولـه :

قد جدَّدَ الدهر في الوَرى مِحَنا   وأودع[1] الدهر في الحشا حَزَنا

لو كان شخص يموتُ من أسفٍ   على حبيب نأى[2] ، لكنتُ أنا !

*

* *

وصول المؤلف الى بغداد

وكان وصولي إلى بغداد في الأيام المقتفوية ، وفي ظِلّها للفشأ ، وفي[3] فضلها الربى ، وفي جوارها حصل الأمن ، ووصل المنّ ؛ وبخدمتها عُرفتُ ، وبنعمتها تَعرّفتُ ، وفي جَنابها حَلا الجنى ، وعَلا السنا .

مدائحه في المقتفي

وأول مَنْ مدحته من الخلفاء المقتفي ـ رضي الله عنه ـ . خدمتُه في سنة اثنتين[4] وخمسين وخمس مئة ، بقصيدة[5] عقيب انكشاف كربة الحصار برحيل محمد شاه عن بغداد[6] ، أولها :

أضحتْ ثغور النصر تبسم بالظفَرْ   وغدت خيول النصر واضحة الغُرَرْ

ومنها :

يا ابن السَّراة ذوي العُلى من هاشم   والأكرمينَ أُولي المناقب من مُضَرْ

---

(١) ط : « فأودع » .

(٢) ط : « مضى » .

(٣) ط : « ومن » .

(٤) ل ، ط : « اثنين » .

(٥) « بقصيدة » : لم ترد في ط ، والسياق يقتضيها .

(٦) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢٣٤) : « سبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل الى المقتفي يطلب منه أن يخطب له في بغداد ، فلم يجبه الى ذلك ؛ فسار من همذان الى بغداد ليحاصرها . . . وجاء السلطان محمد فحصر بغداد . . . واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك اذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همذان . فانشمر عن بغداد اليها في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين . . . »
وقد أطنب العماد في كتابه زبدة النصرة (٢٤٦ — ٢٥٥) في تفاصيل هذا الحصار .

متقـــلدي الذكر المنزّل فيهمُ — إن نازلوا بَدلاً عن العَضْب الذَّكر

أنت ابن عمّ المصطفى وسميُّـه — إبشر ! فإنّك بعده خير البشر ! ؟

من راحتيك المُزن في المَحْل[1] اجتـدى — وإلى سناك البـدرُ في الليـل افتقرْ

أدنى وليٍّ في رضـاك مُعظَّمٌ — وأجلُّ ذي مُلْكٍ بسخطك مُحتقَرْ

أضحى حمى الباغي رضاك ممنّـعاً — بين الورى ، وغدا دم الباغي هَدَرْ

لو كنتَ في زمن النبيّ لأُنزلتْ — في هـذه السِّيَرِ التي لَكم سُوَرْ

بكم الورى في نعمـة لا تنقضي — لا تنقضي ، والله ، نعمةُ من شكَرْ

في أنفس بكم تُقَرّْ ، وألسن — بكم تُقِرّْ ، وأعينٍ بكم تَقَرْ[2]

عاصيكمُ لم يقضِ إلا نحبَـه — من دهره ، ومطيعكم إلا الوَطَرْ

ومنها أصف ركوبه :

لما شفعتَ[3] العزمَ وهو مؤيَّدٌ — بالحزم ، أسفر بالعُلى منك السَّفَرْ

وبرزتَ مثلَ الشمسِ تُشرق للورى — وسَناك محجُبُ عنك ناظر مَنْ نظرْ

في شـيبةٍ مفطورة لله من — أنواره سبـحانه فيما فَطَرْ !

بيضاء يستسقى بها صوبُ الحيا[4] — وبأصلها ـ إذ أجدبوا ـ استسقى عمر[5]

---

(١) ط : « للجود » وليس بشيء .

(٢) تقر ـ الأولى ـ (بالبناء للمجهول) : تسكن . وتقر ـ الثانية ـ تعترف . وتقر ـ الثالثة ـ تبرد وترى ما هي مشوقة اليه . يقال : قرت عينه ، أي بردت سروراً وانقطع بكاؤها وجف دمعها .

(٣) ط : « شفقت » ؛ ومثلها في بعض نسخ كتابه زبدة النصرة . أنظر (ص ٢٩٠) طبعة هوتسما (M. Th. Houtsma)

(٤) صوب الحيا : نزول المطر .

(٥) استسقى : طلب السقي . وعمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان — كما في =

وكأنما تلك المِظلّةُ هـالة[1] وجه الإمام بضوء فيها كالقمر

ومنها في صفة الجيش :

لله جيشُ الخليفة قاده ربُّ الخليفة بالميامن والظَّفَرْ !

مَجْرٌ إذا جَرَّ القنا لا يرتضي وجه المَجرّة أن يكون لها مَجَر[2]

أشجار خطٍّ[3] إن تشاجرت العِدى أضحت لها هامات مُخيطهم[4] ثمر

فوق الجياد الجُرْدِ ما وردت وغى إلا وخيل عدوِّها عنها صَدَرْ

يتركن في الظمأ الزُّلال بصفوه ويَرِدْنَ في الروع الدماء على كَدَرْ

فالأرض ، وهي فسيحة ، ضاقت به وعلى العدى منه فما وجدوا مَقَرْ

قد أوقدوا ناراً ثم احترقوا بها وشرارهم متطاير بهم الشَّرَرْ

لما أتوا ما فيه خيرهُمُ أتوا ما فيهم بَشَرٌ نجا إلا بِشَرْ

ومنها :

هذي ـ أمير المؤمنين ـ قصيدةٌ غرّاءُ تقصِدُ قُبّةَ الملك الأغر

حسناءُ يهديها وليٌّ مخلصٌ لكم الولاء فأَوْلها حسن النظر

= صحيح البخاري — استسقى بالعباس بن عبد المطلب في عام جدب ، وقال : « اللهم ! انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا ، فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا ، فسقنا » . وفي المسألة تفصيل في أنظره في كتاب التوسل والوسيلة للامام ابن تيمية ، وفي غاية الأماني (٢/٢٧٦ الى ٢٨٣) .

(١) في زبدة النصرة للعماد (ص ٢٩٠) : « مظلة سوداء تحكي هالة » ، وأثبت محققه هوتسما Houtsma في الهامش رواية ثانية تطابق رواية الخريدة .

(٢) مجر : عظيم . والمجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر ، وانما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه طريق بيضاء مطوية . مجر : اسم مكان ، من جر الشيء : اذا جذبه نحوه .

(٣) الخط : مرفأ السفن بالبحرين ، واليه نسبت الرماح لأنها تباع به لا لأنه منبتها ، كما قالوا « مسك دارين » وليس هنالك مسك ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل المسك من الهند . (تاج العروس ٥/٢٣٠) .

(٤) كذا ، وفي ط : « مخطهم » ، ولم يظهر لنا وجهها ، فلعل الصواب : « مختطهم » ، والمختط من الشجر : ما أدرك ثمره .

صُوَرٌ تقومُ بها معانٍ منكمُ   إنّ المعانيَ ذاتُها للصُّوَرْ
دَقّتْ[1] لمعنى السحر ، إلا أنها   راقت ورقّت[2] مثل أنفاس السحَرْ
لما رأيتُ منارَ بيتك كعبةً   وافيت فيمن حجّ بيتك واعتمرْ[3]
وهجرتُ أوطاني إليه ، ومَن رأى   شرفًا له في أنْ يفارقها هَجَرْ
ونأيتُ عن قومي ، ليرفع دونهم   قدري اصطناعُك لي ، فجئت على قدَرْ

والقصيدة طويلة ، ولقصدها فضيلة ، وكانت[4] لي بها إلى إفضاله وسيلة .

ولاية المؤلف نيابة الوزير بواسط

ووَليتُ بعد ذلك الأعمال الجليلة ، ووليتُ بواسطَ[5] نيابة وزيره عون الدين بن هُبيرة[6] . فانحدر إليها الخليفة مع الوزير ، وأنا هناك في دَسْت التصدير ، فخرجت للاستقبال ، في أهبة الإعظام والإجلال . ولما نظرت إلى الموكب الشريف ، نزلت عن المركب المنيف ، وجئت أسعى معفرًا خدّ الضراعة ، موفرًا جدّ[7] الطاعة . فلما بصر بي[8] الإمام ، أمسك عِنانه فوقف ، واستوقف موكبه الشريف وشرّف ، وقال مُثنيًا : « هذا

(١) ط : « رمت » ، ولا معنى له هنا .

(٢) ط : « رقت وراقت » .

(٣) الاعتمار ، في الشرع : زيارة البيت الحرام بشروط مذكورة في الفقه ، وهو — في غير موضع العمرة — الزيارة ، يقال : اعتمر فلان ، فهو معتمر ، أي زار وقصد . (النهاية في غريب الحديث ٣/٨٤٤) .

(٤) ط : « كان » .

(٥) واسط : مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق ، شرع في تعميرها سنة ٨٣ هـ ، وفرغ منها في سنة ٨٦ هـ ، وقد نبغ فيها جماعة من الأدباء والشعراء ، وترجم المؤلف في هذا الكتاب لمن عاصر منهم . وللعرب — كما أخبر أبو الندى — سبعة أواسط ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٨/٣٧٨ الى ٣٨٧) .

(٦) ترجم له العماد في باب الوزراء والكتاب . (أنظر الفهرست) .

(٧) ط : « حد » بالحاء المهملة .

(٨) ل : « بصرني » ، وما أثبتناه من ط .

الذي له القصيدة التي من شأنها كذا وكذا ؟ » ، فقال له المُخْلِص [1] الكِيا الإمام [2] : « وهو الذي يقول في هذه المظلة الشريفة :

وكأنما تلك المظـــلّة هالة ... وجه الإمام يضيء فيها كالقمر »

فلم يبرح حتى وصى الوزير بي [3] ، وعرّفه بيتي ومَحْتِدي وحسبي ، وذلك في سنة أربع وخمسين [4] .

مدحه للمقتفي قبل ولايته واسط

ومدحته ، قبل أن أتولى واسطَ ، بقصيدة أخرى ، فيها [5] :

كن عاذري في حبهم ، لا عاذِلي ... يا فارغاً عن شُغل قلبي الشاغل

هَبْ أَنّ سمعي للنصيحة قابلٌ ... ما نافعي ، والقلبُ ليس بقابل ؟

أخفيتُ سِرّ الوَجْدِ خيفةَ عُذّلي ... فتعرّفوا من أدمعي وتخايلي

لم يقبلوا عـذر المحبّ ، وقابلوا ... حقّ الهوى من لومهم بالباطل

مالوا إلى وَصلي ، فحين وَصَلْتُهم ... مَلُّوا ، وليس يُمَلُّ غير الواصل

يا ناشـــداً يبغي فؤاداً ضائعاً ... يومَ النوى إثْرَ الخليط الزائل

---

(١) ط : « فقال ابن الكيا الامام » . وقد ذكره العماد في (زبدة النصرة) مرة باسم المخلص (ص ٢٩٢) ومرتين باسم مخلص الدين (٢٤٠ و ٢٩٠) . ونرى الصواب أن يقال : « المخلص بن الكيا الامام » .

(٢) الكيا : هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري ، المعروف بالكيا الهراسي ؛ الفقيه الشافعي ؛ ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣٢٧/١—٣٢٩) وذكر : أنه من أهل طبرستان ، وخرج الى نيسابور ، وتفقه على امام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة الى أن برع ، ثم خرج الى العراق وتولى تدريس « المدرسة النظامية » ببغداد الى أن توفي مستهل المحرم سنة ٥٠٤ هـ ؛ وكانت ولادته في ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ . قال : « ولا أعلم لأي معنى قيل له (الكيا) ، وهو بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف . والكيا : في اللغة العجمية ؛ هو الكبير القدر المقدم بين الناس » .

(٣) ط : « وصى بي الوزير » .

(٤) ذكر المؤلف هذه القصة في « زبدة النصرة » (ص ٢٩٠) بتفصيل أكثر .

(٥) ط : « منهـــا » .

أين الفؤاد ؟ أراحلٌ في إثرهم ؟ أم سائلٌ ما بين دمع[1] سائل ؟

* * *

وأغنَّ أغنى طرْفُهُ في سِحره ورُضابُه في سكره عن بابل[2]
مَن وجهُهُ حسنٌ وليس بمحسنٍ والقدُّ معتدلٌ وليس بعادل
متلوِّنٌ كمدامعي ، متعقِّفٌ كمآثري ، متعدِّدٌ كوسائلي
أنا في الضنى كالخصر منه أشتكي من جائرٍ ما يشتكي من جائل
يا قلبه القاسي ! تعلّمْ عطفةً وتمايلاً من عِطفه المتمايل
سقياً لوصل الغانيات وشربنا كأس الرُّضاب على غناء خلاخل[3]
بنواظرٍ قد خِلتُهنّ غوافلاً لفتورهنّ وهنّ غيرُ غوافل
وقدودُهنّ قدودُ سمرٍ رواعفٍ[4] وجفونُهنّ جفونُ بيضٍ مناصل
أيامَ لا عهدُ الوفاء بحائلٍ غدراً ، ولا أمٌّ[5] الصّفاء بحائل
أعقيلةَ الحيِّ اللَّقاحِ[6] ، ودونَها بيضٌ وسُمرٌ من ظُبىً وذوابل
بكّرتْ تلوم على لزوم مواطنٍ وَضَعُ الرّفيع بها ورفعُ الخامل

---

(١) ط : « ودمع » ، وهو تحريف .

(٢) بابل : من مدن العراق ، ينسب اليها السحر والخمر . وروى المفسرون في قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » عدة أقوال . وقال أبو معشر : « الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول » . وفي تحديد بابل اختلاف ، أنظره في « صورة الأرض » و « معجم البلدان » و « دائرة المعارف الاسلامية » .

(٣) ط : « حلاحل » ، وهو تصحيف .

(٤) ط : « أرانف » .

(٥) ط : « أمر » ، وليست بشيء ، اذ الحيالة يناسبها الأم لا الأمر . والحائل : هي الناقة حمل عليها فلم تلقح . والحائل ، في الشطر الأول : المتغير .

(٦) اللقاح (بفتح اللام) : الحيّ الذين لا يدينون للملوك .

طال التردّد في البـــلاد ، فلم أفز ... منها — على رغم العدوّ[1] — بطائلِ
أوَ ما رأيتَ البحر يغرَقُ دره ... ويخاض الأزباد نحو الســاحلِ ؟
مُضَرِيّةٌ عذلتْ على حبّ الندى ... من ليس يسمع فيه عذل العاذلِ
يا هذه ! لولا السماحة لم يَكُنْ ... ينميك[2] خيرُ عشائر وقبائلِ
عذفت في حبّ السماحة مُؤثِراً ... عُدْمَ الكريم على ثراء الباخلِ
أوَ هل يخاف العُدْمَ مَنْ وَجِد الغنى ... من جود مولانا الإمام العادلِ ؟
ولقد وردتُ فناء بحرِ الندى ... أغنى به عن أنهــرٍ وجداولِ
في كفّه للجــود خمسة أبحرٍ ... فيّاضةٍ ، تُدعى بخمس أناملِ
ممدود ظلّ العدل ليس بزائلٍ ... معمودُ رُكن المُلك ليس بمائلِ

ومنها في صفة الجيش :

وَعرَمرمٍ لَجِبٍ كمُنهالِ النَّقا ... مَجْرٍ[3] ومنهلّ السحاب الهاطِلِ
ستر الغزالةَ بالعجاجة مُطْلِعاً ... زُهر الأسنّة في سماء قساطلِ
فالشمسُ ما بين العجاج كأنّها ... بدرٌ تطلّع جُنحَ ليلٍ لائلِ
والنقعُ ينصل بالنصول خضابُهُ ... فكأنّه لونُ الشباب الناصلِ
والمُقرَباتُ بأنْسُرٍ وقــوائم ... تحكي قوادمَ أنْسُرٍ وأجادلِ[4]
في مأزقٍ لا يسمع الواغي[5] به ... إلا أنينَ صوارمٍ وصواهلِ
والجيش مَن ملك الجيوشَ برأيه ... في صائب ويجأشه في صـــائلِ

---

(١) ط : « العـــلاء » .
(٢) ط : « لم تكن تنميك » .
(٣) ط : « مجر » ، والأصل هو الصواب . والمجر : الجيش العظيم .
(٤) ط : « تحكي أقدم أنسر وأجاول » ، وهو تصحيف .
(٥) ط : « الواعي » .

هزم العدى ، قبل اللقاء ، برعبه فغدوا بأمرٍ في الشقاوة هايل[1]
طلبوا الفرار ولم يزل متكفلاً بهزيمة الرعديد بأسُ الباسل

ومنها :

أمطوِّقَ الأعناق من إفضاله نِعَماً تسامت عن سؤال السائل
ماذا أقول ، ولا يقوم بشكر ما توليه من نُعمى لسانُ القائل ؟
أو هل بلوغ مقاصدي بقصائدي ؟ أم هل قَبول وسائلي برسائلي ؟
أم قد كفى سبباً إلى درك المُنى صدقُ الوَلاء وحُسنُ ظنِّ الآمل ؟
الفخر كلُّ الفخر لِي[2] نظمي لكم مِدَحاً تَزِين[3] مشاهدي ومحافلي
لكنْ يقول الحاسدون : لِمَ أثنى غرّيدُ مدحِهِمُ بجيدِ عاطل ؟
وإذا حظيتُ من الإمام برتبة فيها الفخار على جميع الناس لي
لا زلت غيثَ مواهبٍ ، وبقيت غوْ ث[4] ممالكٍ ، وسلمت كهفَ أرامل !

* * *

مدائح المؤلف في المستنجد بعد استخلافه

ثم مدحت الإمام[5] المستنجد بالله بعد انتقال الخلافة إليه بقصائد مدةَ مُقامي بالعراق . فمن ذلك قصيدة ضاديّة أوردها الزاوية بالمركب الشريف في الديوان[6] آخر شهر رمضان سنة سبع وخمسين ، منها :

لقد بَسطَ الإحسانَ والعدلَ في الأرض إمامٌ بحكم الله في خلْقه يَقضي

---

(١) ط : « فغدوا بأمرٍ في الشقاوة هايل » .
(٢) ط : « في » .
(٣) ط : « يزين » .
(٤) ط : « عوث » .
(٥) « الإمام » : لم ترد في ط .
(٦) « في الديوان » : لم ترد في ط .

أفادَ المنايا والمنى ، فَوليُّه غدا المنى يَقضي ، وحاسِده يَقضي[1]

مَهيبٌ يُغَضُّ الطرف دون لقائه يَغُضُّ حياءً وهو في الحقِّ لا يُغْضي[2]

أفي يوسُفَ المستنجدِ الله قولُه[3] : « كذلك مكنّا ليوسُفَ في الأرض » ؟

ألا ، إنَّ أمراً ليس يُبرَمُ باسمه فإبرامه يُفضي سريعاً إلى النقض

وختمُ دوامِ المُلك فيه ، فليلتَقِ على مُلكه ختمٌ يجلُّ عن الفَضّ

لِسَيْبٍ[4] وسيفٍ كفُّه ، حالتي ندىً وبأسٍ ، فما تخلو من البسط والقبض

صرائمُه[5] في الحادثات صوارمٌ إذا نَبت الآراء عن كشفها تَمضي

بحزمٍ لأسرار المقادير مُقتضٍ وعزمٍ لأبكار الحوادث مُفتَضٍّ

إمامٌ له ما يُسخط الله مُسخطٌ وما غير ما يرضي الإلَه له مُرضٍ

لكَ النور موصولاً[6] بنور محمد أضاءَت به الأنساب عن شرفٍ محض[7]

وظِلّكَ في شرق البلاد وغربها مَديدٌ على طول البسيطة والعَرْض

أنمْتَ عباد الله أمناً ، فلم تدع عيونَ العدى رُعباً تكحَّلُ بالغمض

---

(١) يقضي (الأولى) : يفصل الأمر . ويقضي (الثانية) : يموت .

(٢) الغض : نقصان الطرف ، والاغضاء : مقاربة الانسان بين جفنيه حتى لا يبصر شيئاً .

(٣) أي قول الله تعالى في يوسف الصديق عليه السلام ، وهذه الجملة القرآنية وردت في آيتين في سورة يوسف ، الآية ٢١ : « وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته : أكرمي مثواه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا . وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، والآية ٥٦ : « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . وهذا التساؤل من الشاعر لتعظيم الخليفة الممدوح بنسبة ما نزل من الوحي على محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ في يوسف الصديق اليه ، في غاية البرود والغثاثة .

(٤) السيب : العطاء .

(٥) الصرائم : العزائم ، واحدها صريمة .

(٦) ط : « موصول » .

(٧) المحض : الخالص الذي لم يخالطه غيره .

فعهدُ الأعادي قالصُ الظلّ مُنقَضٍ ... ونجم الموالي طالعٌ غير منقَضِّ[1]
لقد فرضتْ منك النوافلُ شُكرها ... على الناس حتى قابلوا النّفل بالفرض[2]
وما الفرق بين الرُّشد والغيّ في الورى ... سوى حُبّكم في طاعة الله والبُغض
رفعتَ منارَ الدين عدلاً ، فأهلُه ... من العزّ في رفع وبالعيش في خفض
بخيلٍ كمثل العارضِ السّحّ كثرةً ... تضيق صدور البيدِ عنها لدى العَرْض[3]
معوّدة خوضَ النّجيع من العدى ... إذا انتجعته ألسنُ السُّمرِ بالوَخْض[4]
إذا حفِيت منها النّعال تنعّلت ... بهام عِدى رُضّت بها أيما رَضّ
حوافر خيلٍ ودّت الصِّيدُ أنها ... تكحّل منها بالغبار لدى النفض[5]
عوارضُكم نابت عن العارض الرّوي ... وآراؤكم أغنت عن الجحفل العَرْض[6]
عدوّك مرفوض بمَجْهَل حَيرة ... لقى كلّ سيل من عقابك مرفضّ
عِقابُك أوهاهُ فأصبح ناكِصاً ... على عَقبيه ما له مُنّةُ النّكض[7]

---

(١) منقض (الأولى) : اسم فاعل من الانقضاء . ومنقض (الثانية ، بتشديد الضاد) : اسم فاعل من الانقضاض .

(٢) الفرض : ما أوجبه الله تعالى . والنفل : الزيادة على الواجب ، ويقال له النافلة .

(٣) العارض : السحاب يعترض في الأفق . والعرض : عرض الجند ، وهو أن يمرّ عليه وينظر ما حالهم .

(٤) النجيع : قال الأصمعي : « هو دم الجوف خاصة » . والانتجاع (في الأصل) : طلب الكلأ ، واستعمل هنا على المجاز . والوخض : أن تطعن بالرمح طعناً يخالط الجوف ولا ينفذ .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً .

(٦) العوارض : جمع عارضة ، وهي البيان واللسن . وفي ط : « عوارفكم » جمع عارفة ، وهي المعروف . والعارض : تقدم قريباً . والروي : سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع ، مثل السقي . والجحفل : الجيش الكبير ، ومثله العرض .

(٧) نكص على عقبيه : رجع . والمنة : القوة . والنكض : كذا في (ل ، ط) ، ولم نجده في دواوين اللغة ، فلعله « النقض » (بكسر النون) وهو المهزول من السير ناقة أو جملاً أو فرساً .

لشانئكم قلبٌ من الرعب خافقٌ   ومن وَهَجِ الحمّى تُرى سرعة النّبض
وما صدقتْ إلا بوارقُ عدلكم   أوانَ بروقِ الظلمِ صادِقةِ الومض [1]

ومنها في الوزير [2] :

ويحيا ليحيي كلُّ حقٍ قضى ، وهل   قضى غيرُكم ما كان للدين من قَرْض ؟ [3]
وزيرٌ بأعباء الممالك ناهضٌ   إذا عجزت شمّ الرواسي عن النهض
مشتّتُ شملِ للّهى غير مُنفضٍ   وجامعُ شملٍ للعلى غير منفضّ [4]

ومنها :

وعزمٌ كحدّ الصارم السيف [5] مُنتضى [6]   نَضوتَ به ثوب الغبار الذي ينفي [7]
رجوتُ أميرَ المؤمنين رجاءَ مَن   إلى كلّ مقصودٍ به قصدُه يفضي [8]
وأشكو إليه نائباتٍ نُيوبها [9]   نَوابتُ في عظمي نوابِتُ في نَحضي [10]
ومنكرة إنْ عضّني ناب نائب   أما عرفتْ عودي صَليبا على العَضّ ؟

(١) ط : « أراق بروق الظلم ... ومض » .

(٢) هذه الجملة سقطت من ط . والوزير : هو أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة ، وقد ترجم له في هذا الكتاب . (أنظر الفهرست) .

(٣) ط : « فرض » بالفاء .

(٤) ط : « مشتت شمل الندى غير منتقض   وجامع شمل العلى غير منتقض » .

(٥) ط : « الحد » .

(٦) منتضى : مسلول .

(٧) نضوت : خلعت . والغبار (في ط) : « العناء » . ينفي : يزول .

(٨) ط : « يفضي » بالفاء ، أي يوصل . وأفضى : خرج الى الفضاء .

(٩) ط : « تنوبها » .

(١٠) النحض : اللحم ، وقيل : المكتنز منه كلحم الفخذ . وهي في ل : « نحفي » ، وتصحيحها من ط .

تحضّ على نشدان[1] حظٍّ فقدته … إذا الحظُّ لم ينفع فلا نفعَ في الحضّ[2]

يكلّفنها حبُّ السلامة أنّها … تكلّفني حبّ القناعة والغَضّ[3]

لقد صدقتْ . إنّ القناعة والتُّقى … لأصونُ في الحالين للدين والعِرض

تقول : إلامَ السعيُ في الرزق راكضاً[4] … ورزقك محتومٌ وعمرك في ركض ؟ !

ولو كانت الأرزاق بالسعي لم يكن … غِنى الغِرّ[5] معقولاً ولا فاقةُ العِض[6]

إذا كان هذا البحر جمّاً نميره … ففيمَ اقتناعي عنه[7] بالوشل البَرْض ؟[8]

كفى شرفاً في عصر[9] يوسف أنّني … لبست جديد العزّ في الزمن الغضّ[10]

لساني وقلبي في وَلائك والثَّنا … عليك ، فما بعضي يغار من البعض !

لَسوّدني تسويد مدحك في الورى … فآضتْ[11] بوجهٍ من ولائك مبيضّ

وما كل شعر مثل شعريَ فيكمُ … ومَن ذا يقيس البازل العَوْد بالنِّقض[12] ؟

---

(١) نشدان (بكسر النون) : مصدر نشدت الضالة أنشدها اذا طلبتها .

(٢) ط : « اذا الحظ أخطاني فلا نفع في الحض » . والحض : الحث والتحريض .

(٣) الغض : احتمال المكروه . وفي ط : « العض » ، وهو تصحيف .

(٤) ط : « ... والرزق راكضاً » ، وليس بشيء .

(٥) ط : « العز » ، وهو تصحيف . ورجل غر (بكسر الغين) : غير مجرب .

(٦) الفاقة : الفقر والحاجة الملحة . والعض (بكسر العين) : البخيل والقيم للمال ، يقال : انه لعض مال ، أي شديد القيام عليه .

(٧) ط : « منه » .

(٨) البرض : الماء القليل .

(٩) ل : « العرس » ، والتصحيح من ط . ويوسف : هو الخليفة العباسي المستنجد بالله .

(١٠) الغض : الطري ، أي الجديد .

(١١) آضت : عدت ، يقال : آض الى أهله يئيض ، أي رجع .

(١٢) البازل : الجمل في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . والعود : المسن . والنقض (بكسر النون) : المهزول من السير ناقة أو جملا .

وماعزَّ حتى هانَ شعر ابن هانىء[1]   والسُّنَّةِ الغرّاء عِزٌّ على الرفض

وخدمته في رجب سنة تسع وخمسين وخمس مئة بقصيدة طويلة ، منها :

وسمٌ عليَّ لذلك الرَّسم   أني أقاسمه ضنى الجسم
دارٌ على حرب الزمانِ لنا   جنحت بها سلمى إلى سَلمي
ما للهوى أبداً يلازمني   فيها ؟ فهل كتب الهوى باسمي ؟
يا صاح ! تعذلني على شعفٍ[2]   ما زال يعذرني له خصمي
إني رَضعت لِبانَ حبهمُ   ويعزّ عنه —وإنْ جفوا— فطمي
كلمٌ فراقهم ، ولومك لي   في حبّهمْ ، كلمٌ على كلم
بَخِلوا عليَّ بوصل طيفهمُ   ما كان بخل الطيف في زعمي
أنّى يطيب ويستطيب كرى[3]   قلبٌ يهيم وناظرٌ يهمي ؟

---

(١) ابن هانىء : هو الشاعر محمد بن هانىء الأزدي الأندلسي . ولد باشبيلية ، ونشأ بها ، واتصل بصاحب اشبيلية ، فحظي عنده ، وكان كثير الانهماك في الملاذ ، متهماً بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر عنه ذلك ، نقم عليه أهل اشبيلية ، وساءت المقالة بحق الملك بسببه ، فأشار عليه بالغيبة عن البلدة مدة ينسى فيها خبره ، فخرج الى عدوة المغرب ، ولقي جوهراً القائد ، فامتدحه . ثم ارتحل الى المسيلة (وهي مدينة الزاب) ، فأكرمه والياها جعفر ويحيى ابنا علي ، فنمى خبره الى المعز العبيدي فطلبه منهما ، فلما انتهى اليه بالغ في الانعام عليه ، ثم توجه المعز الى الديار المصرية ، فتبعه ، فلما وصل الى برقة أضافه رجل من أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس الأنس ، فيقال : « انهم عربدوا عليه فقتلوه لسبع ليال بقين من شهر رجب سنة ٣٦٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة » ، وقيل : « اثنتان وأربعون » . قال ابن خلكان : « وديوانه كبير ، ولولا ما فيه من الغلو في المدح والافراط المفضي الى الكفر ، لكان من أحسن الدواوين . وليس في المغاربة من هو في طبقته . . . » ، ونقل عن المعري أنه (كان اذا سمع شعره يقول : « ما أشبهه الا برحى تطحن قروناً » لأجل القعقعة التي في ألفاظه ، ويزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ . . .) . أنظر عنه : وفيات الأعيان (٢/٤-٥) ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وديوانه ط المعارف بمصر ، ١٣٥٢ .

(٢) شعفه الحب شعفاً : أحرق قلبه ، وقيل : أمرضه .

(٣) ل : « لدى » ، والتصحيح من ط .

أَوَ ما سوى هجري عقابهمُ ؟ … أم ليس غير هوامُ جُرْمي ؟

أمّا الغرام فأدمعي أبداً … يُعربنَ عنه بألسنٍ عجم

والقلب مسكنهم ، فكيف رَضُوا … أنْ يجعلوه مسكن الهمّ ؟

والسقم في جسم المحب ، فلِمْ … وصفت عيون البيض بالسقم ؟

أُدْمٌ سفكن دمي بأعينها … يا للرجال من الدُّمى الأُدْم(١) !

بيض الظُّبى تنْبو ، وترشقنا … بيض الظباء بأعينٍ تدمي(٢)

* ماكنت أعلم قبل رؤيتها … أنّ النواظر أسهمٌ تُصمي(٣)

أقمار خُمرٍ إنْ سَفرن لنا … وإن انتقبن أهلّة المُلْثَم

يضعفن عن حمل الإزار ، فلم … يحملن أوزاراً من الإثم ؟

لظباء كاظمةٍ(٤) مقابلتي … غيظي من الرُّقباء بالكظم

وأغنّ بالكشح المضيم له … يا كاشحي أغناك عن هضمي

أحمي بجهدي في الهوى جلدي … واللحظ منه يبيح ما أحمي

من منصفي من جور حاجبه … ولحاظه عن قوسه ترمي ؟

وحلا ومرّ تجنّياً(٥) وجنىً … يا شهده ، لم شيب(٦) بالسمّ ؟!

(١) الأدم : جمع أدماء . والأدمة في الناس : السمرة ، وفي الظباء : لون مشرب بياضاً .

(٢) ط : « ترمي » .

(*) ترتيب هذا البيت ، في ط ، قبل البيت السابق .

(٣) أصميت الصيد : اذا رميته فقتلته وأنت تراه .

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٢٠٨/٧) : « كاظمة : جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة ، وماؤها شروب ، واستقاؤها ظاهر . وقد أكثر الشعراء من ذكرها » . والجو (في كلام ياقوت ومثله في تاج العروس) : ما انخفض من الأرض ، وفي الصحاح : هو ما اتسع من الأودية . والذي في مراصد الاطلاع : « كاظمة : جور ... » . وانظر معنى الجور في معجم البلدان (٤٨١/٣) .

(٥) ط : « جناية » ، والأصل أنسب . والتجني : مثل التجرم ، وهو أن يدعى عليه ذنباً لم يفعله . والجنى : ما يجتنى من الشجر .

(٦) شيب : خلط .

الخمر ريقته ، وقد عذبت   ما كلُّ خمر مُزّةَ الطعم[1]

وإذا شفت شفةٌ غليل صدٍ   فالظَّلْم صدَّكه عن الظَّلْم[2]

أقنعت من برق الحمى سحراً   ونسيمهِ بالشيم والشمِّ ؟[3]

ورضيت من (نُعْم) وإن مطلت   بِنَعَمْ ، ونعمى تلك من نعم ؟[4]

وبلغت من عظم الشكاة مَدىً   فيه المُدى بلغت إلى العظم ؟[5]

فإلامَ تشكو الظلم من زمنٍ   يتهضّم[6] الأحرار بالظلم ؟

تأتي نوائبــــه منبهــــة   وتمرُّ كالمرئيِّ في الحلم[7]

لا تخفض اسمك ، وارتفع حذراً   فعلاً[8] تصرّفه يد الجزم

سم نفسك العلياء واسمُ بها   في بغية الدنيا عن الوسم[9]

حتى متى قطا إلى ثمدٍ[10]   أيقنت أنّ وروده[11] يظمي

فدع التيمم بالصعيد ، ففي   كنف الإمام شريعة اليمّ

---

(١) شراب مز ، وخمرة مزة : بين الحلو والحامض .

(٢) صد : ظمآن . والظلم (الثانية ، بفتح الظاء) : ماء الأسنان وبريقها .

(٣) الشيم : النظر الى البرق أين يقصد وأين يمطر .

(٤) نعم : اسم علم لامرأة .

(٥) المدى (بفتح الميم) : الغاية . والمدى (بضم الميم) : جمع مدية ، وهي الشفرة . والعظم (بوزن القفل) : الكبر ، و (بالفتح) : واحد العظام .

(٦) يتهضم : يظلم .

(٧) ط : « الحكم » ، ولا معنى له هنا .

(٨) ط : « فعل » .

(٩) سم نفسك العلياء : أوردها عليها ، وأكثر ما تستعمل مع الخسف ، يقال : « سامه خسفاً » أي أولاه اياه وأراده عليه . واسم بها : ارتفع بها . والوسم : العلامة وأثر الكي .

(١٠) الثمد : الماء القليل الذي لا مادة له .

(١١) ط : « دروره » .

مــلكٌ ليـالي النـائبـات به   تجلى ، وتخصب أزمن الأزْم(١)
ورأى الورى الوجدان من عدم   في عصره ، والوُجْدَ من عدم
أوصـــافه بالوحي نعرفها   فصفاته جلّت عن الوهم
تسمو بلثم تراب موكبه   فلقد سمت يده عن اللثم !
ما كنت تبصر نجم موكبه   لولا تواضعـــه من العظم
النجم مــــنزله ، ومــنزله   الوحي منزل « سورة النجم »
من معشرٍ آساس ملكهمُ   صينت قواعدها عن الهدم
من كلّ سامي الأصل سامقه(٢)   زاكي الخليقة طاهر الجِذم(٣)
شمّ المعاطس ، عزّهم(٤) أبداً   قمنٌ بذلّ معاطس الشمّ(٥)
للمهبين الوفـــد وفرهمُ   والمشترون الشكر بالشكم(٦)
قومٌ يرون إذا هم اجتمعوا   تفريق ما غنموا من الغنم(٧)
خفوا إلى فعـل الجميـل فما   يستثقلون تحمل الغُرم(٨)
حمر النصـال جـلوا ببيضهمُ   ظلمات ظلم الأزمن الدهم(٩)

---

(١) الأزم : جمع أزمة ، الشدة والقحط .

(٢) سمق البناء : علا وطال .

(٣) الجذم (بالكسر) : أصل الشيء .

(٤) ط : « عزمهم » ، والأصل أولى .

(٥) قمن : خليق وجدير . والمعاطس : الأنوف ، واحدها معطس (بوزن مجلس) ، وربما جاء بفتح الطاء . والشم : جمع الأشم . وهو السيد الكريم ذو الأنفة .

(٦) الوفر : المال الكثير . والشكم (بضم الشين) : الجزاء .

(٧) الغنم : الغنيمة .

(٨) الغرم : ما يلزم أداؤه ، كالغرامة .

(٩) الدهم : السود ، والأزمن الدهم : يريد بها أزمنة الشدة والقحط .

وخطابهم في كل داهيـة   يقتاد[1] أنف الخطب بالخطم[2]

ومنها[3] :

إرث النبـوة بل خلائقها   في يوسف المستنجد القرم[4]

كالبدر نوراً ، والهزبر سطاً   يومَ الهياج ، وليلة التمّ[5]

لا بالجهام ولا الكهام إذا   نوب الزمان عرت ولا الجهم[6]

لـو للسيوف مضاء عزمته   وبراءه أمنت من الثلم

وإذا المنى عقمت فنائله   شافي العقام وناتج العقم[7]

الدين مرتبط بدولتـه   والدهر[8] تابع أمره الحزم[9]

لوليـه من فيض نائله   فيض الوليّ ونائل الوسمي[10]

---

(١) ل : « تقتاد » وما أثبتناه من ط .

(٢) خطم الدابة خطماً : ضرب أنفها ؛ وخطمها بالخطام : جعله على أنفها ؛ والخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به ؛ جمعها خطم (ككتب) ؛ ويسكن ثانيه في الشعر لضرورة الوزن .

(٣) ط : « ومنه » ؛ وهو خطأ ظاهر .

(٤) القرم : الفحل العظيم من الابل ؛ وأطلق على السيد أو العظيم على التشبيه بالفحل المذكور . وقد اجتمعا في قول المتنبي :

ولكنا نداعب منـك قرماً   تراجعت القـروم له حقـاقا

(٥) سطاً : جمع سطوة ؛ وهي الصولة أو القهر بالبطش . وليلة التم : ليلة تمام القمر ؛ أي ليلة بدره .

(٦) الجهام : السحاب لا ماء فيه . والكهام : الضعيف لا غناء عنده ؛ يوصف به الرجل والفرس والسيف واللسان . والجهم : العاجز الضعيف .

(٧) العقام : الداء الذي لا يرجى البرء منه . والعقم : جمع عقيم ، وهي الأنثى التي لا تلد .

(٨) ط : « والدين » .

(٩) ل : « الحرم » ؛ ط : « الجزم » .

(١٠) وليـه : الولي ضد العدو ، وكل من يتصرف بأمر أحد . والولي (الثانية) : المطر يسقط بعد المطر ، أو المطر بعد الوسمي . والوسمي : مطر الربيع الأول .

قسماً نصيب[1] من الوفاء به ... أوفى النصيب وأوفر القسم
للحقّ ما يرضيك من عملٍ ... والحكم ما تمضيه[2] من حكم

ومنها[3] :

أمّا الطغاة فقد وسمتهم ... ووصمتهم بالذلّ والرغم[4]
بين الزّجاج تصدّعوا شعباً ... صدع الزُّجاج لوقعة الصدم[5]
الوقد أقسهم ، وسمعهم ... للوقر ، والأعناق للوقم[6]
إغمد حسامك في رقابهمُ ... فالداء مفتقر إلى الحسْم

ومنها[7] :

آزرت ملكك بالوزير ، فمن ... شرواكما في العزم والحزم[8] ؟
يحيى الذي أضحى بسيرته[9] ... حيٌّ المحامد ميت الذمّ
كبرت[10] وجلّت فيك همته ... فله بنصحك أكبر الهمّ

---

(١) ل : « نصبت » ، والتصحيح من ط .
(٢) ل : « ترضيه » ، والتصحيح من ط .
(٣) قوله : « ومنها » ورد في ط قبل البيت المتقدم .
(٤) وسمه وسماً وسمة : اذا أثر فيه بسمة وكي . ووصمه : عابه ، والوصم : العيب والعار .
(٥) الزجاج (الأولى ، بكسر الزاي) : جمع الزج (بضمه) ، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح . والزجاج (الثانية ، بضم الزاي) : معروفة .
(٦) الوقد : الاشعال . والوقر : الثقل في الأذن . والوقم : القهر والاذلال .
(٧) قوله « ومنها » ورد في ط قبل البيت المتقدم أيضاً .
(٨) الوزير : يريد به يحيى بن هبيرة ، وقد ترجم له في باب الكتاب والوزراء من هذا الكتاب ، (أنظر الفهرست) . وشرواكما : مثلكما .
(٩) ل : « يشير به » ، والتصحيح من ط .
(١٠) ط : « كثرت » ، ولا نراها شيئاً .

هو حاتميُّ الجود ليس يرى … إسداء نائله[1] سوى حتم
فليهننا أنّا لملكك في … زمن يردّ [شبيبة الهمّ][2]
وهناك أنك بين أظهرنا … خلَفُ النبيّ ووارث العلم
وكما وزنتَ عيار فضلك بالا … — إفضال زنتَ العلمَ بالحلم
بمكارمٍ لك عَرْفُها أبداً … فينا يَنُمُّ وعُرفها ينمي[3]
ما روضةٌ غنّاء حاليةٌ … وشياً تُحلّيه يدُ الرُّقُم
فعرائس الأغصان قد جُلِيَت*[4] … في زهرها بالوشي والوسم[5]
وتمايلت أزهارها سحراً … بنسيمه المتمارض[6] النَّسم
فلكلّ نَوْرٍ نُورُ ثاقبةٍ … ولكلّ ناجمةٍ سنا نجم[7]
دُرّانِ من طَلّ على زَهَرٍ … يا حسنَه نثراً على نظم
إذْ كلُّ هاتفةٍ وهاتنة[8] … مشغولة بالسجع[9] والسجم[10]

---

(١) ل : « نافلة » ، وقد أثبتنا رواية ط ترجيحاً لها .

(٢) التكملة من ط ، ومكان الجملة في ل بياض . والهم : الشيخ الفاني .

(٣) العرف (الأول بالفتح) : الريح ، طيبة كانت أو منتنة ، والمراد هنا الريح الطيبة . والعرف (الثانية بالضم) : المعروف ، وقد استعمل المؤلف هذا الجناس في (ص ٣ و ٣١) فانظره . ينمي : يزيـد .

(٤) جلا العروس على بعلها جلوة وجلاء : عرضها عليه مجلوة .

(٥) ط : « والوشم » .

(٦) ط : « المتأرض » .

(٧) النور (بفتح النون) : الزهر ، أو الأبيض منه . وثاقبة : مضيئة . وناجمة : طالعة ، يقال : نجم النبت ، أي ظهر وطلع .

(٨) هتفت الحمامة : صوتت . وهتن المطر : قطر .

(٩) ل : « بالسمع » ، وتصحيحه من ط . والسجع : ترديد الحمام للصوت .

(١٠) سجم الدمع : سال .

فالوُرْق [1] في نوح وفي طربٍ ... والوَجْد في بَوْح [2] وفي كتم

بأتمّ* حسناً من صدائح [3] لي ... فيكم مـنزهة عن الوصم

دُرّية الإشراق، مشرقة الـ ... دُرّي، بل مِسكية الختم

تجري وتفتح من سلاستها ... صُمّ الصّفا [4] ومسامع الصمّ [5]

يغنى الطروب عن الغناء بها ... وابن الكريم عن ابنة الكرْم [6]

لطُفَت وطالت، فهي جامعة ... عظمَ الحجا ولطافة الحجم

ولكم سحبت الذيل مبتهجاً ... حيث الرجاء مطارز الكُمّ

مستنزرٌ [7] جمّ الثناء إذا ... قابلتـــه بعطائك الجمّ

لم يُخطِ منذ أصبتُ خِدمتكم ... أغراضَ أغراضي [8] بكم سهمي

ولَرُبّ مجدٍ قد أضفت إلى ... ما نلت من خالٍ ومن عمّ

فالدهر [9] يصرف صَرْفه [10] بكم ... ويكُفُّ كفّ البسط عن غشم [11]

ولئن نطقت بكم، فوصفكمُ ... مُحيي الجماد ومُنطق البُكْم

---

(١) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة. سميت بالورقاء لأن في لونها بياضاً الى سواد.

(٢) ل: «يرح»، وتصحيحه من ط. والبوح: ضد الكتم.

(*) بأتم: خبر «ما» في البيت السادس في الصفحة السابقة. (٣) ط: «مدائح».

(٤) الصفا: الصخور الملس، واحدها صفاة (بالفتح). والصم: الصلاب، واحدها أصم. وصم الصفا: من اضافة الصفة الى الموصوف.

(٥) جمع أصم، بين الصمم.

(٦) الخمرة.

(٧) ط: «مستنزراً».

(٨) أهداف مقاصدي.

(٩) ط: «والدهر».

(١٠) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه.

(١١) الغشم: الظلم.

* * *

اعتقال المؤلف واستعطافه الخليفة

ولما توفي الوزير ابن هبيرة[1] ، أُعتُقِلتُ في الديوان ببغداد ، بسبب مناقتي[2] عنه في واسط[3] والبصرة ؛ فمدحتُ الخليفة بقصيدةٍ أستعطفته بها في شعبان سنة ستين[4] ، منهـا :

أُعيذُكمُ أن تغفلوا عن أموره	وأن تتركوه نُهبـةً لمُغيرهِ
عفا اللهُ عنكم ، قد عفا رسمُ وُدِّكم	خلعتم على عهدي دِثار دُثورهِ[5]
بما بيننا (يا صاحبي) من مودةٍ	وفاءكَ إني قانعٌ بيسيرهِ
وهذا أوان النصح إن كنت ناصحاً	أخاً ، فقبيحٌ تركهُ بغرورهِ[6]
وإني أرى الأرْيَ المَشور[7] مَشورةً	تحلّتْ موقعاً عند امرىءٍ من مُشيرهِ
تحملتُ عِبءَ الوَجد غير مُطيقهِ	وعاملتُ صبر القلب غيرَ صبورهِ
صِلوا مَن قضى من وحشة البَين نحبه	ونَشرُ مطاوي أُنسه في نشوره
رعى اللهُ نجداً ، إذ شكرنا بقربكم	قِصارَ ليالي العيش بين قصورهِ
وإذْ راقت الأبصار حُسنى حسانه[8]	وأطربتِ الأسماع نجوى سميرهِ
وإذ بُكرات الروض ألسنةُ الصَّبا	تعبّر في أنفاسها عن عبيرهِ
وإذ تكتب الأنداء في شجراته	وأوراقها إملاءَ وُرقِ طيورهِ

(١) ترجم له المؤلف في باب الكتاب والوزراء ، (أنظر الفهرست) .

(٢) ط : « نيابتي » .

(٣) واسط : أنظرها في (ص ٣٩) .

(٤) ط : « فمدحت الخليفة في شعبان سنة ستين بقصيدة أستعطفته بها » .

(٥) الدثار (بالكسر) : كل ما كان من الثياب فوق الشعار . ودثر الرسم دثوراً : درس .

(٦) ط : « في غروره » .

(٧) الأري : العسل . والمشور : المجتنى .

(٨) ط : « وإذ لاقت الأبصار حسن حسانه » .

ومنها :

أيا نجد ، حيّاك الحيا بأجبتي[(١)] … بهم كنت كالفردوس زين نحوره

وما طاب عَرف الريح إلا لأنه … أصاب عَبيراً منك عند عبوره[(٢)]

ومنها :

ومُطلَقَةٍ لمّا رأتني موقعاً … أعِنّة دمعٍ[(٣)] أترِعَت من غديره

تناشدني بالله : مَن لي ؟ ومَن ترى … يقوم لبيتٍ شِدْتَه بأموره ؟

فقلتُ لها : بالله عودي ، فإنّما … هو الكافل الكافي بجبر كسيره

ومنها :

هو الفلك الدوّار ، لكنْ على الورى … مقدّرةٌ أحداثه من مُدبّره

عذيريَ أضحى عاذلي في خطوبه … فيا مَن عذيرُ المُبتلى من عَذيره[(٤)] !

يُجرّعني من كأسه صِرفَ صَرفِه … فعيشٌ مَريرٌ ذوقه في مُروره[(٥)]

ولستُ أرى عاماً من العمر ينقضي … حميداً ، ولم أفرح بمرّ شهوره

لحى الله دهراً ضاق بي ، إذ وَسعتُه … بفضلي ، كما ضاقت صدور صدوره[(٦)]

فلم[(٧)] أرَ فيها واحداً غيرَ واعدٍ … بخيّل لي زَورَ الخيال بزُوره

---

(١) ط : « فأجبتي » .

(٢) العرف (بفتح العين) : الريح طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله في الطيبة ، وأبلها عن المؤلف . والعبير : أخلاط تجمع بالزعفران ، عن الأصمعي . وقال أبو عبيدة : هو الزعفران وحده .

(٣) ط : « أعانت بدمع » .

(٤) العذير : العاذر . والعاذل اللائم .

(٥) الصرف (بالكسر) : الخالص . والصرف (بالفتح) : حدثان الدهر ونوائبه . ومرير : بمعنى مرّ ، لم نجده في كتب اللغة .

(٦) صدور (الثانية) : الرؤساء والمقدمون ومن يتصدرون في الأمور .

(٧) ل : « فكم » ، وهي في ط كما أثبتناها .

وما كنت أدري أنَّ فضليَ[1] ناقصي ... وأنَّ ظلام الحظّ من فيض نوره
كذلك طول الليل من ذي صبابةٍ ... يُخبّره عن عيشه بقصوره
وما كنت أدري أنَّ عقليَ عاقلي[2] ... وأنَّ سراري[3] حادثٌ من سفوره
وكان كتاب الفضل باسمي مُعنونًا ... فحاول حظّي محوَهُ من سطوره
فيا ليت فضلي الآسري قد عدمتُه ... فأضحى فداءً في فكاك أسيره
أرى الفضلَ معتادٌ له خسف أهله ... كما الأفق معتادٌ خسوف بدوره
أقول لعزمي : إنَّ للمجد منهجًا ... سهول الأماني في سلوك وعوره
فهوّنْ عليك الصعب فيه ، فإنّما ... بأخطاره تحظى بوصل خطيره
ومالي ، يافكري ، سواك مُظاهرٌ ... وقد يستعين المبتلى بظهيره[4]
فحِلْ معنىً خاض في غمراته[5] ... وحسبك معنى خضت لي في بحوره[6]
وكن لي سفير الخير تسفرْ مطالبي ... لحظُّ الفتى إسفاره بسفيره[7]
وقل للذي في الجدب أطلق جدُّهُ ... سبيل الحيا حتى همى بدروره[8]

---

(١) ط : « حظي » .

(٢) عاقلي : مقيدي .

(٣) سراري : خفائي ، وسرار الشهر (بفتح السين وكسرها) : آخر ليلة منه .

(٤) المظاهر : المعاون . والظهير : المعين ، ومنه قوله تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير » .

(٥) الغمرات : الشدائد .

(٦) ل : « نحوره » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ط .

(٧) السفير : الرسول المصلح بين القوم ، والاسفار : مصدر أسفر الصبح : أي أضاء ، وأسفر وجهه حسناً : أشرق .

(٨) ل : « بذروره » بالذال المعجمة ، وهو في ط على وجه الصواب كما أثبتناه ، يقال : در اللبن والماء دراً ودروراً ، سال . وهمى الماء : سال . والحيا : المطر . وفي البيت اشارة الى حديث الاستسقاء الذي مرّ في (ص ٣٧) .

لماذا حبستم مخلصاً في ولائكم ... وما الله ملقٍ مؤمنٍ[1] في سعيره ؟

ومنها :

وكم فَدْفَدٍ جاوزت أجوازه سُرىً ... كأنّي وِشاحٌ جائلٌ في خصوره[2]

بمهريّة تحكي بكفّي زمامها ... وأحكي لكدّ السير بعض سيوره[3]

وخاطب أبكار الفدافد جاعلٌ ... بكار المهارى في السرى من مهوره

وإنّ رجاءً بالإمام أنوطه ... حقيقٌ بآمالي ابتسام ثغوره[4]

تقرّ بعليـاه الخلافة عينها ... فناظرها لم يكتحل بنظيره

ومنها :

أرى الله أعطى يوسفاً حسن يوسفٍ[5] ... ومكّنه في العالمين لخيره[6]

برقي صروف الحادثات ، فآوني ... تضعْ منّيَ الإنعام عند شكوره

كذا القلم المبريُّ آوته أنملٌ ... فقام يؤدّي شكرها بصريره

ومنها :

وما زهرٌ هامي الرّباب يحوكه ... تعمّمَ هامات الرُّبى بحريره[7]

كأنّ سَقيطَ الطّلّ في صفحاته ... سحيراً نظيم الدُّرّ بين نثيره

---

(١) ط : « ملق مؤمناً » .

(٢) الفدفد : الفلاة والمكان الصلب الغليظ والمرتفع والأرض المستوية . والأجواز : جمع الجوز (بضم الجيم) ، وهو وسط الشيء ومعظمه . والسرى (بضم السين) : سير عامة الليل . والوشاح : شيء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

(٣) المهرية : قال الأزهري : نجائب تسبق الخيل ، وهي منسوبة الى (مهرة) ، وهو حي من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل : نسبة الى البلد .

(٤) فصل في ط بين الأبيات المتقدمة وهذا البيت بلفظ « ومنها » .

(٥) يوسف (الأول) : المستنجد بالله العباسي . ويوسف (الثاني) : هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

(٦) الخير (بكسر الخاء) : الكرم .

(٧) هام : سائل لا يثنيه شيء . والرباب : السحاب الأبيض .

يقابل منه النرجسُ الوردَ مثلما ... رأت وجنة المعشوق عين غيوره
والورد خدٌ بالبنفسج معذرٌ [1] ... ونرجسه طرفٌ رنا بفتوره [2]
بأبهج [3] من شعرِ مدحتكُمُ به ... ومعناكُمُ مستودَعٌ في ضميره
وما حقُّ هذا الشعر لا لجريره [4] ... وقد سار في الآفاق جيش جريره

وكتبت إليه، وأنا على تلك الحالة، قصيدةً في طلب الإدالة [5]، منها:

مقصوده أعصي الهوى وأُطيعه ... هذا، لعمر هواك، لا أسطيعه
سمعي أصمُّ عن العذول وعذلِهِ ... فعلامَ يقرع مسمعي تقريعه ؟
قلب النزاع إلى [6] الحسان تجلُّدي ... والقلب [7] مغلوب العزا منزوعه
لا تنزعَنَّ إلى ملامِ متيَّمٍ ... لا يستتبّ عن النزاع نزوعه
وملاحة الرشأِ المليح تروقه ... وملامة [8] اللاحي الملحّ تروعه

---

(١) أعذر الغلام : نبت شعر عذاره ، وهو جانبا اللحية .

(٢) رنا اليه يرنو : أدام النظر اليه .

(٣) بأبهج : خبر « ما » في قوله : « وما زهر ... » في الصفحة السابقة .

(٤) ط : « بجريره » . وجرير : هو جرير بن عطية بن الخطفى التميمي الشاعر المشهور . « كان من فحول شعراء الاسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن . وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل ثلاثة : جرير ، والفرزدق ، والأخطل . وكان يقال ان بيوت الشعر أربعة : فخر ، ومديح ، وهجاء ، ونسيب ، وفي الأربعة فاق جرير غيره » . توفي سنة ١١٠ هـ باليمامة . وله ديوان مطبوع في القاهرة وغيرها ، وترجمته وأخباره في الأغاني (٧/٣٥—٧٢ وغيرها) ـ أنظر فهرست الأغاني ـ ، وخزانة الأدب (٣/٣٩٧) ، ووفيات الأعيان (١/٢٠٢) ، والشعر والشعراء (٢٨٣) ، وكتاب « جرير : قصة حياته ودراسة أشعاره » .

(٥) ط : « الازالة » .

(٦) ط : « على » ، وهو تحريف ظاهر . يقال : نزع الى الشيء نزاعاً ونزاعة ونزوعاً ، اذا مال اليـه .

(٧) ط : « فالقلب » .

(٨) ط : « وملاحة » ، وهو تحريف .

يا عــزّه لو لم يعزّ عزاؤه ... يا ذلّه إنْ لم تعنه دموعه

ويهجني حـلو الشمائل عذبها ... لكنّه مُرُّ الصدود شنيعه

نشوان من خمر الصبا قلبي به ... ـ أفديه ـ مخمورُ الغرام صريعه

غصنٌ على حِقفٍ(١) يميل ويستوي ... فكأنّما يعصيــه حين يطيعه

رئمٌ وفي قلب المحبّ كِناسه(٢) ... قمرٌ وفي ليـل العذار طلوعه

وكأنّ قلبَ محبّه إقطاعه(٣) ... وكأنّ خطّ عِذاره توقيعه(٤)

مسلوب سهم اللحظ منه محبّه ... ملسوب(٥) عقرب صدغه ملسوعه

للهِ عيــشٌ بالحمى أسلفته ... والشمل غـير مفرّقٍ مجموعه

أيامَ دارت للشباب كؤوسه ... فينا ، ودرّت بالسرور ضروعه

رويت بأنواء العِهاد(٦) عهــوده ... وزهت بأنوار الربيع ربوعه

---

(١) الحقف : المعوج من الرمل ؛ أو الرمل العظيم المستدير ، أو المستطيل المشرف .

(٢) الرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض . وكناسه : موضعه من الشجر يكتنّ فيه ويستتر .

(٣) الاقطاع : مصدر أقطع ، ويجمع على اقطاعات ؛ يقال : أقطعه أرض كـذا يقطعه اقطاعاً . واستقطعه : اذا طلب منه أن يقطعه . والقطيعة : الطائفة من أرض الخراج . قال الماوردي : « اقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ونفذت فيه أوامره ؛ ولا يصح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقه . وهو ضربان : اقطاع تمليـك ؛ واقطاع استغلال » . أنظر في ذلك تاج العروس (٥/٤٧٤ و ٤٧٦) ؛ وتهذيب الأسماء واللغات (١/٩٥) ؛ ومعجم البلدان (٧/١٢٨—١٣١) ؛ وصبح الأعشى (١٣/١٠٤ — ١٩٩) ؛ والأحكام السلطانية (١٦٨—١٧٥) ، والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري .

(٤) التوقيع (في اصطلاح الأقدمين من الكتاب) : اسم لما يكتبه الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الانشاء أو كتاب الدست ومن جرى مجراهم على ما يرفع اليهم من القضايا ، فيكون هو الأصل الذي يبنى عليه المنشيء . أنظر صبح الأعشى (١/٥٢ و ٥٣ و ١١/١١٤ وما بعدها) ، ومقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦) ، وتاج العروس (٥/٥٤٩—٥٥٠) ؛ والعقد الفريد (٣/٣) .

(٥) الملسوب : الملدوغ .

(٦) بأنواء : في ط : « بأنواع » . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقـابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوماً ، ما خلا الجبهة فان لها =

أفراجعٌ ما مرَّ من أيامه ؟ ... هيهات ! لا يرجى إليَّ رجوعه !

وجدي مقيمٌ مايزال[1] بظاعنٍ[2] ... توديع قلبي أنسه توديعه

مُلاّكَ مهجته ! عليكم حفظها ... فالملكُ ليس لمالكٍ تضييعه

لا تنسبوا قلبي إليَّ ، فإنه ... لكُمُ ، وفيكم جرحه وصدوعه

قلبي المتيَّم للأحبّة كلّه ... وندى الإمام لمُعتفيه جميعه

ويوسف المستنجد بن المقتفي ... دين الهدى سامي العماد رفيعه

ضافي رداء الفخر ، صافٍ روحه ، ... نامي ضياء البشر ، زاكٍ رُوعه[3]

حالي الضمائر بالعَفاف وبالتُّقى ... لله ما تحنو عليـــه ضلوعه !

محمرٌ نصل النصر في يوم الوغى ... مغبرٌ ، مبيضٌ العطاء نصوعه

في الأمن إلا ماله وعدوّه ... فكلاهما في الحالتين مروعه

ومنها :

لله أصلٌ هاشمـــيٌّ طاهرٌ ... طابت وطالت في العلاء فروعه

لكَ نائلٌ محيٍ ، وبأسٌ مهلكٌ ... فلأنت ضرّار الزمان نفوعه

ومنها :

يا أفضل الخلفاء ! دعوةَ قانعٍ ... برضاك ما كشف القناع قنوعه

أيكون مثلي في زمانك ضائعاً ... هيهات - يا مولاي - لست تضيعه !

= أربعة عشر يوماً . وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها ، وقيل : الى الطالع منها ، لأنه في سلطانه . والعهاد : جمع العهد ، وهو أول المطر الوسمي . وقيل فيه غير ذلك . أنظر تاج العروس (٢/٤٤٢) .

(١) ط : « لا يزال » .

(٢) ظعن : سار ، فهو ظاعن .

(٣) ط : « ضافي رداء الفخر ، صافٍ دوحه ... باقي ضيـــاء البشر ، زاكٍ روعه » والروع (بضم الراء) : القلب والعقل ، يقـــال : وقع ذلك في روعي ، أي في خلدي وبالي .

أودع جميلاً لي، أُذمه، فخير من أودعته منك الجميل مذيعه
حسب المؤمِّل منجحاً في قصده أنَّ الرجاء إلى نداك شفيعه

* * *

وتظمت حينئذٍ قصيدة في عماد الدين[1] بن عضد الدين ابن رئيس الرؤساء، وكان حينئذٍ أستاذ الدار[2]، منها[3]: إطلاق المؤلف من اعتقاله

قلْ للإمام: علامَ حبس وليِّكم؟ أولوا جميلكمُ جميلَ ولائه
أوَ ليس إذْ حبس الغمامُ وليَّه خلّى أبوك سبيله بدعائه[4]

فأمر بإطلاقي، وتوفير أرزاقي.

* * *

وقد أوردت من مدائحي في أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله ما تهيَّا، وضوَّعت من نفحات ذاك النسيم ريَّا. مدائح المؤلف في المستضيء

ولي فيه مدائح تناسب منائحه كثرة وغزارة، وأيام دولته غضارة ونضارة[5].

فمن ذلك قصيدتان: صاديةٌ إليها القلوب صاديةٌ، وضادية نفوس ذوي التضادّ من روعتها متضادية.

فالصادية نظمتها في سنة تسع وستين، في أيام نور الدين محمود بن زنكي[6]

---

(١) ترجم له المؤلف في باب الوزراء والكتاب، وانظر ما كتبناه عن أبيه في (ص ١٣ و ١٤).
(٢) ط: «أستاذ الداران»، وهو تحريف.
(٣) سيورد المؤلف معظم القصيدة في ترجمة عماد الدين المذكور.
(٤) يشير الى حديث استسقاء عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالعباس بن عبد المطلب، وقد سبق في (ص ٣٧ و ٥٨).
(٥) الغضارة: النعمة، والخصب، وطيب العيش. والنضارة (كالنضرة): الحسن والرونق.
(٦) هو الملك العادل نور الدين محمود بن الملك الأتابك الشهيد عماد الدين زنكي بن الملك آق سنقر =

[رضي الله عنه][1] ، وأولها :

أطاع دمعي ، وصبري في الغرام عصى — والقلب جرّع من كأس الهوى غصصا
وإنْ صفو حياتي ما يكدّره — إلا اشتياقي إلى أحبابيَ الخلصا
ما أطيب العيش بالأحباب لو وصلوا ! — وأسعد القلب من بلواه لو خلصا !
زمّوا فؤادي وصبري والكرى معهم — غداة بانوا وزمّوا للنوى[2] القلصا[3]
وقفت أتبعهم قلبي يسايرهم — وأرسل الدمع في آثارهم قصصا[4]
ومقلة طالما قرّت برؤيتهم — أضحى السهاد لها من بعدهم رمصا[5]
لم تحدر الدمع إلا أنها رفعت — إلى الأحبة من كرب الهوى قِصصا
رخصت بعد غلائي في محبتكم — وربّ غالٍ عزيزٍ هانَ إذ رخصا

= التركي السلجوقي ، أحد أعاظم ملوك الاسلام عدلا وجهاداً وحسن سيرة . قال ابن الأثير : « قد طالعت سير الملوك المتقدمين ، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز أحسن من سيرته ولا أكثر تحرياً منه للعدل . وكانت ولادته في ١٧ شوال ٥١١ هـ بحلب ، وتوفي بقلعة دمشق في ١١ شوال ٥٦٩ هـ ، وقد اتسع ملكه جداً فشمل الشام وديار الجزيرة ومصر ، وخطب له بالحرمين الشريفين واليمن ، وأبلى في حروبه للفرنج وأسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوكهم . وكان يعظم الشريعة ويقف عند أحكامها . وأما انشاؤه المدارس والجوامع وعمارة الطرق والجسور ودور المرضى والبساتين والخانات والحصون ، فما لم يسبق اليه . وكان آل زنكي — وخاصة نور الدين — نعمة أنعم الله بها على تلك العصور . ولابن الأثير كتاب في دولتهم سماه « الباهر » ، وقد بسط أخبارهم في الكامل (ج ١٠ و ١١ و ١٢) ، وعن نور الدين خاصة : أنظر وفيات الأعيان (٢/٨٧—٨٩) ، والمنتظم (١٠/٢٤٨) ، والبداية والنهاية (١٢/٢٧٧—٢٨٤) ، وخطط الشام (٢/٣—٤٦) .

(١) الزيادة من ط .

(٢) ل : « الهوى » ، والرواية التي أثبتناها من ط أرجح .

(٣) بانوا : فارقوا . النوى : البعد . زموا : خطموا . القلص (بضمتين) : النوق الشواب ، واحدتها قلوص بوزن (صبور) .

(٤) قص أثره قصاً وقصصاً : تتبعه ، ومنه قوله تعالى : « فارتدا على آثارهما قصصا » .

(٥) الرمص : وسخ أبيض يجتمع في الموق ، يقال : رمصت عينه بوزن (فرح) .

أرى أمانيَّ منكم[1] غير صادقةٍ ... كذا حديث المنى ما زال مخترصا[2]

يا هل تعود ظلال العيش سابغةً ؟ ... وكيف يرجع عيشٌ ظلّه قلصا[3] ؟!

وحبّــذا فُرَصٌ للدهر ممكنةٌ ... والدهر من لم تزل أوقاته[4] فرصا

لهفي على عُنفُوان العمر كيف مضى ... عني وشيكاً[5] ، ولما تمّ لي نقصا !

ما كنت أعلم ريعان الصّبا حلماً ... إذا انقضى أصبحت لذّاته غُصصا

أيامَ أخلع في اللهـو العِذار[6] كما ... أهوى ، وألبس من أطرابه قُمصا

أيامَ لا رَشَئي يعتاده مَلَــلٌ ... ولا رِشاء الصّبا من قبضتي ملصا[7]

إذِ الليـــالي بما أهوى مُساعفتي ... تدني إلى النجح آمالاً إليّ قصى[8]

أروح ذا مَرَحٍ بالوصل مبتهجاً ... أناله سُؤله من دهره الحصصا

أطاعت الغانيات الغيـــد منه فتىً ... إذا لحى في هواهن العَذول عصى[9]

ما بالهُنّ زَهِدْنَ اليوم فيه ، وقد ... أفاده الشيبُ تجريبا وقل حصى[10] ؟

كرِهْنَ بعد سوادٍ شيب لِمّته ... لمّا رأينَ بياضا خِلْنَهُ بَرَصا[11]

---

(١) ط : « عنكم » .

(٢) مخترص : مختلق .

(٣) قلص الظل عن كذا : انقبض .

(٤) ل : « مذ لم يزل » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ط .

(٥) وشيكا : سريعاً .

(٦) العذار : جانبا اللحية ، ويقال للمنهمك في الغي : « خلع عذاره » .

(٧) الرشأ : ولد الظبي الذي قد تحرك ومشى . والرشاء : (بالكسر والمد) : الحبل ، وقيل : حبل الدلو . وملص (كفرح) : سقط منزلجاً ، ورشاء ملص (ككتف) : تزلق الكتف عنه .

(٨) الي : في ط « لدي » . وقصى : جمع قصاة ، وهي البعد والناحية ، كالقصا والقاصية .

(٩) لحى : لام .

(١٠) قل الحصى : كناية عن الرزانة .

(١١) اللمة : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو جمة . والبرص : داء معروف .

يهجني رشاً قلبي له قنصٌ فيا له رشاً للأُسْد مُقتنصا !
تمضي[1] عزائمه في قتل عاشقه عمداً ، ويطلب في تعذيبه الرُّخَصا
يا لائماً بشِباك العذل يقنصني[2] ولستُ إلا لأشراك الهوى قنَصا
بغيتَ راحة من تعتاصُ[3] سلوته وأتعب الناس من يبغي الذي عَوِصا[4]
لا تحرصنْ على ما أنت طالبه فربّما حُرم المطلوبَ من حرصا
تبغي بقرع عصا التقريع لي رَشَداً كما ينبّأ ذو حلم[5] بقرع عصا[6]
أقصِرْ ، فلي شَعَفٌ بالمجد طال له باعي ، وطرف حسودي دونه بخصا[7]
لو أنصف الدهر كان الفضل في دَعةٍ منه ، وعاثر حظّ الفضل منتعصا[8]

---

(١) ط : « يمضي » .

(٢) ل : « يقبضني » ، وما أثبتناه من ط أرجح .

(٣) ل : « يعتاص » ؛ وما أثبتناه هو رواية ط . يقال : اعتاص عليه الأمر ، اذا اشتد عليه وصعب . وأعوص بالخصم : أدخل به ما يعتاص عليه .

(٤) عوص الشيء : اشتد وصعب .

(٥) ل : « حكم » ؛ وهو على وجه الصحة في ط كما أثبتناه .

(٦) قرعه بعصا التقريع : اذا بالغ في عذله ؛ والبيت يشير الى المثل : « ان العصا قرعت لذي الحلم » ؛ ويضرب لمن اذا نبه انتبه . وأصله — كما في « الصحاح » — أن حكماً من حكام العرب عاش حتى أهتر ، فقال لابنته : اذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع . قال صاحب اللسان : هذا الحكم هو عمرو بن حممة الدوسي . وفي أول من قرعت له العصا اختلاف استوفي في تاج العروس (٤٦١/٥) فانظره ، وانظر أيضاً فرائد اللآل (٣٤/١) .

(٧) أقصر عن الشيء : كف ونزع مع القدرة عليه ، فان عجز عنه . قلت : قصر عنه ؛ بلا ألف مع فتح الصاد . والشعف : حرقة القلب . يقال شعفه الحب يشعفه (بفتح العين فيهما) شعفاً (بفتحتين) أحرق قلبه ؛ وقيل : أمرضه . وبخص العين : قلعها مع شحمتها .

(٨) في هامش ل : « أي منتعشاً » . وفي كتب اللغة : انتعص ، انتعش بعد سقوط .

رَبَّى الزمانُ بنيه شرَّ تربيةٍ[1] فالجهلُ ذو بِطنةٍ والفضلُ قد خمصا[2]

لولا زمانُ الإمامِ المستضيء لنا لما امتحى ذنبُ أيامي ولا محصا[3]

مَن ألزمَ اللهُ كلَّ الخلقِ طاعتَه مُخوِّفًا منه[4] عِصيانًا وشقَّ عصا[5]

مَن لا خمائلَ لولا سحبُه هطلت ولا مخايلَ لولا برقُه وبصا[6]

قد عاش في العِزّةِ القعساءِ حامدُه ومات جاحدُه من ذلّةٍ قعصا[7]

مولىً لراحةِ أهلِ الأرضِ راحتُه وكم يُفرّجُ عنّا الحادثَ اللّحِصا[8]

بالجودِ للمعتفي حلوُ الجنى سلسًا بالبأسِ للمعتدي مُرُّ الإبا عفصا[9]

يا سيّدَ الخلفاءِ الأوصياءِ، ومَن نَبْتُ المُنى منه في روضِ النجاحِ وصى[10]

---

(١) ل : « ربي الزمان بنيه شر تربته » وهو كلام لا معنى له ؛ وانما هو كما أثبتناه عن ط .

(٢) البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام ؛ والخمصة : ضد البطنة ، يقال : « ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها » .

(٣) امتحى : لغة في محا قليلة أو ضعيفة . ومحص : أخلص مما يشوبه .

(٤) ط : « فيه » .

(٥) العصا : جماعة الاسلام ، وشق العصا : مخالفة جماعة الاسلام ؛ وأيضاً تفريق جماعة الحي ، وفي الصحاح : يقال في الخوارج « قد شقوا عصا المسلمين » ؛ أي قد فرقوا اجتماعهم وائتلافهم .

(٦) الخمائل : جمع خميلة ؛ وهي الشجر المجتمع الكثيف . وقيل : هي رملة تنبت الشجر . والمخايل : جمع مخيلة ، وهي السحابة التي تحسبها ماطرة . ووبص البرق : برق ولمع .

(٧) القعساء : الثابتة . والقعص : الموت الوحي ؛ ومات قعصاً : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه . وقد حرفت في ط الى « وعصا » . وورد في هامش ل ما نصه : « من قولك : ضربه فأقعصه » .

(٨) في هامش ل : « اللحص : الضيق » .

(٩) المعتفي : من يأتيك طالباً عفوك ومعروفك . والجنى : ما يجتنى (يلتقط) من الشجر . وهو في ل : « الحيا » ؛ وقد أثبتنا بدله رواية ط لأن المقام يقتضيها . والعفص : الذي يعفص مصارعه .

(١٠) في هامش ل : « وصى : اتصل » ، وفي كتب اللغة : وصت الأرض ، اتصل نباتها ، يقال : أرض واصية النبات ، أي متصلته . ووصى النبت : اتصل وكثر .

يا مُحيكماً كلُّ نظم للزّمان وهى   وجابراً كلَّ عظمٍ للمنى وهصا (١)

بالحقّ إن دانت الدنيا له ، ودنا   سحاب معروفه الهامي إذا نشصا (٢)

أعت عدلاً عيون العالمين بما   أذهبت عنها القذى والرّين والغمصا (٣)

عدوّكم واقعٌ في الرُّعب طائره   حتى لقد حسب الدنيا له قفصا

وحسبُ كلِّ حسودٍ أنْ ناظره   إلى مهالكه من حيرة شخصا

يا خيرَ مَن حجَّ وفدُ الله كعبته   على المطيّ الذي في سيره قمصا (٤)

وما توجّه ذو حزمٍ (٥) إلى أملٍ   إلا لدى بابه عن نجحه (٦) فحصا

سأجتدي وابلاً من جوده غَدِقاً   وأمتري حافلاً من خلفه لَحِصا (٧)

وإنْ عنديَ ذا التوحيد من شُكرَ الـ   نعمى لديك وذا الإشراك من غمصا (٨)

من ذا الّذي سار سيري في ولائكمُ   غداةَ قال العدا : لا سير عند عصا ؟

بغي على الحقّ أصفى مصر من رَنَقٍ   بها ، وأخرس منها باطلاً نبصا (٩)

---

(١) وهص الشيء يهصه وهصاً : كسره .

(٢) نشص السحاب نشوصاً : ارتفع ، وعن ابن القطاع : نشص السحاب هراق ماءه .

(٣) القذى : ما يسقط في العين والشراب . والرين : الطبع والدنس . والغمص : الرمص ، وهو وسخ يجتمع في الموق .

(٤) قمص : وثب ، واستن أي رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه .

(٥) ط : « ذو عدل » .

(٦) ط : « نجحه » .

(٧) الغدق : الغزير . وأمتري : أستدر . والحافل : الضرع الممتلىء لبناً . والخلف (بالكسر) : حلمة ضرع الناقة ، أو طرفه ، أو المؤخر من الأطباء ، أو هو للناقة كالضرع للشاة . ولحص : كثير اللحم لا يكاد يخرج اللبن منه إلا بشدة .

(٨) غمص النعمة : لم يشكرها .

(٩) الرنق : الكدر . وقوله نبصا ، جاء في هامش ل ما نصه : « نبص الطائر : صوت » . وفي =

ومنها في مدح نور الدين محمود بن زنكي [قدّس الله روحه] [1] :

ونالَ عبدُكَ (محمودٌ) بهـا ظفراً ‏ ‏ ما زال يرقبه من قبل مرتبصا [2]

كلب الفرنج عوى من خوف صولته ‏ ‏ وقيصر الروم من إقدامه معّصا [3]

سطا فكم فِقْرَةٍ للكفر قد وُقِصَتْ ‏ ‏ وكم وكم عنقٍ للشرك قد وقصا [4]

من خوف سطوته أنّ العدوّ إذا ‏ ‏ أمّ الثغورَ على أعقابه نكصا [5]

ورُبَّ معتركٍ رحب الفضاء به ‏ ‏ أضحى على مُسعريه ضيّقاً أَقِصا [6]

لما انتشى الهامُ من كأس النجيع به ‏ ‏ غنّى المهنّد والخطّيُّ قد رقصا [7]

وللكُماة على أهوالها نَهَمٌ ‏ ‏ نامٍ كأنّ بها نحو الردى لعصا [8]

والحرب عضّت بأنيابٍ لها عُصُلٍ ‏ ‏ والصّفُّ أحكم من أضراسها لَصَصا [9]

= كتب اللغة : نبص الطائر نبيصاً ، صوت ضعيفاً . وقال الزمخشري : نبص الغلام بالطائر والكلب ، هو أن يضم شفتيه ويدعوه . وفي البيت تعريض بالفاطميين .

(١) الزيادة من ط . وترجمة نور الدين تقدمت (في ص ٦٣) .

(٢) ربص به ربصاً : انتظر به خيراً أو شراً يحل به ، كتربص .

(٣) معص : جاء في هامش ل : « معص من الأمر : شق عليه » ، وفي القاموس المحيط : معص (كفرح) : التوى مفصله ويده ، أو رجله اذا اشتكاها .

(٤) الفقرة : ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب . ووقها : تهرها وأذلها .

(٥) أمّ : قصد . الثغور : جمع ثغر ، وهو موضع المخافة من فروج البلدان . نكص : رجع .

(٦) جاء في هامش ل : « القعس : الضيق » .

(٧) أنظر « النجيع » في (ص ٤٥) ، و « الخطي » في (ص ٣٨) . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند .

(٨) الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتكمي في سلاحه ، أي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة . واللعص : جاء تفسيره في هامش ل بأنه « النهم » ، وفي القاموس المحيط : النهم في الأكل والشرب جميعاً .

(٩) عصـل : جمع أعصل ، وهو الأعوج . واللصص : جاء تفسيره في هامش ل بأنه « تقارب الأضراس » ، وكذلك هو في القاموس المحيط .

والبِيض فيه بقدّ البَيض ماضية (١) … والدِّمن تخترق الماذيّة الدُّلصا (٢)

وكلّ نفسٍ مشيحٍ رَهن ما كسبت … والسامريُّ رَهينٌ بالذي قَبصا (٣)

ومن دماء مساعير الهياج نرى (٤) … على سوائبها من نضحها نُقَصا (٥)

أعاد عبدك (نور الدين) منتصراً … ما كان يغلو من الأرواح مُرتخصا

وكم أخاف العدا بالأولياء كما … أخافت الأُسد في إصحارها النُّحصا (٦)

والبطلون متى طالت رقابهمُ … أبدى من الهُون في أعناقها الوَقَصا (٧)

أعدى نداك أمـــير المؤمنين على … حظٍّ تعدّى ، ودهرٍ رَيبُهُ قَرَصا

نعشتَ فضلي بإفضالٍ حلَلتَ به … من عَقده ما لَواه الحظُّ أو عَقَصا (٨)

---

(١) ط : « والبيض فيه تقدّ البيض ماضية » . والبيض (الأولى) بكسر الباء : السـيوف . والبيض (الثانية) بفتح الباء : الخوذ .

(٢) الماذية : الدروع اللينة أو البيض . والدلص : الملس اللينة ، واحدتها دلاص .

(٣) المشيح : المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره . والقبص : التناول بأطراف الأصابع — كما في الصحاح — وهو دون القبض ، وذلك المتناول القبصة (بالفتح والضم) . وعلى الأول قراءة ابن الزبير وغيره : (قال : فما خطبك يا سامري ؟ « ٢٠/٩٥ » قال : بصرت بما لم يبصروا به ، فقبصت قبصة من أثر الرسول ، فنبذتها ، وكذلك سولت لي نفسي « ٢٠/٩٦ ») ، وقراءة العامة بالضاد . وانظر حديث السامري الذي أضل قوم موسى بعبادة العجل في التفاسير في سورة طه .

(٤) المساعير : جمع مسعر (بكسر الميم) ، وهو موقد نار الحرب ، كأنه آلة في إيقادها . نرى : في ط « ترى » .

(٥) سوائبهـــا : لم نر لها وجهاً ، وهي في ط : « سوابقها » . والنضح : الرشح ، وهي في ط : « نضخها » بالخاء المعجمة ، يقال : نضخ الماء ، اذا اشتد فورانه من ينبوعه . والنقص : جاء في هامش ل : « النقص : نقط الدم ، واحدها نقصة » ، وفي القاموس المحيط : « النقصة بالضم : دفعة من الدم » .

(٦) اصحارها : بروزها في الصحراء . والنحص : جمع نحوص ، وهي من الأتن التي لا لبن لها ، وقيل : النحوص التي في بطنها ولد ، وقيل : النحوص الناقة الشديدة السمن .

(٧) الهون (بالضم) : الهوان . والوقص : قصر العنق كأنما رد في جوف الصدر .

(٨) عقص شعره : ضفره ، وقيل : فتله .

أنَّ القريضَ إلى تقريظِكم خلصا   تَملَّ(1) مدحَ وليٍّ ، فخرُ ناظمه

وكلُّ مدحٍ سوى مدحيكمُ خرصا(2)]   [لا يصدقُ الشعرُ إلا حين أمدحكم

إلى الذي في يديه نطقُ كلِّ حصى   وكيف أحصي بنطقي فضلَ منتسبٍ

وأما الضادية ، فإنني نظمتها بالشام أيضاً ، في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب(3) في(4) سنة سبعين ، وهي :

وأفتكُ ألحاظِ الحسانِ غضيضها(5)   أصحُّ عيونِ الغانياتِ مريضها

وتشهرُ من أجفانها البيضَ بيضُها(6)   تَهزُّ قدودُ السُّمرِ للفتكِ سُمرَها

بأعباءِ ما في الأُزْرِ كيف نُهوضها ؟   وقد طال فكري في خُصورٍ ضعيفةٍ

يغرُّ الغريراتِ الحسانَ غريضُها(7)   غَرِضْنَ بشيبي ، والشبيبةُ إنما

معانٍ على فهمي يدقُّ غموضُها   سوافرُ غُرٌّ عن وجوهٍ ، لحُسنها

حبائبُ ، مبيضُّ المشيبِ بغيضُها   نوافرُ ، مسودُّ الشبابِ أليفُها .

---

(1) تملَّ : استمتع ، يقال : ملاك الله حبيبك تملية ؛ أي متعك به وأعاشك معه طويلا . وتملى عمره ومليه : استمتع به .

(2) البيت من ط . وخرص : كذب ؛ وأصل الخرص الحزر والقول بالظن والتخمين ، ومنه أخذ الكذب لغلبته في مثله .

(3) تقدمت ترجمته في (ص ١١) .

(4) « في » : لم ترد في ط .

(5) الغضيض : الطرف الفاتر .

(6) السمر (الأولى) : الرماح . والسمر (الثانية) : النساء السمر . و « تشهر » : تسل ؛ وهي في ط : « يشهر » . والأجفان : جمع جفن ؛ وهو غمد السيف . والبيض (الأولى) : السيوف . والبيض (الثانية) : النساء البيض .

(7) غرضن : ضجرن ومللن ؛ وهو يعدى بمن ؛ يقال : غرض منه غرضاً ، والباء في قوله « بشيبي » للتعليل ؛ أي بسبب شيبي . والغريرات : الفتيات الغرارة اللواتي لا تجربة لهن . والغريض : الأبيض الطري ؛ يريد الشواب من النساء .

عن المُقْتَبِرِ البادي القَتِيرِ نِفارُها (١)　　وعنـد الفتى (٢) الخالي الثراء رُبُوضها

كأنّ قلوب العاشـقين بديْنها　　رُهون غرامٍ ما تؤدّى فُروضها (٣)

وقد غرّ في (٤) ميعادها وهو خُلّبٌ　　كما غرّ من شَيم البروق وميضها (٥)

أجرْني بصبرٍ ، إنّ فيض مدامعي　　سيولُ هموم في فؤادي مغيضها (٦)

وهل مطفئاتٌ أدمعي نارَ لوعـةٍ　　توقّد في أرجاء قلـبي مضيضها (٧)

تُكلّفني نقض العهـود بسلوةٍ　　نباتي على إبرام وَجـدي نقيضها

أأُغضي على حدٍّ من الضيم مُرمِضٍ　　وسيفيَ بتّارُ الحدود رميضها (٨)

أغثنيَ بالإرشاد ، فالطرق إنما　　يَدُلُّ بها خِرّيتُها وَنَفيضُها (٩)

النَّفَضَةُ والنَّفيضَةُ : قوم يبعثون في الأرض ينظرون : هل بها من عدوٍّ ، أو خوف (١٠) .

---

(١) المقتر : المفتقر . والقتير : الشيب ، أو أوله .

(٢) ل : « الغنى » ، وما أثبتناه من ط .

(٣) ط : « فروضها » بالفاء .

(٤) ل : « غرقي » ، وهو كما أثبتناه على وجه الصحة في ط .

(٥) خلب : خادع . والبرق الخلب ، والسحاب الخلب : الذي لا مطر فيـه ، كأنه خادع . وشيم البروق : أن تنظر الى سحبها أين تمطر .

(٦) غاض الماء يغيض غيضاً ومغاضاً ومغيضاً : قل ونقص ، أو غار فذهب . ويكون المغيض مصدراً ، ويكون الموضع الذي يغيض فيه الماء ، ويكون أيضاً اسم مفعول كالمبيع ، يقال غيض ماء البحر فهو مغيض .

(٧) مضه الهم والحزن والقول يمضه مضاً ومضيضاً : أحرقه وشق عليه ، والهم يمض القلب أي يحرقه .

(٨) مرمض : محرق غيظاً . وسيف رميض : ماض حديد .

(٩) الخريت : الدليـل الحاذق الذي يهتدي الى أخرات المفاوز ، وهي مضايقها وطرقها الخفيـة . والنفيض : من قولهم نفض المكان ، اذا نظر جميع ما فيه حتى يعرفه ، كاستنفضه ، وعده الزبيدي من المجاز .

(١٠) لم يرد هذا التفسير في ط .

أعنّي على بلوايَ ، فالعمر(١) غَمرة(٢) ... يعاين أهوال الرَّدى من يخوضها

شَجاني انضامي والخطوبُ كثيرةٌ ... إلى خطّةٍ يؤذي(٣) الأسودَ بعوضُها

تساوى لديها غَثُّها وسمينها ... وأودى بها منحوضُها ونحيضها

النحيض : الكثير اللحم ، والمنحوض : الذي أُخذ لحمه (٤) .

ولي عند تحقيق المعاني أدلّة(٥) ... تزيّف في وقت النُّضار(٦) نقوضها

حُظوظي على عِلاّتها وشتاتها ... كأبياتِ شعرٍ ما يصحّ عَروضُها(٧)

جوامدُ لكنْ نار عزمي تُذيبها ، ... جوامحُ لكنْ طول صبري يروضها(٨)

ستشرق في أوج الصعود سُعودها ... وإنْ زاد إظلامَ الحظوظ حضيضها

بجودِ أمير المؤمنين وسَيبه ... تَفيضُ(٩) على أرض الأماني فُيوضُها

إمام البرايا خيرها مستضيئها ... غزير الأيادي جمّها مستفيضها

تفيض لترويض الرجاء مياهه ... وللنُّجح يُرجى عِدُّها ونضيضها(١٠)

---

(١) ل : « فالغمر » بالغين المعجمة ، وصوابه ما أثبتناه من ط .

(٢) الغمرة : الشدة .

(٣) ط : « يردي » .

(٤) لم يرد هذا الشرح في ط .

(٥) ط : « اذالة » ، ونراها تحريفاً لكلمة (أدلة) .

(٦) ط : « النظا » ، ولعلها سقط منها الراء ، والنظار (ككتاب) : الفراسة . وأما النضار (بالضاد وبضم أوله) فهو الذهب .

(٧) العروض : ميزان الشعر ، وتطلق على الجزء الأخير من النصف الأول من البيت . وهي مؤنثة كما في الصحاح ، وربما ذكرت كما في اللسان ، وعليها ورد الفعل « يصح » في ل ، ط .

(٨) جوامح : جمع جامحة ، وهي الفرس التي تغلب فارسها . يروضها : يذللها .

(٩) ط : « يفيض » .

(١٠) العد (بكسر العين) : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء الينبوع . والنضيض : ورد تفسيره في هامش ل بأنه « الماء القليل » .

جزيل العطايا ، وافر الفضل ، وارف الـ ... ـظلال ، طويل المأثرات عريضها

تبدّل[1] بالأموال آمال وفده ... فكم فاقةٍ منّا بوجد[2] يعيضها[3]

ويفتح من مُدّاحه باللُّها اللَّها[4] ... وقد حال من دون القريض جريضها[5]

إذا اقترحت منّا القرائح مدحه ... تسابق من شوقٍ إليه قريضها

مُواليه مشكور الساعي نجيحها ... وشانيه مردود الباغي دحوضها

أتتنا وفود المكرمات بجوده ... ووافى إلينا قضُّها وقضيضها[6]

إذا ظمئت آمالنا وردت له ... بحار لُهى يروي العطاش فضيضها[7]

من الأسرة الغُرّ التي بولائها ... أفاض المبرّات الغزار مفيضها

مكرّمة أعراضها ، ومهانةٌ ... لإظهار عزّ الأولياء عُروضها[8]

---

(١) ط : « يبدل » .

(٢) الوجد (مثلثة) : الغنى والسعة .

(٣) ط : « يعوضها » ، وكلاهما صحيح ، يقال : عاضه ، وأعاضه ، وعوضه .

(٤) اللها (بالضم) : العطايا ، دراهم كانت أو غيرها ، مفردها اللهوة بالضم أيضاً . واللها (بالفتح) : جمع لهاة ، وهي اللحمة المطابقة في أقصى سقف الفم . يقال : « اللها تفتح اللها » .

(٥) حال : منع . الجريض : الغصة ، والقريض : الجرة . وقيل : الجريض ـ الغصص ، والقريض ـ الشعر . وقال الرياشي : الجريض والقريض يحدثان بالانسان عند الموت ، فالجريض : تبلع الريق ، والقريض : صوت الانسان . وفي المثل : « حال الجريض دون القريض » ، ويضرب لأمر يعوق دونه عائق . وقيل غير ذلك . أنظر تاج العروس (١٥/٥) ، وفرائد اللآل (١٥٩/١) .

(٦) القض : الحصى الكبار ، والقضيض : الحصى الصغار ، يقال : جاؤوا قضهم بقضيضهم ، وجاؤوا قضهم وقضيضهم ، أي جاؤوا بالكبير والصغير . هذا أحسن ما قيل فيه ـ كما قال ابن الأثير .

(٧) اللها : تقدمت قريباً . الفضيض : فسر في هامش ل بأنه « الماء العذب » . نقل ذلك الجوهري ، أو هو الماء القريب ساعة يخرج من العين أو يصوب من السحاب كما في العباب ، أو هو الماء السائل ، قاله أبو عبيدة ونقله الجوهري .

(٨) العروض : الأمتعة ، وكل شيء سوى النقدين .

موالاتهم في الله عن صدق نيّة غسولٌ لأدران[1] الذنوب رحوضها[2]
هُم الكاشفو الغمّاء في كلّ لزبة عدا بغيوب النّائبات عضوضها[3]
أضاء بهم شرق البلاد وغربها وحيزت لهم أطوالها وعروضها
ومن عجب صلّت[4] لقبلة بأسهم رؤوس أعادٍ من طُلاهم محيضها[5]
تدلُّ على الرّعب الّذي في قلوبها مفاصل للأعداء شاجٍ نقيضها[6]
وما هامرٌ هامٍ من الودق إن بكى تبسّم مرهوم الرّياض أريضها[7]
تأرّج واديها وطاب نسيمها وغرّد شاديها وغنّى غريضها[8]
بأغزر[9] من جود الإمام الّذي به إذا شكت الآمال يشفى مريضها
حباني على ضنّ الزّمان بثروة حلا زُبدها في عيشتي ومخيضها[10]
جناح رجائي ريشَ، والنّاس منهمُ رجائيَ محصوص الخوافي مهيضها[11]

---

(١) ط : « لأردان » ، وهو تحريف .

(٢) رحضه وأرحضه : غسله .

(٣) الغماء : الكرب ، كالغم والغمة . اللزبة : الشدة . عدا : هي في ط « غدا » .

(٤) ط : « ضلت » بالضاد ، وليست بشيء .

(٥) محيض : مصدر حاضت المرأة سال الدم منها في أوقات معلومة ، من قولهم : حاض السيل اذا فاض .

(٦) نقيضها : في هامش ل : « ضربانها » . وفي كتب اللغة : صوت المفاصل والأصابع والأضلاع .

(٧) همره : صبه ، فهمر هو وانهمر . همى : سال . الودق : المطر . مرهوم الرياض : ممطورها ، والرهمة (بالكسر) : المطر الضعيف الدائم ، جمعها رهم ورهام (ككتب وجبال) . وأرض أريضة : زكية ، معجبة للعين .

(٨) الغريض : المغني الجيد . وقال ابن بري : الغريض كل غناء محدث طري ، ومنه سمي المغني الغريض ، لأنه أتى بغناء محدث . وقال الحافظ في التبصير : الغريض مخنث مشهور ، واسمه عبدالملك .

(٩) بأغزر : خبر « ما » في قوله « وما هامر ... البيت » .

(١٠) المخيض : اللبن المستخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه .

(١١) حص الشعر : حلقه وأذهبه . وهاض الجناح : كسره فهو مهيض .

إلـيك ـ أميرَ المؤمنـين ـ أحثُّهـا نياقـاً تردّى بالهُزال نقوضهـا (١)

طـلائع آمالٍ ، رَذايا مطـالبٍ تداعت بتعريق النُّحول نحوضهـا (٢)

حوامل آرابٍ حوامـل نُجحهـا إذا عقمت ميـلادها ونقوضها (٣)

لئن عاقت الأقدار عن قصد بابكم وعارضني عنـد السـير عروضها (٤)

فإنّي أنّى كنت في ظلّ طاعةٍ لغير هداكم ما تمـام فروضها

سأطلـب ربّي في ورود بحاركم وأهجـر قوماً أظمأتني بروضهـا (٥)

---

(١) جاء في هامش ل : « النقوض : الناقة العظيمة السنام » .

(٢) الطلائح : النوق المتعبة . الرذايا : في ل « الردايا » بالدال المهملة ، وهي على الصواب في ط كما أثبتناها ، والرذايا جمع رذية ، وهي الضعيف من كل شيء . نحوضها : في هامش ل « أي لحمها » ، وفي القاموس المحيط : النحض اللحم ، أو المكتنز منه ، وبهاء القطعة الكبيرة منه ، ج نحوض ونحاض .

(٣) الآراب : الحاجات . نقوضها : جاء في هامش ل : « امرأة نقوض : نقضت بطنها عن ولدها » ، وفي القاموس المحيط : « نقضت المرأة كثر ولدها . وهي نقوض » .

(٤) عروضها : جاء في هامش ل : « الذي يعارضك اذا سرت » .

(٥) البروض : جمع برض (بالفتح فالسكون) ، وهو القليل ، كالبراض (بالضم) .

باب في ذكر محاسن الوزراء والكتاب

للدولة العباسية وما نمي إلي من شعرهم

الوزير ظهير الدين

الوزير ظهير الدين

أبو شجاع محمد بن الحسين [بن عبدالله بن ابراهيم ، من أهل رُوذْراوَر] [١] .

مولده بقلعة كِنِكوَر [٢] سنة سبع وثلاثين وأربع مئة . وزر للإمام المقتفي [٣] ، بعد عزل عميد الدولة أبي منصور بن جَهير [٤] ، سنة ستّ وسبعين وأربع مئة . وعزل سنة أربع وثمانين يوم الخميس تاسع عشر صفر . ولما قرأ التوقيع [٥] بعزله وانصرف ، كان يُنشد [٦] :

تولاّها وليس [٧] له عدوّ وفارقها وليس له صديق

---

(١) الزيادة من ط . وفي وفيات الأعيان (٦٩/٢) : « أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبدالله ابن ابراهيم ، الملقب ظهير الدين الروذراوري الأصل الأهوازي المولد » . و « روذراور » في ط مصحفة بالزاي في آخرها « روذراوز » ، وصوابها ما أثبتناه . وهي ــ على ما في الوفيات (٧٠/٢) ــ بليدة بنواحي همذان ، وفي معجم البلدان (٢٩٩/٤) : « كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال ، وهي مسيرة ثلاثة فراسخ ، فيها ثلاث وتسعون قرية متصلة بجنان ملتفة وأنهار مطردة » .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (٢٨٦/٧) : « كنكور (بكسر الكافين وسكون النون وفتح الواو) بليدة بين همذان وقرميسين . . . وكنكور أيضاً قلعة حصينة عامرة قرب جزيرة ابن عمر ، معدودة في قلاع ناحية الزوزان » .

(٣) أنظر ص (٢٤ — ٢٦) .

(٤) ستأتي ترجمته عقب هذه الترجمة .

(٥) أنظر ص (٦١) .

(٦) زيد في ط : « ويقول » .

(٧) ط : « فليس » . والصحيح الأصل ، وعليه رواية وفيات الأعيان (٦٩/١) ومختصر زبدة النصرة (ص ٧٨) والفخري (ص ٢٦٦) ، وغيرها .

فخرج إلى الجامع ماشياً يوم الجمعة من داره، وانثالت[1] العامّة عليه تصافحه وتدعو له، وكان ذلك سبباً لإلزامه بيته. ثم أخرج إلى روذراور[2]، وهي موطنه قديماً، فأقام هناك مدّة، ثم خرج إلى الحجّ وسافر إلى مكّة في موسم سنة سبع وثمانين، فخرج العرب على الرّفقة بقرب الرَّبَذَة[3]، فلم يسلم من الحجيج سواه. وجاور بعد الحجّ بمدينة الرّسول — صلوات الله عليه[4] — إلى أن تُوفّي في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين، ودفن بالبقيع[5] عند القبّة التي فيها قبر ابراهيم — عليه السّلام — ابن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وكان عصره أحسن العصور، وأيّامه[6] أنضر الأزمان[7]، ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله، صعباً شديداً في أمور الشرع، سهلاً في أمور الدنيا، لا تأخذه في الله لومة لائم. ذكره ابن الهمذاني في الذّيل[8] وقال: «كانت أيامه أوفى الأيّام

---

(١) ط: «وانثنت». ورواية ل مؤيدة بما جاء في مختصر زبدة النصرة (ص٧٩) والمنتظم (٩٣/٩) ووفيات الأعيان (٦٩/٢).

(٢) ط: «روذراوز». وقد قدمنا تصحيحها في (ص٧٧).

(٣) ل: «الزبدة». والتصحيح من ط ومعجم البلدان ووفيات الأعيان والقاموس المحيط وغيرها. قال الزبيدي (تاج العروس ٥٦٢/٢): «الربذة: قرية كانت عامرة في صدر الاسلام، وهي عن المدينة في جهة الشرق على طريق حاج العراق نحو ثلاثة أيام ... خربت في سنة ٣١٩ هـ بالقرامطة». وفي معجم البلدان (٢٢٢/٤) شيء من التفصيل في سبب خرابها.

(٤) ط: «صلى الله عليه وسلم».

(٥) البقيع: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة. (معجم البلدان ٢٥٤/٢).

(٦) في وفيات الأعيان (٦٩/٢): «وزمانه».

(٧) ط: «الأيام».

(٨) ط: «ذكره ابن المهدي في الدلائل». ويظاهر ما في ل وفيات الأعيان. وابن الهمذاني المذكور: هو محمد بن عبدالملك بن ابراهيم الهمذاني، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمذاني الفرضي. قال ابن الأثير: «صاحب التاريخ»، وقال ابن الجوزي: «من أصحاب التأريخ من أولاد المحدثين والأئمة. =

سعادة للدولتين[1] ، وأعظمها بركة على الرعيّة ، وأعمّها أمناً ، وأشملها رخصاً ، وأ كملها[2] صحّة ، لم يغادرها بؤس[3] ، ولم تشبها[4] مخافة . وقام[5] للخلافة في نظره من الحشمة والاحترام ، ما أعادت سالف الأيّام[6] » .

وكان أحسن النّاس خطّاً ولفظاً .

وله شعر حسن[7] ، وذكر أنه لم يقل - بعد الوزارة - غير هذه القطعة في الزهد :

قد آن بعد ظلام الشّيب[8] إبصاري للشّيب صبحٌ يناجيني بإسفار[9]

= وذكر شيخنا عبدالوهاب ما يوجب الطعن فيه . وتوفي ليلة السبت سادس شوال سنة ٥٢١ هـ » . وأخطأ محقق (النبراس) في تعيين سنة وفاته فظن في مقدمته (ف) أنها سنة ٥٢٦ هـ ، وأخطأ كذلك وستنفلد في كتابه التواريخ العربية ، فظن أنها سنة ٥١٣ هـ = ١١١٩ م وتابعه على خطئه بروكلمن في كتابه تأريخ الأدب العربي (ص٣٤٢ طبعة ١٨٩٨ « مدينة ڤيمر ») وفي ملحقه (٥٨٣/١ طبعة سنة ١٩٣٧ « ليدن ») ، بعد أن أصاب الحز في ذلك في (١٤٢/١) من تأريخه المذكور .

ولأبي الحسن تواريخ عدة ، منها مذيله على ما عمله الوزير أبو شجاع تتمة لكتاب مسكويه الكاتب « تجارب الأمم » : وتأريخ الوزراء ، وعنوان السير ، والفصول ، وتكملة تأريخ الطبري - منه نسخة في خزانة كتب باريس برقم ١٤٦٩ ، على ما ذكر بروكلمن في (١٤٢/١) .

(١) ط : « وكانت أيامه أوفى بأمر سعادة الدولتين » . ويؤيد صحة ما في ل وفيات الأعيان .

(٢) ط : « وأ كثرها » ، ويؤيد رواية ل وفيات الأعيان .

(٣) كذا في ل ، ط ، ووفيات الأعيان . والسياق يأباها ، ولعل الأصل « لم يخامرها بؤس » .

(٤) ط : « ولم يشنها » . ويظاهر رواية ل وفيات الأعيان

(٥) ط ، ووفيات الأعيان : « وقامت » .

(٦) ط : « الأمم » . ويؤيد صحة ما في ل وفيات الأعيان .

(٧) في الفخري (ص ٢٦٦) : « وله شعر لا بأس به » ، وأورد منه ثلاثة أبيات ، وفي المنتظم (٩٤/٩) : « وكان له شعر حسن » ، وفي وفيات الأعيان (٧٠/٢) : « وله شعر حسن مجموع في ديوان » ، وروى منه ثمانية أبيات ، أربعة منها مما رواه العماد له .

(٨) ط : « الجهل » .

(٩) الاسفار : الاضاءة .

ليلُ الشَّبابِ قصيرٌ فَاسْرِ مُبتكراً إنَّ الصَّباحَ قصارى المُدْلِجِ السَّاري[1]

كم اغتراريَ بالدُّنيا وزُخْرُفِها أبني بِناءها على جُرْفٍ لها هارِ[2] ؟

وكم كذوبٍ بعهدٍ لا وفاءَ له تعلَّمَ الغَدْرَ منها كلُّ غدَّارِ

دارٌ مآتِمُها تبقى ، ولذَّتُها تفنى ، ألا قُبِّحت هاتيك من دارِ !

فما انتفاعي بأوطارٍ مضت سلفاً قضيتُها وكأنْ لمْ أقضِ أوطاري[3]

فليت ، إذ صُفِرَتْ ممّا كسبْتُ يدي لم تعتَلِقْ مِن خطاياها بأوزارِ

ليس السَّعيدُ الّذي دُنياهُ تسعدهُ إنَّ السَّعيدَ الّذي ينجو من النَّارِ

أصبحت من سيّآتي خائفاً وَجِلاً واللهُ يعلم إعلاني وإسراري

اذا تعاظَمَني ذنبي وآيسني رجوتُ عفوَ عظيمِ العفوِ غفّارِ[4]

وقرأت في المُذَيَّل تاريخ أبي سعد السَّمعاني[5] : سمعتُ أبا عليٍّ أحمد بن سعيد العِجْلي[6] يقول : قلتُ للوزير أبي شُجاع : أردت[7] أن أقرأ عليك ديوان شعرك . فقال : لا ، ولكن أنشدك أبياتاً من شعري . وأنشدني لنفسه :

ليس المقادير طوعاً لامرىءٍ أبداً وإنَّما المرء طوعٌ للمقادير

فلا تكن إن أتتَ باليُسْرِ ذا أشَرٍ[8] ولا يَؤُوساً إذا جاءت بتعسيرِ

---

(١) أدلج : سار من أول الليل ، فهو مدلج . وقصاراه : غايته وآخر أمره وما اقتصر عليه . الساري : السائر ليلا .

(٢) الجرف (بضم الراء وسكونها) : ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض . هار : متهدم .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة ، ولا يبنى منه فعل .

(٤) تعاظمني : عظم عندي .

(٥) أنظر (ص ٢٣ و ٣١) .

(٦) ط : « سمعت أبي علي أحمد بن سعد العجلي » .

(٧) ط : « أريد » .

(٨) الأشر : البطر .

وكن قنوعاً بما يأتي الزمانُ به   فما يَنوبُك من صفوٍ وتكدير
فما اجتهادُ الفتى يوماً بنافعه   وإنّما هو إبلاءُ المعاذير

وأورد السمعانيّ في الذيل(١): أنشدني المباركُ بن مسعود الغسّال(٢) له:

ما كان بالإحسان أولاكم   لو زرتمُ من كان يهواكم(٣)
أحبابَ قلبي! ما لكم والجفا؟   ومَن بهذا الهجر أغراكم؟!
ما ضرّكم لو عُدتمُ مُدنفاً   مُمرضاً من بعض(٤) قتلاكم
أنكرتمونا مُذ عهدناكم   وخُنتمونا مذ حفظناكم
لا نظرتْ عيني سوى شخصكم   ولا أطاع القلب إلّاكم
جُرتم وخُنتم وتحاملتم   على المُعنّى في قضاياكم(٥)
ما كان أضناني عن المشتكى   الى نجوم الليل لولاكم!
سلوا حُداةَ العيس هل أوردت   ماءً سوى دمعي مطاياكم؟
أو فاسألوا طيفكمُ: هل رأى   طرفي غفا من بعد مَسراكم(٦)؟
أحاول النوم عسى أنني   في مُستلَذّ النوم ألقاكم
يا ظبيات الإنس! في ناظري   ورودكم، والقلب مرعاكم(٧)

---

(١) أنظر (ص ٢٣ و ٣١).
(٢) ل: «العسال» بالعين المهلة. وتصحيحه من ط، وتاج العروس. وهو من المحدثين.
(٣) أورد ابن الجوزي هذه القصيدة في المنتظم (٩/٩٤)؛ وعدتها عنده (١٤ بيتاً).
(٤) في المنتظم: «بعد»؛ وهو تحريف.
(٥) ورد في المنتظم بعد هذا البيت:

يا قوم، ما أخونكم في الهوى!   وما على الهجران أجراكم!
حولوا وجوروا واصفوا واعدلوا   في كل حال لاعدمناكم

(٦) في المنتظم: «طرفي أغفى بعد مسراكم». في مختار الصحاح (غ ف ا): «أغفى: نام. قال ابن السكيت: ولا تقل غفا»؛ وفي القاموس المحيط: «غفا غفواً وغفوّاً: نام أو نعس، كأغفى».
(٧) لم يرد هذا البيت في المنتظم.

خونوا [1] وجوروا وأنصفوا وأعدلوا [2] ... في كلّ حالٍ لاعدِمْناكُم
ما آن أنْ تقضُوا غريماً لكم ... يخشاكمُ أن يتقاضاكم [3] ؟!

ونقلت ببغداد من مجموع له :

وإنّي لأُبدي من هواكَ تجلُّداً ... وفي القلبِ منّي لوعةٌ وغليلُ
فلا تحسبي [4] أنّي سَلوت ، فربّما ... تُرى صحّةٌ بالمرء [5] وهو عليلُ !

وله :

أيذهبُ جُلُّ العُمْرِ بيني وبينكم ... بغير لقاءٍ [6] ؟ إنَّ ذا لَشديدُ !
فإن يسمح [7] الدَّهْرُ الخؤون بوصلكم ... على فاقتي ، إنّي إذَنْ لسعيدُ !

وله ، نقلتُه من مجموع آخر :

وأسلمني الباكون إلّا حمامة ... مطوّقة قد صانعت ما أُصانِعُ
اذا نحن أنفدْنا [8] الدُّموعَ عشيّةً ... فموعدُنا قرنٌ من الشمس طالعُ
اذا لم يكن إلّا صدودٌ وجفوةٌ ... فما أنا فيما بين هذين صانعُ ؟
أبيتُ بليلٍ ليس لي فيه راحمٌ ... ولا مُسْعِدٌ [9] إلاّ الحمام السَّواجعُ

---

(١) في المنتظم : « حولوا » .

(٢) ط : « واعدلوا وانصفوا » .

(٣) جاء في المنتظم بعده :

يستنشق الريح اذا ما جرت ... من نحو نجد أين مسراكم

(٤) في وفيات الأعيان (٧٠/٢) : « فلا تحسبن » .

(٥) ط : « في المرء » .

(٦) ط : « وصال » . ويظاهر ما في ل وفيات الأعيان .

(٧) في وفيات الأعيان : « سمح » .

(٨) نفد الشيء نفاداً : فني ، وأنفده غيره .

(٩) المسعد : المعين .

وتقلت من ذيل التاريخ لابن الهمذاني [1]: أنه سئل الوزير أبو شجاع إجازة [2] أبيات كُثَيِّر [3] التي منها [4]:

اذا قيل: هذا بيتُ عزَّةَ، قادني ... اليه الهوى، واستعجلتني البوادرُ [5]

فقال:

ألا ليتَ شعري والعِدا يُوعدونني ... أيعذرني، إنْ زرتُ عزَّةَ، عاذرُ؟

أمرُّ على أبيات عزّة خائفاً ... عِداها، فجنبي عنهمُ متزاورُ

ألا إنَّ بيتاً لا أزورُ فِناءَهُ [6] ... لأشهى من البيت الذي أنا زائرُ

اذا حضر الواشونَ أبديتُ سَلْوةً ... وفي القلب من حُبّيكِ داءٌ مُخامرُ [7]

---

(١) ابن الهمذاني: تقدمنا ترجمته في (ص ٧٨).

(٢) الاجازة: بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيده على ما قبله، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة. أنظر العمدة لابن رشيق (٢/٧٢).

(٣) كثير (تصغير كثير): هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمان الخزاعي، شاعر اسلامي مشهور. ولد في الحجاز، وروى شعر جميل بثينة، وصار يتردد بين البادية والحاضرة يعاشر السراة ويمتدحهم متكسباً. وكان من البدع في أيامه أن تكون لكل شاعر غادة يشبب بها، فشبب بفتاة بارعة الجمال تدعى عزة، فاشتهر بها وأضيف اسمه الى اسمها. وكان معروفاً بغلوه في معتقداته، كيسانياً يقدم محمد ابن الحنفية ويؤمن بالرجعة وتناسخ الأرواح. ومدح الأمويين كما مدح الهاشميين، وخاصم الزبيريين في ابن الحنفية لحبس ابن الزبير اياه. ولبث على تلك الحال حتى مات بالمدينة سنة ١٠٥ هـ. وأخباره في الموشح (١٤٣ - ١٥٧) والشعر والشعراء (١٢١ - ١٢٤) والأغاني (ج ١، ٢، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١ - أنظر الفهرست)، ووفيات الأعيان (١/٤٣٣ - ٤٣٥)، وخزانة الأدب (٢/٣٨١)، وحديث الأربعاء (٢/١١٦ - ١٢٦). وله ديوان مشروح، طبع في الجزائر سنة ١٩٢٨ م باعتناء هنري بيرس.

(٤) ط: «.. اجازة أبيات له، منها:».

(٥) بدر الى الشيء: أسرع، وبابه دخل، وبادر اليه أيضاً. والبوادر: جمع بادرة، وهي الحدة. وفلان حار النوادر، حادّ البوادر.

(٦) فناء الدار (بكسر الفاء): ما امتد من جوانبها.

(٧) مخامر: مخالط، يقال: خامره الداء اذا خالط جوفه، وفي شعر كثير:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزّة من أعراضنا ما استحلت

تُعالِلتِ عنّي كي تخونِي مودّتي وتلكَ التي، يا عَزُّ، كنتُ أحاذِرُ [1]

تقولين: لم أُضْمِرْ بقلبي خيانةً. دَعِيني [2]، فما للناسِ إلّا الظّواهرُ

وله في نظام الملك [3] لمّا قصده إلى أصفهان، وكتب بذلك الى بغداد:

مَن مبلغٌ ساكني الزوراء مَأْلُكَةً أنّي بمنزلِ عزٍّ صِينَ من هُونِ [4]

حيثُ اشتريتُ غلاءَ العِزِّ مُرتخصاً بصفقةٍ لم أكن فيها بمغبونِ

فاليوم أيقنتُ أنّ الدهرَ سالمني وأنّ أيدي العدا قد قصّرتْ دُوني

لا زالَ ركنُ قوامِ الدِّين مُستلَماً مُشيَّداً بالمعالي غيرَ مَعْيُونِ [5]

---

(١) تعالت: تظاهرت بالعلة.

(٢) ط: «ذريني».

(٣) نظام الملك: أبو علي الحسن بن علي، الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي، وزير السلطانين: ألب أرسلان وولده ملكشاه نسقاً متتالياً تسعاً وعشرين سنة. ولد بنوقان احدى مدينتي طوس، وكان من أبناء الدهاقين. تعلم العربية ناشئاً، واشتغل بالحديث والفقه. ثم خدم ابن شاذان المعتمد عليه ببلخ، وكان يكتب له، فكان يصادره في كل سنة. فهرب منه الى داوود بن ميكائيل السلجوقي، فلما ملك ابنه ألب أرسلان دبر أمره وبقي في خدمته عشر سنين، ثم وطد الملك من بعده لابنه ملكشاه، فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الا التخت والصيد، فأقام على هذا نحو عشرين سنة. ثم قتله، وهو في صحبة ملكشاه متوجهاً الى أصبهان، صبي ديلمي من الباطنية قرب نهاوند في ١٠ شهر رمضان سنة ٤٨٥ ﻫ. وكان رجلا عظيماً، عالماً، كثير العناية بالفقهاء والصوفية، عاملا على نشر العلم. قال ابن خلكان: «وبنى المدارس والربط والمساجد في البلاد، وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس، وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة ٤٥٧ ﻫ». وأخباره في المنتظم (٦٤/٩)، والكامل (٧٥/١٠)، والبداية والنهاية (١٤٠/١٢)، ووفيات الأعيان (١٤٣/١)، وزبدة التواريخ أو أخبار الدولة السلجوقية (ص ٦٦ – ٧١). والعبر (١١/٥)، ومهذب تأريخ مساجد بغداد وآثارها (ص ١٠٢ – ١٠٦).

(٤) المألكة: الرسالة. والهون (بالضم): الهوان.

(٥) استلم الركن أو الحجر: لمسه اما بالقبلة واما باليد. ومعيون: اسم مفعول «عانه» – من باب باع – أي أصابه بالعين، وهي لغة بني تميم. وغيرهم يقولون «معين». قال الشاعر:

قد كان قومك يحسبونك سيداً واخال أنك سيد معيون

يفيض في النّاس فضلاً يعشون به ... والله يعطيه أجراً غيرَ ممنون [1]

وله فيه :

أترى الزّمانَ يجور في أحكامه ... والدّهر ينصُرني بعدل قوامه [2] ؟

كلاّ ، فجارُ أبي عليٍّ [3] في الحِمى ... من عِزّهِ والخصبُ من إنعامه

متبوّئاً للعزّ في سلطانه ... متهنّئاً بالامن [4] في أيامه

من مبلغٌ أهلَ العراق وفيهمُ ... مَن لو ذُكرتُ له بكى بسجامه [5]

أني نزلتُ بدار أكرم طائع ... لإلهه ونبيّه وإمامه

هيهات أخشى الدّهر بعد تحرّمي ... بجواره وذمامه وطعامه [6]

ذاك امرؤٌ يخشى الإله ويتّقي ... متحرّجاً في حلّه وحرامه [7]

فسل اللّياليَ إن جهلت حديثه ... تخبر بطول سجوده وقيامه

فليهن سلطانَ البلاد سُعودُهُ ... فالله يكلأُ ملكه بنظامه [8]

* * *

وإنّي أذكر من فضائله مما ذكره ابن الهمذاني [9] لمعاً [10] ، وهو أنّه ظهر منه من

---

(١) غير ممنون : ينظر الى قوله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » قيل : أي غير محسوب ولا معتد به كما قال تعالى : « بغير حساب » . وقيل : لا مقطوع . وقيل : غير منقوص .

(٢) أي « قوام الدين » أحد اخي الممدوح .

(٣) كنية الممدوح .

(٤) ط : « بالأمر » .

(٥) سجم الدمع : سال ، وبابه دخل ، وسجاماً أيضاً . وسجمت العين دمعها .

(٦) تحرم منه بحرمة : تمنع وتحمى بذمة .

(٧) تحرج : تأثم ، وفعل فعلا يتحرج به من الحرج والاثم والضيق ، وهو مجاز .

(٨) يكلأ : يحفظ . نظامه : نظام الملك .

(٩) ابن الهمذاني : تقدمنا ترجمته في (ص ٧٨) .

(١٠) ط : « واني أذكر من فضائله ما ذكره ابن الهمذاني لمعاً ، هو أنه ... » .

التلبّس بالدّين[1] وإظهاره، وإعزاز أهله والرأفة بهم، والأخذ على أيدي الظلمة ما أذكر به عدل العمرين[2] وكان [لا [3]] يخرج من بيته حتى يكتب شيئاً من القرآن[4] ويقرأ في المصحف[5] ما تيسّر، وكان يؤدّي زكاة أمواله الظاهرة[6] في سائر أملاكه وضياعه وإقطاعه، ويتصدّق[7] سرّاً.

وعرض عليه رقعةٌ فيها: إن في الدّار الفلانيّة [بدرب القيّار[8]] امرأةً[9] معها أربعة أطفال أيتام وهم عراة جياع، فاستدعى صاحباً له وقال [له[10]]: مُر واكسهم[11]، وأشبعهم. وخلع أثوابه وحلف: لا لبستُها ولا دفئتُ حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم. ولم يزل يُرْعَدُ إلى أن عاد صاحبه اليه وأخبره بذلك[12]. فلا جرم أنّ الله

---

(١) في وفيات الأعيان (٢/٧٠): «التثبت في الدين».

(٢) ط: «عدل العدل» ولا معنى لها. وفي وفيات الأعيان: «عدل العادلين». وعن «العمرين» أنظر ما كتبناه في (ص ٩).

(٣) الزيادة من ط ووفيات الأعيان، وهي لازمة.

(٤) في وفيات الأعيان زيادة: «العظيم».

(٥) في وفيات الأعيان: «ويقرأ من القرآن في المصحف».

(٦) ط: «الطاهرة». وما في ل تظاهره وفيات الأعيان، ويقتضيه السياق.

(٧) ط: «ويصدق».

(٨) الزيادة من ط، ووفيات الأعيان. والقيار: بالياء المثناة المشددة، وقد صحفت في وفيات الأعيان باء موحدة. قال ياقوت (معجم البلدان ٧/١٩٢): «وببغداد محلة كبيرة مشهورة يقال لها درب القيار».

(٩) في وفيات الأعيان: «ان الدار الفلانية بدرب القيار فيها امرأة ...».

(١٠) الزيادة من ط.

(١١) ط: «مر أكسهم». وفي الوفيات: «وقال له: أكسهم ...».

(١٢) القصة مذكورة أيضاً في المنتظم (٩/٩١)، والبداية والنهاية (١٢/١٥١).

[تعالى [1]] ختم له بالخير ، كما قال [الله تعالى [2]] : (والعاقبة للمتّقين) .

* * *

ومن أشعاره في أمير المؤمنين المقتدي [3] ، وأثبتُّها لكونها في الخليفة :

بقيتَ - أمير المؤمنين - مخلّداً　　تطولُ بأسبابِ العلاءِ على النّجم
وتفديكَ أرواح الموالي على الرّضا　　وتفديك أرواح الأعادي على الرّغْم
فقرّ بفخر الدّين عيناً [4] وصنوِهِ　　أبي جعفر يا معدِنَ الجود والحكم
اذا الدّهرُ لم يثلم علاكَ ، فإنّه　　جديرٌ بأن يلقى أماناً من الذمّ
فلا زلت في الاقبال ما ذرّ شارقٌ　　ومادرّ في أرضٍ حيا الدّيمِ السّجْم [5]

الوزير عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن جَهير

الوزير عميد الدولة ابن جهير

كان ذا شهامة وصرامة ، وحصافة وفصاحة ، وحماسة وسماحة . له من الوقار والهيبة ما لم يُعرف في غير الطَّوْد الأشمّ [6] ، والبحر الخِضَمّ .

---

(1) الزيادة من ط .

(2) الزيادة من ط .

(3) أنظر ترجمته في (ص ٢٤ــ٢٦) .

(4) ط : « عوناً » وليس بشيء .

(5) ذر : طلع . در : سال . الحيا : المطر . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق . السجم : التي تسيل كثيراً .

(6) ل : « ... في غيره . الطود الأشم ... » . وما أثبتناه من ط .

ورد مع فخر الدَّولة أبيه[1] بغداد في أيّام القائم بأمر الله[2] سنة أربع وخمسين ، وَوَلي أبوه الوزارة ، وكان بميّافارقين[3] يخدم بني مروان[4] ، ثمّ كاتَبَ أميرَ المؤمنين وبذل مبذولاً ، وأخرج اليه نقيب النُّقباء طراد الزَّينبي[5] فقرَّرَ معه ما أراد تقريره . ثمّ خرج

---

(١) فخر الدولة : أبو نصر محمد بن محمد بن جهير . ولد بالموصل سنة ٣٩٨ هـ . وكان في ابتداء أمره فقيراً مدقعاً ، ثم تقلبت به الأمور حتى مضى في رسالة الى ملك الروم . ثم تنقل في الخدمات حتى اتصل بابن مروان الكردي صاحب ديار بكر فخدمه مدة ، وأثرى عنده ثروة ضخمة ، فسمت همته الى وزارة الخليفة ، فكاتب القائم بأمر الله سراً الى أن تم له ما أراد في سنة ٤٥٤هـ . ثم عزل عنها في سنة ٤٦٠هـ ، فشفع له فأعيد اليها في سنة ٤٦١هـ . ولما مات القائم ، قام بأخذ البيعة للمقتدي ، فأقره على الوزارة مدة سنين ، ثم عزله عنها في سنة ٤٧١هـ . وفي سنة ٤٧٦هـ خرج الى السلطان ملكشاه باستدعائه إياه ، فعقد له على ديار بكر وسير معه العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من بني مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة . فسار اليها ، ومعه ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء ، ففتح ابنه مدينة آمد ، وفتح هو ميافارقين واستولى على أموال بني مروان ، وذلك في سنة ٤٧٨هـ . ثم عاد الى ديار ربيعة متولياً من جهة ملكشاه أيضاً في سنة ٤٨٢ هـ فملك نصيبين والموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع ، وخطب له على منابرها نيابة عن السلطان ، وأقام بالموصل الى أن توفي سنة ٤٨٣هـ . وأخباره متفرقة في الكامل (ج ١٠) وله ترجمة في الفخري (٢٦١) ، ووفيات الأعيان (٢/٦٦ــ ٦٨) .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٢ ــ ٢٤) .

(٣) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، من أبنية الروم . استولى عليها قباذ بن فيروز ملك الفرس ، ثم أعادها هرقل الى مملكة الروم . وفتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب ــ رضوان الله عليه ــ ، وتفصيل الكلام عليها في معجم البلدان (٨/٢١٤ــ ٢١٨) .

(٤) بنو مروان : هم بنو مروان بن دوستك الكردي الحميدي ، نشأت دولتهم في ديار بكر بعد بني حمدان في سنة ٣٨٠هـ . وانتهت على يد الوزير فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير في سنة ٤٧٨هـ . ومن أشهر أمرائها أبو نصر أحمد بن مروان المترجم في وفيات الأعيان (٢/٥٧) وكانت امارته ٥٢ سنة . وقيل : ٤٢ سنة . وأخبارها متفرقة في الكامل (ج ٩ و ج ١٠) ، ومجموعة في العبر (٤/٣١٥ــ ٣٢١) وخلاصة تأريخ الكرد وكردستان (٢/٩٥ــ ١٢٥) .

(٥) في وفيات الأعيان (٢/٦٦) : « ابن طراد الزينبي » . وليس بصحيح . قال ابن الأثير (الكامل ١٠/٨) : « وأرسل كامل طراد الزينبي الى ميافارقين كأنه رسول ، فلما عاد سار معه ابن جهير ... » ، والكامل انما هو لقب لطراد الزينبي ، قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٨٧) : =

معه كأنه مُوَدِّع له، وتمَّ [1] الى بغداد. وتولّى وزارة القائم [2]، وبقي فيها الى آخر عهد القائم، ومعه ولداه [3]: أبو منصور، وأبو القاسم زعيم الرؤساء.

فلقب هذا [4] عميد الدولة، وكان ينوب عن والده. فلما عُزِلَ أبوه [5] في أيام المقتدي [6] بعد ما وزر له [سنين [7]] سنة إحدى وسبعين، خرج عميد الدولة الى نظام الملك [8] واسترضاه، وعاد الى بغداد وتولّى الوزارة مكان أبيه [9].

وخرج أبوه عن السلطان ملكشاه [10] لفتح ديار بكر ومحاربة ابن مروان في ميّافارقين، وكان فتحها على يده.

= وفيها ــ أي في سنة ٤٥٣ هـ ــ خلع على طراد بن محمد الزينبي الملقب بالكامل نقابة الطالبيين، ولقب «المرتضى» ونسبته الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس. وكان مولده في سنة ٣٩٨ هـ ووفاته في سنة ٤٩١ هـ، وولي نقابة العباسيين بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد بن محمد الزينبي. وترجمة طراد في المنتظم (٩/١٠٦)، والبداية والنهاية (١٢/١٥٥).

(١) كذا في ل، ط، ب. ولعله أراد «وتم خروجه معه الى بغداد». وفي الكامل (١٠/٨): «فتمم السير معه الى بغداد»، وفي وفيات الأعيان (٢/٦٦): «ثم خرج لوداعه وتمم الى بغداد». والفعل «تمم» يتعدى بنفسه لا بالحرف. وفي الفخري (ص٢٦٢): «ثم لما أراد الرسول الرجوع الى بغداد، خرج فخر الدولة كأنه يودعه، فتحدر معه الى بغداد ...».

(٢) تقدمت ترجمته في (ص٢٢ــ٢٤).

(٣) ط: «ولده» بالافراد، وهو تحريف.

(٤) الاشارة الى الأول «أبي منصور».

(٥) أنظر سبب عزل فخر الدولة في أيام المقتدي، في الكامل (١٠/٤٠ ــ ٤١).

(٦) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤ ــ ٢٦).

(٧) الزيادة من ط.

(٨) تقدمنا ترجمته في (ص ٨٤).

(٩) أنظر ذلك في الكامل (١٠/٤١).

(١٠) ملكشاه: جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق التركي، واسطة عقد الملوك السلاجقة. ولد في سنة ٤٤٧هـ، وملك بعد مقتل أبيه في سنة ٤٦٥هـ، وفتح البلاد واتسعت عليه المملكة، قال ابن خلكان: وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الاسلام بعد الخلفاء =

وبقي في وزارة المقتدي الى أن عُزِل [1] وتولّى الوزير أبو شجاع [2] ، ثم وَزَرَ للمُقتدي بالله بعد عزل أبي شجاع [3] ثانياً [4] . وَوَزَرَ بعد وفاته للمستظهر بالله [5] ، وعُزِل مرّةً وأعيد إلى الوزارة ، وعزل [6] في سنة ثلاث وتسعين [7] وأربع مئة ، وعاش

= المتقدمين . وقال ابن الأثير : وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن ، وحمل اليه ملوك الروم الجزية ، ولم يفته مطلب ، وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد . ووصفه ابن خلكان بأنه كان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالملك العادل ، وكان منصوراً في الحروب ومغرماً بالعمائر . وكانت وفاته ببغداد في شوال سنة ٤٨٥ هـ ، وحمل تابوته الى أصبهان ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية . وأخباره متفرقة في المنتظم (ج ٨ و ٩) والكامل (١٠/ ما بين ١٩ و ٧٩) والبداية والنهاية (١٢/ مابين ١١٦و١٤٣) ، ومجموعة في زبدة النصرة (٤٧ ـ ٨٢) وأخبار الدولة السلجوقية من كتاب زبدة التواريخ (٥٥ ـ ٧٤) ووفيات الأعيان (١٢٣/٢ ـ ١٢٥) والعبر (م ٥) .

(١) عزله الخليفة في صفر سنة ٤٧٦ هـ ، قال ابن الأثير (الكامل ٤٧/١٠) : « ووصل يوم عزل رسول من السلطان ـ يعني ملكشاه ـ ونظام الملك الى الخليفة يطلبان أن يرسل اليهما بني جهير ، فأذن لهما في ذلك ، وساروا بجميع أهلهم ونسائهم ، فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام ، وعقد السلطان لفخر الدولة على ديار بكر ، وخلع عليه ، وأعطاه الكوسات ، وسيّر معه العساكر ... » ، ثم ذكر في (٤٩/١٠) تسيير السلطان لعميد الدولة في جيش كثيف الى الموصل ، وفتحه لها .

(٢) ط : « وتولى الوزارة أبو شجاع » ، وقد تقدمت ترجمته قبل هذه الترجمة .

(٣) عزل الخليفة أبا شجاع في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٤ هـ لسبب مذكور في الكامل (٦٨/١٠) ، فاستناب في الوزارة أبا سعد ابن الموصلايا الآتية ترجمته في هذا الكتاب ، وأرسل الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة ليستوزره ، فسير اليه ، فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة ، وركب اليه نظام الملك فهنأه بالوزارة في داره ، وأكثر الشعراء تهنئته بالعودة الى الوزارة .

(٤) ط ، ب : « ثانية » .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٢٦ ـ ٢٩) .

(٦) أنظر سبب عزله في الكامل (١١١/١٠) .

(٧) ل : « .. وسبعين » ، وتصحيحه من ط ، ب ، ومن كتب التأريخ .

بعد ذلك [١] .

وله مقطّعات [٢] حسنة [٣] ، فمنها له وأورده [٤] السّمعانيّ في الذّيل [٥] :

يقول صديق باللسان مُخاتِرٌ [٦] … كما قيل في الأمثال عَنقاءُ مُغرِبُ [٧]
فأمّا إذا ما رمتَ شخصاً معيّناً … من النّاس موجوداً ، فذلك مُتْعِبُ

ولـه :

الى متى أنت في حلٍّ وترْحالِ … تبغي العلى ، والمعالي مَهرُها غالِ
ياطالب المجد ! دون المجد مَلْحمةٌ [٨] … في طيِّها خطرٌ بالنّفس والمالِ
ولليالي صروف قلّما انجذبتْ … الى مُرادِ امرِىءٍ يسعى لآمالِ [٩]

***

ذكر فصل في عميد الدّولة ذكره ابن الهمذانيّ [١٠] في تاريخه ، قال :

---

(١) عزل في شهر رمضان سنة ٤٩٣ هـ ، وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار ، وقبض عليه وعلى اخوته ، وحبس في دار الخلافة ، ثم أخرج من محبسه ميتاً في سادس عشر شوال من السنة المذكورة ، فحمل الى داره فغسل بها . قال ابن الأثير : « ومولده في الحرم سنة ٤٣٥ هـ » .

(٢) ط : « مقطوعات » .

(٣) قال القاضي ابن خلكان : « وله شعر ذكره في (الخريدة) ، لكنه غير مرضي » .

(٤) ل : « وأورد » ، ط : « وأوردم » .

(٥) ط : « المذيل » . أنظر ما قدمناه في (٢٣ و ٣١) .

(٦) مخاتر : مخادع ، وهي في ط : « مخابر » ، وفي ب : « مجابر » .

(٧) عنقاء مغرب : فيها كلام كثير استوفي في تاج العروس (٤١٠/١) وغيره . وعن أبي حاتم في كتاب الطير : هي الداهية ، وليست من الطير . وفي الحديث : « طارت به عنقاء مغرب » ، قال ابن الأثير في النهاية (١٧٢/٢) : أي ذهبت به الداهية . والمغرب : المبعد في البلاد .

(٨) الملحمة : الوقعة العظيمة في الفتنة .

(٩) في الفخري (ص ٢٦٥) : « بلا مال » . وتكرار « المال » في قافيتين متتابعتين ايطاء ، وهو من العيوب التي يتجنبها الشعراء .

(١٠) ابن الهمذاني : قدمنا ترجمته في (ص ٧٨ ـ ٧٩) .

« إنتشر عنه الوقار والهيبة والوقْفة وجودة الرأي ، وخدم ثلاثة من الخلفاء ، ووَزَرَ لاثنين منهم . وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمّة مع استزادة النّاس له (١) . وكان نظام المُلْك (٢) يصفه دائماً بالأوصاف العظيمة (٣) ، ويشاهده بعين الكافي الشهم ، ويأخذ رأيه (٤) في أهمّ الأمور ، ويقدّمه على الكُفاة والصّدور (٥) . ولم يكن يعابُ بأشدّ من الكِبْر الزائد ، وأن (٦) كلماته كانت محفوظة مع ضنّه بها . ومن كلماته بكلمة (٧) قامت عنده مقام بلوغ الأمل (٨) . فمن جملة ذلك ما قال لولد الشّيخ الإمام أبي نصر ابن الصبّاغ (٩) :

---

(١) نقل ابن خلكان في الوفيات كلام ابن الهمذاني هذا ، ولم يورد فيه قوله : « مع استزادة الناس له » .

(٢) نظام الملك : قدمنا ترجمته (في ص ٨٤) .

(٣) في وفيات الأعيان : « بأوصاف عظيمة » .

(٤) في وفيات الأعيان : « برأيه » .

(٥) قلنا : ومن شدة اعجابه به زوجه ابنته « زبيدة » ، وكان قد عزل من الوزارة فأعيد اليها بسبب هذه المصاهرة ، وفي ذلك يقول ابن الهبارية :

قل للوزير ، ولا تفزعك هيبته ... وان تعاظم واستولى لمنصبه :
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية ... فاشكر حِراً صرت مولانا الوزير به !

(وفيات الأعيان : ٦٨/٢) .

(٦) ط ، ب ، ووفيات الأعيان : « فإن » .

(٧) ب : « كلمة » .

(٨) في الكامل (١١١/١٠) : « وكان عاقلاً كريماً حليماً . الا أنه عظيم الكبر ، يكاد يعد كلامه عداً ، وكان اذا كلم انساناً كانت بشرة هيء ذلك الرجل بكلامه » .

(٩) ابن الصباغ : عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ الفقيه الشافعي . كان فقيه العراقين في وقته . ولد سنة ٤٠٠هـ ببغداد ، وتفقه على أبي الطيب الطبري . وصنف المصنفات المفيدة في الفقه والأصول ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أول ما فتحت ، وكف بصره في آخر عمره ، وتوفي سنة ٤٧٧هـ . وكان ثقة حجة صالحاً . وترجمته في طبقات الشافعية (٢٣٠/٣) ووفيات الأعيان (٣٠٣/١) والمنتظم (١٢/٩) والبداية والنهاية (١٢٦/١٢) ونكت الهميان (ص ١٩٣) .

« إشتغلْ وَأدأب [1] ، وإلّا كنتَ صَباغًا [2] بغير أب » .

لم يكن له من الشعر ما يثبت الّا الأبيات الّتي أوردتها .

سديد الملك

[سديد الملك] [3]

أبو المعالي المفضل بن عبدالرزّاق [بن عمر] [4] ، العارض [5]

في الأيام الجلالية [6]

هو والدُ [7] حُسام الدّين أبي الخطّاب ، وسأورده في فضلاءِ أصفهان وصُدورها .

وإنّما أوردتُ سَديدَ المُلْك ها هنا ، لكونه وزر للمُستَظْهِر [8] عشرة أشهر . وَلي في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، وعُزِلَ في رجب سنة ستّ وتسعين وأربع مئة [9] ، وعاد مُحتَرَمًا الى أصفهان .

---

(١) وكتب في هامش ل : « تعلم واداب » ، وفي وفيات الأعيان : « اشتغل وتأدب » .

(٢) ل : « ضياعاً » . والسياق يقتضي ما أثبتناه . وهو على وجه الصحة في ط .

(٣) من ط . وهو فيها « شديد الملك » مصحفاً شيئاً ، وتصحيحه مما ورد في صلب الترجمة في ل ومن زبدة النصرة (ص ٦٢) والكامل (١٠/١٣٥ و ٢٠٢) .

(٤) من زبدة النصرة .

(٥) كتب في هامش ل : « عارض الجيش » .

(٦) الأيام الجلالية : يريد بها أيام الملك جلال الدولة ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الذي تقدمنا ترجمته في (ص ٨٩ ــ ٩٠) .

(٧) ل : « ولد » ، وتصحيحه من ط .

(٨) أنظر ترجمته في (٢٦ ــ ٢٩) .

(٩) كان سبب عزله على ما في الكامل (١٠/١٣٥) جهله بقواعد دين الخلافة . وفيه : أنه حبس بدار الخلافة . وفي حوادث سنة ٩٧ ، منه (١٠/١٤١) : انه في هذه السنة ــ في شهر ربيع الأول ــ أطلق من الاعتقال ، ولما أطلق هرب الى الحلة السيفية ، ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه .

ذكر ابن الهمذاني[1] في التاريخ : أنه لما استدعي الى بين يدي الخليفة حين أفيضت عليه خلع الوزارة ، غلبه الحصر[2] ، فقال : تاج الرؤساء نسيب بن الموصلايا[3] الخليفة : المفضل بن عبد الرزاق يخدم ، ويقول كما قال الله تعالى : (ربِّ أوزِعني أن أشكرَ نعمتك[4]) .

أنشدتُ له بيتين بأصفهان[5] ، وهما[6] :

قلْ للوزير وكلهم جذلان[7] : لا تشمتوا ، فوراءه الحدثان !
الملك بعد أبي عليّ لعبةٌ يلهو[8] بها النسوان والصبيان

الوزير ابن صدقة

[الوزير[9]] جلال الدين أبو علي الحسن بن صدقة[10]

وزير المسترشد بالله[11] أمير المؤمنين . ناب[12] في دولته . كبير القدر ، خطير

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٧٨) . (٢) الحصر : العي .

(٣) ترجم له المؤلف في هذا الباب ، فقال : « تاج الرؤساء أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا . وهو هبة الله ابن صاحب الخبر الحسن بن علي » ، فتأمل .

(٤) سورة النمل ، الآية ١٩ . وسورة الأحقاف ، الآية ١٥ . ومعنى أوزعني : ألهمني .

(٥) « بأصفهان » : لم ترد في ط .

(٦) الظاهر أن هذين البيتين هما في الوزير تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست ، والوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي الطوسي . وقد كان ذاك عدو هذا ، ولما قتل نظام الملك قيل ان السلطان ملكشاه دس عليه من قتله ، لأنه سئم طول حياته واستكثر ما بيده من الاقطاعات . وقيل : انه قتل بسبب ابن دارست هذا . فلا ريب أن سديد الملك يستنكر على ابن دارست شماتته بمقتل نظام الملك .

(٧) ل : « خذلان » ، وهو في ط كما أثبتناه .

(٨) ط « تلهو » .

(٩) الزيادة من ط ، ب .

(١٠) في المنتظم (٩/١٠) : « الحسن بن علي بن صدقة » ، وفي الفخري (٢٧١) : « أبو علي الحسن بن علي بن صدقة » .

(١١) أنظر ترجمته في (ص ٢٩ — ٣١) .

(١٢) « ناب » : مكانها في ط بياض .

الأمر ، ذو الأصالة والجلالة والبسالة ، والصدق في المقالة ، والفضل الكثير ، والكرم الغزير .

وكان صديق عمي العزيز(١) ـ رحمة الله عليهما ـ ، وهما كالأخوين ، وكنفس واحدة لا نفسين ، بل كانا في الدولتين شمسين(٢) .

أنشدني له محمود(٣) الكاتب المعروف بالمولد البغدادي(٤) بالشام(٥) ، وذكر أنه رآه يكتب بخطه الى المواقف المسترشدية هذه الأبيات يوم جلوسه في الوزارة ثانية بعد النكبة(٦) :

---

(١) قدمنا ترجمته في (ص ٧) .

(٢) ط : « بل كانا في أفق الدولة شمسين » .

(٣) كذا في ل ، ط . والمعروف أن اسم المولد البغدادي « محمد » لا « محمود » كما نص على ذلك العماد في ترجمته له في الورقة ١٥٩ من النسخة الطرازية المصورة المحفوظة بخزانة كتب المجمع العلمي العراقي ، وابن الأثير في الكامل (٢٠٤/١١) ، وابن خلكان في وفيات الأعيان (١٨/٢ و ٢٤٩) . قال ابن خلكان : « أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد ، المعروف بالأبله البغدادي ، الشاعر المشهور ، أحد المتأخرين المجيدين . جمع شعره بين الصناعة والرقة . وله ديوان شعر بأيدي الناس كثير الوجود » . ثم أورد ترجمة العماد له في (الخريدة) هذه . ثم قال : « وكانت وفاته ـ على ما قاله ابن الجوزي في تأريخه ـ سنة تسع وسبعين ، وقال غيره : سنة ثمانين وخمس مئة ببغداد » . قلنا : وذكره ابن الأثير في الكامل في وفيات سنة ٥٧٩ هـ .

(٤) جاء في هامش ل : « وكان مليح الخط . توفي بدمشق سنة سبعين » (كذا) .

(٥) « بالشام » : لم ترد في ط .

(٦) استوزره المسترشد بالله سنة ٥١٣ هـ ، ولقبه بجلال الدين سيد الوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين . ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ٥١٦ هـ وعزله عن الوزارة . قال مؤلف الفخري : « ولم يكن ذلك عن ارادة من المسترشد ، وانما دعته الضرورة الى القبض عليه ، لأن وزير السلطان كان يتعصب عليه ، ثم بعد ذلك بمديدة زال المانع فأعاده المسترشد الى وزارته وخلع عليه خلع الوزارة ، وتقدم الى أرباب الدولة بالسعي بين يديه الى الديوان . وهو أول وزير مشى أرباب الدولة بين يديه رجالة ، ومرض في آخر أيامه ، فعاده المسترشد .. ولم يزل أمره يضمحل حتى توفي سنة ٥٢٢ هـ » . قال ابن الأثير (الكامل ٢٤٩/١٠) : « وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، متواضعاً ، محباً لأهل العلم مكرماً لهم ، وله شعر حسن » .

بدأتَ بنُعمى، ثمّ واليتَ فعلَها ... وتابعتَها في حالة البعد والقرب

ولم تُخلِني من حُسْن رأيك ان سطا[1] ... بيَ الدهر واسودّتْ به أوجُه الخطْب

فأقررتَ عينَ الأولياء بأوبتي ... وأرغمتَ حُسّادي وأوطأتَهم عقبي

فلا زلتَ في عزٍّ يدوم ونعمةٍ ... يقصّر عنها منتهى السبْعة الشهْب[2]

وتُنْسَب إليه هذه الرباعيّة :

آتيك غداً ولو تحالفَ[3] الأهل ... لا أرجع عنك أو يتمّ الوصل

آتيك ولو سُلّ عليَّ النصْل ... السيف أو الفراق، كلٌّ قتل !

الوزير عون الدين أبو المظفر يحيي بن هبيرة

الوزير ابن هبيرة

نسبه من شيبان بموجب ما أثبتّه عنه : يحيى بن محمّد بن هُبيرة بن سعيد بن حسن[4] بن أحمد بن الحسن بن جَهْم بن عمر بن هبيرة بن عُلوان بن الحوفزان، وهو الحارث بن شريك بن عمرو[5] بن قيس بن شراحيل[6] بن مُرّة بن همام بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكابة بن الصّعب[7] بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط

---

(١) السطو : القهر بالبطش .

(٢) الشهب السبعة : هي الشمس، والقمر، وزحل، والمشتري، والمريخ، وزهرة، وعطارد .

(٣) ب : « أتاك » .

(٤) في وفيات الأعيان (٢٤٦/٢) : « أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسن .. » ، وفي الكامل (١٣٠/١١) : « .. عون الدين الوزير ابن هبيرة، واسمه يحيى بن محمد بن محمد بن المظفر، وزير الخليفة » ، ولا نشك في أن محمداً الثانية في الكامل زائدة، وأن ابن المظفر محرفة من « أبو المظفر » .

(٥) ط : « عمر » ، ويظاهر ل ما في وفيات الأعيان .

(٦) ط ، ووفيات الأعيان : « شرحبيل » .

(٧) في نسب عدنان وقحطان للمبرد، وصبح الأعشى : « صعب » مجرداً من أل .

ابن هِنْب [1] بن أفصى [2] بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن مَعَدّ ابن عدنان . أُخْرِج له هذا النَّسب بعد سنين من وزارته ، وذكره الشُّعراء في مديحهم إيّاه .

وكان غزير العلم ، ذا هيأة [3] ، ذا هَيْبة ، مفوّهاً ، مَهيباً .

وزر للمقتفي والمُستنجِد [4] ، وتُوُفّي [5] ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الأولى [6] سنة ستّين وخمس مئة [7] ، وهو وزير الإمام المستنجد . وكانت مدة وزارته للإمامين الى حين وفاته ستّ عشرة سنة وشهرين وتسعة أيّام .

وكان يتبرّك بيوم الأربعاء ، ويقول : هؤلاء المنجّمون يتطيّرون من التّربيعات ، وأنا وليت يوم الأربعاء رابع ربيع الأوّل سنة أربع وأربعين وخمس مئة .

وكان مُقرِّباً لأولي الفضل والدِّين .

---

(1) ط : « هيب » ، وهو تصحيف .

(2) ل ، ط : « أقصى » بالقاف . والتصحيح من كتب الأنساب .

(3) « ذا هيأة » : لم ترد في ط .

(4) في الفخري (٢٧٨) : « وكان المقتفي والمستنجد يقولان : ما وزر لبني العباس كيحيى بن هبيرة في جميع أحواله . وكانت له في قمع الدولة السلجوقية يد قوية ، وحيل مرضية » . وجاء مثل هـذا المعنى في المنتظم ، والبداية والنهاية . وعن المقتفي راجع (ص ٣٤ ـ ٣٥) من هذا الكتاب ، وعن المستنجد راجع (ص ١٨ ـ ٢٢) كذلك .

(5) في البداية والنهاية (٢٥١/١٢) : « مات فجأة ، ويقال انه سمه طبيب ، فسمّ ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، وكان الطبيب يقول : سممته فسممت .. » . قال ابن الجوزي (المنتظم ٢١٧/١٠) وقد غسله : « ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده تدل على أنه مسموم ، وحملت جنازته يوم الأحد الى جامع القصر فصلي عليه ، ثم حمل الى مدرسته التي بناها بباب البصرة فدفن بها ، وغلقت يومئذ أسواق بغداد ، وخرج جمع لم نره لمخلوق قط في الأسواق وعلى السطوح وشاطىء دجلة ، وكثر البكاء عليه لما كان يفعله من البر ويظهره من العدل ، وقيل في حقه مراث كثيرة » .

(6) ل ، ط : « الأول » ، والصواب ما أثبتناه .

(7) وكانت ولادته سنة ٤٩٩ هـ (المنتظم ٢١٤/١٠) .

وصنّف تصنيفاً في (شرح الصّحاح) وسمّاه (الإفصاح) [١] ، وبذل على حفظه ونسخه أمواله ، حتّى كان في زمانه لا يشتغل إلّا به [٢] .

ورُزِقَ من الشّعر والشّعراء ما لم يُرزَق أحدٌ ، وأجازَ عليه .

سمعت صاحب الخبر ابن المهدي [٣] يقول يوماً له : قد جمعت من القصائد الّتي مُدِحَتْ [٤] بها مايزيد على مئتي ألف بيت ، وكان كلّ سنة يحمل منها مجلداً . فلما توفّي الوزير ، وبيعت كتبه ، اشترى الشريف ابن الـ[مهدي [٥]] ما كان جمعه من خزانة الوزير ، وسمعت أنّها أخذت منه وغُسِلَتْ [٦] .

ومدائحي فيه كثيرة .

وله شعر حسن ، فما أروي له أبيات [٧] هنّأ [٨] بها الخليفة بالعيد :

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٥٠/١٢) : « وصنف كتباً جيدة مفيدة ، من ذلك « الافصاح » في مجلدات . شرح فيه الحديث ، وتكلم على مذاهب العلماء ، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد » . وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢٤/٢) : « وصنف كتباً ، فمن ذلك كتاب « الافصاح عن شرح معاني الصحاح » وهو يشتمل على تسعة عشر كتاباً ، شرح الجمع بين الصحيحين ، وكشف عما فيه من الحكم النبوية » . ثم ذكر له من المصنفات : « كتاب المقتصد » بكسر الصاد المهملة ، وشرحه أبو محمد بن الخشاب النحوي المشهور في أربع مجلدات شرحاً مستوفياً . ومختصر كتاب « اصلاح المنطق » لابن السكيت . و « كتاب العبادات » في الفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل . و « أرجوزة في المقصور والممدود » . و « أرجوزة في علم الخط » .

(٢) ب : « وأمر ألا يشتغل الا به » .

(٣) ط : « ابن المهتدي » .

(٤) ط : « امتدحت » .

(٥) مكانها في ل بياض ، وهي في ط كما مرت أيضاً : « ابن المهتدي » .

(٦) ط : « فما توفي الوزير ، وبيعت كتبه ، اشترى الشريف ابن المهتدي ما كان جمعه من خزانة الوزير ، فعرف ذلك بعض الأكابر ، فنفذ وأخذها ، وغسلها جميعها » .

(٧) ل : « أبياتاً » ، وهي في ط على الصواب .

(٨) ل ، ط : « هني » .

بك ٱلعيدُ يُزْهَى ، بل بك الدّين [1] يفخرُ
وأنت الّذي من كلّ ما فيك [2] أكثرُ

فدُمْ للأماني مثلما أنت ، حيث قد
بلغت إلى ما لم يكن عنه مظهر

أفرضٌ على أن ليس في النّاس ناطقٌ
من الفضل إلّا ما به أنت أخبر ؟

وله [3] :

يا غايةَ الحُسْن ! هذا غاية الكَمَدِ
ومُنتهى البدْر ! هذا منتهى جَلَدي

إن كان حسنك لا يُفضي [4] إلى أمدٍ
فإنّ وجديَ لا يُفضي [4] الى أمدِ

وله [5] :

ركبت بحار الحبّ جهلاً بقدرها
وتلك بحار لا يُتّقَى غرقُها

فسرنا على ريح تدلُّ عليكمُ
فبانت قليلاً ، ثمّ غاب طريقها

اليكم بكم أرجو النّجاة ، فما أرى
لنفسيَ منها سائقاً فيسوقها

وله [5] :

تمسكْ بتقوى الله ، فالمرء لا يبقى
وكلُّ امرىءٍ ما قدّمت يدهُ يلقى

ولا تظلمَنّ النّاسَ ما في يديهمُ ،
ولا تذكُرنْ إفكاً، ولا تحسُدنْ خلقا

---

(١) ط : « الدهر » .

(٢) ط : « قبل » ، وهي أرجح .

(٣) « وله » : لم ترد في ط ، وهي لازمة .

(٤) ل : « لا يقفي » بالقاف في المكانين ، والفعل على الصواب في ط كما أثبتناه .

(٥) « وله » : لم ترد في ط في الموضعين ، وهي لازمة .

[ولا تقربنْ فعلَ الحرام ، فإنَّما   لذاذتهُ تفنى ، وأنت به تشقى [1]]

وعاشِرْ إذا عاشرتَ ذا الدِّين ، تنتفِعْ   بدربتهِ [2] ، واحذر معاشرة الحمقى

ودارِ على الإطلاق كُلًّا ، ولا تكُنْ   أخا عجلٍ في الأمر ، واستعمل الرِّفقا

وخالِفْ حظوظ النَّاس فيما يرونه الـ   أماني ، ولا تستغرِقنّ لها الصّدقا [3]

تعوَّدْ فِعالَ الخير جمعاً ، فكلَّما [4]   تعوَّده الإنسان صار له خُلقا

ولده عز الدين محمد

عز الدين محمد ابن الوزير ابن هبيرة

كان كبير الشّأن ، رفيعَ المكان . ناب عن والده مدةَ وزارته [5] ، وكان روضُ الدّولة به [6] في رَيْعان نضارته .

وحبس عند موت أبيه الى يوم ولاية المستضيء بأمر الله [7] ، فأخرجَ المحبوسين وما [8]

---

(١) البيت من ط ب .

(٢) ل : « بذربته » ، بالذال المعجمة ، وهي تصحيف لما أثبتناه من ط . وفي ب : « بعشرته » .

(٣) ط : « وخالف حظوظ النفس فيما ترومه الـ   أماني ، ولا تستغرقن لها الصدقا » .

(٤) كذا في ل ، ط . أما في ب فقد فصلا ، والفرق في المعنى بين .

(٥) قال ابن الطقطقي في الفخري (ص ٢٨٢) : « ناب عن الوزارة بعد وفاة والده » . ونحسب ذلك وهماً منه : لأنه حبس هو وأخوه شرف الدين بعد موت أبيهما ، حتى ماتا في الحبس : مات عز الدين خنقاً في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ ، ومات شرف الدين في ١٨ صفر سنة ٥٦٢ هـ . وابن الطقطقي نفسه يقول – بعد أن يصف عز الدين – بالفضل والرئاسة والسيادة والرشاقة في الشعر والخبرة بالأدب وبالحديث النبوي : « وحبس بعد موت أبيه ، ولم يعلم خبره بعد الحبس » !

(٦) « به » : لم ترد في ط .

(٧) تقدمت ترجمته في (ص ٩ – ١٨) ، وقد بويع بالخلافة يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ .

(٨) ط : « ولم يخرج » .

خرج ، فعُرِف أنّه دَرَج [١] .

وله شعر كثير ، وقلّما نظم شيئاً إلا وعرضه عليّ ، أو سيّره إليّ . لكنّني فقدتُه كما فقدته [٢] ، ولو وجدته أوردته [٣] .

ولده [٤] أبو البدر ظفر [٥]

شرف الدين ظفر ابن الوزير ابن هبيرة

لقبه شَرَف الدّين . كان جذوة نار لذكائه ، وحِدّة خاطره ، وجودة قريحته . يشتعل ذكاءً ، ويتوقّد فطنةً . وهو محبٌّ للفضل والتّحلّي به .

---

(١) قدمنا أنه مات خنقاً في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦١ هـ ، وقد فصل ابن الجوزي ذلك في المنتظم في حوادث سنة ٥٦١ (٢١٨/١٠) فقال : « وفي ربيع الآخر هرب عز الدين محمد ابن الوزير ابن هبيرة ، وكان محبوساً ، ونقب سقفاً وصعد عليه في جماعة ، فغلقت أبواب دار الخليفة ، ونودي عليه في الأسواق وأن من أطلعنا عليه فله كذا ومن أخفاه أبيح ماله . فجاء رجل بدوي فأخبرهم أنه في « جامع بهليقا » ، وكان ذلك البدوي صديقاً للوزير ، فأطلعه هذا الصبي على حاله ، فضمن له أن يهرب به . فلما أخذ ، ضرب ضرباً وجيعاً ، وأعيد الى السجن ، ثم رمي في مطمورة . وحدثني بعض الأتراك ، وكان محبوساً عندهم ، أنهم صاحوا بابن الوزير من المطمورة فتعلق بحبل وصعد ، فقدوه ، وجلس واحد على رجليه وآخر على رأسه وخنق بحبل » .

(٢) يريد أنه فقد شعره كما فقد شخصه .

(٣) روي له في الفخري (ص ٢٨٢) هذان البيتان :

كم منحت الأحداث صبراً جميلا ... ولكم خلت صابها سلسبيلا
ولكم قلت للذي ظل يلحا ... ني على الوجد والأسى : سل سبيلا

(٤) ولد الوزير عون الدين أبي المظفر ابن هبيرة .

(٥) ط : « ظفر » ، ب : « ظفر » ، وفي وفيات الأعيان (٢٥١/٢) : « مظفر » . أنظر حاشيتنا في (ص ٢٠) وقد ملنا فيها الى ترجيح رواية وفيات الأعيان ، لأن المترجم هو ابن الوزير الكبير ، والمشهور من كنية أبيه « أبو المظفر » ، واسمه فيها مع اللقب والكنية : « شرف الدين أبو الوليد مظفر » . وفي الكامل (٨٧/١١) : « أبو الوليد البدر » ، وفي المنتظم (١٥٢/١٠) : « أبو البدر ظفر » : وفي البداية والنهاية (٢٣٤/١٢) : « أبو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة » . ولكن سيأتي في شعر المؤلف في مدحه ما يؤيد أن اسمه « ظفر » بالظاء المعجمة .

وله شعرٌ يروق، وعبارة تشوق. امتُحِنَ بالحبس[1] في أيام والده سنين بقلعة تكريت، ثمّ تخلّص[2]. ولمّا توُفّي الوزير، رقي عنه الى الإمام أنّه عازم على الخروج من بغداد مختفياً، فقُبض وحبس[3].

وقد أثبتُّ له قصائد أنشدنيها لنفسه، نظمها[4] على أسلوبه الرائق مجرياً مُهْرَ خاطره الماهر في مضمار مهيار[5]، أرقّ من صفو العُقار. فمن ذلك، وأنشدنيه لنفسه في مدح الإمام المستنجد بالله[6]:

طُلَّ دمٌ بالعِتاب مطلوبُ ... وطاحَ دمعٌ في الرَّبع مسكوبُ[7]
وذلَّ قلبٌ أمسى الغرامُ به ... وهو بأيدي الغُواة مَنْهُوب
لا أنف للعِرق يستثير له ... ولا سليم الصدود مَطْبوب
يركب في طاعة الهوى خطراً ... تُعْرِمُ من دونه الأنابيب

(١) اقرأ سبب امتحانه بالحبس في المنتظم (١٠/١٥٢).

(٢) قال ابن الأثير في الكامل، في حوادث سنة ٥٥١ هـ، (١١/٨٧): «في هذه السنة في ربيع الأول أطلق أبو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت. ولما قدم بغداد، خرج أخوه والموكب يتلقونه، وكان يوماً مشهوداً. وكان مقامه في الحبس يزيد على ثلاث سنين». وانظر في ذلك أيضاً البداية والنهاية (١٢/٢٣٤).

(٣) قال ابن الجوزي في المنتظم، في حوادث سنة ٥٦٢ هـ، (١٠/٢٢٠): «وفي يوم الأربعاء ثامن عشر صفر أخرج ابن الوزير الكبير، المسمى شرف الدين، من حبسه ميتاً، فدفن عند أبيه بباب البصرة».

(٤) «نظمها»: لم ترد في ط.

(٥) هو مهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر الفارسي الديلمي. كان مجوسياً فأسلم في سنة ٣٩٤ هـ، وبقي فيه عرق من المجوسية ينبض بالحقد على رجال الفتح. وقد اختص ملوك بني بويه ووزراءهم بطائفة كبيرة من مدائحه. وهو رقيق الحاشية، طويل النفس في قصائده. وله ديوان كبير طبع في القاهرة في أربعة أجزاء. وترجمته في وفيات الأعيان، والمنتظم، ودمية القصر.

(٦) تقدمت ترجمته في (ص ١٨ ـ ٢٢).

(٧) طل دمه، وأطل دمه. وأطله الله، وطله: أهدره. طاح: سقط.

اذا أدْلَهَمَّ الدُّجى أضاء له　　من زَفَراتِ الضُّلوع ألْهُوبُ (١)
لا موعدٌ مُطْمِعٌ ولا أملٌ　　ولا لِقاءٌ في العمر محسوب
مقتنِعاً من وصاله بمُنىً　　أصدَقُ ما عندها الأكاذيب
يا غادَةَ الحيِّ ! بعضَ هجركِ لي　　حَسْبِيَ أنّي إليك منسوب
ما بعد دمعي دمعٌ يُراقُ ، ولا　　فوقَ عذابي لذاك تعذيبُ
لم يبق للناصحين من أمل　　فيَّ ، ولا للعُذّال تأنيب
وضاق صدر البيداء عن رحلي　　وحُلِئْتُ (٢) مُحْتَقَ المصاعيب (٣)
ألا ، سقى الله أرض كاظمةٍ (٤)　　صَوْبَ حَياً قَطْرُهُ شآبيب
وخصَّ داراً أمسى الوصال بها　　وهو أمينُ الأكناف مَرْهوب
رحابُها حيث سِرُّنا خَمَرٌ (٥)　　وحيث إعلانُنا (٦) أهاضيب (٧)
يا حَرَجاتِ الظِّلال ، أين أحبا　　ؤكِ والعاقِرونَ والنِّيبُ (٨) ؟
وأين تلك القِباب مُشْرَعَةً　　تمنعُها غِلْمَةٌ يعاسيب (٩) ؟

---

(١) الألهوب : استعمله بمعنى اللهيب ، وفي المعجمات : هو اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار .
(٢) ل : « حلات » . وانما هو — كما هنا — بالبناء للمجهول . يقال : حلأه عن الماء تحليئاً وتحلئة اذا طرده ومنعه .
(٣) المصاعيب : جمع مصعب (بضم الميم وفتح العين) ؛ وهو الفحل الذي يودع ويعفى من الركوب .
(٤) كاظمة : أنظرها في (ص ٩٤ ح ٤) .
(٥) الخمر (بفتحتين) : ما واراك من شجر وغيره ؛ وخمر (كفرح) : توارى .
(٦) ط : « أعلامها » ؛ وهو تحريف .
(٧) الأهاضيب : جمع هضب وهضاب ؛ وهما جمع هضبة ؛ وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض .
(٨) الحرجة (بفتح الحاء والراء) : مجتمع الشجر . والظلال : في ط « الأظلال » محرفة . وأحباؤك : في ل « أحياؤك » بالياء المثناة مصحفة . والعقر : أن تضرب بالسيف قوائم الناقة . والنيب : مسان الابل ؛ واحدتها ناب .
(٩) ل : « نماسيب » . وهي على الصحة في ط كما أثبتناها . واليعاسيب : جمع يعسوب ؛ ومن معانيه أمير النحل وذكرها ، والرئيس الكبير . والمراد هنا المعنى الثاني .

تؤمّها [1] ٱلعاشقون عن وَلَهٍ [2] فهي لأشواقهم محاريب
فالآن لي في رِباعِها عِبَرٌ ومن أقاصيصها تجاريب
فمن ثراها عليّ أوْدِيَةٌ ومن دموعي لها تجاليب
كم عند دوحِ ٱلغضى لذي عَلَقٍ قلبٌ بأيدي ٱلحمام مغصوب [3]
اذا رَكِبْنَ الأغصانَ صِحْنَ بنا فكلُّ عقلٍ في الرَّكْبِ مسلوب
يا خابِطَ الليل غيرَ مُتّئدٍ ! رِفقاً ، فثوب الظّلام غِرْبيب
مالك لا تألف الرّفيقَ ويُدْنِيك الى فضل زاده الذّيب ؟
ضمّكما الاتّفاق في قَرَنٍ فأنتما صاحبٌ ومصحوب [4] .

ومنها :

ما ليَ لا أمدحُ الشّبابَ ، ولي من نوره شارةٌ [5] وتطريب ؟
إذا تمايلت في مُلاءته فحبّذا راغبٌ ومرغوب [6]
أصنعُ ما شئتُ في حمايته وهو إلى ٱلغانيات محبوب
وكيف لا أوسعَ المشيبَ قِلًى وهو بماء ٱلعيون مخضوب ؟
أيّامه ذِلّةٌ ومَبْخَلَةٌ ولونه نغرةٌ [7] وتغريب [8]

---

(١) ط : « يؤمها » . ب : « يأمها » .

(٢) الوله : ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أي شجر كان ، والغضى : شجر معروف . والعلق : الهوى ، وقد علقها : هويها .

(٤) القرن : حبل يجمع به البعيران .

(٥) الشارة : الحسن والجمال والزينة . وهي في ب : « سارة » مصحفة .

(٦) الملاءة : ثوب لين رقيق .

(٧) نغرة : وردت في ل مهملة . واعجامها عن ط .

(٨) التغريب : الافساد والتخليط . والمعنى أن لون الشيب يسبب نغرة الغواني من صاحبه ويفسدهن عليه .

يلومني النّاس أنْ رأوا كلمي … ليس لها في المديح أسلوب

قد سـلكتُ مذهباً تدينُ به … تبراء لا حبة ولا حوب [1]

بكاءُ ربعٍ أو وصف غانية … وضـدّها [2] خالبٌ ومخلوب

وهل لعرض [3] الزّمان غير فتى … بمدحه تعمُر المحاريب [4]

إمام حقٍّ لنا بطاعته [5] … كلُّ منيع الجناب مرهوب

تسنّم المُلكَ وهو ذو ضلعٍ … فلم تنل حُضرهُ السّلاهيب [6]

وقام بالأمر بعد أنْ نغلت [7] … فيـه قلوبٌ وعزٌّ مطلوب

فلم يزلْ مانعاً أرومته … يقبضُ [8] ركنيه وهو ملحوب

فانتظم الأمر غير مختلفٍ … كذّب غرٌّ ، وغرٌّ مكذوب

أفاض صِرْفاً [9] ماءَ الظُّبا فغدا … وهو بصرف [10] النجيع مقطوب

جوّد فرسانهُ السُّرى ، فلهم … في غمرات الظلام تشبيب

لا يسألون النّجمَ ما خبرُ ال … ليل ولا النّافضين ما ربيوا [11]

(١) كذا في ل ، وهو في ط : « تبراء لا حسنة ولا حوب » ، فليتأمل .

(٢) ط : « وصدها » .

(٣) ل : « يعرض » ، والتصحيح من ط ، ب .

(٤) ط ، ب « المعارب » !

(٥) ط ، ب : « عنا لطاعته » .

(٦) الضلع : القوة . والحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . والسلاهيب : جمع سلهب ، وهو من الخيل ما عظم وطالت عظامه ، ولم يرد في المعجمات ، وانما الذي ورد فيها « سلاهبة » .

(٧) نغلت : فسدت . وهو في ط : « نقلت » مصحفاً .

(٨) الأرومة : الأصل . ويقبض : في ط « يقبض » مصحفة بأوّلها باء . وطريق ملحوب : واضح .

(٩) الصرف (بالكسر) : الخالص .

(١٠) ب ، ط : « بماء » . والنجيع : من الدم ما كان يضرب الى السواد ، وقال الأصمعي : هو دم الجوف خاصة .

(١١) النافضون : النافضة ، وهم الجماعة يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدو . وربيوا : لم تقم ربية .

كأنّهم ما دَرَوْا على خطَر الـ ... شُقّة أنّ الصباح مكتوب (١)

من معشر أعْنَقَتْ (٢) بهم همَمٌ ... حيث رواق النجوم مضروب

لا يسألون الركبان عن غِرّة (٣) الـ ... خصب ولا أين سامت النِّيب (٣)

إنْ رحلوا فالثرى بهم رمض (٤) ... أو نزلوا فالثراء مصبوب

أو طلبوا فالقضاء ذو حرج ... أو ركبوا فالقضاء مركوب

أو كلّفوا الدهرَ غيرَ عادته ... أصحبَ للأمر وهو مصحوب

وأنشدني لنفسه على وزن قصيدة الأبيوردي (٥) التي يقول (٦) فيها :

---

(١) الشقة : السفر البعيد .

(٢) أعنقت بهم : سارت بهم عنقاً ، وهو سير مسبطر للابل والدابة . وصحفت النون في ب تاء . وبهم : في ط ، ب : « لهم » .

(٣) الغرة : كالعِدة وزناً ومعنى ، وقد شددت راؤها في ل ، وأهمل نقط آخرها ، وفي ط : « عزة » . سامت : رعت . النيب : مسان الابل ، واحدها ناب .

(٤) رمض : شديد الحرارة . وهي في ل : « ربض » ، وتصحيحها من ط ، ب .

(٥) الأبيوردي : أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد ، الأموي ، الكوفني الأبيوردي الشاعر المشهور . ينتسب الى معاوية الأصغر ، وهو أول من تدير كوفن ، وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان . كان الى تميزه بالشعر متبحراً في الأدب ، خبيراً بعلم النسب ، متصرفاً في فنون جمة ، حاذقاً في تصنيف الكتب ، حسن السيرة جميل الأثر . ولي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية التي ببغداد ، وتولى في آخر عمره اشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه . وتوفي باصبهان مسموماً في سنة ٥٠٧ هـ على التحقيق ، لا سنة ٥٥٧ هـ كما وقع خطأ لابن خلكان في وفيات الأعيان . وله تصانيف كثيرة مفيدة ، منها : تاريخ أبيورد ، وكتاب المختلف والمؤتلف ، وكتاب تعلة المشتاق الى ساكني العراق ، وغيرها . وقال ابن خلكان وغيره : وله في اللغة مصنفات ما سبق اليها . وقد قسم أشعاره الى أقسام سماها النجديات والعراقيات والوجديات وغيرها ، وطبع ديوانه في سنة ١٣١٧ هـ ببيروت وخلط ناشره في شعره فأضاف اليه أكثر من عشرين قصيدة من شعر أبي اسحاق الغزي كما أوضحنا ذلك في مقالنا بمجلة الزهراء بمصر (٢٢٨/٣ ـ ٢٤٢) . وترجمته في معجم الأدباء (٢٢٤/١٧) ووفيات الأعيان (١٢/٢) وفي (خريدة العصر) .

(٦) « يقول » : لم ترد في ط .

تَرنَّحَ من بَرْحِ الغرامِ مَشوقُ   غــداةَ نأتْ بالوائليّةِ نوقُ(1).

قال هو(2):

أضاءتْ لنا بالأبرقينِ(3) بروقُ   نواقلُ منها(4) كاذبٌ وصَدوقُ

يُذعْنَ لنا من أهلِ وَجْرةَ ريبةً   يخفُّ اليها السّمعُ وهو فَروقُ(5)

وما كلُّ مطويٍّ من السّرِّ مُنكرٌ(6)   ولا كلُّ منشورِ الحديثِ يروقُ

أبارقَ ذاك الشِّعبِ ، هل أضمرَ النّوى

تفرّقُهم ، أو ضمَّهنَّ وَسيقُ(7) ؟

وهل حَرَجاتُ(8) الحيِّ بعدَ أنْ أدمعاً   عن السُّحْبِ لم تُرقِعْ لهنَّ خُروقُ

لَعَمْرُكَ ما البرقُ اليمانيُّ وامِقٌ   ولا ذلك الشِّعبُ الرّحيبُ مَشوقُ

وهل تزعُ(9) الأشجانَ خفقةُ لامعٍ   وقد علقتْ بالجانحاتِ علوقُ

لحى اللهُ يوماً بالثّنيّةِ أشرفتْ   علينا بأقصى أرضِ وَجْرةَ نوقُ(10)

---

(1) ديوان الأبيــوردي (ص ٢١١) ، والشـطر الثاني فيه : « عشية زمت للتفرق نوق » .

(2) ط : « وهي » ، ب : « وقل » .

(3) في القـــاموس المحيط : الأبرقان إذا ثنوا فالمراد غالباً أبرقا حجر اليمامة ، وهو منزل بين رميلة اللوى بطريق البصرة الى مكة . والأبرقان : لبني جعفر .

(4) ط ، ب : « نوافل » ، والأصل أنسب .

(5) وجرة : في القاموس المحيط : موضع بين مكة والبصرة ، أربعون ميلا ما فيهـا منزل ، فهي مرب الوحش . وفروق : فزع شديد الفرق .

(6) ط : « منكراً » .

(7) الأبارق : جمع أبرق ، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . والشعب (بالكسر) : مسيل الماء في بطن أرض . و « أو » في ط : « أم » . والوسيق : جمع وسيقة ، وهي من الابل كالرفقة من الناس .

(8) الحرجة : مجتمع الشجر .

(9) ل : « ترع » ، والتصحيح من ط .

(10) لحاه الله : لعنه وقبحه . والثنية : العقبة أو طريقها ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو اليه .

برفعهن الآل فوضى كأنها ... أغار على أطرافهن مروق [1]

إذا حثحث الحادي بهن أظعنة ... جوافل أدنى سيرهن عنيق [2]

كأن توالي الظعن والآل دونها ... سفين بمتن الفرات غريق [4]

إذا أفلت شمس الأصيل بدت لنا ... شموس لها فوق الحدوج شروق [5]

تسير بها الأظعان أنى تيممت ... قواصد لا يشقى بهن رفيق

أجيراننا ! إن القلوب لديكم ... فهل للجسوم [6] نحوكن طريق ؟

لئن جمعتكم نية بعد نية ... وفرقكم وحش الفجاج عميق

فودي على الأيام ما تعلمونه ... وعهدي على طول المزار وثيق

ولي عبرات لا تضن بمائها ... تديم في أجراعكم وتريق [7]

فإن يروها دمعي وإلا سقيتها ... دماً ماله إلا الغرام مريق

يقولون « بعض الصبر عنهم » ، ومن لنا ... بأن يتساوى موثق وطليق ؟

---

(١) الآل : السراب ، أو هو خاص بما في أول النهار كأنه يرفع الشخوص ، ثم هو سراب سائر اليوم .

(٢) حثحث : حرك . جوافل : مسرعات ذاهبات في الأرض . والعنيق : سير مسبطر « سريع » للابل والدابة .

(٣) الظعن : جمع ظعينة ، وهي الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن . ومتن الفرات : يريد به مجراه ، وهي في ب : « بمتن » محرفة .

(٤) الأصيل : الوقت بعد العصر الى المغرب . والحدوج : مراكب للنساء كالحفات ، واحدها حدج (بوزن سدر) .

(٥) ط ، ب : « لجسوم » .

(٦) لا تضن : لا تبخل . تديم : تمطر الديم ، والديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق . وتريق : تصب ماءها . والأجراع : جمع أجرع ، وهو الرملة الطيبة المنبت ، لا وعوثة فيها ، وقيل غير ذلك .

ولكنَّ حُبّاً (١) أنتم بَدْءُ غرسه ... رَطيبٌ على مَحْلِ الزّمان وَريقُ

ألم تعلمي يا ضرّةَ البدرِ أنني ... جديرٌ بفعل الصالحات خليقُ ؟

خفيف مُحاني (٢) الزّبرتين ، وما لنا ... سوى ذلك السّتر الرقيق رفيقُ

ينوب عن الوحي الكفاح ، وكأسنا ... دموعٌ ومشمولُ الرُّضاب رحيقُ

إذا خفّت الأحلام وَقَرَ حَبْوَتي ... نِجارٌ وسيع الدَّوحتين عريقُ (٣)

تجاذبني طُرقَ العلاء بهمّة ... لها فوق مرمى النيّرَين سُحوقُ (٤)

ولكنْ لي في باطن النفس حاجةٌ ... تَنِمُّ عليها زفرةٌ وشهيقُ

أُجمّع أسباب (٥) المعالي تعلُّلاً ... وأُعجِزُ في ألفاظها وأفوقُ (٦)

وأنظِم ما لا تنظم العُرْبُ مثلَهُ ... وأيّ لسان بالمقال ذَليقُ (٧)

ودخلت يوماً اليه ببغداد قبل نكبته بسنة ، في صفر سنة تسع وخمسين وخمس مئة ، فأنشدني قصيدةً عملها على وزن قصيدة مِهيار (٨) التي أولها :

بكَرَ العارِضُ تحدوه النُّعامى ... فسُقيتِ الغيثَ يا دار أُماما (٩)

---

(١) ل : « حباً » ، وما أثبتناه من ط .

(٢) ط : « مجاني » .

(٣) الحبوة (بالضم والكسر) : الاسم من الاحتباء ، وهو ضم الساق الى البطن بالثوب أو باليدين . والنجار : الأصل ، وهي في ل « نجار » بغير نقط ، وفي ط : « نجاد » ولا معنى له هنا . والوسيع : الواسع ، وفي ط : « وشيع » .

(٤) النيران : الشمس والقمر . وسحق سحوقاً : علا وطال .

(٥) ط : « أشتات » .

(٦) أعجزه : صيره عاجزاً . وفاقه فوقاً وفواقاً : علاه بالشرف .

(٧) لسان ذليق : حديد بليغ بين الذلاقة .

(٨) تقدمت ترجمته في (ص ١٠٢) .

(٩) ديوان مهيار (٣/٣٢٧) . العارض : السحاب يعترض في الأفق . تحدوه : تسوقه ، وأصل الحدو سوق الابل والغناء لها . النعامى (بضم النون) : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها .

وسألني أن أعمل [قصيدة [1]] على وزنها ورويّها ، وهي :

أخلَفَ الغيثُ مواعيدَ الخُزامى
فقفِ الأنضاءَ تستسقي [2] الغماما

وخُذِ اليمنةَ من أعلى الحمى
تلقَ بالغَوْرِ حميماً وجماما [3]

وابغني ساعةً من عُمُري
أملأُ الدارَ شكاةً وسلاما

أصِفُ الأشواقَ في تلك الرُّبا
وأعاطي التُّرْبَ سَوْفاً [4] والتثاما

فلعلّي أنْ تداوي حُرَقي
غفلةُ [5] الغيرانِ أو أرضى النَّدامى

أيُّ حِلمٍ خفّ في حبّهمُ
وعقولٍ رفضت فيه الملاما !

ودموعٍ كلّما كفكفها
زاجرُ العذلِ أبت إلا انسجاما

يا وُلاةَ الغدرِ ! ما دِينُكمُ ؟
أحرامٌ فيه أن تقضوا ذِماما [6] ؟

قد رضينا إنْ رضيتم بالأذى
وعزيزٌ بعزيزٍ أن يُضاما

خطرتْ لي ، يا زميلي ، سَحَراً
نسمةٌ أحسبها ريحَ أُماما

خطرت والعينُ تقري طيفَها
والكرى يمزجُ للركبِ المُداما

ومنها [7] :

---

(١) الزيادة من ط .

(٢) ب ، ط : « نستسقي » بالنون . والأنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول من الابل وغيرها .

(٣) الغور : المطمئن من الأرض . والحميم : الماء الحار . والجمام (بالكسر) : جمع الجم ، وهو من الماء معظمه ، كالجمة . وهي في ب ، ط : « وحماما » ، ورواية ل هي الصحيحة .

(٤) ب ، ط : « سفاً » . والسوف : الشم . والسف : أخذ الدواء غير ملتوت ، وكذا السويق . ورواية ل أنسب .

(٥) ب : « عقلة » .

(٦) ب ، ط : « الذماما » . والذمام : الحرمة .

(٧) لم ترد في ط .

فارجع الطَّرْفَ وقل لي في خفا　　أهضاباً ما تراها[1] أم خياما ؟

ما صنيعي بِمِهاةٍ كُلَّما　　زوَّدَتْني رشفة[2] زدت أواما ؟

أهيامٌ أم لَظًى في كبدي　　لفحت حتى أثنى الظَّلْمُ ضِراما[3] ؟

ليس إلا فرط وجدي بهمُ　　ظَعَنَ العاذل عني أم أقاما

أنا من أَسْرِ الهوى في رِبْقَةٍ[4]　　حكمت للحرِّ فيها أن يساما[5]

وطني حيث أناخت عيسُكم　　ومقامي حيثما اخترتم مقاما

كلّ خِلٍّ يجتني لذّته　　وأنا الجاني أراكاً وبَشاما[6]

أنِسَتْ بي وحش أوطانكمُ　　فرعى اللهُ ظباءً ونعاما

كلّما آنس قلبي وحشةً　　ملأت سمعي[7] رُغاءً وبُغاما[8]

وأبيتم لِيَ إلا نفرةً　　وأبى حبُّكُمُ إلا انصراما

يا زماني[9] ولكم أدعو به　　ومن الضِّلَّة أن أدعو الرِّماما[10]

---

(١) ب ، ط : « ما نراها » بالنون .

(٢) ل : « رشفة » بالقاف ، ط : « رشفت » . وصوابها ما أثبتناه . والأوام (بالضم) : حر العطش .

(٣) الهيام (بالضم) : أشد العطش . واللظى : النار . والظلم (بفتح الظاء) : ماء الأسنان وبريقها . والضرام (بالكسر) : اشتعال النار في الحلفاء ونحوها .

(٤) الربقة : العروة في الربق ، وهو حبل فيه عدة عرا تشد به البهم ، الواحدة من العرا ربقة .

(٥) ل : « يساما » ، وما أثبتناه من ط ، ب .

(٦) الأراك : شجر من الحمض يستاك به . والبشام : شجر عطر الرائحة ، ورقه يسود الشعر ويستاك بقضبه .

(٧) ب : « قلبي » .

(٨) الرغاء : صوت ذوات الخف ، وقد رغا البعير يرغو رغاء : أي ضج . والبغام : صوت الظباء ، يقال بغمت الظبية بغاماً وهي بغوم : صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

(٩) ل : « يا رماي » ، وتصحيحه من ب ، ط .

(١٠) الرمام : العظام البالية .

لستَ عندي بالّذي أعتِبُـــه ... كيف عتبي زَمَنًا يأبى الكِراما

أنا يَحوزُ لكَ من (١) ذمِّ الورى ... فأتِ ما شئتَ حلالاً وحراما

لو بغيري حمَلت أيّامُــهُ ... أتَعمّدتَ أنّها أمستْ عُقاما (٢)

أطمعَ الدهرَ بنوه إذْ رأوا ... أكبَرَ النِّعمة ظِلّاً وحُطاما

فأقَـرّوه عـلى غفلتـه ... أحمِلَ الأبرارِ أمْ أعلى اللئاما

كلُّ شخصٍ تقتضيه دولةٌ ... ترفع النّفسَ وتستدعي التّماما

وهو لا ينفكُّ حرباً لامرىءٍ ... يطلب الذِّروةَ منه والسَّناما

أنا مَن قد رَضيَ النّاسُ ، وقد ... أتعبَ النّفسَ فتى أرضى الأناما

لا أسومُ الدّهرَ إلّا صالحاً ... يشتكي الدّهرَ ولا أشكو الأناما

كلّما قرّبَ منّي مُعرِضاً (٣) ... لم يَزِدْه شَرَفي إلّا احتكاما

فهو لا يسألني إلّا الرّضى ... ولغيري شدَّ ما أعطى زِماما

فعملتُ قصيدة ، أوّلها (٤) :

خطرتْ تحمل من سَلمى سلاما ... فأتتني بشكر إنعام النُّعامى (٥)

مُغرمٌ هاجتْ جواه نسمةٌ ... يا لها من نسمةٍ هاجتْ غراما !

نفحةٌ أذكَتْ بقلبي لَفحةً ... كلّما هبّتْ له زادتْ ضِراما (٦)

---

(١) ط ، ب : « في » .

(٢) العقام : العقيم ، وهو الذي لا يولد له .

(٣) ط ، ب : « غرضاً » .

(٤) ب « وسألني أن أنظم قصيدة على وزنها ، فقلت » .

(٥) النعامى (بضم النون) : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها .

(٦) أذكت : أشعلت ، وورد مكانها في ب « هاجت » . والضرام (بالكسر) : اشتعال النار في الحلفاء ونحوها .

عاتبت سلمى مُستخبِراً أم ترى ... غازلتْ بالرَّوض أنفاسَ الخُزامى (١) ؟

يا لأوطاري ! فقد أنشرها ... نشرُها من بعد ما كانت رماما (٢)

ذكّرتْ ريحُ الصَّبا رَوْحَ الصِّبا ... وزماناً كنتُ بل كانَ غلاما (٣)

ونديماً ليَ لم أندَمْ به ... يا رعاه الله من بين النَّدامى !

ألهمَ الدَّوْحَ التَّثنّي بثّه ... شجْوَه ، بل علَّم النَّوْحَ الحَماما (٤)

قال : ما أطيبَ أيامَ الصِّبا ! ... قلت : ما أطيبَهُ لو كان داما !

كان وعداً بالأماني مُزْنُهُ ... كلّما استسقيتُه عاد جَهاما (٥)

وهضيمُ الكشحِ في حبّيَ له ... لم يَزِدْني كاشحي إلا اهتضاما (٦)

كرُمَ العاشقُ منه مثلما ... لؤُمَ العاذلُ فيه (٧) حين لاما

بقوامٍ علَّم الهزَّ القنا ... ولحاظٍ تودِعُ السُّكرَ المُداما

أتراه إذْ تثنّى ورنا ... سمهريّاً هزّ ، أم سلّ حساما (٨) ؟

---

(١) الخزامى (بالضم) : نبت ، أو خيري البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة .

(٢) الأوطار : الحاجات ، واحدها وطر . أنشرها : أحياها . والنشر : الرائحة الطيبة . والرمام : العظام البالية .

(٣) الروح (بفتح الراء) : الراحة ، والرحة ، ونسيم الريح . والصبا (بفتح الصاد) : ريح ، ومهبها المستوي : أن تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ، ومقابلتها الدبور . والصبا (بكسر الصاد) : الفتوة .

(٤) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أي شجر كان . والشجو : الهم والحزن .

(٥) المزن : جمع مزنة ، وهي السحابة البيضاء ، والمزنة أيضاً : المطرة . والجهام (بالفتح) : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٦) الهضيم : اللطيفة الكشحين . والكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف . والكاشح : الذي يضمر لك العداوة . والاهتضام : الظلم .

(٧) ب : « منه » .

(٨) رنا اليه : أدام النظر . السمهري : الرمح الصلب ، وقيل : منسوب الى سمهر اسم رجل كان يقوم الرماح .

خــدّه يجرحه لحظ الورى　　　فلذا عارضُهُ يلبَسُ لاما (١)

ويريك الخطّ منـــه دائراً　　　هالةَ البدر اذا حطّ اللثاما (٢)

وكثيب الرّمل قد أخجله　　　وقضيب البان رِدفًا وقواما

أنا منه ومن العُـذّال في　　　نَصَبٍ ، أشكو مَلالا وملاما

لم تكن تلك وقد لا تحظني (٣)　　　لحظاتٍ ، إنّما كانت سهاما

تركت في غمَراتٍ مُهْجَتي　　　غمرات ملكت منها الزِّماما (٤)

مهجة أرخصها سَومُ الهوى (٥)　　　وتسامى عزّةً من أن تُساما

ومقـــامي بعـــد توديعهِمُ　　　بالحِمى ما خِلتُهُ إلا حِماما

عَدِمَ الإصباح ليلي بعدكُم　　　أسفروا لي مرّةً تجلو الظلاما

بِتّ عن طيفكُمُ مُستخبِراً　　　من غرامي بكُمُ من كان ناما

وغرامي رُمتُ أن أكتمه　　　فأبى الدمعُ لأسراري اكتتاما

ولماذا ظويتْ نحوكُمُ　　　مقلةٌ إنسانُها في الدمع عاما (٦) ؟

يا رفيقيّ (٧) ، أرفقا بي ، فالهوى　　　عُنفُهُ يكفي المحبّ المستهاما

---

(١) العارض : صفحة الخد . اللام : اللأم ، جمع لأمة وهي الدرع ، أراد به الشعر الذي يكسو العارض .

(٢) الخط : خط العذار . واللثام : ما كان على الفم من النقاب . وحطه : وضعه . و « حط » في ل : « خط » مصحفة ، وهي في ب ، ط على وجه الصحة كما أثبتناها . والهالة : الدارة حول القمر .

(٣) ب : « لاحظني » .

(٤) الغمرة : الشدة . والمهجة : الروح . والزمام : المقود .

(٥) ط : « الورى » .

(٦) المقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد . وانسان العين : المثال الذي يرى في سوادها . عام : سبح .

(٧) ب : « يا رفيقاي » .

أَنْجِـداني [1] ، فبنجْدٍ أَرَبي ... حين غيري شام بالغَوْرِ الشآما [2]

وٱنْشُرا عنـديَ أخبار ٱلحِمى ... فبـأخبار ٱلحِمى قلبيَ هـاما

ناظري من دمعتي في شُغُلٍ ... فٱنظُرا عنّيَ هاتيك ٱلخِياما

سار قلبي يوم [3] ساروا وٱنْتَأَوْا ... نحوَ نجـدٍ وأقامـوا فأقاما

عَـلِّلاني بأحاديثهـمُ ... فأحاديثهمُ تَشفي ٱلأُواما [4]

هـذهِ أطلالهمْ تشكو الظَّما ... فـدعا ٱلأَدْمُعَ تنهلّ ٱنسجاما

وقفا نستَـقِ جَدْوى ظَفَرٍ [5] ... فهو من يُخجِلُ بالجود ٱلغَماما

ومنها :

فهـو ٱلغيثُ إذا بثَّ ٱللُّها ... وهو اللَّيْثُ اذا فَلَّ ٱلُّهاما [6]

لم يزدْ أعداءه يومَ ٱلوَغى ... وٱلقنا إلّا ٱنحطاطًا وٱنحطاما

إجتلى من مَشرقِ ٱلمجدِ السَّنا ... وٱمتطى من بازلِ ٱلمُلْكِ السَّناما [7]

وأضاءتْ بسَـنا سُـنَّتِهِ ... ظُلَمُ الظُّـلم لأيّام الأيامى

أَوْلَدَتْ أنعُمُـه عُقْمَ المُنى ... وشفى من يأسِنا الدّاءَ العُقاما

كرمٌ يُحيي وبأسٌ مهلكٌ ... وهما ما صَحِبا إلّا هُماما

---

(١) ط ، ب : « أنجداني » .

(٢) الأرب : الحاجة . شام : أبصر ، يقال : شام البرق ، أي نظر الى سحابته أين تمطر . والغور : المطمئن من الأرض ، وضده النجد .

(٣) ب : « حين » .

(٤) عللاني : لهياني وسلياني . الأوام (بالضم) : حر العطش .

(٥) ب : « ظفر » . أنظر في ذلك (ص ١٠١) . والجدوى : العطية .

(٦) اللها (بضم اللام) : العطايا دراهم كانت أو غيرها ، مفردها اللهوة بالضم . واللهام : الجيش العظيم . فله : هزمه .

(٧) السنا : الضوء . امتطى : ركب . البازل : الجمل أو الناقة في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى .

ومنهـــا :

أنت عـذرُ الدهرِ يا واحدَهُ ولقـد أعظم لولاه (١) أجتراما

يبتنيه ملكاً أو سُـــوقةً ملأ الأرضَ طغاةً وطغاما (٢)

ليس يدعا سَقَمي من صحتي فالقنا تُحطَم من حيث استقاما

وإذا المرءُ تشكّى خطّةً (٣) كانت الصحّة للنفس سَقاما

ومنهـــا :

صُغتها منظومةً في مدحكُم فتلاها الدرُّ فذّاً وتُؤاما (٤)

جمعت لفظاً ومعنىً شائقاً (٥) بَعُدا في الحُسن مرمىً ومراما

هي راحٌ كيف حلّتْ عجباً وهي سِحرٌ كيف ما كانت حراما

فاغتنمهـا إنّمـا أوفى الورى مَنْ يَرى من مِثلِيَ الحمدَ اغتناما

ونظم ابن الخُراساني (٦) أيضاً على وزنها وجماعة من الشعراء اقترح ذلك

---

(١) ط ، ب : « لولاك » .

(٢) السوقة (بضم السين) : الرعية . والطغام (بفتح الطاء) : أوغاد الناس .

(٣) ط : « حظه » .

(٤) الفذ : الفرد . والتؤام (بوزن حطام) : جمع توأم (بوزن جعفر) ، المولود مع غيره في بطن ، من الاثنين فصاعداً . وقد يستعار في جميع المزدوجات ، وأصله ذلك . وأنشد الجوهري :

قالت لنا ودمعها تؤام * كالدر اذ أسلمه النظام * على الذين ارتحلوا السلام

(٥) ط ، ب : « رائقاً » .

(٦) ابن الخراساني : يحسبه يريد محمد بن محمد بن مواهب بن محمد ، أبا العز المعروف بابن الخراساني ، النحوي العروضي الشاعر الكاتب . قال ياقوت : « كان عارفاً بالأدب ، شديد العناية بالعروض ، وله شعر كثير . سمع ابن نبهان وغيره ، وقرأ على أبي منصور الجواليقي . وله مصنف في العروض ، وتصانيف أدبيـة ، وديوان شعر ، وتغير ذهنه بأخرة » وفي الأصل المطبوع : بآخره » . ولد سنة ٤٩٤ ، ومات يوم الأحد مستهل رمضان سنة ٥٧٦ » . ثم قال : « وديوان ابن الخراساني هذا كبير يدخل في عشر مجلدات لطيفة » . وترجمته في معجم الأدباء (١٩/٤٦ ـ ٤٧) ، وبغية الوعاة (ص ١٠١) .

عليهم ، ولم يبلغ أحد منا شأوَ مهيار [1] في بيتي قصيدته اللذين هما في رِقّة الصَّبا ورونق الصِّبا ، وهما :

تَحَمَّلوا ريحَ الصَّبا نَشْرَكُمُ ... قبلَ أنْ تَحمِلَ شِيحاً وثُماما [2]
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ... إنْ أذِنْتُم لجُفُوني أنْ تناما

ولمهيار : أروضُ الوادي أم ابيضُ الغَسَقْ [3] ؟

ولشرف الدين بن الوزير ابن هُبَيْرَة على وزنها :

أسلمني الى الغرام والأرَقْ ... طيفٌ متى شاء على النّأي طرقْ [4]
يخبطُ جفْني بأباطيل المُنى ... ويَسحَرُ العين بيشرٍ ومَلَقْ [5]
ما وردتْ أحلامه من مُقلتي ... فصَدَرتْ [6] إلّا بريٍّ وشَرَقْ [7]
ولا انثنت عن كبدي وكأنّهُ ... يخبرُ إلا الزَّفير والقلقْ
ضمانةٌ من حبِّ ليلى عَلِقت ... بمهجة خاليةٍ من العَلَقْ [8]

---

(١) مهيار : تقدمت ترجمته في (ص ١٠٢) .

(٢) النشر : الرائحة الطيبة ، والشيح والثمام : كلاهما نبت معروف ، والذي في ب ، ط : « شيحاً وخزامى » ، ورواية ل تتفق مع رواية ديوان مهيار (٣/٣٢٨) ، وعندنا أن رواية ب ، ط أرجح : لأن الخزامى يقرن بالشيح غالباً ، وهو كما في القاموس المحيط نبت أو خيري البر زهره أطيب الأزهار نفحة ، والتبخير به يذهب كل رائحة منتنة ، ولم يعرف عن الثمام أن له رائحة طيبة كالشيح وأمثاله .

(٣) ديوان مهيار (٢/٣٤٣) ، وتمامه : « أم طيف ظبياء على النأي طرق » . والغسق : الظلام .

(٤) الأرق : السهر بالليل . طرق : اذا جاء ليلا .

(٥) يخبط : يضرب . ويسحر : في ل « يسخر » بالخاء المعجمة ، وهو على وجه الصحة في ب ، ط كما أثبتناه .

(٦) ب ، ط : « اذ صدرت » . يقال : صدر عن الماء .

(٧) الشرق : الشجا والغصة ، وقد شرق بريقه (من باب طرب) ، أي : غص .

(٨) العلق : الهوى .

أحسبها [1] ثاوية قد تخذت

في كلّ شِعْبٍ من هوى النفس نفق [2]

اليك يا خِلْوَ [3] الهوى عن عَذَلي   ما وَجْدُ سالٍ عنهمُ كمن عشق

دعانيَ الحبُّ فملتُ معه   وذو الغرام مصحب فنطلق

يا راكب الليل على ناجيةٍ   قد خلطت وَخْدَ الذميل بالعَنَق [4]

يؤمّ نجداً ، والعقيقُ همُّه ،   مسترشداً بنفض أخلاق الطُّرق [5]

عرِّجْ على بانات سَلْعٍ ، فبها   ما شئت من مُصطَبحٍ ومُغْتبق [6]

دارٌ لليلى روّضتْ بقربها

تلك البطاح واكتست ذاك العَبَق [7]

فابلغ [8] سلامي إنْ وجدتَ أُذُنَاً   واعيةً ، أو عطفةً ممن أبق [9]

---

(١) ط : « أحسها » .

(٢) الشعب (بالكسر) : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين . والنفق : سرب في الأرض له مخلص الى مكان .

(٣) ل : « خلو » بالخاء المهملة ، وهو في ط كما أثبتناه .

(٤) الناجية : الناقة السريعة . والوخد : البعير الاسراع ، أو سعة الخطو . والذميل : السير اللين ما كان ، أو فوق العنق .

(٥) نجد : هو قلب جزيرة العرب ، أعلاه تهامة واليمن ، وأسفله العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز ذات عرق . والعقيق : موضع بالمدينة وباليمامة وبالطائف وبتهامة وبنجد ، وستة مواضع أخر . وأخلاق الطرق : أي القديمة التي قد أخلقت ، ونفض الأخلاق من الطرق لأن الاستدلال بشم التراب انما يكون في الطرق القديمة التي كثر المشي فيها . وهو من قول رؤبة : « اذا الدليل استاف أخلاق الطرق » .

(٦) عرج تعريجاً : ميل ، وأقام ، وحبس المطية على المنزل . البانة : شجرة . وسلع : جبل بالمدينة ، وجبل لهذيل . والمصطبح والمغتبق : اسما مكان أو مصدران ، من الاصطباح : وهو شرب الصبوح ، والاغتباق : وهو شرب الغبوق ، والصبوح : ما يشرب بالصباح ، والغبوق : ما يشرب بالعشي .

(٧) همزة « أبلغ » للقطع ، وقد وصلها ضرورة ، وكان في مقدوره أن يتجنبها باستغنائه عن الفاء .

(٨) أبق : ذهب بلا خوف ولا كدّ عمل ، أو استخفى ثم ذهب .

آهٍ لسُقْمٍ كلِفَ الآسي به　　وولعٍ حمّلني ما لم أطِق

وجسدٍ أنحلَه ذكرهُمُ　　ومضجعٍ ينبو اذا النجمُ خفق [1]

يا جُلساءَ الوَصْلِ ! هل دَوْحُ الحمى

كعهدنا ريّانُ مُخضرّ الورق ؟

وهل مجاري ذلك الشِّعْب عفَت　　آثارُها أم روّضت تلك الطُّرق [2]

وهل ظِباؤكُنّ في أرجائه　　تشبُّ فيه مرحاً وتستبِق [3]

هيهات ما تسأل إلّا زفرةً　　جائلةً بين الضلوع والحدق

سقياً لأيامٍ أطعنَ أملي　　حتى علقتُ من زماني بالسَّبَق [4]

وليلةٍ ما فطِنَ الواشي بها

شهِدتُ وصلَ صُبحها قبل الشَّفق [5]

وخلوات بين هاتيك الرُّبا　　وقُبلة أصبتُها على فرق [6]

أبثُّ شوقي والرقيب هاجعٌ　　وأستجدُّ من وصالي ما خلق

تسألني لمياء [7] ما [ذا] [8] غرست

أشواقُها في كبدي من الحُرَق ؟

---

(١) نبا الشيء عنه : تجافى وتباعد ، ونبا جنبه عن الفراش : لم يطمئن عليه ، ونبا بفلان منزله : اذا لم يوافقه ، وكذا فراشه .

(٢) الشعب : أنظره في (ص ١١٨ر٢) .

(٣) المرح : شدة الفرح والنشاط .

(٤) السبق (بتحريك) : الخطر الذي يتراهن عليه أهل السباق .

(٥) الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب من العتمة . وقال الخليل : هو الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الأخيرة .

(٦) الفرق : الخوف .

(٧) ل : « مليا » والتصحيح من ط ، ب .

(٨) الزيادة من ط ، ب .

أيُّ قلوبٍ لم تُقطّع أسىً … لبعدكم ؟ وأي دمعٍ لم يُرَقْ ؟
ما لي وللدهر ؟ أعَنْ ذَوْبَةٍ … يجحدني فضليَ أم ذاك خُلُقْ ؟
يا للزّمان ! كيف ضاع نَقْدُهُ … لأهله من جاهلٍ أو مُستَحِق ؟
وكيف أمستْ فُرُطاتٌ صَرْفِهِ … الى أولي الفضل دِراكاً تستبق[1] ؟
عارٌ عليك ، يا زمانُ ، ما أرى … ذا العلم عارٍ والجهول مُنْتَطِق
ما شرُفتْ نفس أمرىءٍ بأدبٍ … إلا وعْدٌ فيك من إحدى الدُّوَق
ويحَ الرّجال[2] رفِعت آدابهم … فالفضل فرعٌ عندهم على الحُمُق
وأستحوذَ ألجهلُ على قلوبهم … حتى لقد صار ألبغيض من نطَق
وعاد مَن كان يُعدّ عالماً … يبيع في سوق الكساد ما نَفَق[3]
صبراً على عتب الليالي ، إنّها … ما أصحبت مجبولةً على الخرق[4] !

أبو العباس ابن هبيرة

الأكرم أبو العبّاس [السديد[5]] بن عبد الواحد بن محمّد ابن هبيرة

حكي : أنّ شرَف الدّين[6] أبا البدر ابن الوزير عون الدّين نظر الى القمر في بعض

---

(١) أمر فرط (بضمتين) : أي مجاوز فيه الحد ، ومنه قوله تعالى : « وكان أمره فرطاً » . وصرف الدهر : حدثانه ونوائبه . والدراك : اتباع الشيء بعضه على بعض .

(٢) ب : « رجال » .

(٣) نفق البيع : راج ، والسوق : قامت .

(٤) ما أصحبت : ما مصدرية ظرفيــة ، وهي في ط : « ما أصبحت » ، وفي ب : « قد أصبحت » . مجبولة : مخلوقة . والخرق (بالضم وبالتحريك) : ضد الرفق ؛ والحمق . والفعل منه خرق كفرح وكرم . وهي في ب : « الحرق » مصحفة .

(٥) الزيادة من ط .

(٦) « الدين » : لم ترد في ط ، وهي لازمة لأنها تمام اسمه .

الليالي، وهو يدخل تحت السحاب تارةً وينكشف أخرى، فقال للحاضرين: ليأخذْ كلٌّ منكم في هذا المعنى شعراً.

فقال الأديب مُفلِح [1]:

كأنّما البدر حين يبدو ... لنا ويستحجب السحابا

خريدةٌ من بني هلالٍ ... لاثتْ على وجهها نقابا

وقال شرف الدّين:

اذا تطلّع بدرُ التمّ من فُرَجٍ ... بين السّحاب وغارتْ حولَهُ [2] الشُّهُبُ

تخاله من رنيثٍ في مُلاءته ... خرقاء تسفر أحياناً وتنتقب

وقال الأكرم [3]:

فكأنّ هذا البدر حيث تُظلّه ... سحبٌ فيخفى تارةً ويؤوبُ

حسناءُ تبدو من خِلالِ سُجوفها ... طوراً، فتنظر [4] نحوها فتغيبُ

الأجلّ فخر الدّين

فخر الدين ابن هبيرة

أبو جعفر مكّيّ بن محمّد بن هبيرة، أخو الوزير عون الدين [توفّي في زمان أخيه [5]]. أنشدت له قوله يرثي أخاه أبا الفرج [6]:

---

(١) هذه الجملة لم ترد في ط، وانما ورد مكانها على سبيل التكرار ما يأتي: «الأكرم أبو العباس السديد بن عبد الواحد بن محمد بن هبيرة»، وهو سهو من غير شك.

(٢) ط، ب: «دونه».

(٣) ب: «وقال أبو العباس الأكرم بن عبد الواحد بن محمد بن هبيرة فيه».

(٤) ط: «فتنظر» بالنون.

(٥) الزيادة من ط.

(٦) لم ترد هذه الجملة في ط.

أما عن سبيلِ للمنيّة مَذهَبُ ؟

ولا عن طِلابِ الموت ويحكَ مَهرَبُ ؟

فكن مستعِدّاً للذُّنون ، فإنّها

اذا هجمت طاش الشّجاع المُجرّبُ (١)

تفكّرتُ في الدّنيا فلم أرَ لذّةً ... تدوم ، ولا مستحسَناً ليس يُسلبُ

ولا آملاً إلّا ويرجع خائباً ... ولا سالماً في النّاس الّا ويعطَبُ

ألا ، روِّحا قلبي بصوت حمامةٍ ... تنوح على غصن الأراكِ وتندبُ (٢)

تُرى فجعت مثلي خليلاً وصاحباً ... وقرّة عينٍ كان يُرجى ويُرهب ؟

ومنها :

أبا الفرج المسلوب من كلّ ناظرٍ (٣)

تغيّبتَ عن هجري وما كنتَ تغيبُ

عجبتُ لمن خلّفت كيف قراره ... وإنّ بقائي بعد موتك أعجب !

فيا ابن الهُبَيريّ الّذي ليس دونه

أرى اليوم خِلّاً (٤) في البريّة يصحبُ

لئن غبت عن عينيّ في التُّرب قسوةً ... وكلُّ نفيسٍ في التّراب يغيّبُ

فما كبدي حرّى تذوبُ ، ومهجتي ... تبيت على جمر الأسى تتقلّبُ

فلا لذّ لي من بعد موتك مطعَمٌ ... ولا طاب لي من بعد فقدك مشرَبُ

(١) طاش : نزق وخف وذهب عقله .

(٢) الأراك : شجر من الحمض يستاك به .

(٣) ط : « ناصر » .

(٤) ل : « أرى النوم حلا » ، والتصحيح من ط .

أمين الدولة ابن الموصلايا

أمين الدولة أبو سعد [1] العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا

كاتب [2] الإنشاء بدار الخلافة . كتب لثلاثة من الخلفاء : القائم ، والمقتدي ، والمستظهر [3] - رضي الله عنهم - خمساً وستين سنة . وكان ابتداء خدمته لدار الخلافة في أيام القائم سنة اثنتين [4] وثلاثين وأربع مئة ، وتوفي ثاني عشر من جمادى الأولى [5] سنة تسع وتسعين بعد أن أضر [6] ، وكان يُملي على ابن أخته [7] الأجل أبي نصر ، ولم يبطل الى أن مات . وكان نصرانياً فأسلم في أيام المقتدي على يده [8] ووزارة أبي شجاع [9] ، ولم يزل موقراً موفور الخدمة [10] ، ينوب عن الوزارة المقتدية والمستظهرية ،

---

(١) « أمين الدولة أبو سعد » : وردت في هامش ل ، ولم ترد في ط . وفي وفيات الأعيان (٣٩١/١) : « أبو سعد العلاء بن الحسين بن وهب بن الموصلايا ، الكاتب البغدادي منشيء دار الخلافة الملقب أمين الدولة » . وفي نكت الهميان (ص ٢٠١) : « العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا ، أبو سعيد البغدادي » . والموصلايا : ضبط في الوفيات بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد المهملة ، وهو من أسماء النصارى .

(٢) زيد قبلها في ب ، ط : « كان » .

(٣) أنظر ترجمة القائم في (ص ٢٢) ، والمقتدي في (ص ٢٤) ، والمستظهر في (ص ٢٦) .

(٤) ل ، ط : « اثنين » .

(٥) ل : « الأول » .

(٦) ب ، ط : « وتوفي ثالث عشري ربيع الأول سنة سبع وتسعين بعد أن أضر » . وفي وفيات الأعيان : « توفي بعد أن كف بصره في تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربع مئة » .

(٧) ط : « ابن أخيه » ، والصواب المثبت في المتن ، وستأتي ترجمته ، وقد ترجم له في وفيات الأعيان في ضمن ترجمة خاله (٣٩١/١) .

(٨) « على يده » : لم ترد في ط ، ب . وكان اسلامه - كما في وفيات الأعيان - سنة ٤٨٤ هـ .

(٩) تقدمت ترجمته في (ص ٧٧) .

(١٠) ل : « ولم يزل موقراً موفر الحرمة » ، والمثبت في المتن من ط .

حتى قال عميد الدّولة للمستظهر عنه وابن أخته[١] : هما بعينا الدّولة وأمينا‌ها . [وكان[٢]] لا يُبرم دونهما أمر . وكان كثير الصّدقة والصّلة ، ذكر عنه أنه فرّق في يوم من أيّام الغلاء[٣] ثلاثين ألف[٤] رطل خبزاً .

كان بليغ الانشاء ، سديد الآراء ؛ رسائله تعبّر عن [غزارة[٥]] فضله ، ووفور علمه ، وكان نثره أحسن من نظمه ؛ لتمرّنه عليه ، وانقطاعه إليه . على أنّ له مقطّعات مستعذبة أراها أحلى من الأرْي[٦] ، وأزين من الحَلْي ، وهي في أسلوب شعر الكُتّاب بعيدة من التّكلّف في الصّنعة ، أرقّ معنى من الدمعة ، وأعذب لفظاً من كلمة كريم مستبشر الطّلعة .

فمن تلك القطع الموشيّة ، المؤنسة غير الوحشيّة ، قوله :

يا هِنْــدُ رِقّي لفتىً مُدنَفٍ يحسن فيه طلبُ الأجرِ
يرعى نجوم اللّيــل حتّى يرى حلّ عُراها بيدِ الفجرِ
ضاق نطاق الصّبر عن قلبه عند اتّساع الخرق في الهَجْرِ

قد راقتني هذه الأبيات لرقّتها[٧] ، وحلاوة الاستعارة في معناها مع دقّتها ، ولقد ساعده التّوفيق ، في هذا التّطبيق ، وما كلّ شاعر يخلص من هذا المضيق . و [هكذا[٨]] شعر الكتّاب يجمع الى اللطافة طراقة ، والى الحلاوة طلاوة .

---

(١) ل : « وابن أخيه » ، والصواب ما أثبتناه .
(٢) الزيادة من ط .
(٣) ط : « في أيام قليلة من أيام الغلاء » ، ب : « في أيام قليلة في الغلاء » .
(٤) ل : « رطلا » ، وهي على وجه الصحة في ط ، ب .
(٥) الزيادة من ط .
(٦) الأري : العسل .
(٧) ط : « قد أرقتني هذه الأبيات برقتها » .
(٨) الزيادة من ط .

وله أيضاً :

وكأسٍ كساها الحسن ثوبَ ملاحةٍ فحازت ضياءً مشرقاً يشبه الشمسا

أضاءت على كفِّ المدير وما درى[1] وقد دجت الظلماءُ أصبح أو أمسى[2]

ولـه :

أقول للائمي في حبِّ ليلى وقد ساوى نهارٌ منك ليلا

أقِلْ فما أفاتَ قطُّ أرضٌ مُحباً جرَّ في الهجران ذَيْلا

ولو ممن أحبُّ ملأت عيناً لكنت الى هواه أشدَّ ميلا

وله في المستظهر بالله :

يا حبذا ظبيٌ نشا يضمنه[3] هذا الرشا

ظبيٌ شعاع نوره أهدى الى العين العشا

تمايلتْ أعطافه من غير سكرٍ فانتشى

لما ارتوى من حسنه زاد القلوبَ عطشا

فإنْ لوى عنانه الى النوى وأوحشا

وشاء أنْ يغدر بي لقول نمّامٍ وشى

لذتُ بظلِّ مالكٍ رقى المعالي مذ نشا

مستظهرٍ بالله دا مَ منعِماً ومُنعِشا

وعاش ما عاقب ضو ء الصبح ظلماء العشا

---

(١) ب : « فما درى » .

(٢) « أو » : في نكت الهميان (٢٠٢) : « أم » . و « أمسى » : في النسخ كلها : « أمسا » .

(٣) ط : « بضمنه » ، ولعله « يضمه » .

يأخذ لي بالثأر من عدوانه كما يشا

وأنشدني الشيخ الإمام الأفضل عبد الرحيم بن الأُخوة[1] البغدادي الشيباني بأصفهان، قال: أنشدني ابن الوُصلايا لنفسه:

يا خليليّ، خليّاني ووجدي فلام العذول ما ليس يُجدي

ودعاني، فقد دعاني الى الحكـ ـم غريم الغرام للدّين عندي

فعساه يرقّ إذ ملك الرقّ بنقد من وصله أو بوعد[2]

ثمّ من ذا يُجيرُ منه اذا جا ر؟ ومن ذا على تعدّيه يعدي[3]؟

أنا أستحلي هذا النوع من التجنيس وأستعذبه، وبحسبه زُلال الماء قلبي في الرقّة والصفاء فيشربه ويتشرّبه[4].

وأنشدني الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقيّ[5]، ولي منه إجازة، قال: أنشدنا العلاء بن الحسن بن وهب الكاتب لنفسه:

---

(١) ط: «ابن الأخوه»، وهو تحريف. ترجم له المؤلف في هذا الكتاب ترجمة مسهبة فقال: «الأجل الامام الأوحد جمال الدين أفضل الاسلام، أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن الأخوة البغدادي الشيباني أدام الله أيامه» وأفاض في الثناء عليه، ثم قال: «أقام أربعين سنة بأصفهان حتى كاد يعد من أهلها، وجمع بين لطافة بغداد وصحة جي، فإن منشأه بمدينة السلام». راجع الورقة ٢٣٧ وما بعدها من النسخة الطهرانية المصورة بخزانة كتب المجمع العلمي العراقي.

(٢) في هامش ل: «وأنشدني غيره رواية: بنقد من وعده أو بنقد».

(٣) ورد في هامش ل: «رواه السمعاني في الذيل».

(٤) «ويتشربه»: لم يرد في ط.

(٥) أبو منصور الجواليقي: امام في فنون الأدب واللغة، من مفاخر بغداد، غزير الفضل وافر العقل كثير الضبط، كان له خط يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة فيه. وكان اماماً للمقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس. ولد سنة ٤٦٦ هـ، وتوفي سنة ٥٣٩ هـ ببغداد. وله التصانيف المفيدة مثل شرح أدب الكتاب، والمعرب ــ وقد طبعا بمصر، وتتمة درة الغواص. وترجمته في وفيات الأعيان (١٤٢/٢) وفي مقدمة كتابه المعرب.

أحنُّ الى روض التّصابي وأرتاحُ
وأمْتَحُ من حوض التّصافي وأمتاحُ (١)

وأشتاق ريمًا كلّما رُمْتُ صيده ... تصُدُّ يدي عنه سيوفٌ وأرماح
غزالٌ اذا ما لاح أو فاح نَشْرُه ... تعذّبُ أرواحٌ وتعذُبُ أرواح
بنفسي - وإن عزّتْ - وأهلي أهلّة ... لها غُرَرٌ في الحسن تبدو وأوضاح (٢)
فتفضحُ الأعذار فيهم اذا بدوا ... وتفتضح (٣) اللاحون فيهم اذا لاحوا
وكرخيّةٍ عذراء يُعذِر حبُّها ... ومن زندها (٤) في الدّهر تقدح أقداح
اذا جُليت في الكأس والليلُ ما انجلى ... تقابل إصباحٌ لديك ومِصباح
يطوف بها ساقٍ لسُوق جماله ... نَفاق لإفساد الهوى فيه إصلاح (٥)
به (٦) عُجْمَةٌ في اللفظ تُغري بوصله ... وإن كان منه بالقطيعة إفصاح
وغُرّتُهُ صبحٌ، وطُرّته دُجىً ... ومبسِمُه (٧) دُرٌّ، وريقته راح
أباح دمي مذ بُحْتُ في الحبّ باسمه ... وبالشّجو من قبلي المحبّون قد باحوا
وأوعدني بالسّوء ظلمًا، ولم يكن ... لإشكال ما يقضي (٨) الى الضّيم إيضاح

---

(١) أمتح الماء : أنزعه . حوض التصافي : في ل : « حوض التصابي » ، والمثبت في المتن من ط ، ب . أمتاح : أعطي .

(٢) ورد بعده في نكت الهميان (ص ٢٠٢) :

نجوم أغاروا النور للبدر عند ما ... أغاروا على سرب الملاحة واجتاحوا

(٣) ط ، ب ، ونكت الهميان : « ويفتضح » .

(٤) في نكت الهميان : « دنّها » .

(٥) النفاق (بفتح النون) : الرواج .

(٦) ب : « له » .

(٧) ب : « وملبسه » ، وليست بشيء .

(٨) ل : « يقضي » بالقاف ، وهو في ط وفي النكت كما أثبتنا .

وكيف أخاف الضيمَ أو أحذر الردى وعوني [1] على الأيام أبلجُ وضّاح ؟
وظلّ نظام الملك للكَسْر جابرٌ وللضُّرّ مَنّاعٌ وللنفع [2] مَتّاح

وله، نقلته من مجموع :

وإنّي لصَبٌّ بالصَّبا مُذْ غدا لها هبوبٌ بهاتيك الخيام تجول [3]
ومن عجبٍ أنْ أبتغي من نسيمها شِفاء عليلٍ [4] ، والنسيم عليلُ

وقرأت في كتاب الذيل [5] لابن الهمذاني المؤرخ [6] ، أنه عمل قصيدةً في نظام الملك [7] ، وأنفذها على يد الشيخ الإمام فخر العلماء أبي بكر بن فُورك [8] الشافعي — رضي الله عنه [9] — الى المُعَسْكر [10] بتبريز ، فمثل بين يدي نظام الملك ، وقال [11] : إنّ كاتب الإمام قد أصحبني عروساً آثر أن تجلّى بهذا المجلس

---

(١) ب ، ط : « وغوني » . أما نكت الهميان ، فيظاهر ل .
(٢) في نكت الهميان : « وللخير » .
(٣) ط ، ب : « يجول » .
(٤) ل : « غليل » ، والمثبت من ط ، ب وهو أنسب .
(٥) ط : « المذيل » ، وانظر في ذلك ما كتبناه في (ص ٢٣ و٣١) .
(٦) ابن الهمذاني : تقدمت ترجمته في (ص ٧٨) .
(٧) نظام الملك : تقدمت ترجمته في (ص ٨٤) .
(٨) ل : « فورل » باللام ، وهو تحريف . ويعرف بابن فورك جماعة أشهرهم أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك المتكلم الأصولي ، وقد اشتهر بالرد الشديد على الكرامية ، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ . ومنهم سبطه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن الفوركي الشافعي ، وكان متكلماً مناظراً يعظ الناس في النظامية ببغداد ، ووصفه ابن الجوزي بأنه كان مؤثراً للدنيا ، وتوفي في شعبان سنة ٤٧٨ هـ . ولعله هو الذي يعنيه المؤلف لقرب وفاته من مقتل نظام الملك . أنظر طبقات الشافعية (٣/٣٢) ، والمنتظم (٨/٢٠٤ و ٩/١٧) ، والبداية والنهاية (١٢/١٢٧) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/٢٢٦) ، ووفيات الأعيان (١/٤٨٢) .
(٩) ط : « رحمه الله » .
(١٠) « الى المعسكر » : لم ترد في ط .
(١١) ط : « فقال » .

السامي ، فأنشدها منشد هناك بمحضر من الأئمة والزُّهّاد والأدباء والكتّاب ، فما فيهم إلا من طرب ، وكتب بعضهم إليه متمثّلا بهذا البيت :

وقسّم النّاسُ المسرّةَ بينهم ... قسماً ، فكان أجلّهم حظّاً أنا

والقصيدة هي هذه :

أزرْها في أزمّتها تهـادى ... وغادِ [1] بها الثنايا والوِهادا [2]
وأنجدها ، إذا ضعفتْ ، بعزم ... يُذِلُّ لها التهائمَ والنّجادا [3]
عساها أن تبلّغ بي محلاً ... عهدتُ به مع المحلِ العهادا [4]
وتُنزلني ، على نصبي ، بربع ... يوطّىء لي النّـدى فيه المهادا
وتعلقني [5] من الأنجاد [6] إمّا ... حللتُ بهم جميعـاً أو فرادى
بأثقلهم ، إذا وُزنوا ، حصـاةً ... وأثقبهم ، إذا قدحوا ، زنادا [7]
وأسرعهم إلى العليا جواباً ... وأسبقهم إلى النّعمى جوادا
وأصنعهم لمتبـع مُراداً [8] ... وأمرعهـم لمنتجع مَرادا
وأخشنهم [9] على الأعداء مسّاً ... وألينهم لذي طلب قيـادا
وأصفاهم على الملهوفِ ظلاً ... وأوفاهم من المعروف زادا
هنالك لن ترى المقصود إلا ... غيـاث الدولة الملكَ الجوادا

(١) غاد : باكر ، يقال : غاداه ، اذا باكره . وهي في ل ، ط : « عاد » ، ولا معنى لها هنا .
(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي العقبة أو طريقها ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو اليه . الوهاد والوهد : جمع وهدة ، وهي المكان المطمئن .
(٣) أنجدها : أعنها . التهائم : جمع تهمة ، وهي الأرض المتصوبة نحو البحر . والنجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٤) المحل : الجدب . والعهاد : جمع العهد ، وهو أول مطر الوسمي .
(٥) ل : « وبعلني » ، وهو تحريف ، وتصحيحه من ط .
(٦) الأنجاد : جمع نجد ، وهو الشجاع الماضي فيما يعجز غيره ، وقيل : هو الشديد البأس ، وقيل : هو السريع الاجابة الى ما دعي اليه خيراً كان أو شراً . وفي ط : « الأمجاد » .
(٧) الحصاة : العقل ، والرأي . والبيت لم يرد في ط .
(٨) ل : « مراراً » ، ط : « مراماً » . والأولى تحريف « مراداً » التي أثبتناها .
(٩) ل : « وأحسنهم » ، وما أثبتناه هو الذي يقتضيه السياق ، وهو على وجه الصحة في ط .

أغرُّ إذا اجتبى[1] لبناء مجد على فلك العلى أرسى وشادا[2]
وإنْ أمَّ العُفاة ذَراه[3] لَبّى نداهُ نِدامُ[4] عفواً وجادا
ومدَّ إلى مطالب سائليه يداً ألِفت إلى الكرم امتدادا
وردَّ مقاصدَ الآمالِ بيضاً وقد لبست على الجود الحدادا
تخيَّر ذِروة العليا محلاً وطيبَ الذكر في الدُّنيا عَتادا[5]
وصيَّر ما حوتْ كفاه نهباً لوفد الحمد قصداً واعتمادا
ولم تترُك مكارمه عليه طريفاً في يديه ولا تِلادا
ولما أنْ تفرَّد بالمعالي وأدرك من مداها ما أرادا
وأمطى كاهل الباغي نَداه من الإحسان ما أعيا وآدا[6]
أفادَ معالِمَ الحمد انتظاماً وزادَ غنائمَ المجد انتضادا[7]
وحرّم أن ترى الأيام فيها لغير نظام علياه اطّرادا
وقاوَمَ صولة العدوان عَدلٌ أقامَ به من الحقِّ العِمادا
وخصَّ مواقف التقوى بفعل أمات الغيَّ واستحيا الرشادا
نَحا فيه صلاحاً لم تُخالط مشارِبهُ قذى ، ومحا فسادا
أيا من لم يَفِدْ أحد عليه بحسن رجائه إلا أفادا
ويا من كلما ازدحمت عليه مطايا الخائفين حمى وذادا
ويا من كلما شكت الليالي إليه الجدبَ والسنةَ الجمادا[8]

---

(١) ل : « اجتبى » ، ورجحنا رواية ط ، لأنها أليق بالمعنى في هذا المقام .
(٢) ط : « وسادا » .
(٣) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف . الذرا : كل ما استذريت به ، يقال : أنا في ظل فلان وفي ذراه ، أي في كنفه وستره ودفئه .
(٤) ندام : قصرت وضمت ميمها في ل ، ط معاً ، وذلك للمجانسة .
(٥) العتاد (بفتح العين) : العدة ، جمعه أعتدة .
(٦) أمطى : أركب . الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ، وهو الثلث الأعلى ، أو ما بين الكتفين ، أو موصل العنق في الصلب . أعياه السير : أكله وأتعبه . آده الأمر : بلغ منه المجهود .
(٧) الانتضاد : جعل المتاع بعضه فوق بعض .
(٨) السنة الجماد : هي التي لم يصبها مطر .

أمال إلى بني الآمال عِطفاً[1]   إذا أبدا[2] لمكرمة أعادا
وخلّى الجودَ يخلو بالأماني   يحكّمها ويعطيها المرادا
أجِلْ طرفَ انقيادك[3] في محبٍّ   إذا كدر الهوى أصفى الودادا
رأى طيّ الضلوع على ولاءٍ   لمجدك لم يجد فيه ازديادا
وغالى فيه إذ أرخصت فيه   نوالا منك راوحَه وغادى[4]
ووالى[5] نشرَ أنعمكم لديه   وَوالى في محبتكم وَعادى
وآلى لا انثنى يهدي إليكم   ثناء ما ارتوى فلم يمادا[6]
وأصدق في الوفا قولاً وفعلا   وأوثق فيه عقداً واعتقادا

[ومنها][7] :

ولو لم أبدِ ما أشكو إليه   لفاتحني بأنعمه وبادا[8]
فعش ما غردت في الأيك وُرق[9]   وماء ما جرى في العود عادا[10]
فِدى لك من يبذل العِرض[11] منه   عن المال المصون لديه فادى

---

(١) عطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه الى وركه . وكذا عطفا كل شيء : جانباه . وأمال عطفه اليه : أقبل اليه .

(٢) أبدا : أبدأ ، خففت همزته ؛ يقال : ما يبدىء وما يعيد ، أي ما يتكلم ببادئة ولا عائدة . ورسم الفعل في ل ، ط بالألف المقصورة .

(٣) ط : « انقادك » .

(٤) غاداه : باكره ، وراوحه : ضده .

(٥) ط : « وولي » .

(٦) آلى : أقسم . ما ارتوى ، ما : فيه مصدرية ظرفية .

(٧) الزيادة من ط .

(٨) بادا : بادأ ، خفف لضرورة القافية ، وقد رسم الفعل في ل بالألف المقصورة ، وفي ط كما أثبتناه .

(٩) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، الواحدة أيكة . الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة ، ويقال لها ذلك لأن في لونها بياضاً الى سواد .

(١٠) ل : « وما ماء جرى في العود عادا » ، وما أثبتناه من ط .

(١١) ل : « المال » ، وما أثبتناه من ط .

وكلُّ يدٍ لواهي[1] العقد ضُمَّت على بخل أنامله الجعـادا[2]
فما يُثنى عليـه إذن بخير ولا يَثني لمكرمة وسـادا
ولم يَرِ زنده[3] في الرشد يوماً ولم يَرَ في مقاصده سدادا[4]
ولا عدِمتْ أوامرُكم نفاذاً ولا عرفت عوارفكم نفادا[5]

تاج الرؤساء أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا

تاج الرؤساء ابن أخت ابن الموصلايا

وهو هبة الله ابن صاحب الخبر، الحسن بن علي. ربّاه خاله[6]، وكتب بين يديه[7] في ديوان الإنشاء في الأيام القائميّة والمقتديّة والمستظهريّة. أسلم مع خاله على يد الإمام المقتدي[8]. وكان لما أضرّ خاله، يكتب عنه ما جرت به العادة من الإنهاءات، فلما توفي خاله، ردّ ديوان الإنشاء إليه في الأيام المستظهرية. وخرج في الرسالة إلى السلاطين مراراً وعاد من الرسالة إلى بركيارق[9] — بعد موته — إلى بغداد. وتوفي حادي عشر جمادى

---

(١) ل : « لواها »، وما أثبتناه من ط.

(٢) الجعاد : جمع جعد، وهو البخيل، يقال : فلان جعد اليدين، وجعد الأنامل. وربما أطلق في البخيل أيضاً ولم تذكر معه اليد.

(٣) ورى الزند يري (بالكسر) وريا : خرجت ناره، وأوراه غيره.

(٤) ط : « سوادا »، وهي تحريف. والسداد (بالفتح) : الاستقامة والصواب.

(٥) النفـاذ : الجواز، والنافذ : المطاع من الأمر. والعوارف : جمع عارفة، وهي المعروف. والنفاد : الفناء.

(٦) هو العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا. تقدمت ترجمته في (ص ١٢٣).

(٧) ط : « وكان يكتب بين يديه ».

(٨) تقدمت ترجمته في ص (٢٤—٢٦).

(٩) بركيـارق : في وفيات الأعيان (٨٨/١) : « بركياروق »، وضبط فيها « بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء والكاف، وفتح الياء المثناة من تحتها، وبعد الألف راء مضمومة وواو ساكنة وقاف ». وهو السلطان أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، ولد في سنة ٤٧١ هـ، وقيل سنة ٤٧٤ هـ ببروجرد، وهي بلدة على ثمانية عشر فرسخاً من همدان. ولي المملكة بعد موت أبيه، وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وأشهراً. وترجمته في وفيات الأعيان (٨٧/١—٨٨)، والكامل (ج ١٠/ ما بين ٤١—١٤٢)، وزبدة النصرة (٨٢—٩٠ و ٢٥٥—٢٦٢ و ٢٦٥)، وأخبار الدولة السلجوقية (٧٧—٨٨).

الأولى[1] ، سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ، وله سبعون سنة . وبين موته وموت خاله سنة إلا عشرة أيام .

وكان لا يقاربه أحد في الإنشاء[2] والعبارة . ولم يكتب كتاباً قطّ فرجع فيه إلى مُبَيَّضة . وجدت[3] من شعره في الألغاز[4] مقطعات[5] مستحسنة ، فنها قوله :

ومنكوح إذا ملكته كفّ — وليس يكون في هذا مراء
له عين تجللها[6] ضياء — فإن كحلت فبالميل العماء
يظلّ طليقه للوصل هَوْناً — والحاشي بزورته احتماء[7]
وقد أوضحته وأبنتُ عنه — فقدّره ، فقد برح الخفاء[8]

هذا اللغز في الخاتم[9] . وقوله :

ومَيْتة فيها حَراك إذا — قامت على منبرها خاطبه
ساعية في غير منفوعها — فهي إذن عاملة ناصبه
إن وطئت تحمل من وقتها — حتى ترى مجذوبة جاذبه
تعرى من اللبس، وفي جيدها — قلائد تُلفى بها كاسبه
عقدُ غرثاها بريّ إذا — أضحت بروق الحيا كاذبه

هذه دالية الماء ، وما دامت ملقاة فهي كالميتة . فاذا قامت على حائطها الذي شبهه بالمنبر ، صارت ذات حركة ، وهي ساعية في نفع غيرها . وإذا وطئت بالأرجل ، تحمل من

(١) ل : « جدي الأول » ، وهو في ط على الصواب كما أثبتناه.
(٢) ط ، ب : « الكتابة » .
(٣) ط : « ووجدت » .
(٤) ورد مكان « الألغاز » في ط : « الخاتم » .
(٥) ط : « مقطوعات » .
(٦) ب : « تحللها » .
(٧) ط : « تظل طليقة للوصل هوناً — والخاشي بزورته احتماء » .
(٨) برح الخفاء : ظهر الأمر .
(٩) في هامش ط : « اللغز هذا في الخاتم » .

وقتها الماء ، أو تحمل[1] من بطوئها . وقلائدها الحبال التي كفَّتها بها معلقة. وغرثاها : جياعها ، أي الدّبات . ولو تهيأ له أن يقول « عطاشها » لكان أحسن . على أنّ الشعر جيد السبك ، حسن الاستعارة ، مليح العبارة ، صائب المعنى .

أبو الحسن ابن رضوان

الأجلّ أبو الحسن ابن رضوان

كان يُلقّب بنظام الدولة . كان كاتباً في ديوان الإنشاء[2] في الدولة المستظهرية بعد نسيب ابنِ الموصلايا ، وعاش إلى قريب من آخر أيامها .

قرأتُ له في الكتاب الذي ألفه [الشيخ[3]] أبو المعالي الكتبي[4] في الألغاز هذه الأبيات في اللغز :

وقائلةٍ هلمّ بغير لفظ ... ولا لغة تبين من اللغات
ترى عذباتها يخفقنَ حيناً ... كما خفق اللواء على القناة
محلّتها سواد القلب ترعى ... جناباً[5] منه ليس بذي نبات

هي النار ، ومن عادة العرب أن توقدها ليلا للضيف والضال ، فكأنها تقول : هلم بلسان الحال . وخفق عذباتها : لهبها . وقوله : « محلّتها سواد القلب » ؛ لأن القلب معدن نار الهوى ، ومنبع الحرارة من البدن أيضاً . وليس بين صفات هذا اللغز تناسب ، لأن

---

(١) ط : « وتحمل » .

(٢) ط : « كان كاتب الانشاء ... » .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) ط : « أبو المعالي بن الكتبي » بزيادة كلة (ابن) ، والصواب حذفها . وهو أبو المعالي سعد بن علي الحظيري الكتبي ، المعروف بدلال الكتب . والحظيري نسبة الى « الحظيرة » (بفتح الحاء) موضع فوق بغداد ينسب اليه كثير من العلماء . كان أديباً فاضلا ، شاعراً رقيق الشعر ، وله رسائل ومصنفات ، منها : « زينة الدهر ، وعصرة أهل العصر » ذيل به « دمية القصر » للباخرزي الذي جعله ذيلا على « يتيمة الدهر » للثعالبي . توفي ببغداد في سنة ٥٦٨ هـ . وترجمته في هذا الكتاب (راجع من الورقة الـ٨٦ الى الورقة الـ١٠١ من نسخة باريس المصورة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي) ، وفي المنتظم (٢٤١/١٠) ، ومعجم الأدباء (١٩٤/١١—١٩٧) ، ووفيات الأعيان (٢٠٣/١—٢٠٤) .

(٥) ط : « جناناً » ، والصواب الأصل .

بين نار القِرى[1] ونار القلب بوناً بعيداً ، فقد أخطأ فيه . ويجوز أن يكون قد ألغز كل واحدة من النارين ، فإنه[2] كما تدعو نار القرى الضيف تدعو نار الهوى النفس ، لكن بالبيت الثاني أبعد ، فليس لنار الهوى لهب تشبه عذباتها بخوافق الألوية .

تاج الرؤساء ابن الأصباغي

تاج الرؤساء ابن الأصباغي الكاتب[3]

كتب[4] بديوان الزمام[5] في بعض الأيام المستظهرية[6] ، وناب عن ديوان الزمام في أيام المقتدي[7] . وله تصنيف في علم الكتابة . وجماعة الحساب وكتاب العراق يكتبون الحساب[8] على طريقته . وأسلم في صفر سنة أربع وثمانين وأربع مئة[9] قبل إسلام ابني[10] الموصلايا بيوم حيث[11] خرج التوقيع[12] الشريف بإلزام أهل الذمة

(١) قال الثعالبي في الثمار والمنسوب (٤٥٧) : « هي مذكورة على الحقيقة ، لا على المثل . وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها ، وهي النار التي ترفع للسفر ولمن يلتمس القرى ، فكلما كان موضعها أرفع ، كانت أفخر . والأشعار فيها كثيرة » .

(٢) ل : « فكأنه كما تدعوا نار القرى الضيف ، وتدعوا نار الهوى النفس » ، والجملة — كما ترى — مضطربة ، وتصحيحها من ط .

(٣) ط : « الرئيس أبو غالب الأصباغي تاج الرؤساء » ؛ ب : « تاج الرؤساء أبو غالب الأصباغي » . وفي زبدة النصرة (٧٨) : « الرئيس أبو غالب ابن الأصباغي » بزيادة (ابن) كما في ل . ويظاهر ذلك اثباتها في ترجمة أخيه الآتية في ل ، ط ، وفي المنتظم (٦١/٩) .

(٤) بدئت الترجمة في ط مضطربة هكذا : « وناب عن ديوان الزمام في أيام المقتدي ، كتب بديوان الزمام في بعض الأيام المستظهرية » .

(٥) ديوان الزمام : هو ديوان المال ، وأول من اتخذه في الاسلام زياد بن أبي سفيان . أنظر في هذا : « فتوح البلدان » للبلاذري ، و « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » ، و « عبقرية الاسلام في أصول الحكم » .

(٦) تقدمت ترجمة المستظهر بالله في ص (٢٦—٢٩) .

(٧) تقدمت ترجمته في ص (٢٤—٢٦) .

(٨) ط : « الحساب » .

(٩) أنظر زبدة النصرة (ص ٧٨) .

(١٠) ط ، ب : « ابن » ، والصواب الأصل ، أنظر ص (١٣٢) من هذا الكتاب ، و ص (٧٨) من زبدة النصرة .

(١١) ب : « حين » .

(١٢) يريد توقيع الخليفة المقتدي . وقد فسرنا « التوقيع » في التعليقة الـ(٤) من ص (٦١) من هذا الكتاب .

الغيار[1] ، وكان من بركات ذلك إسلامهم .

أنشدني الشيخ الإمام عبدالرحيم بن الأخوّة الشيباني[2] بأصفهان ، قال : « أنشدني ابن[3] الأصباغي الكاتب لنفسه :

عقرتهم معقورةٌ لو سالمتْ ... شرّابها ما سُميتْ بعُقار[4]
ذكرت طوائلها[5] القديمة إذ غدت ... صرعى تداس بأرجل العصّار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنتْ ... منهم فصاحت فيهمُ بالثار »

وله في اللغز :

مقامر مذ كان لم يُقمَر ... كأننا يلعب بالسُدّر[6]
يعشَقُه النــاس على جوره ... والجور ممقوت على الأكثر
شبابه المرموق في شـيبه ... وشيبه مذ كان لم يخطر[7]
يدلُّ في البيـع ولكنه ... يميل أحيــاناً مع المشتري
حديثُــه مع أنه صــامت ... يُهيج مِن شِقشِقة السمّر[8]

هو القمر ، وإنما قال « مقامر » لأنه رأى اسمه فعلا ، وهو قمر دائماً ولا يكون مقموراً . ولعب السدر[9] معروف عند المقامرين ، وهو معشوق الناس . وجوره : علوه عن

---

(١) الغيار (بكسر الغين) : علامة أهل الذمة ، كالزنار للمجوس . وقد أزيل هذا الغيار عن أهل الذمة في ثاني عشر رجب من سنة ٤٩٨ هـ . قال ابن الجوزي في المنتظم (١٤٣/٩) : « ولا يعرف سبب زواله » .

(٢) قدمنا ترجمته في ص (١٢٦) .

(٣) « ابن » : سقطت في ط ، ب . وانظر في ذلك تعليقنا في ص (١٣٥) من هذا الكتاب .

(٤) عقره : جرحه ، وعقر البعير والفرس بالسيف فانعقر : أي ضرب به قوائمه . والعقار (بالضم) : الخمر ، سميت بذلك لأنها عقرت العقل ، أو عاقرت الدن ، أي لازمته . والمعاقرة : ادمان شرب الخمرة .

(٥) الطوائل : جمع طائلة ، وهي العداوة والترة .

(٦) ل ، ط ، ب : « الصدر » وهي تحريف لما أثبتناه . والسدر (كسكر) : لعبة لصبيان العرب . أنظر تاج العروس (٢٦٢/٣) ، والمعرب للجواليقي (٢٠١) .

(٧) لم يخطر : لم يخضب بالخطر ، وهو نبات يختضب به ، أو الوسمة .

(٨) الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ، واذا قالوا للخطيب « ذو شقشقة » فانما يشبه بالفحل . والسمر : جمع سامر ، والسمر والمسامرة : الحديث بالليل .

(٩) ل ، ط ، ب : « الصدر » ، وهي تحريف ، كما قدمنا .

منـالهم [1] . وشبابه : إبداره . وشيبه : نقصانـه . والمنجّمون يذكرون أنّ له ميلاً مع المُشتري . وحديثه : طلوعه ودوام ضوئه . والسُّمّر : جمع سامر .

وله في اللغز أيضاً [2] :

ما حائمٌ في كلامِ العُجمِ والعَرَبِ ... وما له في وُرودِ الماءِ من أرَبِ [3]
مُجْدولُ طيِّ الحشا يهتزُّ من هَيَفٍ ... ومن نُحولٍ ومن شُربٍ ومن طربِ [4]
يبكي فيُذري دموعاً ماؤها سَرِبٌ ... في الأسكُرِ لا من جوى بادٍ ولا حَرَبِ [5]
اذا انتدى وابتدا بالشُّربِ بادَرَه ... في آخر الدَّوْرِ ذَرْعُ القيءِ والذَّرَبِ [6]
تسري بـه الليلَ والإصباحَ يعملةٌ ... دَعُوقة السيرِ في قلٍ وفي خببِ [7]
تجري مع الرّيح لا تشكو الكَلالَ ولا ... تحيصُ عن صوبها حَيْصَ الوجي الإلِبِ [8]
هذا وراكبُها [9] يعتاقُ نهضتـه ... تقاعسٌ بين عَقْدِ الرأسِ والذَّنَبِ
فما يجوز بسمعي [10] قدُّ قامتـه ... طولاً ولا عُرُضاً في الميلِ والنكبِ
اذا امتطى عَنْسه [11] جدّ النشاطُ به ... وإن ترجّــلَ عنها باءَ بالعَطَبِ
ينفضُّ عنه اذا ما انقضّ منصلتاً ... في السيرِ مثل رجوم الجنّ بالشُّهُبِ

---

(١) ط : « منازهم » .
(٢) « أيضاً » : لم ترد في ط .
(٣) الحائم : سيأتي تفسيره في المتن . والأرب : الحاجة .
(٤) مجدول : جدله أحكم فتله ؛ يقال « رجل مجدول » اذا كان لطيف القصب محكم الفتل ، وساعد مجدول وساق مجدولة وجدلاء . : حسنة الطي . والهيف : ضمر البطن والخاصرة .
(٥) سرب : سائل . والجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . والحرب : نهب مال الانسان وتركه لا شيء عنده .
(٦) ذرع القيء فلاناً ذرعاً : سبق الى فيـه وغلبه . والذرب عند الأطباء : استطلاق البطن المتصل ، والعبارة — كما في المتن — كناية عن صب الماء الذي ملأ كوزه منه .
(٧) يعملة : في ل « يعمله » ، وتصحيحهـا من ط ، واليعملة وسائر غريب البيت : فسرت في المتن . والدعوقة : في ط « دعوفة » بالدال المهملة من الدف والدفيف ، وهما اللين من سير الابل والطير .
(٨) الحيص : الميل وطلب الهرب . صوبها : قصدها ، وهي في ط : « صوتها » ولا معنى له هنا . الوجي : الحافي الذي رقت قدمه . الألب : المعيي أشد الاعياء .
(٩) أنظر المتن .   (١٠) ط : « بسمعي » .
(١١) أنظر المتن .

يناضل الغيث[1] من جودٍ ومن كرمٍ حتّى يكادَ يرُدُّ الماءَ في السُّحُبِ
وقد تركتُ له وصفاً نجيبَ به[2] والخِلّ يغني أخاه النَّدْبَ[3] عن تعبِ

هذا الأمر في دولاب الماء. والحائم: العطشان يطلب الماء. وقوله: «انثنى وابتدا» من التجنيس المصحّف[4]. وقوله: «بادره في آخر الدَّور ذَرْعَ القيْ» في نهاية حُسن الاستعارة، والعبارة [كناية[5]] عن صبّ[6] الماء الذي ملأ كوزه منه. واليعملة: هي الماء الذي تديره. والدُّفوقة: السَّريعة. والخبب: ضرب من السَّير. والجَيْض: الميل وطلب الهرب. وقوله: راكبها، الهاء راجعة الى اليعملة. والراكب: الدّولاب. والعنس: الناقة، وهي ها هنا الماء[7]. واذا امتطاه، جدَّ به[8] نشاط الحركة، وإنْ نزَل عنه الماء عطب. والنصلت: العاري. وقوله: «يناضِل الغَيثَ[9]» أي يراميه. ونضاله: صبّ الماء.

فأجاب بعض أصدقائه:

جاءت صفاتُك تُبغي كشف مُضمرها يا واحدَ الدّهر فَرْدَ العلم والأدبِ
حلَّيتَه أدهماً لا يُسلُ صبغته أقبَّ نَهداً عجيب النقل والخَبَبِ[10]
كأنّه إذ جرى في شوطه عَنَقاً إيّاه والفلك الدوّار في قُطُبِ[11]

---

(١) أنظر المتن.

(٢) ط: «نجيت له».

(٣) الندب: الخفيف في الحاجة الظريف النجيب.

(٤) التجنيس المصحف، وبعضهم يسميه جناس الخط: من البديع اللفظي، وهو ما تماثل ركناه في صورة الحروف واختلفا في النقط.

(٥) هذه الزيادة يقتضيها السياق.

(٦) ط: «صبه».

(٧) «الماء»: لم ترد في ط.

(٨) ط: «واذا امتطى جر به»، وهو تحريف.

(٩) ل: «تناضل الغيث: أي تراميه»، والصواب ما أثبتناه من ط لموافقته النظم المتقدم.

(١٠) الأقب: من الخيل، الدقيق الخصر الضامر البطن. والنهد: الفرس الجسيم الجليل القوي.

(١١) العنق: ضرب من السير السريع للابل والدابة. والشوط: الجري مرة الى غاية.

تراه يهوي اذا جدّ المسير به ... يظلّ في صَعَدٍ طَوْراً وفي صَبَبِ [1]

يقول [2] : طارَ ولا عَزْوَ ، وجملته ... ترى جناحاً بلا ريشٍ ولا زَغَبِ

مُسخَّراً في طريق لا انقضاءَ له ... لا يشتكي من وَجىً فيه ولا تعَبِ [3]

يسقي [4] والغير جدواه ومَكْسَبُه [5] ... فيا له أبداً من عامل نَصِبِ !

إن أنَّ أبدى سُروراً قلبُ صاحبه ... وإن بكى قرّت العينان من طربِ

قال صديقنا [6] أبو المعالي الكتبيّ [7] في كتاب الألغاز : « هذه الأبيات أجود سبكاً ، وأسلس حَوْكاً » .

وقوله : « مسخراً في طريق لا انقضاء له » مأخوذ من قولهم : « سير السَّواني لا ينقطع [8] » . والسَّواني : هي الدّالية [9] . وفي دعاء بعض الحكماء : « اللهمّ ! ارفعني اليك بخطّ مستقيم ، فانّ المستديرَ لا طرفَ له » .

---

(1) الصبب : ما انحدر من الأرض . والصعد (بفتحتين) : خلاف الصبب .

(2) ط : « تقول » .

(3) الوجى : الحفا .

(4) ط : « يشفي » .

(5) ط : « ومكسبه » .

(6) ل : « صديقه » . وما أثبتناه من ط .

(7) تقدمت ترجمته في (ص ١٣٤) .

(8) مثل مشهور ، وهو في تاج العروس (١٠/١٨٥) وفرائد اللآل (١/٢٨٧) : « سير السواني سفر لا ينقطع » ، وفسرت السواني في التاج بأنها جمع السانية ، وهي الناقة التي يستقى عليها ، قال : « وهي الناضحة أيضاً . ومنه المثل : أذل من السانية ، وسير السواني سفر لا ينقطع » . وجاء في الفرائد : « السواني : الابل يستقى عليها الماء من الدواليب ، فهي أبداً تسير » .

(9) ط : « الدواليب » ، وهي جمع دولاب (بالضم) ويفتح ، والدولاب : شكل كالناعورة يستقى به الماء ، معرب . كذا في القاموس المحيط . وأما الدالية ، فهي المنجنون تديرها البقرة ، والناعورة يديرها الماء ، نقلها الجوهري . وفي المحكم : الدالية شيء يتخذ من خوص وخشب يستقى به بحبال ، يشد في رأس جذع طويل .

أبو طاهر ابن الأصباغي

أبو طاهر (١) ابن الأصباغيّ (٢) أخو تاج الرؤساء أبي غالب

كان يخدم عفيفاً القائمي (٣)، وانصرف عن خدمته، فبلغه أنّه تهدده، وكان عفيف قد بنى داراً وأنفق على سقفها في التذهيب أكثر من خمسة آلاف (٤) دينار (٥)، فعمل هذه الأبيات (٦). وذكر ابن الهمذانيّ (٧) في تاريخه أنّه عملها تاج الرؤساء أبو غالب [فيه] (٨):

تنوّق وزوّق واذهب السّقف والعُمرا فإن تمّ فاكتب تحت زُنّاره سطرا (٩)
علوٌّ وإقبالٌ ومجدٌ مؤثّلٌ (١٠) لصاحبه حقّاً ومالكه الدّهرا
لمن عنده في الدّار وجه مقدّر على مثل هذا الوجه والأوجه الأخرى
وهذا دعاء أنت منه مُبرّأ وكان أمير المؤمنين به أحرى

فتطيّر منها عفيف، ومات بعد شهر، وأخذ المقتدي السّقف، فكأنّ (١١) الله أنطق ما في الغيب على لسانه.

سديد الدولة

الأجلّ سديد الدّولة

أبو عبد الله محمّد (١٢) بن عبد الكريم الأنباريّ، منشيء ديوان الخلافة (١٣)، من

(١) ط: «أبو الظاهر»، وتظاهر الأصل رواية المنتظم (٩ /٦١).
(٢) أنظر (ر٦) في ص (١٣٥).
(٣) قال ابن الجوزي في المنتظم، في وفيات سنة ٤٨٤ (٩/٥٩): «عفيف القائمي: كان له اختصاص بالقائم، وكانت له معان».
(٤) ل، ط: «خمسة ألف». (٥) «دينار»: مكانها في ل بياض، وهي من ط.
(٦) هذه الجملة لم ترد في ط. (٧) قدمنا ترجمته في (ص٧٨). (٨) الزيادة من ط
(٩) تنوق وتنيق في مطعمه وملبسه: تجود وبالغ. (١٠) المؤثل: المؤصل.
(١١) ط: «وكأن».
(١٢) في الكامل (١١/١٢٠): «سديد الدولة أبو عبد الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الأنباري» وقد سقط منه اسمه؛ وهو كما أثبته العماد ههنا: «محمد». وقال الذهبي في المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد (٧٣): محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم بن رواعة الشيباني، سديد الدولة ابن الانباري».
(١٣) ط ب: «منشيء دار الخلافة»، وانظر في ذلك الكامل (١١/١٢٠)، والمنتظم (١٠/٢٠٦)؛ والبداية والنهاية (١٢/٢٤٧)، وشذرات الذهب (٤/١٨٤)، والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد (٧٣).

بيت السؤدد والكرم والفضل ، وهو شيخ الدولة ، كتب لخمسة من الخلفاء [1] ، وتوفي في [2] الأيام الزاهرة المستنجدية سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، وولي ولده [3] مكانه .

وكان ـ رحمه الله ـ غزير الفضل ، رائق الخطّ واللفظ ، ولمكان فضله لم يخلُ ديوان من شعر أهل العصر من مدحه ، لا سيّما الغزّي [4] والأرجاني [5] . ولو جمع ما فيه من شعر الأرّجاني ، لكان ديوانًا بنفسه . فاضل مفضال ، ومنشئ مُنشيء بالحقيقة لأبكار الأفكار ، عارف بنقد الشّعر وجهابذته ، فكلّ ما زيّف على محكّ انتقاده ، أذن الدهر بكساده . وكلّ إبريز خاص على سبكه ، ولم يبهرج على محكّه ، وأجازه صيرفيّ نقده ، ولم يصمه بردّه ، نَفَق وراج ، وصار درّة على كلّ تاج .

---

(١) قال ابن الجوزي في المنتظم (١٠/٢٠٦) : « وخدم الخلفاء والسلاطين من سنة ثلاث وخمس مئة ، وعمر حتى قارب التسعين ، ثم توفي يوم الاثنين تاسع عشر رجب (سنة ٥٥٨ هـ) » . وجاء في الكامل (١١/١٢٠) : « وخدم من سنة ثلاثين وخمس مئة » ، وهو خطأ ، لأن الخلفاء الخمسة الذين كتب لهم (وهم : المستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفي ، والمستنجد) قد استخلفوا ما بين ٥٠٣ هـ و ٥٥٨ هـ ، وما جاء في الكامل (وهو ما بين ٥٣٠ و ٥٥٨) لا يشمل الا أيام المقتفي والمستنجد .

(٢) زيد في ط هاهنا كلمة « هذه » .

(٣) اسمه : محمد بن محمد بن عبد الكريم ، ذكره ابن الأثير في الكامل (١١/١٨٨) في وفيات سنة ٥٧٥هـ وقال : « كاتب الانشاء بعد أبيه » .

(٤) الغزي : هو أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي الأشهبي ، وقال ابن النجار في تأريخ بغداد : هو ابراهيم بن عثمان . . . الشاعر المشهور ، شاعر محسن . ولد بغزة هاشم سنة ٤٤١ هـ ، ودخل دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي ، ورحل الى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ، ثم رحل الى خراسان وتغلغل في أقطارها وامتدح بها جماعة من رؤسائها ، وانتشر شعره هناك ، وتوفي سنة ٥٢٤ هـ ودفن في بلخ . وله ديوان شعر اختاره لنفسه ، ولدينا نسخة منه ، وقد أضاف ناشر ديوان الأبيوردي زهاء عشرين قصيدة منه الى شعر الأبيوردي كما حققنا ذلك في مقالنا بمجلة الزهراء المصرية (٣/ ٢٢٨ـ٢٤٢) . وترجمته في الخريدة ، وفي وفيات الأعيان (١/ ١٤) ، والمنتظم (١٠/ ١٥) ، وشذرات الذهب (٤/ ٦٧) .

(٥) الأرجاني : هو القاضي ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، الفقيه الشاعر المشهور . ولد سنة ٤٦٠ هـ ، قال العماد في هذا الكتاب : « منبت شجرتـه أرجان ، وموطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان . وهــو وإن كان في العجم مولده ، فمن العرب محتده ، سلفه القديم من الأنصار . . . » . وكان في عنفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصبهان ، وورد بغداد ومدح المستظهر بالله ، وكان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان . وتوفي بتستر سنة ٥٤٤ هـ . وله ديـوان شعر مطبوع ببيروت . وترجمته في المنتظم (١٠/ ١٣٩) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٧) ، وشذرات الذهب (٤/ ١٣٧) ، وطبقات الشافعية (٤/ ٥١) .

وترددتُ اليه ببغداد ، وما كان يتعاطى الشّعر تغانياً عنه ، وكنت أهابه وأُكبره من أن أستنشده ، لكنني أثبتُّ من شعره البيتين والثلاثة على حسب ما أُنشدتُها . فمن ذلك رباعيّاته الخالبة للخِلب[1] ، السالبة للبّ ، فمنها :

يا قلب إلامَ لا يُفيدُ النّصح | دَعْ مزحك كم هوىً جناه المزح !
ما جارحة منك خلاها جرح | ما تشعر بالخُمار حتى تصحو

ومنها[2] :

الدّهر يعوقني عن الإلمام | مَعْ ما[3] أتني الى[4] التّصابي[5] ظام
لا تأخذني بما جنت أيامي | ما ذنب السّهم حين يخطي الرّامي ؟

ومنها[6] :

يا ريح تحملي من المهجور | شكواه الى المُعسكر المنصور
قولي لمعذّبي شبيه الحور | ما أنت عن الجواب بالمعذور

وأنشدني مجدُ العرب العامريُّ الشاعر[7] باصفهان ، لسديد الدّولة[8] في ابن أفلح الشاعر[9] :

يا فتى أفلح وإنْ | لم يكنْ قطُّ أفلحا

---

(١) الخلب : الكبد ، أو زيادتها ، أو حجابها ، أو شيء أبيض رقيق لازق بها .

(٢) ب : « وقال » .

(٣) ل ، ط ، ب : « معها » .

(٤) ط : « على » ، والصواب ما في ب ، ل .

(٥) ب : « التلاقي » .

(٦) ب : « وقال » .

(٧) هو الأمير مجد العرب مصداق الدولة أبو فراس علي بن محمد بن غالب العامري . وكان من كبار شعراء القرن السادس ، وله ديوان ضخم . وترجمته ومختارات شعره في الخريدة (مصورة لندن : الورقة ١٤٨ـ١٥٧ ، ومصورة طهران : الورقة ١١٠ـ١١٧ ، وهما في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي) .

(٨) « لسديد الدولة » : لم ترد في ب .

(٩) ابن أفلح : هو جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر البغدادي ، وأصله من الحلة السيفية . وسمي في البداية والنهاية خطأً « يحيى بن يحيى بن علي بن أفلح » . ذكره ابن الجوزي في المنتظم (٨٠/١٠) وابن كثير في البداية والنهاية (٢١٥/١٢) في وفيات سنة ٥٣٣هـ ، وذكر ابن الأثير وفاته في حوادث سنة ٥٣٥هـ ، وقال المؤلف في كتابه هذا (مصورة لندن : الورقة ١٣٣ ، ومصورة طهران : الورقة ٩٢ـ٩٥) : انه كان يجتمع بوالده في بغداد سنة ٥٣٤هـ ، ويقصد نحوه وبيته شجوه ، وتوفي بعد ذلك بسنتين أو ثلاث .

لكَ وجــــــه مشوّهٌ   أسودُ قــدّ من رحى

وكانَ وجهه منكرا [1] . وأنشدني أبو المفاخر محمّد بن أبي الشرف محفوظ بن العلاء بن أسعد بن إسرائيل [2] [الجرباذقانيّ] [3] قال : أنشدني سديد الدّولة لنفسه :

إن قــدّم الصاحب ذا ثروةٍ   وعاف ذا فقرٍ وإفــلاس

فالله لم يــدعُ الى بيتــه   غيرَ المياسير من النّـاس [4]

قال : فلما رجعت الى أصفهان أنشدتها لوالدي ، فقال : لما قال : « إن قدّم الصاحب » ، كان الأحسن أن يقول : « وأخّر » ، أو يغيّر [5] لفظة « قدم » ، والأولى أن يقـول :

إن آثر الصـاحب ذا ثروة   وعافَ ذا فقــرٍ وإفــلاس

فيكون قد جمع بين صناعتين : التطبيق ، لأن آثر : اختار ، وعاف : كره . والتجنيس بين آثر وثروة . وقوله : « فالله لم يدع الى بيته » قاصر عن جواب الشرط ، فالفاء وحده لا يصلح جوابًا ، فالأولى والأحسن أن يقـول :

إن آثر الصّاحب ذا ثروةٍ   وعاف ذا فقــرٍ وإفــلاس

لا عَــزْوَ فالربُّ الى بيتــه   دعا المياسيرَ من النّــاس

وله في بعض الوزراء [6] :

إنّ زمانًا قد صرتَ فيــه   مرشّحـًا للوزارتــين [7]

قد أسخنَ الله كلَّ عين   فيه ، ولكنْ لا مِثل عيني !

ولــــه :

(1) ط : « هكذا » ؛ وهي تحريف .

(2) ل : « اسرايل » ؛ والتصحيح من ط .

(3) الزيادة من ط .

(4) يشير الى الآية الكريمة : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (س٣ آ ٩٧ .

(٥) ل ؛ ط : « غير » وقد آثرنا رواية ب .

(٦) هو ـ على ما في أخبار الدولة السلجوقية (٨٣) ـ ربيب الدولة أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع وعنه راجع زبدة النصرة (١١٥ و ١٢٦) .

(٧) في أخبار الدولة السلجوقية : «موشحاً بالوزارتين» . وكتب في الهامش : « في الأصل للوزارتين» ؛ فكأن الناشر يصححها بالباء الموحدة لتلائم قوله « موشحاً » .

الانَ وما روضه العمر ندي	لا تخل من الكؤوس والراح يدي
في باقي العمر فـز بعيش رغدٍ	إن الدنيا إذا مضتْ لم تعدِ

ثقة الدولة
ابن الدريني

ثقة الدولة ابن الدُّرَيْني (١)

المعروف بابن الابري ، أبو الحسن علي بن محمد [من بغداد] (٢) . كان من أركان دولة المقتفي (٣) ـ رضي الله عنه ـ مجموع الكرم والفضل والورع (٤) والدين ، لم يزل متعصباً لأصحاب الشافعي (٥) ـ رضي الله عنه ـ .

وبنى ببغداد مدرسة لهم وسلمها الى شيخنا شرف الدين يوسف الدمشقي . (٦)

---

(١) ب : « ثقة الدولة الزيني » . ط : « ثقة الدولة بن الدرني » بغير نقط النسبة ، وصححت في الهامش بالزيني . وفي الكامل (٨١/١١) : « الزويني » . وكل أولئك تحريف ، والصواب الأصل . قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط ، مادة (درق) : « و (درينة) كجهينة : الأحمق ، وثقة الدولة علي بن محمد الدريني واقف المدرسة الثقتية ، حدث وروى » . وقد ذكره ابن النجار في تأريخ بغداد ، ونقله عنه ابن خلكان في الوفيات في ترجمة زوجه ، فخر النساء شهدة الكاتبة (١ ٢٢٦) ، وترجمه ابن الجوزي في المنتظم (١٠ ٨٥ و١٦٠) ، والذهبي في المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد (ص ٤٨) وفي مختصر تأريخ الاسلام ، في الورقة ١٠٢ من النسخة المخطوطة بخزانة الأوقاف ببغداد ٥٨٩٢ .

(٢) الزيادة من ط ، ب .

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٤٣) .

(٤) « والورع » : سقطت من ط ، ب .

(٥) الشافعي : هو الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وفيه يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وباقي النسب الى عدنان معروف . ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ وقبره معروف مشهور الى الآن . وليس هو ممن يترجم له في سطور أو أوراق ، وقد ألف العلماء في سيرته كتباً كثيرة وافية ، ومزاياه جمة وأخباره كثيرة جداً ، ارجع اليها في تأريخ بغداد (٢ ,٥٧) ، وطبقات المفسرين (٢٢٧) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٢ ٩٥) ، وطبقات الشافعية (١/١٠٠) ، ووفيات الأعيان (١ ٤٤٧) ، ومعجم الأدباء (١٧ ٢٨١) ، والتاج المكلل (٥٩) ، وتمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية (٢١٧) ، ومقدمة « كتاب (الرسالة) له رضي الله عنه » لأحمد محمد شاكر .

(٦) قال ابن الجوزي في المنتظم (١٠ ١١٥) في حوادث سنة ٥٤٠ هـ : « فمن الحوادث فيها =

وأقمت بها ثلاث سنين للتفقه (١) ، وهي المدرسة المعروفة « بالثِّقتيّة » على الشطّ (٢) تحت دار الخلافة . وكان جاهه على نفع ذوي الحاجات موقوفاً ، وماله في وجوه البرّ والخيرات مصروفاً .

توفّي في شهور سنة تسع وأربعين وخمس مئة (٣) .

له اليد الطُّولى في العربيّة ، والنظم ، والترسّل . أنشدني له بعض الأفاضل ببغداد أبياتاً قد صدّر بها كتاباً (٤) :

وإنّي إذا ألقى الظّلامُ رواقَهُ ... وساوَرَ (٥) طرْفي فيه همٌّ مؤرِّقُ

أُجاذِبُ أطرافَ الحنينِ (٦) نُوَيْقَةً ... تحِنُّ إلى رملِ الحِمى وتُحَمْلِقُ

وتشتاقُ سَعْدانَ (٧) الحِمى ومناخَها ... ولكنّني منها إلى الرّملِ أشوقُ

= أنه في جمادى الآخرة جلس يوسف الدمشقي للتدريس بالمدرسة التي بناها ابن الابري ، بباب الأزج ، وحضر قاضي القضاة وصاحب المخزن وأرباب الدولة » . وجاء ذكر الدمشقي في مواضع من هذا الكتاب استقصيناها ، وهي (١١٥/١٠ و ٢٠٣ و ٢٠٨ و ٢١٠ و ٢٢٠ و ٢٢٦ و ٢٣٤) ، وقال في ترجمته : « يوسف الدمشقي الكبير : تفقه على أسعد الميهني ، وبرع في المناظرة ، ودرس في النظامية وغيرها . وكان متعصباً في مذهب الأشعري ، وبعث رسولاً نحو خوزستان الى شملة التركماني ، فمات هناك في شوال هذه السنة (أي سنة ٥٦٣ هـ) » . وانظر عنه البداية والنهاية (٢٥٥/١٢) ، والكامل (١٣٣/١١) ، وزبدة النصرة (٢١٥) .

(١) هذه الجملة وردت في ط بعد قوله : « تحت دار الخلافة » .

(٢) أي على شاطىء دجلة ببغداد ، وتوهم الزبيدي في تاج العروس ، مادة (درن) ، أنها بدمشق ! .

(٣) في وفيات الأعيان (٢٢٧/١) : « مولده سنة خمس وسبعين وأربع مئة ، وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وخمس مئة ، ودفن في داره برحبة الجامع ، ثم نقل بعد موت زوجته شهدة ، فدفنا بباب أبرز قريباً من المدرسة التاجية في محرم سنة أربع وسبعين وخمس مئة » .

(٤) ط : « كتابه » .

(٥) ساور : واثب .

(٦) ط : « الحدين » ، وهي تحريف .

(٧) السعدان : نبت من أفضل مراعي الابل ، ومنه : « مرعى ولا كالسعدان » ، وله شوك تشبه به حلمة الثدي فيقال لها « سعدانة الثندؤة » (ق) .

ولـه :

قالوا : أبياتك ماذا بها أعطى ؟ كأنَّ الشِّعر لم يُرضِهِ !
فقلت : أعطاني بها حُلَّةً أخلق من شعري ومن عرضِهِ
وكلُّ مدحٍ هكذا أجرُهُ يَقْدر بانيه على نَقْضِهِ

وله من الخمريّات :

إذا ما حساها في الدُّجُنَّة شاربٌ خلتّاه بالبدر المُنير تلثّما
وكم ليلةٍ لم يَبْدُ منهنّ كوكبٌ أقمنا (١) حبابَ الكأس فيهنّ أنجُما

(١) ط : « أقمن » .

جماعة أفاضل أماثل من بيت رئيس الرؤساء آل الرفيل بني المظفر

كان جدهم [1] وزير القائم بأمر الله [2]، وقصته في نصر الدولة مع [3] البساسيري [4] مشهورة، وله مآثر في ذلك مأثورة.

---

(١) جدهم: هو علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر، أبو القاسم ابن المسلمة. ولد سنة ٣٩٧ هـ، وسمع أبا أحمد الفرضي وغيره. وكان أحد المعدلين ببغداد، ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله واستوزره، ولقبه بـ « رئيس الرؤساء، شرف الوزراء، جمال الورى »، وجل أمره، وعظمت منزلته، ووقع بينه وبين البساسيري شر، فهرب البساسيري، ثم جمع الجموع وورد الى بغداد واستولى عليها، ثم ظفر بابن المسلمة فقتل به في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة، وقيل الثامن والعشرين منه، سنة ٤٥٠ هـ. وترجمته في المنتظم (٢٠٠/٧)، وتاريخ بغداد (٣٩١/١١)، والبداية والنهاية (٨٠/١٢)، والفخري (ص ٢٦٣)، وطبقات الشافعية (٢٩٣/٣).

(٢) القائم بأمر الله: تقدمت ترجمته في (ص ٢٢ ــ ٢٤).

(٣) « مع »: لم ترد في ط.

(٤) البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري، مقدم الأتراك ببغداد. قدمه الخليفة القائم بأمر الله على جميع الأتراك، وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان، فعظم أمره، وهابته الملوك، ثم أخرج القائم بأمر الله من بغداد فحبسه بقلعة الحديثة، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، حتى جاء طغرلبك السلجوقي وقاتله فقتله في خامس عشر ذي الحجة سنة ٤٥١ هـ، وطيف برأسه في بغداد. وتفصيل قتله في المنتظم (٢٠١/٨/٢١٢)، والكامل (٢٣٩/١٠ ــ ٢٤٣)، والبداية والنهاية (٧٦/١٢)، وطبقات الشافعية (٢٩٣/٣)، ووفيات الأعيان (٦١/١)، وشذرات الذهب (٢٨٧/٣)، والنبراس (ص ١٣٧ ــ ١٤١).

الأجلّ أبو محمد الحسن [١]

ابن الأجلّ أبي نصر محمّد ابن الوزير رئيس الرؤساء أبي القاسم عليّ بن الحسن [٢] ابن المُسْلمة [٣]. وجدت له في مجموع من مدائح عميد الدّولة ابن جَهير [٤]:

تذكّرَ، والذِّكرى تَهيجُ البلابِلا [٥] … بوادي الغضا من آل نُعْمٍ منازِلا

عفتها الرِّياح الجاريات جنائبـاً … تَهُبُّ بهـا طوراً، وطوراً شمائلا

ومنهـا:

أصاحِ! تبصَّرْ هل ترى لمح بارقٍ … يُضيءُ قُصوراً بالأَبوى ومعاقلا [٦]؟

اذا ما استطار في الغمام ظننتـه … أكفَّ كُماةٍ ينتضون [٧] مناصلا

يناسبه قـلبي خفـوقاً ولوعتي … ضِراماً غداةَ الحيِّ غلَّسَ راحلا

ومنها في التخلص:

سقى الله دهراً ضمَّ شملي وشملكم … جميعـاً، وأيّامـاً مضينَ قلائلا

---

(١) « الحسن »: لم ترد في ب، ط.

(٢) وقع في الفخري – ٢٦٣ ط دار المعارف – محرفاً الى « الحسين »، وتابعه مصحح النبراس في تأريخ بني العباس على هذا التحريف فقال (ص ١٣٩): « هو أبو القاسم علي بن الحسين بن المسلمة » كذا بحذف همزة الوصل بين « الحسين » المحرفة و « ابن »؟ واثباتها لازم، لأن المسلمة هي جدتهم من قبل الأم كما سنذكره. والذين نصوا على أن اسم أبيه الحسن لا « الحسين »، العماد في الخريدة وفي زبدة النصرة، وابن الجوزي في المنتظم، والذهبي في المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد، وابن كثير في البداية والنهاية، والخطيب البغدادي في تأريخ بغداد، وغيرهم.

(٣) في المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد (ص ٥٥): « والمسلمة جدتهم من قبل الأم، وهي حيدة بنت عمرو، أسلمت سنة ثلاث وستين ومئتين، وتزوجت يزيد بن منصور الكاتب، فأولدها أم كلثوم، فتزوجها أبو عمر الحسن بن عبيد جدهم ».

(٤) عميد الدولة: تقدمت ترجمته في (ص ٨٧ – ٩٣).

(٥) البلابل: الوساوس.

(٦) ل: « ومناقلا »، والتصحيح من ط.

(٧) ل: « ينبضون »، وهي لا تناسب السياق.

حويتَ بها جُلَّ الأماني كما حوى   نصيرُ أميرِ المؤمنين الفضائلا

وله في وصف البخيل المستبشر ، والكريم العابس :

لا تَخدَعنْ طَلاقَ المُحيَّا باسمًا   لا خيرَ يُرجى عنده لمؤمِّل
إنَّ السماء اذا اكفهرَّ سحابُها   كان البشيرَ بصوبِ غيثٍ مُسبِلِ

وله :

لنا برمٌ[1] ذكيُّ النشرِ يغني   عن الكافور أو عَرْفِ الكِباءِ[2]
اذا ما السِّلكُ أبرزه نظيمًا   حكى للحُسن أزرار القباء

وله في الليمو[3] :

يا ربَّ ليموَةٍ حيَّا بها قمرٌ   حُلوُ المقبَّل ألمى بارد الشَّنَبِ[4]
كأنها كُرَةٌ من فضةٍ خُرِطَتْ   واستودعوها غلافًا صيغ من ذهب

وله في النارنج :

أنظر إلى النارنج يجـ   لوه من الصبح وَضَحْ[5]
من حمرةٍ في خضرةٍ   كأنها قوس قُزَحْ

وله في الباقلاء الأخضر :

وخضراءَ مُحنَوقِفٌ ظهورُها   تضمُّ لآلىءَ لم تثقبِ[6]

---

(١) البرم : ثمر الأراك .

(٢) ط : « نشر الكباء » . والنشر والعرف واحد . والكباء (بالكسر) : عود البخور ، أو ضرب منه .

(٣) كذا في النسخ الثلاث : ل ، ط ، ب . وهو لغة في الليمون كما نص عليه الخفاجي في شفاء العليل .

(٤) ألمى : في شفته سمرة ، الأنثى لمياء . والشنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان .

(٥) الوضح : بياض الصبح .

(٦) المتوقف الظهر : طال واعوج .

وتحمل في رأسها شوكة أشبهها إبرة العقرب

ولـه :

لم يبق شيءٌ في الأنام[1] يسرّني إلّا صروف الدّهر بالبُخَلاء
أحياؤهم موتى ، وأموات النّدى الـ أجواد بالمعروف كالأحياء

ولـه :

أما رأيتَ الأفقَ لمّا غدا هلاله مُلتقِمَ الزُّهْرَهْ[2]
كعاشقٍ قبّلَ معشوقهُ فاستقبلتْ من فمه دُرّهْ

أثير الدين

أثير الدين

أبو جعفر عبد الله بن عميد الدين أبي شجاع المظفر بن هبة الله بن المظفّر ابن رئيس الرؤساء ، ابن عمّ الوزير عضد الدّين[3] .

ذو المكان المكين ، والفضل المبين ، والحلم الرّصين ، والعلم المتين ، المستكمل أدوات الكتابة : من حسن الخط والعبارة ، والتصرّف[4] في البراعة والبراعة .

هو ابن العميد[5] الثّاني نسباً وأدباً ، واحد العصر فضلاً وحسباً ، ابتلي بالاعتقال

(١) ط ، ب : « الزمان » . (٢) الزهرة (بفتح الهاء ، وسكنت للضرورة) : نجم معروف .

(٣) عضد الدين : ترجمنا له في (ص ١٣) .

(٤) ب : « المتصرف » . ط : « والتصرف والبراعة والبراعة » .

(٥) ابن العميد : أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المشهور ، وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي صاحب الري . كان آية في الترسل والانشاء ، وقرنه أهل عصره بالجاحظ فدعوه « الجاحظ الثاني » ، وقالوا أيضاً : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » . وكان سائساً مدبراً للملك ، قائماً بضبطه ، وقصده جماعة من الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، ومنهم المتنبي ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد . توفي سنة ٣٥٩ هـ ، وقيل ٣٦٠ هـ . وترجمته في يتيمة الدهر (١٣٧/٣) ، وتجارب الأمم (٢٧١/٢) ، ووفيات الأعيان (٥٧/٢) ، وشذرات الذهب (٣١/٣) ، وزهر الآداب (٣ و ٤ في مواضع منها) ، وتطور الأساليب النثرية (ص ٢٥٣) ، والنثر الفني في القرن الرابع (١٩٣/٢) .

في الدّولة المستنجديّة ، واستضاءت أمانيه [1] بالأيّام المستضيئة . وما أجمعه لشتات المعالي ، وأبدعه لأبيات المعاني ، وأسلكه لجَدَد [2] السّلامة ، وأمكنه لقيادة الجَوْدة والدّماثة ! إعتناؤه بالنثر أكثر ، واشتغاله بالتّرسل أشهر ، فهو الأثير [3] الأثير فلكه في مطالع النّجوم ، الكبير دَرَكه لجامع العلوم ، المأثور أثره في المنثور والمنظوم ، فِرِنْد [4] خاطره العضب الغِرار ذو أثر [5] ، ومُدّعو [6] [[7] صناعاته في زمانه غير كثر .

اتفق اجتماعي معه في التوكيل بالدّيوان العزيز . وممّا أنشدنيه لنفسه في عشرة محرم [8] سنة إحدى وستين وخمسمئة في القمريّ :

ووَرقاء تندب فوق الغصون ... على نفسها خوفَ قنّاصها
وأشجى بكاها على نخلة ... تذكّرها كرب أقفاصها

وأنشدني لنفسه في المسك :

ما أنسَ لا أنسَ مسكاً كان يمسك لي ... بطيبه رمقاً في الحبس كان بقي
يهدي نسيمَ جنان الخلد لي ، وأنا ... في النّار أشكو إليه شدّة الحرق
فلو قدرت أجازيه ، وهبت له ... سواد عيني وفضلَ الطّيب من خلقي

وأنشدني لنفسه في الفرس :

---

(١) ط ، ب : « أماته » .

(٢) الجدد : الأرض الغليظة المستوية ، وأجد : سلكها ، وأجد الطريق : صار جدداً .

(٣) مكررة في النسختين : ل ، ط .

(٤) ل ، ط : « فرند » بتصحيف الراء زاياً . والفرند : السيف ، وجوهره ووشيه ، والمراد الأول .

(٥) الأثر (بفتح أوله وبكسر) : فرند السيف ، أي جوهره .

(٦) ل : « ومدعوا » ، ط : « ويدعوا » ، وهو تحريف .

(٧) من هنا الى أواخر ترجمة كمال الدين التي تأتي بعد هذه الترجمة ، مخروم في ل . وقد ظفرنا به كاملاً في ط ، ووجدنا نبذاً منه في ب .

(٨) كذا في ط . وفي ب : « في المحرم »

وأدهم كالليل ، لما بدا[1]   مسبرهُ والصبح قد أقبلا

ودّعه الصبح بتقبيلةٍ   ما بين عينيه وقد طوّلا

والبرق إذْ حجّله عَدْوه   حجّلَ[2] منه كل ما أقبلا

وأنشدني لنفسه في السوط :

أنا سوط كالرعد ، لكن بلا صو

تٍ ، أسوق السحاب [من[3]] حيث[4] تجري

قبضتني يد كبحرٍ ، فمن أبـ   ـصر قبلي بحراً يسير ببرّ ؟

فقلت له : ألمت في هذا بيتي الشهاب بن الصَّيْفي[5] ، اللذين أنشدنيهما لنفسه :

لِمْ لا أتيه على الرماح إذا   فخرت ، وتحسدني الظُّبي البُتْر ؟

والِيَّ سوق الريح حاملةً   طوداً أشمّ وقابضي بحر ؟

فانه وصف الفرس ، والراكبَ وكفّه ، والمقرعة في هذا البيت ، ولا يلحق شأوه أحد في معناه .

فقال : الذي قلت ، غير هذا المعنى .

وأنشدني أثير الدين ابن رئيس الرؤساء لنفسه في السكين :

---

(١) « بدا » : مخفف « بدأ » .

(٢) التحجيل في الفرس : بياض في قوائمه ، أو في ثلاث منها ، أو في رجليه قل أو كثر بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين . يقال : فرس محجل ، وقد حجلت قوائمه ، على ما لم يسم فاعله مشددة .

(٣) الزيادة يقتضيها الوزن .

(٤) ط : « حين » .

(٥) هو شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن صيفي التميمي ، المعروف بحيص بيص ، من شعراء القرن السادس الهجري . وقد ترجم له المؤلف في هذا الكتاب ، وأورد طائفة كبيرة من شعره .

وذاتِ حدٍّ بكلِّ السيف ، وهي اذا … دانت على قِمم الأقلام لم تَحم(1)

تخافها الأُسْدُ في الآجام ضاريةً … فكيف تقوى بها الأقلام في الأُجُم(2) ؟

لكنها إنْ برت روس اليراع مشت … فوق الطُّروس بلا ساق ولا قدم

وكوّنت على القرطاس كاتبةً … لا من كلام إنسانٍ ناطق وفم

وهذه آية الأقلام ، أظهرها … موسى حديد كموسى جاء في الأمم

وأنشدني في التفّاح لنفسه :

وتفّاحٍ أتى من خـ … ـدّ قاتلتي وقد جَنَتْ

فقلت لها : لقد أهديـ … ـتِ ما قد جلّ عن صفتي

بعثت به شـهود دمي … وحمرته بيّـنتي

وأنشدني لنفسه في الأُترجّ :

أمسيت أرحم أترجّاً ، وأحسبه … — لصفرة فيه — من بعض المساكين

عجبت منه ، فما أدري أصفرته … من فرقة الغصن أو خوف السكاكين ؟

فقلت له : قد التفتّ في هذا البيت الى بيت الغزّيّ(3) :

كالشمع يبكي ولا يدرى أعَبرته … من صحبة النار أو من فرقة العسل ؟

ثم قلت : ولكن ، لي بيتان(4) في الأترجّ ، وهما :

---

(1) كذا ؛ ولعل الأصل :

« وذات حد تكل السيف وهي اذا … رانت على قمم الأقلام لم تخم »

وكل ما غلبك رانك وبك وعليك . ولم تخم : لم تنكص ولم تجبن ، تقول : خام عنه يخيم خيماً أي نكص وجبن وكاد كيداً فرجع عليه .

(2) الآجام والأجم : جمع الأجمة ؛ وهي الشجر الكثير الملتف .

(3) الغزي : هو أبو اسحاق ابراهيم « بن يحيى » بن عثمان الكلبي الأشهبي الغزي ، الشاعر المشهور . ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ ، وجاب البلاد وتغرب فدخل دمشق وتفقه بها ، ورحل الى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ، ثم تنقل في أقطار خراسان وكرمان ، وأدركته الوفاة سنة ٥٢٤ هـ ودفن ببلخ . وهو شاعر محسن ، له ديوان صغير مخطوط — لدي نسخته ، وقد اختلطت زهاء ٢٥ قصيدة منه في ديوان الأموي المطبوع في بيروت ، وبينت ذلك في مقـال نشرته في مجلة الزهراء (بالقاهرة) « ٢٢٨/٣ الى ٢٤٢ » سنة ١٣٤٥ هـ . وترجمته في طبقات الأدباء (ص ٤٦٢) ، ووفيات الأعيان (١٥/١) ، وتاريخ ابن عساكر (٢٢٩/٢ طبعة دمشق) ، وتاريخ ابن الأثير في وفيات ٥٢٤ هـ ، وتاريخ ابن النجار ، وخريدة القصر . وفي مختارات البارودي طائفة مختارة من شعره .

(4) ط : « ولي بيتين » !

وأترجّة صفراء لم أدر لونها   أمن فَرَقِ السكين أم من فرقة السكن[1] ؟
يحقّ عليها صفرة بعد خضرة   فمن شجر بانت وصارت الى شجن

فعجب من ذلك ، وقال : متى نظمتها ، فلم تخطىء المعنى ؟

وأنشدني أيضاً لنفسه في الشمعة :

وشمعة في الظلام تؤنسني   والنار فيها وفيَّ تأتلق
تشبهني في الدجى ، وأفضلها   إنّيَ طولَ النهار أحترق !

وأنشدني لنفسه في الديوان ، عند حضوري معه في الاعتقال ، في تاسع عشر رجب سنة ستّين وخمس ومئة :

إنّي لأعشق من علا محاسنه   أذني ولم ترَ عيني وجهه الحسنا
والعشق بالقلب إمّا العين تصدقه   وصف الحبيب ، وإما تصدق الأذنا

وأنشدني لنفسه ما يكتب على مروحة :

أحسن ما روّح بي شادن[2]   يداه تحكي اللؤلؤ الرطبا
يروّح الجسم بترويحه   وحسنه قد روّح القلبا

وأنشدني لنفسه في الدفتر :

خير ما جالس اللبيب كتابٌ   لا قرينٌ[3] فيه ربا[4] ونفاق
وهو مثل الرياض حقاً كما أو   راقه بينه لها أوراق

وأنشدني لنفسه :

قلت شعراً ، قالوا : بغير عروض   ناقص ، والعروض بالميزان[5]
قلت : إنّي لصّ القوافي ، وديوا   نيّ من شعر كلّ ذي ديوان

---

(١) الفرق (بفتحتين) : الخوف .
(٢) الشادن : ولد الظبي اذا قوي واستغنى عن أمه ، أطلقه على الغلام الجميل .
(٣) ط : « . . . كتاباً لا قريباً » ، بالنصب فيهما ، وهو تحريف .
(٤) أي « رباء » ، وقصره لضرورة الوزن .
(٥) العروض : ميزان الشعر . وهي مؤنثة . ولا تجمع ، لأنها اسم جنس . والعروض أيضاً : اسم الجزء الذي في آخر النصف الأول من البيت ، ويجمع على أعاريض على غير قياس .

أمرق الشعر لا بوزنٍ ، وما يمـ ... ـرق إلاّ حرف بلا ميزان

وأنشدني لنفسه :

وصَبْت بي من كان أخـ ... ـذ عطـــاي مُنْيَة قلبه

والدّنب للأيّام في ... عكس الرّجـــاء وقلبه

كالمرء يأكل رزقـــه ... في الصّيد من يد كلبه

وهو[1] مأخوذ من قول أبي نواس[2] :

أنعت[3] كلباً أهله من[4] كدّه ... وكلّ صيدٍ[5] عندهم من عنده

وله في مرثية ابن التلميذ الطبيب[6] ، وكانت وفاته سنة ستين :

أودى[7] أبو الحسن الطبيب ، فمن ترى ... يبقى ليوم فضيـــلة مشهود ؟

قد قلت لما أن نعوه ، وأمطروا ... حمر الدّموع على الثّياب السّود :

---

(١) « وهو » : وردت في الأصل في آخر الجملة ، وقدمناها لأن السياق يقتضي تقديمها .

(٢) أبو نواس : الحسن بن هانئ، أبو علي الحكمي الشاعر المشهور ، ولد بالأهواز سنة ١٤٥ هـ أو ١٣٦ هـ ، ونشأ بالبصرة ، واختلف في طلب الحديث ، وعني بالغريب والألفاظ وأيام الناس ، ونظر في نحو سيبويه ، ثم غلب عليه الشعر ، واتقل الى بغداد فسكنها الى حين وفاته سنة ١٩٨ هـ . وترجمته في الفهرست (١٦٠) وتاريخ بغداد (٤٣٦/٧) ، والأغاني (١٨ ,٢ـــ٢٩) ، ووفيات الأعيان (١٣٥/١) ، وشذرات الذهب (٣٤٥/١) ، والبداية والنهاية (١٠ ,٢٢٧) ، وطبقات الأدباء (ص٩٦)، وحديث الأربعاء (٥/١ـــ١٦٨) ، ومقدمة جامع ديوانه حمزة الأصفهاني ط سنة ١٣٢٢ هـ .

(٣) ط : « أتعب » ، وهو تصحيف . ديوان أبي نواس (ص ١٧٩) .

(٤) ط : « في » ، تصحيحه من الديوان .

(٥) رواية الديوان « خير » .

(٦) ابن التلميذ : يعرف بابن التلميذ طبيبان اثنان : أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء بن صاعد بن ابراهيم بن التلميذ ، وأبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ . والمراد منهما هنا الأول بدلالة البيت الأول من الرثية . وكان ساعور البيمارستان العضدي ببغداد . وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً في نهاية الحسن والصحة ، خبيراً باللسان السرياني والفارسي ، ومتبحراً في اللغة العربية . وله شعر مستظرف حسن المعاني ، وترسل كثير جيد ، ومؤلفات عديدة في الطب . توفي في صفر سنة ٥٦٠ هـ ، وقد ناهز المئة من عمره . وترجمته في الخريدة ، وعيون الأنباء (٢٥٩/١) ، واخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٢٢) ، ومعجم الأدباء (٢٨٢/١٩) ، ونزهة الأرواح (ص ٢٣٤ من النسخة الخطية بخزانة المجمع العلمي العراقي) ، وتاريخ الحكماء (ص ١٤٤) ، ووفيات الأعيان (١٩١/٢) ، والبداية والنهاية (٢٥٠/١٢) ، وشذرات الذهب (١٩٠/٤) .

(٧) الأصل : « أوذي » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .

فَقْدُ الطّبيبِ ، فليس توجد صحة ال ... موجود منّا بعد ذا المفقودِ
مرضُ الصحيح أسىً عليه ، وبعده ... هلك المريض بطبِّ كلِّ بليدِ
فكأنّما الأرواح من أنفاسه ... كانت تدبّ[1] بأعظم وجلودِ
قد كان يصطاد القلوب ببشره ... وبلطفه ، ويلين[2] كلَّ شديد
واذا أُنتحت ألفاظه لبلاغة ... ركب القريب فنال[3] كلَّ بعيد
فالنّاس مأتمهم[4] عليه واحد ... من شامتٍ ومؤالف وحسودِ

وأنشدني لنفسه في كتاب صنّفه الوزير[5] في شرح الصحاح[6] ، وهو :

ألا ، قل ليحيى وزير الزمان : ... محوت الشريعة محو السطور !
كسرتَ الصحاح بتفسيرها ... وأصبحت تضربها في الكسور
أكنت دليلا عليها لنا ؟ ... وهل كان أعمى دليل البصير ؟
وما كنت تقصد تهذيبها ... ولكن لتهذي[7] بها في الصدور

وأنشدني له :

يا علّة الفالج ! لا تتركي ... مَنْ صحّةُ العالم في سقمه

وأنشدني له في الحبس :

أفادني السجن منه عقلاً ... لعقله سمّي اعتقالا
لكنّه شفّني بغمّ ... غادرني بالضنى خيالا
بفيء للعقل[8] كلُّ شيء ... إذ صرتُ من دقّتي هلالا

---

(١) الأصل : « تذب » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .
(٢) الأصل : « وبلين » ، وهو تصحيف .
(٣) الأصل : « فنال » ، وهو تصحيف .
(٤) الأصل : « مأتمهم » بالتاء المثلثة ، وهو تصحيف .
(٥) الوزير : هو عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٩٦) .
(٦) سماه (الافصاح) ، وقد تقدم ذكره في (ص ٩٨) ، ونضيف هنا أنه طبع بحلب بعناية راغب الطباخ في ٤٩٦ صفحة مع مقدمة الناشر .
(٧) الأصل : « ليهذي » ، وهو تصحيف أصاب به مصحفه شاكلة الصواب ، لأن الكتاب من أجل الكتب ، ومؤلفه من أعيان الحنابلة .
(٨) ظاهر السياق يقتضي أن يكون « يفيء لي العقل » ، فتأمل .

وله فيه :

إن حاول الدهر إخفائي ، فانَّ له … في حبسيَ الآن سراً سوف يبديه
أعدَّني للعُلى ذخراً ، ومن ذَخرتْ … يداه في الدهر شيئاً فهو يخفيه

وله في استهداء تقويم :

تفاءلت بالتقويم حين طلبته … لعلَّ به تقويم ما اختلَّ من حالي
وللفأل في بعض الأمور إصابة … وقد يحكم التقويم أيضاً باقبالي
فأنعِم به حتى يقولوا تطوَّلتْ … يداه بما نالت من الفلك العالي

وله في يهوديٍّ كان كاتباً بالعين وشفاثى[1] ، وصُرِف :

خدمت بالعين ، وقد فرَّقوا … بينكما يا سخنة العين
العين لا تسخو بانسانها … لو كنته ، مازلت بالعين

وأنشدني في الغزل[2] له :

تجري دموعيَ شوقاً إنْ نظرت الى … بدر السماء ، وبدرُ الأرض قد غابا
ما أطيبَ العيشَ ، لو كانا معاً طلعا ! … وأجملَ الصبرَ ، لو كانا معاً غابا !
وجدي بكم فوق ما قد كنت أعهده … لم ينقص[3] البعد من وجدي ولا عابا
يكفيكمُ سهري في وقت نومكمُ … ومرُّ عيشي اذا ماعيشكم طابا

وله في الزهد ومناجاة الله قبل خروجه[4] :

يا أكرم الأكرمين ، يامَنْ … يطمع في جوده العبيدُ
ليس عجيباً خلاص مثلي … منْ سجن مَنْ بأسه شديدُ
هل هو إلا عبدٌ لمولى … له جميع الورى عبيدُ ؟
يا مُخرج الأعظُم البوالي … عجِّلْ خروجي كما أريدُ

---

(١) العين : عين التمر بالعراق . وشفاثى : أهملها ياقوت في معجم البلدان ، وذكرها الفيروزابادي في القاموس المحيط وقال : « شفاثى : كحبالى قرية بالعراق » وهي قريبة من عين التمر .

(٢) ط : « الغزال » ، وليس هنا بمراد .

(٣) ط : « لم ينقش » ، وهو تصحيف .

(٤) لعله سقط بعده « من السجن » كما تدل عليه الأبيات .

فكلّ ما قد كرهت منّي / قد تبت منه ، فما أعودُ

قد بان في شدّتي صديقي / وبان لي المبغض الحسودُ

وكان هذا للوصل أهلا / وذاك أهلا له الصّدودُ

وقد أفادتني الليالي / تجاربًا مثلها بعيدُ

وأنشدني له الى جهة[1] أم أمير المؤمنين المستنجد بالله[2] أبياتًا كان التوقيع[3] عليها سبب الافراج :

يا من لها شرف كفا / طمة وعائشة ومريمْ

وعطاؤها كالغيث ، لا / بل جودها أندى وأكرم

والخير من بركاتها / ووجودها ، الله يعلمْ

لا فخرَ مثل فخارها / فيمن تأخّر أو تقدّمْ

ولها أمير المؤمنيـ / ـن خليفة مولى محكّمْ

مثل النبيّ محمـد[4] / في الناس ممدوح معظّمْ

إن كان يوسف[5] حسنُهُ / في مصر أعجبَ مَن تقدّمْ

فالحسن في كلّ البلا / د ليوسف[6] هذا مُسلّمْ

فبحقّه فسمًا تذكـ / ـر بالسعيد عساه يرحمْ

وله من أبيات يصف بها مرثية[7] بعضهم :

رَثيتَ مَن ذكره يغني / فاصبرْ على القيء يا سميعْ

فانّه كالمدام مُرٌّ / والقيء من شربها ذريعُ[8]

---

(١) الجهة : لقب تعظيم كان يطلق في عصر المؤلف على نساء الخلفاء .

(٢) المستنجد بالله : أنظر (ص ١١٨) .

(٣) التوقيع : أنظر (ص ٦١ و ٤) .

(٤) كتب في حاشية ط بخط مباين للأصل : « حاشا أن يكون له مثيل أو نظير » .

(٥) يريد به يوسف الصديق بن يعقوب عليهما السلام ، وكانت منة الله عليه بالجمال الرائع مكمنًا لمحنته العظيمة مع اخوته ثم مع امرأة العزيز على ما حكاه القرآن من ذلك .

(٦) هو الخليفة المستنجد بالله .

(٧) الأصل : « مرثيته » .

(٨) ذرع القيء فلانًا : غلبه وسبقه .

لـكنْ لهـا نشوة الحمَيّا في آخـر الأمر يا خليع

وله — في النثر — في صديق له زاره في محبسه ، ثم انقطع عنه :

« إن استدعينا حضورك — أيّدكَ الله — عرّضناك للعناء ، وإن تاركناك أعنّاك على البعد والجفاء . والأولى بك أن تردّ أمر تَرَدُّدك الى هوى مودّتك ، فانّه ينشطك على المواصلة والطلب ، وتهم مشورة الرأي في مقام الخطار ، فانه يثبّطك عن التعب أو العطب . فان فرسان الوغى ، وأهل الصبابة والهوى ، لو لم ينزلوا من قلل عقولهم قليلا ، لم يجدّلوا[1] فتيلا ، ولا وجدوا الى فضاء وَطر سبيلا . وقد زرع — أيده الله — زرعاً ما يقوم بسقيه ، غير سعيه ، ولا يغشيه ، إلا تَردّده وتمشيه . فان راعاه رعاه ، وإن جنى عليه بجفاه حُرِمَ[2] جناه » .

وله الى ابن عمه شهاب الدين ، وقد رزق ولداً :

« عرفتَ — أطال الله بقاك — مقدم القادم الميمونة غُرّته ، المأمولة رؤيته ، الطالع في سماء مجده هلالا ، الناطقة شواهدُهُ بأنه يصير بدراً يملأ العيون جمالا وكمالا ، فتضاعف نصيبي من المسرّة به والاستبشار ، ووددت أن تمتد يدي عند الورود به الى النثار ، وشكرت الله على هذه الموهبة النفيسة التي زاد بها عدد هذا البيت فتزيّنوا بجمالها ، وترشّحوا للتكثير بها وبأمثالها ، والخالق المصوِّر بفضل حكمته يجعله على فطرة الحكمة وعلى الهمة مولوداً ، وفي مهاد السيادة والزيادة ممهوداً ، وفي الخير والصلاح ناشياً ، والى رتب النهى والعلى كلّ يوم صاعداً راقياً ، وأن يجعله لبيباً نجيباً ، والى كلّ القلوب قريباً حبيباً ، ويتبعه بأخوة بدور ، يقرون الأعين ويشرحون الصدور ، ويملأون الأفنية والدور والمجالس والصدور ، ليقوى بهم أزْره ، ويبقى الى آخر الدهر صيته وذِكره ، ويرزق الاستمتاع بهذا الولد السارّ البارّ ، وبما سيتلوه من الأولاد الصغار والكبار ، موقّى فيهم كلّ ما[3] يخافه ويحذره ، ملقّى منهم

(١) الأصل : « لم يجندلوا » بالنون ، وهو لا يعرف الا في مطاوعه ، يقال : جدله جدلا ، وجدله تجديلا فجدل وتجدل : أي رماه وصرعه على الجدالة وهي الأرض .

(٢) الأصل : « حزم » مصحفاً زاياً .

(٣) الأصل : « كلما » موصولة .

جميع ما يختاره ويؤثره ، ولا برح يستقل ويظلهم ، بظل جدهم الصاحب الكبير جامع شمله في العز وشملهم ، ليكونوا لقول الأول مستحقين :

سعوا للمعالي وهم صبية … وسادوا وجادوا وهم في المهود
ونالوا بجدهم جدهم … فان الجدود علا الجدود » .

وله رسالة عملها لبعض أصدقائه الى بعض الكتاب :

« أعز الله دعوة مستهام … بذكرك في الصباح وفي المساء
دعاك على النوى بلسان شوق … دعا الظمآن من عطش بماء
يصعد فيك أنفاساً ضعافاً … فلو هبت لطار الى اللقاء
وما تقوى على ذا البعد نفسي … ولا نفس بأرض أو سماء

كتب خادم المجلس السامي هذه الخدمة ، عن خاطر مملوء بالمحبة وناظر مردود عن النظر بعده الى أحد من هذه الأمة ، ولسان ، مملوء ببث الأشواق والأشجان ، فائض عن جنان رحب ، وبيان سكب[١] . واذا كان الصاحب المحدو[م] محبباً الى أنس مواليه ، والخادم المشتاق بليغاً لسناً فيما يخاطب به أو يُنشيه ، تدفقت ينابيع الكلم من خلال خطابه وكتابه ، وارتفعت عوارض التهم عن أوصاف ذاته[٢] بالمحبوب وغرامه ، وصارت عبارات المحبين من أهل الهوى ، واشارات المتحنين بالأشواق على طول البعد والنوى ، مسلوكة على طريقته ، مشبوكة على جسم لطيمته[٣] ، مردودة من منطقه ، مرقعة بخرق خرقه

لا يدعي كلفي في الحب ذو كلف … أنا الأمير على العشاق كلهم

ولولا أن شكل الزمان ، وشغل القلب الشاغل بالأهل والأوطان ، يقيدان ذا الصبابة عن الخفوف[٤] ، [الى] من هو به صب مشغوف ، والقدوم ، على من يشتري يوم وصاله بالنوم وانضاء الركائب وعناء الجسوم ، لكنت أجعل مقيلي دائماً لديه ، ورحيلي وافداً من منزلي عليه ، ومن حضرته اليه . وها أنا منذ الآن مجد في قصده ، وآخذ أهب السير

(١) الأصل : « جناب رحب ، وبيان سلب » .
(٢) الأصل : « ذامة » .
(٣) اللطيمة : وعاء المسك .
(٤) الأصل : « الخفوف » .

عند إقبال القرّ لتقرّ به عيناي ، وأستريح به من شدّة عنائي ، وأنشد عنده شذاء الأعرابي النازل على آل المهلّب[١] حين ذمّ زمانه وشكا محله ، فما زال به إكرامهم وافتقادهم حتى حسبهم أهله[٢] . ووصل الى الخادم تشريف حلله[٣] وجمله ، فودّ لو أتبع إنفاذ تشريفه ، باستنهاضه في بعض المآرب وتكليفه . ولقد تأمله عليه صدور آل العراق فما منهم الا من شكر وبشّر ، وأثنى عليه خيراً وذكر .

وبعد ، فلئن ألبس خادمه خلعة غدا ثوبها مبهجاً ، وسيكون غداً مُنْهَجاً[٤] ، فقد[٥] ألبس مجده حلّة من الثناء والاطراء يبقى حديثها على الأيام طريّا أرجا ، والله لا يسلب كافة[٦] أوليائه ، سابغ نعمه وآلائه ، في قرب أو بُعد ، وكسوة حرّ أو برد ، والسلام » .

وكتب اليّ ، وهو في الاعتقال سنة إحدى وسبعين ، زمانَ اشتغالي بحلّ أقليدس[٧] :

ماذا يضرّ العزيز يوماً ... إن زار في أسره الذليلا ؟
لو كان يبدي اليّ مَيلاً ... لكان يسعى اليّ مِيلا
يا ملهماً حلّ كلّ شكلٍ ... يقيم في حلّه الدليلا

---

(١) المهلب بن أبي صفرة القائد المشهور . كان سيداً جليلا نبيلا ، وكان من أشجع الناس ، حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز استقصى المبرد في الكامل أكثرها ، وأخباره كثيرة ، وتقلبت به الأحوال ، وآخر ماولي خراسان من جهة الحجاج سنة ٧٩ هـ . وكانت وفاته سنة ٨٢ هـ ، قال ابن خلكان (٢/١٤٨) : وله عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة ، وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة :

نزلت على آل المهلب شاتياً ... بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل
فمـا زال بي معروفهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

(٢) هذه الجملة هي حل البيتين المذكورين للشاعر الحماسي .

(٣) ط : « جلله » بالجيم ، وانما المناسب ما أثبتناه .

(٤) أنهج الثوب : أخلقه .

(٥) صوابه « لقد » ، لأن القسم والشرط اذا اجتمعا ، كان الجواب للأول .

(٦) أطبق جماهير أئمة اللغة على أن « كافة » لا تعرف بأل ولا تضاف ، بل تكون منصوبة على الحال على نحو استعمالها في القرآن .

(٧) أقليدس أو أوقليدس بالضم وزيادة الواو (Eukleides) رياضي يوناني مشهور وضع كتاباً في الهيأة والهندسة والحساب ، وأطلق اسمه على كتابه كما أطلق اسم البخاري على كتابه الجامع الصحيح . وقد نقله الى العربية الحجاج بن يوسف الكوفي نقلين : أحدهما الهاروني ، والآخر المأموني . ونقله أيضاً حنين بن اسحاق ، وثابت بن قرة ، وأبو عثمان الدمشقي ، وشرحه كثيرون .

أقليدسي في الأسار شكل فأبغ الى حلّه[1] سبيلا

فكتب جوابها قطعةً طويلة على وزنها .

وأنشدني لنفسه ممّا كتبه الى صديق له يستزيره وهو في الحبس :

الحي لم يُهْجَرْ في حبسه والميْتُ لا يهجر في الترب ؟

إن لم يكن لي فرج عاجل فعجّلوا لي فرج القرب

فأنتم الدنيا إذا أقبلت عليّ كانت منية القلب

كمال الدين ابن الوزير عضد الدين

كمال الدين

أبو الفضل عبيد الله بن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء .

شهم مُهيب ، وله فهم مُصيب . وهو غضنفر بني المظفّر ، وقَيْلُ[2] آل الأقيال . لمّا تولّى أبوه الوزارة ، صار أستاذ الدار[3] ، فغضّت لهيبته الأبصار .

وبيني وبينه من المعرفة وله عند من العارفة ما يوجب عليّ عرفان قدره ، والاعتراف بشكره .

وله شعر يروق[4] ويفوق ، [ومنه][5] قوله في بعض المماليك المستجدّية ، وكان مليحاً :

وأهيف معسول الفكاهة واللمى مليح التثنّي والشمائل والقدّ

به ري عيني وهو ظام الى دمي وخدّي له ورد ومن خدّه وردي

ولي فيه مديح ، ومن ذلك أنّه كتب الى أخي من العراق يشكره على تكفّله بأسبابنا ، وتكلّفه لآرائنا ، فعملت فيه قصيدةً ، وسيرتها اليه من الشام ، مطلعها :

---

(١) ط : « حلها » .

(٢) القيل (بفتح القاف وسكون الياء) : الملك ، أو هو الرئيس دون الملك الأعلى .

(٣) الأستاذدارية وسماها المصريون قديماً « الأستادارية » : وظيفة يتولى صاحبها النظر في أمر بيوت السلطان كلها . وقد شرح عملها ابن بطوطة في رحلته (ص ٢٠٥) ، والقلقشندي في صبح الأعشى (٤/٢٠) نقلاً عن ابن فضل الله العمري .

(٤) كررت في (ط) ، ولعل أصل الجملة : « وله شعر يروق ، يروق ويفوق » .

(٥) زدناها لاقتضاء المقام إياها .

قضى عمره في الهجر شوقاً الى الوصل ... وأبلاه من ذكرى الأحبّة ما يبلي
وكان خليّ القلب من لوعة الهوى ... فأصبح من بَرْح[1] الصبابة في شغل
وأطربه اللاحي بذكر حبيبه ... فآلى عليه أن يزيد من العذل
وإنّ مرير العيش يحلو بذكركم ... وهل لمرير العيش غيري مستحلٍ ؟
وصالكم الدنيا وهجركم الردى ... وقربكمُ عزّي وبعدكمُ ذلّي
ومستحسنٌ حفظ الوداد ، فراقبوا ... لأجل اقتناء الحمد - عهدي - لا أجلي
نفى الصبر من قلب المتيّم خبالُهُ ... وكيف ثبات القلب في مسكن الخبل ؟
فقلبيَ بين الشوق والصبر واقفٌ ... على جَدَدٍ[2] بين الولاية والعزل
اذا ما بقاء المرء كان بوصل من ... يحبّ ، فإنّ الهجر نوعٌ من القتل
وهل نافعي عذل ونصح على الهوى ... وعذلي يُغري بي ونصحي لا يسلي ؟
وما كنت مفتون الفؤاد ؛ وإنّما ... عليّ فتوني[3] دلّه فانّ الدل
نحولي ممّن شدّ عقدَ نطاقه ... على ناحلٍ واهٍ من الخصر منحل
اذا رام للصدّ القيامَ أبت له ... روادفه إلاّ القيامَ على وصلي
كبدر تجلّى في هزيع من الدجى ... وغصنٍ تثنّى فوق حقف[4] من الرمل
وناظره نشوانُ لا من سلافة ... سقيمٌ بلا سقمٍ كحيل بلا كحل
وأشهد أنّ الحسن ما خطّ خطّه ... بعارضه ، والسحر ما طرفه يملي
وما لحظه إلاّ عُقارٌ ، فانّني ... وجدت هوى عينيه يذهب بالعقل
سقى الله بالزوراء[5] عصر استقامتي ... لانجازه الوعد المصونَ من المطل
غداة نضوت[6] الجد أبلي جديده ... ولا عيشَ الا هزّ عطفي الى الهزل

---

(١) البرح : الشدة .
(٢) الجدد : وجه الأرض ، والأرض الصلبة المستوية ؛ ومنه المثل : « من سلك الجدد أمن العثار » .
(٣) كررت في الأصل ، فاختل بتكرارها الوزن .
(٤) الحقف (بالكسر) : ما اعوج واستطال من الرمل .
(٥) الزوراء : لقب بغداد .
(٦) نضا الثوب عنه : خلعه وألقاه .

أنادم غرّاً من أفاضل أهلها ... كراماً ، وكلٌّ حلية الزمن العطل
وإخوان صدق ، للصداقة بيننا ... صفاء صدور طهّروها من الغِل (1)
ندارس آي العقل من سورة الهوى ... ونفهم معنى العلم من صورة الجهل
وها أنا قد أصبحت بالشام شائماً (2) ... سنا بارق من غير وبل ولا طلّ
يؤهّلني للبعد من كلّ حظوة ... ويحرمني اللذات بعدي من الأهل
ولا صاحب عندي أحاول نصره ... بتخفيف ما يعروه من فادح الثقل
وإنّي أرى عين الخصاصة ترونى ... اذا عجزت عن سدها خَـلّة الخِل (3)
ألا رِبّ حسادي الأشدّاء رقبة ... لهم وأعاني الصعب بالخُلُق السهل
وأبقي مداراة اللئيم لعلّه ... يبيت ولا يطوي الضمير على دغل (4)
سوى السوء لا تجدي مداراة حاسدي ... كما يستفاد السّمّ من صلة الصّل
ومن نقص دهري قصد فضلي بصرفه ... ليرخص منه ما من الحقّ أن يغلي
وإنّي من العلياء في الكنف الذي ... به حظُّ فضلي كلّما انحطّ يستعلي
وماذا بأرض الشام أبغي تعسّفاً ... ولا ناقتي فيها ترام ولا رحلي ؟
ولي حرمٌ منه الأفاضلُ في حِمىً ... من الصون بالمعروف ، بالبذل في حِلّ

ومن جملة المديح :

أبى الفضل فيه أن يكون كماله ... لغير كمال الدين أعني أبا الفضل (5)
رحيب النوادي والندى واسع الذَّرا ... رفيع الذُّرا عالي السنا وافر الظّل (6)
نداه حيا المعروف قد شمل الورى ... عموماً ، وغيث الخصب شرّد بالمحل

---

(1) الغل (بالكسر) : الحقد .
(2) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر .
(3) الخصاصة : الفقر . والخلة (بالفتح) : الحاجة والفقر . والخل : الصديق .
(4) الدغل (بفتحتين وسكن الثاني للضرورة) : الفساد ، مثل الدخل .
(5) ط : « أبي الفضل » .
(6) الذرا الأولى (بفتح الذال) : كل ما استذريت به ، يقال : أنا في ذرا فلان ، أي في كنفه وستره ودفئه . والذرا الثانية (بضم الذال) : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء .

اذا خفيت سُبْلُ الكرام فانّه ... كريم المساعي[1] بينهم واضح السبل

وفي الجدب إن جادت سماءُ سماحة ... بدا زَهرُ الاسعاف في الأمل العقل[2]

تساوى له الاعلان والسرّ في العلى ... بخلوته ملء للمهابة كالحفل

فتى السنّ إلاّ أنّ للملك قوةً ... بما هو يستهديه من رأيه الكهل

من القوم : أمّا المال منهم ففرضة الـ ... سماح ، وأمّا العرض منهم فللبخل

أضاء زمان (المستضيء)[3] إمامنا ... بآرائه الميمونة العَقد والحلّ

فمن رأيه ما يطلع السعد من سنا ... ومن عزمه ما يطبع النصر من نصل

ومنها في صفة الروض :

وما روضة غنّاء مرهوبة[4] الثرى ... مُضوّعة الأسحار طيّبة الفصل

شمائلها طابت ، وطاب شمالها ... سقتها شَمولا عند مجتمع الشمل

تردّد أنفاس النسيم عليلة ... عليها ، فيشفى مرّها كلّ معتل

تهبّ الصبا فيها بليلٍ بليلةً ... على زَهر من عبرة الطلّ مبتلّ

لها من ثغور الأقحوان تبسّم ... وتنظر عن أحداق نرجسها النُّجْل

كأنّ نُعاماها[5] تبلّغ نحونا ... تحايا قرأناها على ألسن الرسل

تؤرّج أرجاء الرضاء كأنما ... تجامل في حمل التحية عن جُمل[6]

مرجعةً فوق الغصون حمامُها ... فنونَ هديل بين أفنانها الهُدل[7]

تنوح بها الورقاء شجواً كأنها ... مفجّعة بين الحمائم بالثكل

مطوّقة أبلت سوادَ حدادِها ... في الجيد باق منه طوق له كُحْلي[8]

---

(١) ط : « المساعي » .

(٢) كذا الأصل ، ولعله « الفقل » .

(٣) الخليفة المستضيء بالله : تقدمت ترجمته في (ص ٩-١٨) .

(٤) كذا ، ولعل الأصل « مرهومة » أي ممطورة مطراً ليناً صغير القطر .

(٥) النعامى (بالضم) : ريح الجنوب ، أو بينه وبين الصبا .

(٦) جمل : من أسماء نساء العرب .

(٧) الهديل : صوت الحمام البري كالدبسي والقماري . الهدل : الأغصان المتدلية لثقلها بالثمر .

(٨) آخر المخروم في (ل) ، وقد ظفرنا به في (ط) . راجع أوله في (ص ١٥١) .

بأحسن[1] من أخلاقك الزُّهْـر بهجة ... وأذكى وأزكى من سجيتك الرسل[2]

ومنها :

اليك سرت منّي مطـايا مـدائح ... من الشكر والاحماد مُوقرةَ الحمل[3]

سوائر في الآفاق وهي مطيفـة ... ببابك دون الخلق مخلوقة[4] العقْل

تهـذّب معنـاها بصقليّ لفظهـا ... كما بان إثر المشرفي[5] لدى الصقل

وإن يحل شعري في مديحك رونقاً ... وحسناً ، فانّ الشهد من نحَل النَّحْل[6]

سلمت ولا لاقت عداك سـلامةً ... ورهطك في كُثْر وشانيك في قُلّ

ودمت ولا زالت بسطوك دِيمة الـ ... ـوبال على الأعـداء دائمة الوبل

ودرّت لك النعمى على كلّ آمل ... بقيت بقاء الذرّ[7] والحرث والنسل

أخوه :

عماد الدين ابن الوزير عضد الدين

عماد الدين

أبو نصر عليّ بن الوزير عضد الدين[8] أبي الفرج محمد بن عبد الله بن المظفّر رئيس الرؤساء . شابّ يتوقّد ذكاء ، ويتوقّر[9] حياء ، ويتوقّى لله أتقاء ، ويتوقّل في ذروة المجد ارتقاء ، ويتوقع لحظوة الجد احتظاءً[10] ، مرتدٍ[11] بالتقوى ، ومسدٍ للجدوى ، ومتحلّ بمحاسن الأخلاق ، ومتجلّ بأنوار الفضائل في الآفاق . قد خلّى الدنيا

---

(١) خبر قوله في مطلع الوصف : « وما روضة غنّاء ... » .

(٢) الرسل (بكسر الراء) : الرفق .

(٣) موقرة : متقلة .

(٤) كذا ، ولعلها : « مخلوعة » . وهي في ط : « معلولة » .

(٥) المشرفي : السيف ، نسبة الى مشارف الشام ، أو الى مشرف وهو اسم قين كان يعمل السيوف .

(٦) أي من عطايا النحل وهباته .

(٧) ل : « الدر » بالدال المهملة ، وما أثبتناه من ط هو الصحيح .

(٨) راجع (ص ١٣ و ٦) .

(٩) ل : « ويتوفر » بالفاء ، وقد رجحنا عليها رواية ط ، ب .

(١٠) ل : « الحظوة الجد احتضاء » ، ط : «ويتوقع لحظوة الحد احتطاء» . وكلاهما محرف . احتظى عند صاحبه : حظي ، أي كان ذا منزلة ومكانة .

(١١) ط : « مريد للتقوى » .

وتحلى بالدين[١] ، وسلك طريق [أهل[٢]] اليقين ، وملك التوفيق من الله رب العالمين . فأصبحت وزارة والده بسيرته حالية عالية ، وبقيمة فضله غالية ، وبديمة[٣] إفضاله هـــامية .

وله نظم أرقُّ من النسيم السَّحَريّ ، وأدقُّ من المعنى السِّحْريّ ، وأعطر من العنبر الشِّحْريّ[٤] [وله عندي فوائد ، ولي فيه مديح وقصائد[٥]] .

ومن[٦] شعره السائر ، في البادي والحاضر ، ويغنّى به[٧] :

قف باللّوى إن تناءت الدارُ … فعند تلك الأوطان أوطارُ
وشِمْ لها بارقَ السحاب ، فإنّ … ضَنّ فماءُ الجفون مدرار[٨]
أحبابنا أزمعوا الرّحيل ، وما … أظنّ أنّي أعيش إنْ ساروا[٩]
راحوا بقلبي وخلّفوا جسداً … جارَ عليه الأسقام مذ جاروا
أحبّ نجداً إن أنجدوا ، وإذا … غاروا[١٠] فعندي للغور إيثار
لا عُذْرَ لي في الحياة بعدَهُمُ … النّار في حبّهمْ ولا العار !

وبيني وبين هذا الوزير عضُد الدين خلوص وِداد ، وخصوص اتّحاد[١١] . ولمّا

---

(١) ط ، ب : « قد حلى الدنيا بالدين » .
(٢) من ط ، ب .
(٣) ل : « وبديم » ، والرواية المثبتة عن ط أليق بالسياق .
(٤) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . قال الأصمعي : هو بين عدن وعمان . نسب اليه بعض الرواة ، واليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله . وهناك عدة مدن يتناولها هذا الاسم (معجم البلدان ٥/٢٤٠ طبعة مصر) .
(٥) الزيادة من ط .
(٦) ط : « فمن » .
(٧) ط : « وبه يغنى » .
(٨) شم : أمر من شام يشيم (أنظاره في ص ٤ و ٨) .
(٩) ترتيبه الرابع في ب ، ط .
(١٠) ل : « عادوا » . والسياق يقتضي ما أثبتناه من ط ، ب . يقال : غار اذا أتى الغور ، والغور هو تهامة وما يلي اليمن ، والغور أيضاً المطمئن من الأرض .
(١١) ل : أهمل نقطها ، وهي في ط كما أثبتناها .

وصلت (١) الى الشام ، وأحوجني التلبّس بأشغال المملكة الى المقام ، كتبت اليه قصيدة أتشوّقه فيها وأمدحه بها (٢) ، وذلك (٣) عَقيب وزارة أبيه ، وزهده وتأبّيه ، أولها :

لائمٌ للمحبّ غـير ملائمْ هام قلبي وقلبُهُ غير هائمْ
لم يزل واجـداً عليّ لأنّي بتُّ للوجْد واجداً ، وهو عادم (٤)
أغتدي (٥) للهوى سليباً سليماً وهو سـال من الصّبابة سالمْ
ناصحي غـير عالم بالّذي بي ومن الـغبْن ناصح غير عالمْ
خلِّ يا خلّ في الهوى عذل صبّ واجد من لواذع العذل واجم
لا تروّع بالملام مَن ليس يخشى في سبيل الغرام لومة لائم
لا تظنّ الهوى مفارقَ قلبي فهو وصفٌ ، كما علمتَ ، ملائم
لفؤادي ضمانةٌ وغـرامٌ أنا منه بلا ضمين وغارم
نار وجدي دخانها في شحوبي (٦) وفؤادي صالٍ ووجهيَ سـاهم
قد كتمت الهوى وباح به الدّمـ ـع فسرّي ما بين مُفش (٧) وكاتم
من لصبّ ومنه مُقلةُ رئم حبّه من ضميره غير رائم (٨)
لجفون البيض الصوارم بيضٌ لم تزلْ في الجفون وهي صوارم
وبوادي العُذَيب أُدْم ظباء فاتكات لحاظها بالضراغم (٩)
وبنفسي ظامي الوشاح على عذ ب لماه قلبي المُعذّب حائم

---

(١) ط : « دخلت » .
(٢) ط : « أتشوقه بها وأمدحه »
(٣) « وذلك » : لم ترد في ط .
(٤) وجد عليه موجدة : غضب . والوجد : شدة الحب .
(٥) ل : « أغتدي » ، والتصحيح من ط . وأغتدي : أبكر وأذهب غدوة ، والغدوة هي ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .
(٦) ط : « شجوني » .
(٧) ط : « واش » .
(٨) الرئم : الظبي الخالص البياض . ورائم : اسم فاعل من رام المكان يريمه ريماً اذا زال عنه وفارقه .
(٩) العذيب : أنظره في (ص١٨ ر ١) . والأدم : جمع الأدماء مؤنث الأدم ، والأدمة لون مشرب بياضاً .

فحِمى العشق آهلُ الربع منه وحِمى الصبر عنه عافي المعالم
ساحر طرفهُ وساجٍ وإنّي لتمنّيه ساهرُ الطّرف ساجم[1]
قرّبَ الطيفُ وصلَهُ وهو نازٍ وأتاني مستيقظاً وهو نائم
أنصفاني ! رأيتُما قطُّ مظلو ماً قضى نحبَه على حبّ ظالم ؟
حبّذا والحبيب في الوصل[2] مثّي راغبٌ والحسود بالكره راغم
وسقى الله عيشنا المتقضّي ورعى الله عهدَنا المتقادم
حين عصرُ الصِّبا كحاليَ[3] حالٍ وهو في غرّة كأحلام حالم
فليالي[4] العراق بيضٌ من البيـ ـض غوانٍ من الغواني غوانمْ
وزماني مساعدٌ ورفيقي في الهوى مُسعدٌ ودهري مسالم
ومنادي ألمُنى مجاوبه[5] الإسـ ـعافُ والسؤل للنجاح منادم
ومن الأكرمين كلُّ نديمٍ لستُ من قربه مدى الدهر نادم
ما فقدنا السرورَ إلاّ هِدانا[6] كلُّ هادٍ لما بنى[7] الهمُّ هادم
وبذاك الجناب أوطانُ أوطا ري كما أنّها مغاني المغانم
ومَراد المُراد بالعُرف زاهٍ[8] ومَراح المِراح بالعَرف فاغم[9]

---

(١) ساج : ساكن . وساجم : سائل الدمع .
(٢) ط : « بالوصل » .
(٣) ط : « لحالي » ، وهو تحريف . وحال (الثانية) : اسم فاعل ، متزين بالحلي .
(٤) ط : « وليالي » .
(٥) ط : « يجاوبه » .
(٦) هكذا ضبطت في ل بكسر الهاء وتنوين آخره ، وفي ط بتنوين آخره فقط ، لعلهما تريدان مصدر « هادنه هداناً كقاتله قتالا » ، فتأمل .
(٧) ل : « بنا » بكسر الباء وبالألف ، وما أثبتناه من ط .
(٨) مراد (بفتح الميم) : هو في الأصل مكان رياد الابل ، أي اختلافها مقبلة في المرعى ومدبرة . والمراد (بضم الميم) : المرغوب والمطلوب . والعرف (بضم العين) : المعروف ، واسم لما تبذله وتعطيه .
(٩) مراح (بفتح الميم) : هو الموضع يروح القوم منه أو اليه . والمراح (بكسر الميم) : اسم للمرح وهو شدة الفرح والنشاط . والعرف (بفتح العين) : تقدم في (ص ٣) . وفاغم : اسم فاعل من فغمه الطيب فغماً وفغوماً : سد خياشيمه .

ومبيتي ما بين كأسٍ وثغرٍ … راشـفاً منهما متى شئتُ لاثم

وردُ خدٍّ نَدٍ وغُصنُ قوامٍ … ذا جنيٌّ غضٌّ وذلك ناعم

فأنا اليوم بالشآم وحيدٌ … إِنما البارق العراقيّ شائم

لا وَدودٌ على وفائي مُقيمٌ … لا وفيٌّ بشرط وُدّيَ قائم

أبداً بين همّتي وزماني … في اقتراحي وفي اطّراحي ملاحم[1]

عَظُمت همّتي ، وها أنا أستصـ … ـغرُ في الطلب العظيم العظائم

ما نجا من مطارِق العجز[2] راضٍ … بِمَلاهٍ من عيشه ومطاعم

مبتغى قلبيَ المَشوق ببغـدا … دَ ، وجسمي نائي المحلّ بجاسم[3]

ليتَ شعري متى يُبشّر عنّي … أصدقائي فيهـا بأنّي قادمٌ

ما لشُغلي بها سوى أمرِ مولا … يَ عماد الدّين المملّك ناظم

ومنها في تقريظه[4] :

واحد العصر ، ثالث الشمس والبد … رِ ، وثاني الحيا[5] بغير مُزاحم

إنْ يكن مانحَ المراحم[6] بالجو … دِ فبالبأس مانعٌ للمحارم

شيّدَ المجدَ وهو في المهد شُدّت … بتمام العـلى عليـه التمائم

وهو بالحزم مُدركٌ كلَّ سؤلٍ … ولَعَمْري كم حازماً رام حازم

نُطقُ قسٍّ ، ورأي قيسٍ ، وإقدا … مُ عليٍّ ، وجود كعبٍ وحاتم

وندىً فرّق الخزائن مغتـا … داً الى المُعدِم الغِنى بالخزائم

بشَر الوشر منه كلَّ مُساجِ … ديمـة الخير بالنّجاح الدائم

(١) ملاحم : معارك (أنظر ص ٣٠ و ٦) .

(٢) ط : « العجز » .

(٣) جاسم : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم الى طبرية . ومنها كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (معجم البلدان ٣/٣٧) .

(٤) « في تقريظه » : لم ترد في ط .

(٥) الحيا : المطر والخصب .

(٦) ط : « راحم المراحم » .

طلعةٌ طلقــةٌ ، وباعٌ طويلٌ ، … ويدٌ بسْـطةٌ ، وثغرٌ باسم°

وعطايا غُزْرٌ ، وغُرٌ أيادٍ ، … وسجايا زُهرٌ ، وبيضُ عزائم

كفلت كفّـه بنُجْح الأماني … ونشــور الآمالِ وهي رمائم

فــله في التُّقى مآثر نزّهـ … ـن سجاياه عن جميع المآثم

ومنهــا :

مارياضٌ فاحتْ : لطائف أنفا … س صَباها لطائفٌ ولطائم[1]

أظهرتْ سِرَّ نشرِها، فكأنْ[2] قد … مشت الريح بينهــا بالنّمائم

وَشْي أنوارها الفوّفُ أسدى[3] … وأنارت فيـه أكفُّ الغمائم

كقدودٍ تعانقتْها قــلوبٌ … ذات شجو غصونهــا والحمائم

فتشدو الغناء للوُرْقِ أعرا … سٌ وبالنّـوح للحَمام مآتم

ـمن سجايا بني المُظفّر أبهى … ومساعيهمُ الحِسانُ الكرائم

ما استقامت إلاّ بهم سُنّةُ الشر … ع ودين الهـدى[4] ودولة هاشم

واستوت في خضارم الرأي فلك الـ … ـملك منهم على مَرامي المراسم

أحسنوا العفو والتجاوزَ حتّى … مَهّدوا حرمةً لأهل الجرائم

كم بكت أعين اللّيالي فعادتْ … وهيَ اليوم ضاحكات المباسم

وبشمس الورى عليّ أبي نصْـ … ـرٍ تجلّى عنّا ظلام المظالم

ذو نوالٍ ، لكلّ عافٍ ، معافٍ ، … ولسقم الرّجا مُداوٍ مُداوم

[فغدا[5]] كم بني المظفّرِ عاصٍ … لم يطع أمره من الأمرِ عاصم

(*) هذان البيتان لم يردا في ط .

(١) اللطائم : جمع لطيمة ، وهي وعاء المسك .

(٢) ط : « وكأن » .

(٣) ط : « وشي نوّارها المفوّف أسدت » .

(٤) ط : « المهدي » ، وليس بشيء .

(٥) من ط .

من محاسنة المحاسن بالشـ ... رّ[1] وما زال للمساوي[2] مُساوم

كم ردي ٍ رَدٍ[3] وساع ٍ كمين ... في سعير وجاحد في جاحم[4]

ومنها:

يا ابن من حكمه على الخلق طرّاً ... وعلى ماله مرجّيه حاكم

أنا راقٍ في مُعضب عليك مدحاً ... ولطرز الثناء بالنظم راقم

غير قاصٍ عن قاصدٍ لك عُرفاً ... لفقار[5] افتقاره هو قاصم

لم يزل فائزاً بصدق الأماني ... كلُّ راجٍ لظنّه فيك راجم

بالمُوالين قوّة للموالي ... والخوافي بها نهوض القوادم

وكان يُدْعَت قبل وزارة والده بشهاب الدين .

ولما اعتقلت بالديوان ببغداد[6] ، كتبت اليه قصيدة طويلة[7] :

لو كنتَ تعلم منتهى بُرَحائه ... حاذيتَ إبقاءً على حَوْبائه[8]

ولكنت تترك في الغرام ملامه[9] ... كيلا يزيد اللومُ في إغرائه[10]

لاتنكِرنْ ضحكي، أريك تجلداً، ... ضحك الحيا[11] بالبرق حين بكائه

ما كنت أعلم دمع عيني مفشياً ... سراً لهم أشفقت من إفشائه

حتى جرى في الخد مني أسطراً ... فعرفت أنْ الشوق من إملائه

---

(١) ط : « بالشرع » ، وهو تحريف .
(٢) ل : « للساري » ، والتصحيح من ط .
(٣) رد : هالك .
(٤) جحم الرجل النار : أوقدها .
(٥) الفقار (بالفتح) : ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب ، واحدتها فقارة .
(٦) ط : « ببغداذ » بذالين معجمتين ، وهي لغة في بغداد .
(٧) زاد في ط هنا « أولها » .
(٨) البرحاء : الشدة والمشقة . والحوباء : النفس .
(٩) ل : « ملامةً » ، وما أثبتناه من ط هو الصواب .
(١٠) من قول أبي نواس الحكمي : « دع عنك لومي ، فان اللوم اغراء » .
(١١) الحيا : المطر والخصب .

ماكان أعذب بالعذيب[1] لدى الصّبا   عيشًا أمنت فناه بفنائه[2]

إذ كاسه ماء العذيب ، وأهله   في العزّ نحـدهم نجوم سمائه

والحيّ شمس الأفق تخبأ وجهها   منه حياءً من شموس خبائه

أيام لم أبصر جميـلاً فيهم   الاّ وفاء[3] إلى جميل وفائه

ومقرطق[4] ألفيت قلبي آبقاً[5]   منّي له ، فالقلب قلب قبائه

قلق الوشاح[6] محبّه قلق الحشا   فكلاهما ظامٍ إلى أحشائه

ويشدّ عقْد نطاقه في خصـره   حذراً عليه لضعفه ووهائه

بدرٌ فؤادي في محبّـة وجهـه   بدريّه المعدود من شهدائه

إشراق غرّة وجهه في صدغه   يبدي لك الاصباح في أمسائه

منشور اقطاع القلوب عذاره   فالحسن [جند][7] وهو من أمرائه

وله الشباب الغضّ أبدع كاتب   إذ خطّه المرقوم من إنشائه

وشّى بخطّ عذاره وجنـاته   ما أحسن الخضراء في حمرائه !

دبّ الدخان الى حواشي خـدّه   إذ أشعلت نار[8] الصّبا في مائه

في عارضيه سواد أبصار الورى   قد شفّ من ماء الصّبا لصفائه

والصّدغ[9] منه لعارضيه معارض   وسواد ذاك الخطّ من أفيائه[10]

---

(١) العذيب : تقدم في (ص ١٨ و ١) .
(٢) فناء (بفتح الفاء) : مصدر فني الشيء . والفناء (بكسر الفاء) فناء الدار ، وهو ما امتد من جوانبها .
(٣) فاء : رجع . وفي ط : « آه وفاء » ، وهو تحريف .
(٤) المقرطق : لابس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد ، فارسي معرب ، أصله « كرته » . والقباء (بالفتح) : ثوب طويل يلبس فوق القميص ويتمنطق به .
(٥) آبقاً : هارباً . وفي ط : « آبقاً » ، وهو تصحيف .
(٦) كناية عن الهيف وضمور البطن .
(٧) من ط .
(٨) ل : « ماء » ، والتصحيح من ط .
(٩) من هنا الى البيت السادس ، وهو قوله : « توحت في زمن الشدائد غصنه ... البيت » ، ورد في ط بعد قوله في آخر الترجمة : « والفضل بين بنيه أوكد نسبة ... البيت » مصدراً بقوله : « ومنها في الغزل » .
(١٠) ط : « أفنائه » .

رَمق المحبَّ ولم يدعْ رَمقاً له[1] هلا أخذتَ زمامه[2] لذَمائه[3] ؟
أعدى سقام اللَّحظ منه محبَّه يا محنتي منه ومن أعدائه !
وسقام مقلته زيادة حسنها وأراه في جسمي زيادة دائه
ياصاحبيَّ الصاحيين من الهوى قد طال عهدكما بكأس طلائه[4]
لا تطمعا في أن أفيق ، فانَّني ياصاحبيَّ سكرت من صهبائه
لا تسمعاني فيه[5] ما أنا كارهٌ إنَّ المحب يصدُّ عن نصحائه
ولقد أصمُّ عن الكلام تغافلاً لأُنزِّه الأسماع عن فحشائه
أروي حديث الحادثات ، وخطبُها لي يخطب الأهوال من أهوائه
يخفي الزمان سناي في إظلامه إخفاء أَلْثغ سينه في ثائه
لما مضيت له براني صَرْفه مثل البراع فبرْيه لمضائه[6]
حتّام أرضى الضّيم من أدوانه[7] وإلى متى أغضي على أقذائه ؟
إحفظ لسانك أن يطول ؛ فانّما قصر اللّسان يكُفُّ من غلوائه[8]
والشمْع قطع[9] لسانه من طوله وحياته سببٌ إلى إردائه
ومقاسمٌ في ثروتي لما رأى عدمي غدا مستأثراً بثرائه[10]

---

(١) رمقه : نظر اليه . والرمق : بقية الروح .
(٢) ط : « زمانه » .
(٣) الذماء : بقية الروح في المذبوح .
(٤) الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء ، يريد بذلك تحسين اسمها ، لا أنها الطلاء ، كما في مختار الصحاح .
(٥) ط : منه .
(٦) ط :
ولقد مضيت ، وقد براني صرفه بري البراع ، وبريه لمضائه
(٧) ط : « أدوائه » .
(٨) الغلواء : الغلو .
(٩) ط : « قط » .
(١٠) زيد في ط قبل هذا البيت قوله : « ومنها » .

قوّمت في زمن الشدائد غصنه ... فاعوج إذْ هبّتْ رُخاء رَخائه(١)
وقعته لمّـا تناهى ضرّه ... فأعضته السّراء من ضرّائه
قلبي من الاشفاق محترقٌ له ... كالشمع وهو يعيش في أضوائه
متنـاومٌ عنّي إذا ناديتـه ... ولطالما استيقظت عند ندائه
إنْ أستزده يزد كراه ، وزائدٌ ... تحريك مهد الطفل في إغفائه
ولئن جفاني الدهر في أحداثه ... فلأصبرن على فظيع جفائه
فالله يفعل ما يشـاء بخلقه ... وجميع ما يجري لنا بقضائه
فاستعد من ريب الزمان بصاحب ... تعدي فضائله على عدوائه(٢)
واشك الزمان الى شهاب الدّين كي ... يبدي رياض الخصب في شهبائه
ونداه ناد ، فانّ أندية المنى ... مخضرّة الأكناف من أندائه
وهو الشهاب حقيقةً ، فالفضل من ... أنواره ، والطول من أنوائه(٣)
كالشمس في آرائه ، كالغيث في ... آلائه ، كالصبح في لألائه
لله راحته ! ففيهـا راحةٌ(٤) ... لمؤمّليـه ومرتجي نعمائه
فعداته يفنون من إعطابه ... وعفاته يحيون من إعطائه(٥)
يغضي حياءً والمهـابة كلّها ... في أنفس الأعداء من اغضائه
ويغضّ عيناً للوقار ، ونوره ... لتغضّ عين الشمس دون لقائه

---

(١) رخاء : الأولى (بضم الراء) : الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً ، ورخاء الثانية (بفتح الراء) : سعة العيش . وهي في ط : « رجائه » .

(٢) الاستعداء : الاستغاثة والاستنصار . والفواضل : النعم الجسيمة ، واحدتها فاضلة . والعدواء : الشغل يصرفك عن الشيء .

(٣) الطول (بفتح الطاء) : العطاء ، والفضل ، والسعة . والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم اذا مال للغروب . والأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها ، يسقط منها في ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكانت العرب في الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلع آخر ، قالوا : لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث عند ذلك الى النجم ، فيقولون : « مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك » .

(٤) راحته : باطن كفه . والراحة : ضد التعب .

(٥) اعطابه : اهلاكه . عفاته : طلاب معروفه .

إنْ كان ما فثت معاني مدحه   منّي ، ففارقت حبال رجائه

ومنها في الاستنجاد على الامام المستنجد[1] :

أبني المظفر ما يزال مظفّراً   راجيكمُ أبداً بنيل رجائه
وإذا عرا خطب ملمٌّ مؤلمٌ   داويتُمُ بالجود من أدوائه
يا من علا[2] يحكي أباه وجدّه   زان العلاء بجدّه وإبائه
يعنى الزمان بمن[3] عنيت بأمره   حاشاك تترك عانياً بعنائه
فانصر أبا نصرٍ على زمنٍ أبى   نصري ، لفضل أنت من أبنائه
واشفع تشفّع[4] وعده بنجازه   أنّى يخيب وأنت من شفعائه ؟
ذكرٌ بحالي الصاحبَ الولي الذي   يهوى أمير المؤمنين برائه
وقل: استجار كريم بيت رَبي ، وذو ال   بيت الكريم يجد في إحيائه
والمستجير بنا مجارٌ لم يزل[5]   ولو أنّ هذا الدهر من أعدائه
شافهْ أميرَ المؤمنين بحاله   فأرى شفاهك موجبٌ لشفائه

وبعده البيتان اللذان[6] سبق ذكرهما[7] ، وهما :

قل للامام : علام حبس وليّكم[8] ؟   أولوا جميلكم جميل ولائه
أوليس إذْ حبس الغمام وليّه[9]   خلّى أبوك سبيله بدعائه ؟

ومنها :

لولاك كان رويُّ شعري ظامئاً   لا يطمع الراوون في إروائه

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ١٨ الى ٢٢) .
(٢) ط : « غدا » .
(٣) ط : « بما » .
(٤) ط : « ليشفع » .
(٥) ط : « والمستجير بنا بجار ولم يزل » .
(٦) ل : « الذي » ؛ وهو على الصحة في ط .
(٧) ص ٦٣
(٨) الولي : ضد العدو ؛ وكل من ولي أمر واحد فهو وليه .
(٩) الولي : المطر الذي بعد الوسمي .

فأغث كريماً أنت من نسبائه والفضل بين بنيه أوْ كَدُّ نسبة

وإنما ذكرت شعري فيه ، إعراباً عن فضله ونبله ، وتسييراً للمثل في ذكر سيرة مثله .

عمر :

تاج الدين

تاج الدين

أبو عليّ الحسن بن عبد الله بن المظفَّر ، أخو عضد الدين الوزير ، الكريم المطلق ، والحليم الموفق ، والصاحب المصحب ، والمعدي للكرام المقيت[1] .

ولي في الوزير وفيه مدائح إن أثبتُّها أكثرتُ في الكتاب نظمي ، وخرجت عما هو رسمي .

وتاج الدين [هذا][2] جواد بني المظفَّر ، ورئيس بيت رئيس الرؤساء ، وشيمته أصفى من زلال الماء ، وقرائحه في نظم أبيات ، غيرُ أبيات . وأكثر ما رأيت ميله الى اللُّغز[3] والمُعَمَّى[4] والأحاجي[5] . وسأورد من ذلك ما أتذكره ، وأنا على ما[6] سلف منه في حقّي من العارفة[7] أعرف له وأشكره .

---

(١) ط : « والمعدي للكرام المتعب » . ولعل الصواب : « والمعدي للكرام المعتب » . يقال : أعدى زيداً على عدوه ، أي نصره وأعانه . وأعتب الرجل صاحبه : اذا أزال عتبه وأرضاه ، والهمزة فيه للسلب .

(٢) الزيادة من ط .

(٣) ط : « اللغة » وهو تحريف . واللغز : من الكلام ما كان المراد غير ظاهر منه . وعند الكتاب مثل « المعمى » ، الا أنه يجيء على طريقة السؤال .

(٤) المعمى : من الشعر ما ضمن فيه اسم شيء اما بتصحيف واما بقلب أو حساب أو غير ذلك .

(٥) جمع الأحجية ، وهي الكلمة المغلقة يتحاجى (أي يتطارح) الناس بها . وحاجى صاحبه : فطنه وألقى عليه كلمة محجية ، وتحاجى القوم : تطارحوا الأحاجي . وأصل ذلك كله الحجا ، وهو العقل والفطنة .

(٦) « ما » : لم ترد في ط .

(٧) العارفة : العطية والمعروف .

بنو المطّلب

الأجلّ رضيّ الدّين

رضي الدين ابن المطلب

هبة الله بن الحسن بن محمد بن الوزير أبن المطلب ، من بيت السؤدد والفضل . أدواته في الأدب كاملة تامة[1] ، ذو نوادر للخاصة والعامة .

له الخطّ الرائق ، والفضل الفائق . إذا كتب أغضى أبن مقلة[2] مقلته حياء ، وأغلق أبن البواب[3] بابه خجلاً . وإذا تَرسَّلَ فاسترسل[4] كان لفظ عبد الحميد[5] ، لفظه عبداً

(١) زيد هنا في ط : « يتميز بالجزء » .

(٢) ابن مقلة : الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة المشهور . ولد سنة ٢٧٢ هـ . استوزره المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله ، وعاش حياة مضطربة كلها مؤامرات ، وتعرض للنفي والاستتار والسجن ، وقطعت يده ثم لسانه ، وتوفي في السجن سنة ٣٢٨ هـ . والمشهور عند الناس أنه أول من نقل الخط الكوفي الى هذه الصورة التي تكتب بها ، وقيل : بل أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ . ولكن المحققين يخطئون ذلك ويقولون : « انا نجد من الكتب بخط الأولين فيما قبل المئتين ماليس على صورة الكوفي ، بل يتغير عنه الى هذه الأوضاع المستقرة وان كان هو الى الكوفي أميل لقربه من نقله عنه » . غير أنه مما لا جدال فيه أن جودة الخط وتحريره انتهت على رأس الثلاث مئة الى الوزير أبي علي وأخيه أبي عبد الله ، كما بسطت ذلك في مقدمتي لترجمة كتاب الدكتور سهيل أنور عن ابن البواب المؤلف باللغة التركية . وأخبار ابن مقلة في معجم الأدباء (٢٨/٩) ، ووفيات الأعيان (٢٦١/٢) ، والفلاكة والمفلوكون (ص ١٢٨) ، ونزهة الجليس (٣٣٨/٢) ، والفخري (٢٤٣) .

(٣) ابن البواب : أبو الحسن علي بن هلال الكاتب المشهور ، « هذب طريقة ابن مقلة ونقحها ، وكساها طلاوة وبهجة » ، وخطه في نهاية الحسن ، نجد صوراً منه في كتاب الدكتور سهيل أنور عنه . وتوفي ابن البواب سنة ٤٢٣ هـ ، وقيل : سنة ٤١٣ هـ ببغداد ، ودفن جوار الامام أحمد بن حنبل . وترجمته في وفيات الأعيان (٣٤٦/١) ، والمنتظم (١٠/٨) .

(٤) ط : « واسترسل » .

(٥) عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ المشهور ، من أهل الأنبار . نشأ بالشام ، وكان معلم صبيان يتنقل في البلدان ، ثم نبه شأنه في الكتابة فكتب لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية أيام ولايته على أرمينية ، ولما صارت اليه الخلافة اتخذه كاتب دولته ، وقتل سنة ١٣٢ هـ . وترجمته في وفيات الأعيان (٣٠٧/١) ، وأمراء البيان (٣٨/١) ، وكتابنا المدخل في تاريخ الأدب العربي (١٧٩/١–١٨٦) .

غير حميد ، لكن به لوثة[1] ما تكاد تصحي سماء فضله بسحابها ، ولا تبرز شمس أدبه من حجابها .

فصيّر حظّه عن خطه ، فصار موجباً لخموله وحطّه . وحيث نُسخت آي الفضل في عصرنا[2] فلم تقم سوقه ، اقتنع بأن يكون ناسخاً لما رأى عهد الأدب منسوخاً ، وعقده مفسوخاً .

ورأيت [أهل الأدب][3] الأكابر ينبزونه بالجُرذ ، ويتطايبون معه به ، وهو [كثيراً ما][4] يذكره فيما ينظمه تعريضاً ، وربّما صرّح به .

ونثره في غاية الحلاوة ، واستشهاداته واقعة موقعها ، وأبياته مضحكة .

أنشدني لنفسه[5] :

فديت من في وجهها سُنّة ... أشهى الى القلب من الفرض

تنسى عهوداً سلفت بيننا ... كأنها قد أكلت قرضي

هذه إشارة إلى أنّ أكل الطعام الذي قرضه الفأر ، يورث النسيان على ما يقال[6] .

وأنشدني لنفسه في الهجو :

ألا قبّح الله هذي الوجوه ... وبدّلها[7] غيرها أوجها

فلا أفقها مُؤذِنٌ بالندى ... ولا بالعُلى مؤذِنٌ أوجها[8]

وأنشدني لنفسه في الغزل :

بنفسي كُلُومٌ من هواك أليمة ... وأخفي الذي بي في الهوى وأكاتم

ولي في الرّضا والسخط عندك ، فاعلمي

شفيعان : . . . قائمٌ ، ودراهمُ !

---

(١) اللوثة : الحماقة ، وضعف العقل .

(٢) ط : « عصره » .

(٣) من ط .

(٤) من ب ، وفي ط : « كثيراً » مجرده من « ما » !

(٥) ط : « نفسه » .

(٦) ط : « على ماقال » .

(٧) ط : « وبدّلنا » ، ب : « وأبدلنا » .

(٨) الأوج : العلو .

وأنشدني لنفسه في ابن دينار ، كاتب منثر الوزير في محرم سنة إحدى وستين ، [وكان أحاله عليه فمطله][1] :

مولاي في منثركم كاتبٌ   يزيد في ظلميَ إفراطا

مضيع للمال لكنّه   أضحى على شؤميَ محتاطا

ظنَّ أباه من عطاياك لي   فليس يعطيني قيراطا

وأنشدني لنفسه في الأديب مُفلح[2] أيضاً حيث مطله — وكان[3] هو عامل المنثر — يخاطب حاجب[4] الوزير :

قل لابن تركان[5] حليف الندى :   جواهري في النظم لم تثقّب

والقول يا مولاي لو رُمتَهُ   عند وزير العصر لم يصعب

[مولاي يامن برّه عاجل   ليس بمجنوب ولا متعب[6]]

مفلحُ عُرقوب[7] ولكنني   أطمع في برّك من أشعب[8]

---

(١) الزيادة من ط .

(٢) هو أبو المظفر مفلح بن علي الأنباري من شعراء الدولة المستنجدية ، وقد مدح المقتفي أيضاً . ذكر أنه من بني كلاب بن ربيعة ، وكان خصيصاً بالوزير عون الدين بن هبيرة المترجم في (ص ٩٦ـ١٠٠) من هذا الكتاب ، يصلي به في السفر والحضر ، ويتولى له أخذ الزكاة من غنم الخالدية ، وهو عامل المنثر ، وأكثر شعره فيه . فلما توفي الوزير ونكب جماعته ، رقي عنه أنه نظم شعراً يعرض فيه ببعض الصدور ، فأخذ وحبس في حبس الجرائم وعوقب مراراً ، وأخرج ميتاً بعد سنة من حبسه يوم الاثنين ثاني عشر شعبان سنة ٥٦١ هـ . كان أديباً فصيح اللهجة ، مليح العبارة ، يتبادى في انشاده وايراده ويسلك أسلوب العرب . (الخريدة : نسخة باريس المصورة ، الورقة ١٣٢ و ١٣٣ ، ونسخة الفاتيكان المصورة ، الورقة ٩٢ ـ ٩٥) .

(٣) « كان » : لم يرد في ط .

(٤) ط : « صاحب » ، وقد نص في ترجمته في الخريدة أنه كان « حاجب الوزير » كما سيأتي .

(٥) شمس المعالي أبو الفضائل محمد بن الحسين بن تركان من أكابر أهل واسط ، كان حاجب الوزير عون الدين ، والوزير يصدر عن رأيه ويأخذ بقوله ويعتمد عليه في جميع أنحائه . فلما توفي الوزير ، حبس ومات في الحبس بالضرب سنة ٥٦٠ هـ . وله نظم رشيق أورد العماد قطعة منه في ترجمته في الالغاز بالخيش في أولها وبالكانون في آخرها (أنظر نسخة باريس ، الورقة ١٦٧ و ١٦٨ ، ونسخة الفاتيكان ، الورقة ١٥٧ و ١٥٨) .

(٦) البيت من ط .

(٧) عرقوب : رجل كان كذوباً ، يعد ولا يفي ، يضرب به المثل في المطل والخلف .

(٨) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، وكان شديد الطمع يضرب به المثل في ذلك .

يقول مَن لاقينا هازئاً : هذا جَدْيٌ ممتنع المطلب

واعجباً من جرذِ شاعرٍ مُحالٍ بالبرّ على ثعلب(١) !

وأنشدني له أيضاً في نائب الوزير بسبب إحالته [على](٢) المدبّر ، وكان قد دافعه :

ياسيّدي والطالب الغالب قد وقع الأص على النائب(٣)

ولست أهجو مفلحاً بعدها قد صحّ أنّ الذنب للنائب

وأنشدني لنفسه في ابن تركان :

يا ابن تركان لن يدومَ سوى الله بعلي ، وكلُّ همٍّ يزولُ

كلُّ حيّ ، وإنْ تمادى به العمـ ـرُ طويلاً ، الى المهات يؤول

وأنشدني لنفسه في بعض الوزراء :

يا سيّد الوزراء ، عبدكَ لم يزل يرجو العلوّ لظلّك الممدود

فعلامَ ذِيدَ ، والعفاة(٤) مناهلٌ من حوضك المتلاطم المورود ؟

أتَلَّ الكنائنَ للنضال ذيادهُ عنكم فأصمى عرضَ كلّ حسود(٥)

وغدا يهذّ(٦) من المديح قصائداً تزهى الى إحسان كلّ قصيد

وبكلّ عافيةٍ يروح ويغتدي من ربّه لكن بغير تزيد

وأنشدني في ذم الغيم لنفسه(٧) :

ما أقبح الغيمَ ولو أنّهُ يُمطرنا دُرّاً وياقوتا !

فكيف والآفاق(٨) مغبرّةٌ شوهاء لا ماءً ولا قوتا ؟

---

(١) ط : « الثعلب » .

(٢) من ط ، وهي لازمة .

(٣) ط : « التائب » .

(٤) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف .

(٥) الكنائن : جمع الكنانة : وهي وعاء النبل تتخذ من الأدم . وتلها : نثر نبلها . وأصمى الصائد الطير : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) ل : « يهد » ، ط : « يهز » ، ونرى أن رواية ل مصحفة عن يهذّ كما أثبتناها ، والهذ : السرد ، يقال : هذ الحديث يهذه هذاً اذا سرده .

(٧) « لنفسه » وردت في ط بعد قوله : « وأنشدني » .

(٨) ط : « الأرضون » .

وأنشدني لنفسه في واسط[1]، ويذكر مخالطة النسيم روائح السحاء[2]، وفيه نوع تحميض[3]:

لله واسط ! ما أشهى المقام بها … الى فؤادي وأحلاه إذا ذكرا!
لاعيب فيها ـ ولله الكمال ـ سوى … أنّ النسيم بها يفسو إذا خطرا[4]

وأنشدني لنفسه[5]:

تفضُ الأتراب عقوقٌ من منا كبنا … لأنه تسبُ الآباء في القِدَمِ

وأنشدني [لنفسه[6]] في امرأة له[7] بذلت نفسها لغيره، وتمنّت[8] عليه، وقد لبست على أبيها ثياب سواد[9]:

قلتُ لها إذْ أقبلتْ … في محاسنة كالسبج[10]
ومنظرٍ يسبي العقو … ل لحظه بالغنج
تضايقي تضايقي … لابدَّ أنْ تنفرجي!

أبو سعد ابن المطلب

أبو سَعْد محمَّد بن عليّ بن عبد[11] المطَّلب

كان في عهد الوزير[12] ابن المطَّلب، وزير الامام المستظهر[13] ـ رضي الله عنه ـ

---

(1) واسط : أنظرها في (ص ٣٩ ر ٥).
(2) ط : «السحناء»، ولعل الصواب : « السماد »، فتأمل.
(3) ل : «تحميص»، وهي في ط على وجه الصواب كما أثبتناها. والتحميض : الاحماض، وهو الأخذ في ملح الكلام والحكايات، والانتقال من الجد الى الهزل.
(4) نسبها ياقوت في معجم البلدان (٨/٣٨٤) الى ابنه محمد، وظن أنه هو الملقب بالبرد.
(5) ط : « له ».
(6) الزيادة من ط.
(7) « له » : زائدة، ولم ترد في ط.
(8) : « ثم تمنت ».
(9) « وقد لبست على أبيها ثياب سواد ».
(10) السبج : الخرز الأسود، فارسي معرب.
(11) «عبد». لم ترد في ط.
(12) «الوزير» : لم ترد في ط.
(13) المستظهر بالله : تقدمت ترجمته في (ص ٢٦ ـ ٢٩).

[متصرفاً(١)]. وكان هجّاماً على الهجاء وثلب الكُبَراء.

لـــــه :

عُزِلتُ وما خُنْتُ فيما وليـ ... ـتُ وغيري يخون ولا يُعزَلُ
فهذا يدلُّ على أنَّ مَن ... يولّي ويعزل لا يعقـــل

وله في الهجو السخيف :

... حتى يســيل فوه ... ويدّعي أ[ــــ]ـه ...
نــــلانة حبّبت إليـــه ... التيـــه ، والعجبُ ، والدّقوط
تراه في الدّست مثـــل ميت ... ذرّ على وجهه الحنوط (٢)

وأنشدني مجد الدّين ابن المطلب بدمشق لأبي محمد ابن المطلب :

تنانيركم للنّمل فيها مدارجُ ... وفي قدركم للعنكبوت مناسجُ
وعندكم للضّيف يوم يزوركم ... حوالاتُ سوءٍ كلها وسفاتج (٣)
اذا سهل الاذن العسير ورفعت (٤) ... ستورك(٥) فانظرني بما أنا خارج
وسيّان بيت العنكبوت وجوسق (٥) ... منيف اذا لم تقض فيه حوائج (٦)

---

(١) الزيادة من ط .

(٢) الدست : المجلس ، وصدر البيت . والحنوط : أدوية تمنع الفساد تحشى بها جثة الميت بعد تجويفها .

(٣) السفاتج : جمع سفتجه (بضم السين): معرب سفته ، قيل في تفسيرها : هي أن يعطى الرجل مالا لآخر وللآخر مال في بلد المعطى ، فيوفيه اياه هناك ، فيستفيد أمن الطريق . وقيل : هي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قراضاً يأمن به من خطر الطريق ، معرب سفته ـ « تاج العروس » .

(٤) ط : « ورقمت » بالقاف ، وليست بصحيحة .

(٥) ل : «ستورات» ، وتصحيحها من ط .

(٦) الجوسق : القصر . والمنيف : المرتفع المشرف ، والسامي .

(٧) ط : « الموائج » .

بهاء الدين كافي الدولة ابن حمدون الكاتب (١)

كان(٢) عارض العسكر المقتفويّ . ثم صار صاحب ديوان الزمام(٣) المستنجديّ . وهو كلف باقتناء الحمد ، وابتناء المجد . وفيه فضل ونبل ، وله على أهل الأدب ظل . وألف كتاباً كبيراً سمّاه «التذكرة» ، وجمع فيه الغثّ والسمين والمعرفة والنكرة(٤) ، فوقف الامام المستنجد(٥) على حكايات ذكرها نقلاً من التواريخ توهم في الدولة غضاضة ، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها غراضة(٦) ، فأخذ من دست منصبه وحبس ، ولم يزل في نصبه الى أن رُمس . وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمس مئة .

وأنشدني لنفسه في مروحة الخيش(٧) ملغزاً :

ومرسلة معقولة(٨) دون قصدها ... مقيدة تجري حبيس طليقها
تمرّ خفيف(٩) الريح وهي مقيمة ... وتسري وقد سُدّت عليها طريقها
لها من سليمان النبي وراثة ... وقد ضربت الى(١٠) النبيط عروقها

(١) هو أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي ، وبهاء الدين كافي الدولة لقبه . كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرئاسة والفضل هو وأبوه وأخواه . ولد سنة ٤٩٥هـ وتوفي محبوساً سنة ٥٦٢هـ ودفن في مقابر قريش ببغداد . أنظر وفيات الأعيان (٢/٥١٦) ، والمنتظم (١٠/٢٢٩) والكامل (١١/١٣٣) وهو فيه « محمد بن الحسين بن حمدون » ، والبداية والنهاية (١٢/٢٥٣) والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد (ص٣٣) .

(٢) ل : « كانت » ، وهو على الصحة في ط .

(٣) ديوان الزمام : أنظر الحاشية ٥ في ص ١٢٥ .

(٤) قلت : وأثنى عليه ابن خلكان فقال : « هو من أحسن المجاميع ، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار ، ولم يجمع أحد من المتأخرين مثله . وهو مشهور بأيدي الناس ، كثير الوجود . وهو من الكتب الممتعة » وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م .

(٥) المستنجد : تقدمت ترجمته في (ص١٧–٢٢) .

(٦) ط : «ويعتقد للقدح فيها غراضة» . ولعل أصل «غراضة» بالعين المهملة ، وهي العارضة .

(٧) الخيش : نسيج من مشاقة الكتان غليظ الخيوط متخلخل النسج . وكان أهل العراق يتخذون منه مراوح يعلقونها في سقوف البيوت ، ويشدونها في حبال يحركونها بها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحر .

(٨) في وفيات الأعيان « معقودة » .

(٩) في وفيات الأعيان « حنيف » بالحاء المهملة .

(١٠) في وفيات الأعيان : « وقد عزيت نحو . . . »

إذا صدق النوءُ السماكيّ (١) أمحلت ... وتمطرُ والجوزاء ذاكِ (٢) حريقها
تحيّتها إحدى الطبائع ، إنّها ... لذلك كانت كلّ روح صديقها

وقال :

وحاشا (٣) معاليك أنْ يُستزادَ (٤) ... وحاشا نوالك أن يقتضى (٥)
ولكنّما أستزيد الحظوظَ ... وإنْ أمرتني النهى بالرّضى

وقال :

يا خفيف الرأس والعقلِ معاً ... وثقيلَ الروح أيضاً والبدنْ
تدّعي أنّك مثلي طيّبٌ ... طيّبٌ أنت ولكنْ باللبن ! (٦)

أبو المظفر ابن السبيّ (٧)

أبو المظفر ابن السبي

الملقب عزّ الدولة ، من أهل بغداد وأعيانها . كان شاباً ظريفاً ، متودّداً لطيفاً ، ذا كياسة ، ورياسة ونفاسة ، مِلء الفضائل ، حلو الشمائل ، حسن البهجة ، لسن اللهجة .

---

(١) أنظر الحاشية ٣ في ص (١٧٥) .

(٢) في وفيات الأعيان : « دال » ، وهي تحريف .

(٣) ل : « حاشا » من غير واو ، وهي على الصحة في وفيات الأعيان .

(٤) في وفيات الأعيان : « تستزاد » . (٥) ط : « يقضا » .

(٦) ط : « بلبن » ، ومثلها في وفيات الأعيان .

(٧) ل : « الشبي » ، ط : « السبتي » ، وفي مجمع الآداب لابن الفوطي (الورقة ٦ من المخطوطة المصورة في خزانة المجمع العلمي العراقي) : « السبي » ، قال : « عز الدولة أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالوهاب السبي ناظر توسان (كذا وصوابها قوسان) . ذكره الحافظ محب الدين أبو عبدالله بن النجار في تأريخه وقال : ولي النظر في أعمال قوسان ، وتقدم عليه . وذكره عماد بن الأصفهاني الكاتب في كتاب خريدة القصر ، وأنشد له : يا ناجياً ... (الأبيات الأربعة) ، وقطعت يده ورجله ، وحمل الى البيمارستان فمات في صفر سنة خمس وستين وخمس مئة » .

وآل السبي مشهورون في العصر العباسي ، ينسبون الى السيب . والسيب يطلق على نهر بخوارزم ، ونهر بالبصرة عليه قرية كبيرة ، وآخر في ذنابة الفرات بقرب الحلة وعليه بلد ، وهم من هذا ، واشتهر منهم هبة الله بن عبدالله مؤدب المقتدر بالله وقيل المقتدي بالله ، وأبو البركات أحمد بن عبدالوهاب السيبي مؤدب المقتفي لأمر الله ، وجماعة آخرون من حفدته ذكروا في تاج العروس (١/٣٠٥) وطبقات الشافعية ، والمنتظم ، والكامل ، والبداية والنهاية ، وغيرها ، وقد حرفت نسبتهم في معظم هذه الأمهات .

ناب ابن البلدي [١] في وزارته بوزر [٢] دمه . وتوصّل في قطع يده وقدمه ، وذلك في آخر [٣] سنة خمس وستين وخمس مئة . ولم يمض شهران حتى انقضت أيام المستنجد . وفتك بالوزير المتولد ، ولم يتم ثأره ، حتى ظهرت في تبديل الدولة آثاره .

ومن نظمه السلس ، وهو أرقّ من النفس ، ويغنّى به :

يا ناجياً من عذاب قلبي   وسالماً من رسيس وَجدي [٤]
لا تتقرب الى ثيابي   فإنّ داء الغرام يُعدي
زعم أنّ الفؤاد عندي   لو كنتَ عندي لكان عندي
قد غيّر الدهر كلّ شيء   سوى جفاكم وحسن عهدي

ولـه :

أصدكمُ من لوعتي وشجوني   ونار أسى بين الضلوع دفينِ
وبرح جوى [٦] لم يُبق مني بقية   سوى حركات [٧] تارةً وسكونِ
سهرنا بنعمان وتمتم ببابلٍ   فيا لعيونٍ ما وفت [٨] لعيون !
أكاذب سمعي عن أحاديث غدركم   وأعرفها عن صحةٍ ويقين
ألا مخبرٌ عني قلوباً أبية   يقول لها : كم ذي القساوة ؟ لِيني !

---

(١) ابن البلدي : في الفخري : « شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح ابن البلدي » ، وفي الكامل : « شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي » . استوزره المستنجد بالله سنة ٥٦٣ هـ ، وكان من قبل ناظراً بواسط ، وضربت عنقه في اليوم الثاني من مبايعة المستضيء ثم سحب وألقي في دجلة ، وذلك في ٩ ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ ، وأخباره في الكامل (١١/١٣٤ و ١٤٥ وما بعدها) ، والفخري (٢٨٢) ، والمنتظم (١٠/٢٢٢ و ٢٣٣) ، ومرآة الزمان (٨/ ٢٧١) ، والبداية والنهاية (١٢/٢٥٤) .

(٢) « بوزر » : سقطت من ط .

(٣) ط : « أواخر » .

(٤) الرسيس من الهوى : أصله وابتداؤه . والوجد : شدة الحب .

(٥) ط : « غير » .

(٦) ط : « أسى » . والبرح : هو الشدة . والجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(٧) ل : « حركاتي » بالاضافة الى الياء .

(٨) ل : « وأوفت » ، والتصحيح من ط .

الأجلّ سعد الدين

أبو عبد الله الحسين بن شَبيب الطيبيّ . ولد بالطِّيب [1] ، وسكن بغداد ، وخصّ بأمير المؤمنين المستنجد [2] ، وولاّه إشراف المخزن ، وأحلّه محلّ أمينه المؤتمن ، وخفّ على قلبه ، وجُنّ بحبّه [3] ، وصار له بمنزلة النديم [السمير [4]] ، وحصل من أثرته بالمقام الأثير . وكان يداعبه ويصحف عليه في خطابه ، ويستدعي منه تصحيف جوابه [5] . فمن ذلك أنّه أقبل يوماً ، فقال له الخليفة : ابن شئيت ؟ فقال في الحال : عندك ، يعني ابن شبيب ، فقال هو : عبدك [6] .

وله نظم رائق ، بالإحسان لائق . واتّفق له هذا البيت في المستنجد من قصيدة :

أصبحتَ (لبّ) بني العبّاس كلّهم — إنْ عُدّدَتْ بحروف الجُمَّل الخلفا [8]

والمستنجد : هو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العبّاس ، و (لبّ) : اثنان وثلاثون بحساب الجُمَّل [8] .

واتّفق للقاضي أبي بكر الأرّجانيّ [9] في المسترشد [10] ، وكان التاسع والعشرين من

---

(1) الطيب : في اللباب (٢/٩٧) هي بلدة بين « وفي المطبوع (من) وهو خطأ » واسط وكور الأهواز ، ينسب اليها جماعة . وفي معجم البلدان (٦/٧٦) : بليدة بين واسط وخوزستان ، وأهلها نبط الى الآن ، ولغتهم نبطية .

(2) تقدمت ترجمته في (ص ١٨ وما بعدها) .

(3) ط : « وصي بحبه » .

(4) الزيادة من ط .

(5) « ويستدعي منه تصحيف جوابه » : هذه الجملة لم ترد في ط .

(6) يريد : يعني الخليفة بابن شئيت ابن شبيب ، فرد عليه ابن شبيب : أن نعم ، عبدك !

(7) زادت ط بيتاً قبل هذا البيت ، هو :

أنت الامام الذي يحكي بسيرته — من ناب بعد رسول الله أو خلفا

(8) حساب الجمل : الجمل بوزن سكر . وهي الحروف المقطعة على أبي جاد ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً ، وقد يخفف ، قاله بعضهم . قال ابن دريد : ولست منه على ثقة . وفي طريقة حسابه كلام راجعه في تعليقاتي على كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم (ص ٥ وما بعدها) طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٦٩=١٩٥٠ .

(9) راجع ترجمته في (ص ١٤١ و ٥) .

(10) تقدمت ترجمته في (ص ٢٩ وما بعدها) .

خلفاء بني العبّاس ، وقد عدّهم في قصيدة [1] وقال :

خلائف نظموا في سِلك دهرهم ... ونورُ وجهك منهم في المتون سرى

عشرون تتبعها منهم ثمانيـــةٌ ... كانوا المنازلَ والمسترشدُ القمرا [2]

ابن شبيب ، حلو التشبيب ، ورقيق النسيب . وله أشعار تخجل الدرّ منظوماً ، والوشيَ مرقوماً ، والروضَ ناظراً ، والبدرَ زاهراً .

ومن جملة شعره السائر ، ولفظه الساحر ، قصيدةٌ له يستطرد فيها بمؤذّن يعرف بعبّاس ، جَهِير [3] الصوت ، كان يصل صوته الى أقاصي المحالّ ببغدادَ وقت الصباح :

وشى بالصبح عبّـاس ... وثوبُ الليل أدراس [4]

ومنها :

وقـد مجّ فم الأبر ... يق مما قبّله الكاس [5]

ويقول في آخرها [6] :

فما أطيب ليلَ الوصـ ... ـل لو يخرس عباس !

وله قصيدة في الإمام المستنجد [7] أوّلها :

إذا حلّ تشرينُ فاحلل أُوانا [8] ... فإنّ لكلّ سرورٍ أوانا

---

(١) ديوان الأرجاني (ص ٢٠٥) طبعـة بيروت ، سنة ١٣٠٧ هـ . وعدة أبيات القصيـدة فيه (٤٦ بيتاً) ، ومطلعها :

أما الغزال الذي أهوى فقد هجرا ... ان عاد روض شبابي مبدياً زهرا

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوان الأرجاني .

(٣) ط : « جهير » ، وكلاهما واحد ، وهو البين الجهارة ، والجهارة ارتفاع الصوت وعلوه .

(٤) أدراس : خلق بال .

(٥) ط : وقـد ضـج فم الابريـ ... ـق مما مجت الـكاس

والـكاس : مخفف الـكأس ، مؤنثة ، وتذكيرها في كلام العرب قليل .

(٦) هذه الجملة لم ترد في ط .

(٧) المستنجد : تقدمت ترجمته في (ص ١٢ — ٢٢) .

(٨) أوانا : (كسكارى) على ما في القاموس ، والفتح على ما في معجم البلدان واللباب ، وهي بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة ، من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، =

وله من قصيدة في الإمام المستضيء [1]:

سرى، والدّجى تصبي غدائره الجُونُ، [2] نسيمٌ على سرّ الأحبة مأمونُ

وما استيقظ الواشون إلا بنشره فقالوا، وما قالوه وهمٌ ومظنونُ

وبحر الهوى طامي الغوارب مزبدٌ مخيف [3]، وفلكي بالصبابات مشحونُ

إذا جاد فالبحران جرعة شاربٍ وإن زاد فالسبعُ الأقاليم ماعونُ

ومنها:

فأنقذ مصراً من يدَيْ كلّ كافرٍ لنعماه، لا عقل لديه ولا دينُ

إذا ما أراد الله إهباطَ دولةٍ تبيذقَ منها في الدُّسوتِ الفرازينُ [4]

ولمّا مضى فِرْعَوْنُها فرْعَوْنُها وأدركها موسى الكليمُ وهارونُ

وقد بقيت في نفس يعقوبَ حاجة الى سيفك الماضي هي الغرب والصينُ

فسوتم ولنتم غِلظةً وتعطّفاً وفي جانب الله القساوةُ واللينُ

وله من قصيدة فيه:

فمن ذا يبلغ أهل الغرام بهذا العجيب الذي قد بدَرْ؟

فإنّيَ قد رَقّ لي من فسا فمن شاء سرّ ومَنْ شاء بَرّ [5]

وما [6] بعد ذلك من غاية اذا شهد القلب غاب النظر

= وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلعاء في أشعارهم، وينسب اليها قوم من أهل العلم، أنظر معجم البلدان (١/٣٦٦) وتاج العروس (٩/١٣٣) واللباب (١/٧٤).

(١) المستضيء: تقدمت ترجمته في (ص ٩ — ١٨).

(٢) الجون (بضم الجيم): جمع الجون (بفتحها) وهو هنا الأسود. (٣) ط: «مخوف».

(٤) تبيذق: صار بيذقاً، والبيذق — وجمعه بياذق وبياذقة — الراجل. وهو فارسي معرب. ومنه الكلمة العامية «بياده». والفرازين: جمع فرزان، معرب فرزين بفتح الفاء، قال الزبيدي في تاج العروس: وهو بمنزلة الوزير للسلطان. واللفظان من اصطلاح الشطرنج. والدسوت: جمع دست، قال الخفاجي في شفاء الغليل (ص ٨٥): استعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرئاسة.

(٥) ط: «فمن ساء يسر ومن عق بر»، ووزنه لا يستقيم الا بقصر «ساء». أما معناه فكما تراه!

(٦) ط: «ومن»، وهي تحريف.

وله يهنّئ الإمام المستضيء بأمر الله بالخلافة ، ويذكر الخِلَع التي أفاضها على أرباب دولته ، ومتقدّمي جنده وخاصته ، ووجوه الناس من رعيته . وكان رسم له في أيام والده المستنجد أن ينظم أبياتاً على وزن أبيات ابن الحجّاج (١) التي أوّلها :

(يا دار يا دار الوزير النّاصح (٢))

أمسى بخير في حمــاه وأنعمٍ ... ما دام يبقى في الصّباح (٣) الصّالح

وفي هذه الأبيات صوت (٤) يعرف بالصّباح (٥) الصالح . فتأخر عملها الى حين تولّى الخلافة ، فقال يمدحه على الوزن والرويّ :

بكر الغمام لها بدمعٍ سافحِ ... طرباً الى نغم الحمام الصّادحِ

وتنبّــه النّوّار (٦) في جنباتها ... سحراً لدغدغة النسيم المازحِ

بالغ في وصف النّسيم باللطف بتشبيهه (٧) بالمازح ، وتشبيه مروره المنبّه بالدغدغة ، فأحسن (٨) في الاستعارة . (٩)

وأفترّ ثغرُ الأقحوانة ضاحكاً ... لمّا نحته (١٠) يدُ السحابِ الدّالحِ (١١)

---

(١) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحجاج ، من شعراء بغداد في القرن الرابع الهجري ، اشتهر بالمجون والهزل والرفث والنوادر ، توفي سنة ٣٩١ هـ . وهو قرن أبي الحسن محمد بن عبدالله بن سكرة الهاشمي العباسي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ في الطنز والمجون ، وكان يقال ببغداد فيهما : « ان زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جداً » . قال الثعالبي : وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وفي يتيمة الدهر نماذج من ملحه الخالية من الفحش المفرط . وفي خزانة كتب الأوقاف ببغداد قطعة من ديوانه . أنظر أخباره في يتيمة الدهر (٣/٢٥) ، وشذرات الذهب (٣/١٣٦) ، والبداية والنهاية (١١/٣٢٩) ، والنجوم الزاهرة (٤/٢٠٤) ، والمنتظم (٧/٢١٦) ، ومعاهد التنصيص (٢/٦٢) ، ودائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية ـ (١/١٣٠) .

(٢) زيد بعد هذا الشطر في ط كلمة : « ومنها » .

(٣) ط : « بالصياح » بالياء المثناة ، وهو تصحيف .

(٤) ط : « صوت غناء » بزيادة المضاف اليه وإهمال غينه .

(٥) ط : « بالصياح » .

(٦) النوار (كرمان) : النور ، أي الزهر الأبيض .

(٧) ط : « بتسميته » .

(٨) ط : « وأحسن » .

(٩) زادت ط هنا : « منها » .

(١٠) ط : « جنت » من غير هاء ، والوزن يطلبها . (١١) الدالح : السحاب الكثير الماء .

ووشى بها ووشت به أنوارها[١] | يا حبذا نفس الكتوم البائح
وتسلسلت رُقشُ الجداول، وانثنت | تستنُّ بين أراكها المتناوح[٢]
تجري وتجري الريحُ بين غصونها | فتميل من راحٍ وطيبِ روائح
فإذا أعير بديعه من روضها | طرفاً، أقام بها، فليس ببارح
خلعَ الربيع على الرُّبا لما انقضى | وشْياً، وضمخها بمسك نافح
خِلع الإمام المستضيء، فإنها | عظمت وجلّت عن بلاغة شارح
سفرت لنا من[٣] طيبها أيامه | عن وجه معشوق الدلال مسامح
عاد الزمان به الى رُبعانه | بعد ارتداد مفارق ومسايح
رُفعت لنا عنه السجوف، فلاح لي | كالبدر سُلّ عن[٤] السحاب الرائح
فتبادروا لثمَ الصعيد، وبايعوا[٥] | طوعاً لمجتهدٍ تقيٍّ صالح
يا صاحب الدعوى العريضة، إنه | صبٌّ الى ضوء الصباح الصابح[٦]
ما بعدها لمؤمّلٍ من غايةٍ | هذا أمير المؤمنين، فصافح!
هذا الذي عادت بسنّة عدله | سُنَنُ النبيّ الى الطريق الواضح
فخراً، بني العبّاس، إنّ لبيتكم | شرفاً يُنيفُ على السماك الرامح[٧]
ما ذا يقول الجاحدون لفضلكم؟ | علت المجرةُ[٨] عن عواء النابح!

---

(١) ط: «أزهارها».
(٢) الرقش: جمع رقشاء، وهي الحية المنقطة بسواد وبياض، شبه بها التواء الجداول. تستن الماء: تنصب. الأراك: شجر يستاك بفروعه. المتناوح: المتقابل.
(٣) ل: «عن»، ط: «في».
(٤) ط: «على».
(٥) ل: «وباعوا»، والتصحيح من ط.
(٦) ط: «الصالح».
(٧) السماكان: نجمان نيران، يقال للواحد السماك الرامح، وللآخر السماك الأعزل.
(٨) المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء.

وبفضلكم نطق الكتاب مفصّلاً ... أفكيفَ يبلغه فصاحة مادح ؟
يا سعد أخبية الذين تحمّلوا ... سَعد السعود خِلاف سَعد الذابح (١)

يشير الى والده المستنجد ، ويقول : إنّ زمان هذا السخيّ الرحيم السهل الجانب ، خير من زمان أبيه (٢) الحازم ، الشديد السطوة ، الصعب الشكيمة .

جاءتك تخطبكَ الخلافة كفوها ... فأستجلها عفواً بغير مشايح (٣)
وأفِضْ على عطش البرايا رحمةً ... سيباً كمنهلّ الغمام السافح (٤)
وأنشر رداء العدل في أقطارها ... تنجُ البغاثُ (٥) من أختطاف الجارح
وأستدركِ الأرماقَ (٦) منك بنظرةٍ ... تخلصْ بها من كلّ خطبٍ فادح
ولقد تجنبها الزمانُ ، فأحيها ... عدلاً يقرّبُ بالبعيد النازح

وقال يمدحه قبل إفضاء الخلافة (٧) إليه :

أوحى فِراقُ المنجدِ (٨) ... فالصبرُ غير مُنجدِ (٩)
قالوا : غداً فراقُهم ... لجاء قبل الموعـدِ
بحتُ بما ألقاه لمّـ ... ـا زاد عن تجلّدي
وشـفّني طول الضنى ... حتى تلاشى جسدي
لولا الأنينُ لخفيـ ... ـتُ عن عيون العُوَّدِ (١٠)

---

(١) سعد الأخبية ، وسعد السعود ، وسعد الذابح : من منازل القمر .
(٢) ط : « .. ويقول : أين زمان هذا السخي الرحيم السهل الجناب من منازل أبيه ..؟ »
(٣) في هامش ط : « المشايح ها هنا المنافس » .
(٤) السيب : العطاء .
(٥) البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقيل غير ذلك .
(٦) الأرماق : جمع رمق ، وهو بقية الحياة .
(٧) ط : « اتصال » ، وهو تحريف .
(٨) المنجد : الذي أتى نجداً ، أو أخذ في بلاد نجد .
(٩) منجد : معين .
(١٠) ط : « العوّد » ، وهي أنسب بالمقام .

يا صاحبيَّ ، اْستمعا   ما لم يُدَرْ في خَلَدِ[1]

ألفُ مريضٍ عُللوا   رُمّانةً في بَلدِ

فما تَرى بناظرٍ   ولا تُنالُ بيدِ

عزَّ الذي تبغي ، فقد   عزَّ وجودُ المسعدِ

ســـق حُمولَ الظاعنـ   ـين كلِّ جَونٍ[2] مُرْعدِ

ولا عَدَتْهم روضةٌ   أزهارُها كالعسجدِ

نرجسُها مُركّبٌ   في قُضُبِ الزُّمرُّدِ

كأنما مرَّ بها الـ   ـمولى أبو محمدِ

وجادَها بنانُه   بسائحٍ مُطّردِ

يلبسُ إنْ جمَّشه[3] الر   يعِ صنوفَ الزَّرَدِ

فتارةً صفيحةً   وتارةً كالمبرَدِ

تَسري إلينا جُودُهُ   من غير ضَربِ مَوعدِ

وشِمْتُ[4] من أخلاقه   شمائلَ التفرُّدِ

ودلَّ حُسنُ بِشرهِ   على كريم المحتِدِ

للهِ منه ساعةٌ   مسعودةٌ في مولدي !

قبّلتُ ظهرَ كفّه   فيها بغير عددِ

وافترَّ لي حين بدا   ثغرُ الزمان الأغيدِ[5]

---

(١) ط : « خلدي » ، والأصل أقوم .

(٢) الجون : السحاب الأبيض والأسود ، ضد .

(٣) ل ، ط : « جشمه » ولا معنى له هنا ، والصحيح ما أثبتناه ، يقال : جمش الجارية وجمشها (بالتضعيف) اذا غازلها ولاعبها .

(٤) ل : « وحمت » ، والصحيح ما أثبتناه عن ط . ومعنى « شمت » أبصرت ، وهو خاص بالسحاب ، ولكنهم توسعوا في استعماله .

(٥) الأغيد : اللين الناعم .

وردّني إلى الشبا … ب والنعيم الأرغد

ودبّ من ألفاظه … سكر الصبا في جسدي

فمن عجيب ما جرى … أنّيَ لم أعربدِ

يقول: إنّه في بعض خرجات[1] المستنجد بالله الى الصيد[2]، أدناني من خدمته، وأعطاني يده فقبلتها، ولطف بي، وحادثني ساعة.

يا من أرجّيه على الدهرِ ليومي وغدي

ومن أفدّيه بذ … ل النفس لا بالصفَدِ[3]

صخ الى شعري الذي … يبقى بقاء المسنَدِ[4]

بكم عُرفتُ والسهى … معرّفٌ بالفرقدِ[5]

دام عليكم ظلّ مو … لانا الامام الأمجدِ

العالم الحَبر المليـ … ـك القائم المستنجدِ

نابَ عن الله وعن … شرعِ النبيّ أحمدِ

به حمدنا زمنا … من قبله لم يُحمدِ

فجدّدت أيامه … في صفو عيشٍ رغدِ[6]

وأسعد الدّين بن شبيب من قصيدة في المستنجد:

مستنجدٌ باللهِ مالكها … أمسى لأفلاك العُلى قُطبا

إنْ عدّد الخلفاء حاسبنا … ألفيتَه لجميعهم لُبّا

---

(١) ل: «حركات»، والتصحيح من ط. (٢) ط: «للصيد».

(٣) الصفد: العطاء، ومن أقوالهم: «الصفد صفد» أي العطاء قيد.

(٤) في هامش ط: «المسند: الدهر».

(٥) السهى: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى، وفي المثل: «أريها السهى وتريني القمر». والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وهما فرقدان.

(٦) عيش رغد بالسكون، ورغد بالتحريك، ورغيد: طيب واسع. وفي ط: «أرغد».

لأنّ المستنجد كان الثاني والثلاثين من خلفاء بني العبّاس ، و (لب) : في حساب الجُمّل اثنان وثلاثون [1] .

وأعاد المعنى في نظم آخر ، فلطّف [2] :

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته ... من ناب بعد رسول الله أو خلفا

أصبحت لبّ بني العبّاس كلّهم ... إنْ عُدّدت بحروف [3] الجُمّل الخلفا [4]

الأمير السيد عز الدين

الأمير السيد عزّ الدين

أبو الحسن عليّ بن المرتضى العلويّ . مولده ومنشؤه بغداد ، ووالداه من أصفهان . كان في خدمة الخاتون زوجة المقتفي [5] . وتفقّه ولده هذا وبرع على مذهب أبي حنيفة [6] ،

---

(١) أنظر (ص ١٨٧)

(٢) « فلطف » : لم ترد في ط . (٣) ط : « بحساب » .

(٤) أنظر (ص ١٨٧) .

(٥) المقتفي : تقدمت ترجمته في (ص ٣٤) .

(٦) هو النعمان بن ثابت ، إمام أصحاب أهل الرأي وفقيه أهل العراق وصاحب المذهب المقتفى به الآن في أكثر البلاد الاسلامية . ولد سنة ٨٠ هـ ونشأ بالكوفة ، وأخذ علمه عمن شاهد من الصحابة وتلامذتهم ، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن وأكثرهم ورعاً وتقوى وتوخياً للكسب من وجه حل ، آثر أن يعيش تاجر خز ، ورغب عن وظائف الخلفاء والملوك . عرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية ثم المنصور ، فأبى ، فضرب على ذلك وأوذي وسجن ، وكانت وفاته ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وينسب إليه من المؤلفات : الفقه الأكبر ، وكتاب الوصية ، ومسند أبي حنيفة .

ولعل تأريخ الفقه الإسلامي لم يعرف رجلاً كثر مادحوه وناقدوه ، كما كثرت التصانيف قديماً وحديثاً في أخباره وسيرته وعلمه ، كأبي حنيفة رضي الله عنه . وأخباره في تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٣٢٣ الى ٤٢٣) ، كتاب الرد على الخطيب للملك المعظم الأيوبي ، وفيات الأعيان (٢/١٦٣) ، النجوم الزاهرة (٢/١٢) ، دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية ـ (١/٢٣٠) ، إعلام الموقعين لابن القيم ، الميزان للشعراني ، مناقب أبي حنيفة للمكي ، الخيرات الحسان لابن حجر الهيتمي ، عقود الجمان والرد والانتصار لمذهب سيد فقهاء الأمصار : وكلاهما لمحمد بن يوسف الدمشقي الصالحي ، وهما في خزانة كتب الأوقاف ببغداد ، تبييض الصحيفة للسيوطي ، تجريد السنان لمحمود شكري الآلوسي « راجع كتابي أعلام العراق ١٤٢ » ، حياة الإمام أبي حنيفة للشيخ سيد عفيفي ، أبو حنيفة : حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه لمحمد أبي زهرة ، نظرة تأريخية في حدوث المذاهب الأربعة لأحمد تيمور . وفي كشف الظنون في (حرف الميم) أسماء الكتب التي ألفها أصحابه وغيرهم في مناقبه .

ووجد الكرامة الكثيرة (١) من الخليفة ، وأُهِّل للرتب الشريفة (٢) ، والمناصب المنيفة ، فلم يَمِل الاّ الى العلم ونَشره ، ولم يرغب إلاّ في الفقه المؤذن برفع قدره .

وله إلمام بنظم أبيات من الشعر ، تدل على إبرازه بالبرّ . وهو مدرس جامع السلطان (٣) بمدينة السلام ، مشتمل على الإفادة مشمول بالإكرام .

أنشدت له في سنة سبعين بالشام :

لا تحـــزنَنَّ لذاهبٍ   أبداً ، ولا تجزَعْ لِآتِ
واغْنَمْ لنفسك حظَّها   في الدين من قبل الفواتِ

وقوله :

صُن حاضرَ الوقتِ عن تضييعه ثقةً   ألاّ بقـــاءَ لمخلوقٍ على الدَّوم
وهَبْكَ أنّك باقٍ بعده أبداً   فلن يعودَ إلينا عينُ ذا اليوم

الأجلّ صفي الدين (٤)

الأجل صفي الدين

أبو القاسم عبد الله بن زعيم الدين صاحب المخزن يحيى بن جعفر (٥) . شاب شؤبوبُ خاطره دَفوق (٦) ، وشَبا قريحته ذَلوق (٧) . مشبوبُ الذكاء ، محبوب اللقاء ، مجبول من

---

(١) ط : « الكبيرة » .

(٢) ط : « وأهل الرتب الشريفة » ، وليس بشيء .

(٣) هو جامع السلطان ملكشاه السلجوقي ، بناه بالمخرم ببغداد سنة ٤٨٥ هـ وفي سنة وفاته . وقد تولى السلطان تقديره بنفسه ، وسوى قبلته جماعة من الرصديين ، وأشرف على ذلك قاضي القضاة أبو بكر الشامي ، وحملت أخشابه من جامع سر من رأى ، ولم يتممه ، فتمم عمارته بهروز الخادم في سنة ٥٢٤ هـ . أنظر بحثي « عناية ملوك العراق بالمساجد الجامعة » في « منبر الأبرار » جزء حزيران سنة ١٩٤٥ م .

(٤) ط : « فخر الدين » .

(٥) عن زعيم الدين أنظر زبدة النصرة (ص ٢٢١) ، والكامل (١٤٧/١١) ، والمنتظم (٢٥٦/١٠) .

(٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، ودفقه : صبه بشدة .

(٧) الشبا : جمع شباة ، وهي حد طرف الشيء ، والقريحة : الطبع . وسنان ذلق : قاطع ، ولسان ذلق وذليق : حديد فصيح .

الكرم والحياء ، مُتأدِّب مُتهذّب ، متحبّب الى الناس ، متجنّب للأُلتباس [1] . وهو البحر ابن الجعفر [2] ، والليث ابن القَسْوَر .

وله شعر يقطر منه ماء السلاسة ، ويُنشر به عَرْف الرياسة . وله في مدح الإمام المستضيء بأمر الله [3] يهنّيه بالخلافة ، في سنة ستّ وستّين وخمس مئة :

يا إماماً أولى الغنى	كلّ راجٍ ومُجتدِ
وكريماً أمــوالُهُ	للعطايا بمرصَـدِ
ومُطِلّاً على السّما	كِ [4] بمجدٍ مُوطَّدِ
ومَنــاراً به إذا	أظلمَ الخطبُ يهتدي
كم وكم كفَّ عدلُهُ	كفَّ طاغٍ ومُعتدِ
وبك اخضرّ ما ذَوى	من سَماحٍ وسُؤددِ
فأبقَ وٱسلَمْ ودُمْ كذا	أبدَ الدّهرِ وٱخلُدِ
وٱرقَ ما شئتَ آمناً	دَرَجَ العزّ وٱزْدَدِ
مُخلِقَ الدهرَ لابساً	ثوبَ سَعدٍ مُجدَّدِ
بعــلاءٍ مُجمّــعٍ	وثراءٍ مُبَــدَّدِ
وٱنتصارٍ على العِدى	وٱقتــدارٍ مؤيَّدِ
يا مُعيني على الزّما	نِ وكهفي ومُسعِدي
أنا عبدٌ جلا ندا	كَ صدا حظّيَ الصّدي
بك مدحي قد ٱغتدى	كالجُمانِ المُنضَّدِ [5]
في معاليك حقّقَ الـ	لهُ ظنّي ومَوْعدي
كنتُ أرجو لك الخلا	فةَ ، فٱسعَدْ بها ٱسعَدِ !

---

(١) ل : « الالتباس » ، والمثبت من ط . (٢) الجعفر : النهر الصغير .
(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٩ — ١٨) . (٤) أنظر (ص ١٧٥ ر ٣) .
(٥) الجمان : اللؤلؤ ، وهنوات من فضة أشكال اللؤلؤ .

ولهُ أيضاً فيه على وزنين وقافيتين :

جودُ الإمامِ المستضيء غمامةٌ للمجتدي تروى بها آمالُهُ
مُنحَ الورى منه بأبلجَ في الشدائد مُنجد [1] معـدومة أمثالُهُ
إنَّ الخليفةَ بالخليقة في المكارم تقتدي فـدليلها أفعالُهُ
وبجودهِ الحَيْرانُ منها في الثواب يهتدي فسراجها أفضالُهُ
وَرَدَ الرجاءُ به على أحلى مراشف مَزْرَدِ مُعذَوذبٍ سلسالُهُ [2]
قال السماحُ ، وقد حبا : أكرِمْ به من مُرفدِ مبـذولة أموالُهُ
أحيا مناقبَ جدِّهِ العبّاس عمِّ محمّـد فبذاك تمَّ جلالُهُ
خجِلَ الحَيا بسخائه متبرّعاً بندى يدِ [3] متتـابع تهطالُهُ
جود السحاب عناهُ والمستضيء بعسجدِ فأعتاقَه [4] إخجالُهُ
دانَ الزمان لفخره وماله من مجحدِ وعنت له أقيالُهُ [5]
وأمدّه الرحمانُ منه بناصرٍ ومسعّدِ وأطاعـه إقبالُهُ
وأجاب فيه دعاءَ قِنٍّ [6] مخلص متعبّدِ نطقت بذلك حالُهُ [7]

وقال أيضاً يمدحه ويهنئه بالخلافة :

قد أمَّنَ اللهُ ما كنّا نحاذِرُهُ بعدل مولى زكت منه عناصرُهُ
خليفةٌ عمَّ أهل الأرض قاطبةً جوداً ، وطبّقت الدنيا مآثرُهُ
واستبشرَ الدهرُ لمّا صار مالِكَهُ تمضي عليه بما يهوى أوامرُهُ

---

(١) منجد : معين .
(٢) المعذوذب : العذب ، من العذوبة والحلاوة ، وهو من أبنية المبالغة .
(٣) الحيا : المطر . والندى : الجود .
(٤) ط : « فأعاته » ، وهو خطأ . يقال : عاته وعوته واعتاته ، ولا يعرف « أعات » .
(٥) الأقيال : الملوك ، واحدها قيل ، وهو خاص بملوك اليمن ، ثم توسعوا في استعماله .
(٦) القن : عبد ملك هو وأبواه .
(٧) ط : « نطقت بذلك جلاله » ، وهو تحريف ظاهر .

أجرى الى العدل من سيل بمنحدرِ　　فيا له بحرَ جودٍ عبَّ زاخرُهُ !
ينهنهُ العلمُ منه غَرْبَ بادرةٍ　　وجودُهُ باقتناءِ الحمد آمِرُهُ (١)
فالله من غِيَرِ الأيام كالئُهُ　　بلطفه وعلى الأعداء ناصرُهُ
سمعاً إمامَ الهدى من عبد نعمتكم　　عبد صفت لكمُ منه سرائرُهُ
ما زال يأملُ هذا اليوم مبتهلاً　　لحينَ وافى وَفى بالنّذرِ ناذرُهُ
بسطت آمالَهُ من بعد (٢) ما قبضت　　فطار بالنُّجحِ في مَسعاه طائرُهُ
ولاؤكم يا بني العبّاس جُنّتُهُ　　وحبّكم أخلصت فيه ضمائرُهُ
غرستموه فأضحى مُخلِصاً لكمُ　　تجيد في شكر نعماكم خواطرُهُ
يا ابنَ الخلائف ، دُمْ واسلمْ ، وكن أملي (٣)　　بك هـــدى في ظلام الليل حائرُهُ
قد أحكمَ الله عقداً أنت عاقده　　وعزّ ملكك قد شُدّتْ مرائرُهُ

وقال يمدحه :

عدلُ الإمام المستضيءِ الحَسَنْ　　أجارَ من جَورِ صروفِ الزّمَنْ
كم من عيونٍ في الورى أُسهِرتْ　　بالجَورِ قد أهدى إليها الوَسَنْ
وطالما رُوّعَ قلبُ العُـــلى　　فالآنَ قد قرّبه واطمأنّْ
وأصبحت دولتُهُ روضـــةً　　زاهرةً تُذهِبُ عنّا الحَزَنْ
وطوّقَ الأعنـــاقَ معروفُهُ　　فينا بأطواق اللُّهى (٤) والمِنَنْ
ولو رأى إفضالَهُ حاتمٌ (٥)　　هـــامَ به من دَهَشٍ وافتتنْ

(١) ينهنه : يكف . الغرب : الحدة والنشاط . والبادرة : ما يبدر من الرجل عند غضبه من قول أو فعل .　　(٢) ل : « غير » ، والرواية المثبتة من ط .
(٣) ل : « ولي أمل » ، ط : « وكن أملي » وقد رجحنا ما أثبتناه .
(٤) اللهى : أنظرها في (ص ٧٤ ر ٤ ، وص ١١٥ ر ٦) .
(٥) حاتم الطائي الجواد العربي المشهور ، وكان شاعراً جيداً ، وله ديوان مطبوع . وأخباره في الأغاني والعقد الفريد ، وبلوغ الأرب في أحوال العرب ، وغيرها .

قد أوضحت سيرته بالنّدى — لكلّ سارٍ في المعالي سَنَنْ
فما عفا المذنب إلا عفا — ولا شكا الإمحالَ إلاّ هَتَنْ [1]
قُل لإمام العصر : يا ذا الذي — حلّ من الفخر الذُّرى والقُنَنْ [2]
خلافةٌ بالنصر قُلِّدْتَها — أنت حقيقٌ بحلاها قَمِنْ
دعاء عبدٍ مخلصٍ يستوي — في حبّكم إسرارُهُ والعلَنْ
ولاؤكم أضحى له جُنّةً — من كلّ ما لا يُتّقى بالجُنَنْ
جرت أياديكم وآلاؤكم — منه كمجرى دمه في البَدَنْ
لسانُهُ منذ بدا ناطقاً — لُزَّ مع الشكر لكم في قَرَنْ [3]
يقول: إنْ لم ألفَ مُستَهتراً — بشكر ما أوليتموه، فمَنْ؟
فدُمْ رفيع القدر ذا قدرةٍ — ما هتفت قُمْرِيّةٌ في فَنَنْ

وأنشدتْ له ، وذكر لي شمس الدّين بن بزار أنها للعالمة جوهرة بنت الدّوّامي [4] ، وهي ببغداد من المعروفات الحسان [5] :

هبّ النسيم بحاجرٍ [6] — فتنبّهتْ أشواقُهُ
ووشتْ بما حوت الضلو — عُ من الجوى آماقُهُ
ناديتُ والبَيْنُ المشـ — تّتُ غلت تزمّ نياقُهُ

(١) هتن السحاب : انصب ، أو أمطر مطراً ضعيفاً دائماً .
(٢) القنن : جمع قنة (بالضم) ، وهي الجبل الصغير ، وقلة الجبل وأعلاه .
(٣) لز : شد . والقرن : الحبل يجمع به البعيران .
(٤) في « كتاب أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام » (١/٨٨) نقلا عن « كتاب مشاهير النساء» لمحمد ذهني : « جوهرة بنت الدوامي من ربات الورع والزهد والوعظ والارشاد » .
(٥) اقتصرت ط على قوله : « وأنشدت له » .
(٦) حاجر : قال المجد : منزل الحاج بالبادية ، قال ياقوت : هو قبل معدن النقرة ، وقال ابن خلكان في ترجمة الشاعر عيسى بن سنجر الاربلي المعروف بالحاجري (١/٤٠٠) : هذه النسبة الى حاجر ، وكانت بلدة بالحجاز ، لم يبق منها سوى الآثار ، ولم يكن الحاجري منها ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً نسب اليها .

يا مُشبِهَ الشَّمس المنيـ ... ـرة في الضُّحى إشراقُهُ

الصَّبُّ فيك مُعَذَّبٌ ... مُضنَى الحَشى مُشتاقُهُ

والقلبُ[1] في أسر الهوى ... ما تنقضي أعلاقُـــهُ

إرْحَمْ معنًّى في الهوى ... ما إنْ يحلّ وَثاقُهُ

أمسى لَديغَ هواكُمُ ... ووصالُكمْ تِرْياقُهُ[2]

---

(١) ط : « والصب » .

(٢) ط : « درياقه » . والدرياق لغة في الترياق ، قال الجواليقي في المعرب والخفاجي في شفاء العليل : هو رومي معرب ، وهكذا في الجمهرة ، وفي اللسان : إنه فارسي معرب ، وهكذا في العباب . وقال المجد في القاموس المحيط : « الترياق (بالكسر) دواء مركب ، اخترعه ماغنيس ، وتممه أندروماخس القديم بزيادة لحوم الأفاعي فيه ، وبها كمل الغرض ، وهو مسميه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوام السبعية ، وهي باليونانية ترياء ، نافع من الأدوية المشروبة السمية ، وهي باليونانية قا آممدودة ثم خفف وعرب » .

بَابٌ فِي مَحَاسِنِ الشُّعَرَاءِ

الحيص بيص

الحيص بيص [1]

وأفضلهم [2] الأميرُ الهُمام شِهاب الدِّين أبو الفوارس ، سَعْد بن محمّد [بن] [3] الصَّيْفيّ التميميّ ، من ولد أكثم بن الصَّيفيّ [4] . ذو الجزالة ، والبسالة والأصالة . جزل الشّعر فحله ، قد علا محلّه ، وغلا فضله ، وأطاعه وعر الكلام وسهله .

قرأت عليه ديوانَهُ ، واغتنمتُ زمانه ، وشكرت إحسانه .

من مقدمة ديوانه

فمن كلامه المنثور في خطبة ديوانه ، يفضّل الشّعر على النثر ، قوله :

« وحَسْبُ الشّعر فخراً أنّ الإنسان يسمع [5] المعنى نثراً فلا يهزّ له عِطفاً ، ولا يهيج له طرباً . فإذا حُوِّل نظماً فرّح الحزين ، وحرّك الرّزين ، وكرّم البخيل ، ووفّر الإجفيل [6] .

---

(١) ط ، ب : « حيص بيص » بتجريد « حيص » من « ال » ، وكلاهما شائع . ومعناهما الشدة والاختلاط . وسبب تسميته بالحيص بيص أنه رأى الناس في يوم حركة ، فقال (وكان يتبادى) : ما للناس في حيص بيص ؟ فلقب به ، وغلب عليه هذا اللقب . وكان شاعراً فاضلا ، مدح الخلفاء والوزراء والأكابر . وله ديوان شعر . وكانت وفاته ببغداد في شعبان وقيل في شوال سنة ٥٧٤ هـ . وترجمته في الوفيات (١/٢٠٢) ، ومعجم الأدباء (١١/١٩٩) ، والمنتظم (١٠/١٤٧ و ٢٣٤ و ٢٨٨) ، وطبقات الشافعية (٤/٢٢١) ، والكامل (١١/١٨٥) ، والبداية والنهاية (١٢/٣٠١) ، وشذرات الذهب (٤/٢٤٧) ، والنبراس (١٤٦) ، والنجوم الزاهرة (٦/٨٣) ، وغيرها .

(٢) « وأفضلهم » : لم ترد في ط ، ب ، وقد بدئت الترجمة في ط بقوله : « حيص بيص ، وهو الأمير ... » ، وفي ب : « حيص بيص . هو الأمير ... » .

(٣) الزيادة من « زبدة النصرة » (١٧٥) وغيرها .

(٤) ط : « صيفي » مجرداً من « ال » ، وهو الصحيح . وكان أكثم بن صيفي حكماً من حكام العرب في الجاهلية ، وهم علماؤهم الذين كانوا يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وعلو الحسب والنسب وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم . وأخباره في عيون الأخبار (فهرست الكتاب) ، والأغاني (١٥/٧٠) طبعة الساسي ، والعقد الفريد (١/١٧٠) طبعة الجمالية ، وسرح العيون (١٣) ، وبلوغ الأرب (١/٣٠٨ و ٣/١٧٢) الطبعة الثانية ، مصر .

(٥) ط ، ب : « يستمع » .

(٦) الإجفيل : الجبان يفزع من كل شيء .

وقرّب من الأمل البعيد، وسنّ الغناء لغير الغرِّيد. وكم أوجف بالجبان (١) الى مآقط الحرب العوان (٢)، فروّى حدّ السيف والسنان، من دماء الشجعان. وكم أعاد جلمود اليد الصيخود (٣)، هاطلاً غمامة بالجود، فهمت (٤) لغير سائل وسحّت على غير شائم (٥). وكم أرتبس (٦) الجليد القرحان (٧) بحبل الصبابة والتهيام. وكم أحدث سلوة لمعمود (٨) وقد أعيت مداخله، وكلّت لوّامه وعواذله. وكم أستلّ سخيمة من ذي غمر (٩) عجز عن مداراته الحجا، وضعفت عن استرجاع ودّه الرّقى (١٠). فما كان متصرفاً هذا التصرف في (١١) النفوس والأخلاق، فأكبر بشأنه، وأعظم بمكانه!».

ومنها يصف حاله: وصفه حاله

«وقد علم عصري وبنوه، وزماني وأهلوه، أني أبتدرت شعفات (١٢) الفضل غلاماً يفعة (١٣)، هاجراً (١٤) اليه كل خفض ودعة، ففرعتها شامذ النطاق (١٥)، مشمّراً عن

(١) ط، ب: «الجبان» بنزع الخافض، وهو الصحيح. يقال: أوجف البعير والفرس إيجافاً إذا حثهما، وأوجف الذكر بلسانه أي حركه.
(٢) المأقط: الموضع الذي يقتتلون فيه، وهو المأزق. والعوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، وهي أشد الحروب.
(٣) الصيخود: الصخرة الصماء الراسية الشديدة الملساء لا تتحرك من مكانها ولا يعمل بها الحديد، استعارها لليد البخيلة الشحيحة التي لا تندى بعطاء.
(٤) همى الدمع والماء يهمي همياً: سال لا يثنيه شيء.
(٥) الشائم: المتطلع، يقال: شام البرق يشيمه شيماً اذا نظر اليه أين يقصد وأين يمطر، وشام مخايل الشيء: تطلع نحوه ببصره منتظراً له.
(٦) ارتبس: قيّد.
(٧) ط: «القرحات»، ب: «القرحان»، والأصل هو الصحيح.
(٨) المعمود: الذي هدّه العشق. وهي في ط: «لمعموذ»، وفي ب: «لمعود».
(٩) السخيمة والغمر: كلاهما الحقد.
(١٠) الرقى: جمع رقية، العوذة.
(١١) ط: «من».
(١٢) ط: «شغفات» بالغين المعجمة، وإنما هي الشعفات جمع شعفة (محركة)، وهي رأس الجبل.
(١٣) غلام يفعة ويفع ويافع: راهق العشرين.
(١٤) ط: «هاجر».
(١٥) فرعتها: علوتها. الشامذ: الرافع.

ساق ، أستلين عندها السَّيال[1] والعَرْقَد[2] ، وأستخشن وثير المضجع والمرقد . فأمعنت في كَبّات[3] العلوم جريًا ، وعُمْتُ في جِمّتها[4] مليًّا ، ونازلت حُمْسَ[5] أبطالها مِدْرَهًا هِبْرِزِيًّا[6] ، وشهدت معارك الجدال[7] مع فرسان المذاهب والأقوال ، فعرقت الجباه ، وألقمت الحجارة الأفواه . ثم جاشت بالشعر مراجلي ، واستمرّت اليه أعناقُ رواحلي ، وأذكرني ما غَبَرَ من مساعي أوائلي[8] ، فعطفت عليه عطف باغم فقيد ، ذات طَلاً فريد ، بغارب بعيد ، لا مَرْعِيّ ولا مورود ، فوجدته قد بَعِدَ[9] للؤم الزمان ، وبَعُدَ[10] لفقد الإحسان . وأبتُ الى القوة فيه ، عن كتمان قوافيه ، فما هو الا أن فُهْتُ به قائلاً حتى كفر[11] فضائلي بذكره ، وغمر أريج علومي بريّاه ونشره ، وطفق يطوي البلاد طيّ[12] الرُّبْدِ الجالحة[13] ، يخلط البيد بالآكام ، والحضيض باليفاع[14] ، حتى كان كما قلت :

---

(١) ل : « الشياك » ، ط : « السبال » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو نبات له شوك أبيض طويل اذا نزع خرج منه مثل اللبن ، واحدته سيالة بوزن سحابة .

(٢) هو العوسج اذا عظم .

(٣) الكبات : جمع كبة ، بفتح الكاف ، ومن معانيها التي تلائم المقام : الزحمة ، وجماعة الناس . وهي في ط : « كتاب » وليست بشيء .

(٤) الجمة : البئر الكثيرة الماء ، والجمة : مجتمع ماء البئر .

(٥) الحمس : الشجعان ، وقد وردت في ط مصحفة بالخاء المعجمة .

(٦) المدره : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . والهبرزي : الأسوار أي الجندي من أساورة الفرس ، والأسد .

(٧) ط : « النزال » .

(٨) « أوامل » ، وهي تحريف .

(٩) بعد (كفرح) : هلك .

(١٠) بعد (ككرم) ضد قرب .

(١١) كفر : ستر وغطى .

(١٢) « طي » : سقطت من ط .

(١٣) الربدة : لون الى الغبرة ، والربداء : النكرة ، والأربد : حية خبيثة ، والأسد . والجالحة : المجاهرة بالأمر والمكاشفة بالعداوة .

(١٤) اليفاع : التل المشرف ، وهو في ط : « البقاع » وليس بشيء .

سرى ذكر فضلي حيث لا الريح تهتدي ... طريقاً ، ولا الطّير المحلّق واقع » .

***

ابتداءاته ومخالصه

وله ابتداءات حسنة مخترعة ، ومخالص مستطرفة [١] مبتدعة . فمن جملة ابتداءاته ، وقد خُلِع على الوزير ، فمدحه بقصيدة أوّلها يشير الى الخلعة :

جعلت من الحدثان أحصن أدرع ... فلقد سُنِنَّ على الكريم الأروع

ومن جملة مخالصه :

تزاحم أشجاني اذا ما ذكرتهم ... زحام المفاوي عند باب ابن مسلم

ومنها وقد وصف الحرب :

كأنّما دمُ أوداج الرجال به ... سيلٌ تدافعَ ، أوجودُ ابنِ حمّادِ

وله في عمّي العزيز [٢] مدائح ، ومن جملتها قطعة كتبها اليه بأصفهان في قحط :

أظنّ اعتقاد النسخ [٣] صحّ دليله ... فعاد الى [٤] ترتيبِ أوصافِهِ الدّهرُ

عزيزٌ بمِبَرِّ المعتفين [٥] ، وسبعة ... شدادٌ ، و(جيّ) في مساغبها مصر [٧]

***

المنتخب من ديوانه في الافتخار والمدح

فمن شعره ما استخرجته من ديوانه على ترتيب الحروف في الافتخار والمديح :

---

(١) ط : « مستظرفة » بالظاء المعجمة . (٢) أنظر ترجمته في (ص ٧ و ١١) .

(٣) يريد تناسخ الأرواح ، قال الراغب الأصفهاني في « مفردات القرآن » : والقائلون بالتناسخ قوم ينكرون البعث على ما أثبتته الشريعة ، ويزعمون أن الأرواح تنتقل الى الأجسام على التأبيد » . وهو مذهب سخيف . وقد عرض المعري له بالذم والتشنيع في رسالة الغفران وفي اللزوميات فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه ... الى غيره حتى يهذّبه النقل

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة ... اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

(٤) ط : « على » .

(٥) المعتفي : طالب المعروف . شبه عمه بعزيز مصر .

(٦) السبع الشداد : يريد بها أعوام القحط السبعة بمصر ، وقصتها في سورة يوسف في القرآن الكريم. وجي (بفتح الجيم) : اسم مدينة ناحية إصبهان القديمة . أنظر معجم البلدان (٣/١٩٦) . والمساغب : جمع مسغبة ، وهي المجاعة .

(الهمزة[1])

قوله من قصيدة :

ترى الجار فينا غير شاكي خصاصة ... اذا ضاق ذرع الحيّ بالأزلاء[2]

كأنّ القُرومَ الهادرات عشيّةً ... مراجلُنا في أزمة وشتاء[3]

سعيت فلم[4] أترك قديماً، وإن أعش ... نسخت بفخري مفخر القدماء

ومنهـــا :

[بنفسيَ من جور الحوادث وعكةٌ ... وعند قراع الدارعينَ شِفائي][5]

أما في ملوك الخافقَين امرُؤٌ همّه ... يكفّ بميسور الكفاف عنائي ؟

يصون نَداهُ ما، وجه أراقه ... طِلابيَ للجدوى من البخلاء[6]

وهيهاتَ ذاك[7] الآلُ أن ينقع الصّدى ... وإن خاله الظمآن مورد ماء

ومنها في التخلّص الى المدح :

اليكم ، فانّي سيّد القول ، ما جرى ... لساني ، وهـذا سيّد الوزراء !

اذا ما بنى مجداً ، وقلت قصيدة ، ... علونا على السادات والفصحاء

ومنهـــا :

وقور يشدّ الخطب حبوة حلمه ... اذا روعة حلّت حُبا الحلماء[8]

بنانٌ ووجهٌ حين يُسأل حاجةً ... نضُوحانِ[9] ماءً من حيا وحياء[9]

---

(١) ط : « الألف » ، وهو خطأ . (٢) الخصاصة : الفقر .

(٣) القروم : جمع قرم ، وهو البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل ، ولكن يكون للضراب . والمراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من نحاس . والأزمة : الشدة والقحط .

(٤) ب ، ط : « ولم » .

(٥) هذا البيت من ط ، ب .

(٦) قبل هذا البيت في ط ، كلمة : « ومنها » .

(٧) ل : « ذل » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه من ط . والآل : السراب ، أو هو خاص بما في أول النهار كأنه يرفع الشخوص ، ثم هو سراب سائر اليوم .

(٨) أنظر (ص ١٠٩ ر ٣) .

(٩) ط : « نضوخان » بالخاء المعجمة . يقال : نضحت العين اذا فارت بالدمع ، ونضخ الماء اذا اشتد فورانه من ينبوعه أو ما كان منه من سفل الى علو . والحيا (بالقصر) : المطر .

ومنها في وصف القلم :

ومضطمر الجنبين يخطر مائساً   على لاحبٍ من طِرْسه وقواء [1]
يذيب [2] على الأطراس كلَّ بليغة   تذيب عليها أنفس العلماء

وله من قصيدة في مدح الإمام المسترشد بالله [3] ، أولها :

العزّ حيث البلدة الزوراء   والمجد حيث القبة البيضاء [*]
فخر تسامى أن يزان بمدحة   فالنطق عيّ والصمات [4] ثناء

ومنها [5] :

يقظان أبلج ينجلي بجبينه   ودليله الاشكال والظلماء
فتوهمُ المتجادلين حقيقة   منه ، وليل المدلجين ضياء [6]
غيث وليث يرعوى لبنانه   بأس العدى والأزبة الغبراء [7]
فلمحفظيه متالف ومعاطب   ولمعتفيه مكارم وعطاء [8]
خمصان يقلي الزاد غير ممرض   وله التقية مطعم وغذاء [9]
نور أضاء الأفق ساطع لمعه   فعلى الزمان وأهله لألاء

---

(١) مضطمر : ضامر البطن . وخطر الرجل بسيفه ورمحه : رفعه مرة ووضعه أخرى ، وخطر في مشيته : رفع يديه ووضعهما ، وخطر الرمح : اهتز . واللاحب : الطريق الواضح . والقواء : قفر الأرض .

(٢) ط : « يريك » .

(٣) تقدمت ترجمة المسترشد بالله في (ص ٢٩) .

(*) ورد بعد هذا البيت في ط : « ومنها في المدح » .

(٤) الصمات : السكوت .

(٥) سقطت من ط .

(٦) المدلجون : السارون من أول الليل .

(٧) الأزبة : الشدة .

(٨) أحفظه : أغضبه . واعتفاه : طلب معروفه .

(٩) خمصان : جائع . يقلي : يكره .

ومنها في صفة الجيش[1] :

وعرمرم كاليمّ هيج بعاصف[2] … شرقت[3] بفضل عبابه البيداء

نسخ الفلا والصبح ركضُ جياده … فالأرض جوّ والصباح عشاء

طردت فوارسه وما لاح العدى … حرصاً ، فكلّ كتيبة دفواء[4]

تدنو له عُتق[5] القشاعم مثلما … يحتف[6] بالمتصدّق الفقراء

والخيل تقتحم الغبار كأنها … نبل الجفير وقد أجيد رماء[7]

تزجي سنابكها سحاباً قطره … منها مسيح[8] هاطل ودماء

ينقلن كلّ مساور ذي همّة … تجلى بحدّ حسامه الغماء[9]

حنّ الكماة الى النجيع ولونه … فلذاك كلّ عصابة حمراء

وطمى أتيّ الحرب حتى ماؤه … مهج الفوارس ، والرؤوس غثاء[10]

أجرى أمير المؤمنين جياده … ظمأى ، وعاد بهنّ وهي رواء

فبطاء خيل الطالبين سريعة … وسراع خيل الهاربين بطاء

---

(١) وردت هذه الجملة في ط قبل البيت السابق .

(٢) ل : « بعاطف » ، والمثبت من ط .

(٣) شرقت : غصت ، وأصله أن يغص الانسان بريقه .

(٤) الطرد : الإبعاد . لاح : ظهر . حرصاً : في ط بالخاء المعجمة ، ولعله « حرضاً » ، وقوم حرض (بفتحتين) : لا يرجى خيرهم ولا يخاف شرهم ، والحرض أيضاً : الذي لا يتخذ سلاحاً ولا يقاتل . فتأمل . وكتيبة دفواء : عظيمة .

(٥) ط ، ب : « عنق » ، ولا وجه لها . والعتق : جمع عتيق ، وهو الخيار من كل شيء . والقشاعم : النسور المسنة .

(٦) ط : « تحنف » ، ب : « تحتف » .

(٧) الجفير : جعبة من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها . والرماء : مصدر راماه .

(٨) المسيح : عرق الخيل ، سمي لأنه يمسح اذا صب .

(٩) المساور : المواثب . والغماء : الغمة ، أي الكرب .

(١٠) طمى الماء يطمي : علا . والأتي : جدول تؤتيه الى أرضك ، أو السيل الغريب . والمهج : الأرواح ، والغثاء : الزبد .

رهباً لِأغلبَ ، لا مفرَّ لهارب ... منه ولو أنَّ النجوم وقاء

وقوله من قطعة في مديح[1] الوزير الزينبي[2] :

إنّي خبرت علاه خُبْرَ مجرِّب ... فجعلت صفو قلائدي لثنائه

وتعلمتْ منّي الخواطر جوده ... فبدأْنهي في الحمد مثلُ عطائه

ولقد أغيب فتعتريني ظلمة ... في الحسّ يجلوها ضياء لقائه

ملآن من كرم ، فإن فتّشته ... أبصرت خلو القلب من شحنائه

وقوله في ابن طغارك[3] :

لفخر الدين أخلاق كرام ... يضيق الحمد عنها والثناء

تكدِّرها على الأعداء نار ... وعطفتها على العافين ماء[4]

اذا مرّت على ليل بهيم ... تجلّله التبلّج والضياء

وله من قطعة :

أظلُّ مريضاً بالصَّدى دون وِرْدِكم ... وأشقى به والواردات رِواء[5]

وأحبس أعناقَ المطيّ عن السُرى ... والشوق ما بين الضلوع مَضاء

---

(١) ط : « مدح » .

(٢) هو شرف الدين علي بن طراد (بوزن كتاب لا بصيغة المبالغة « فعال » كما وهم بضبطه ناشر النجوم الزاهرة) بن محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي ، ولد سنة ٤٦٢ هـ ، ووولاه المستظهر بالله نقابة النقباء ، وهي ولاية أبيه ، ثم وزر للخليفتين المسترشد والمقتفي ، وتغير المقتفي عليه فاستجار بدار السلطان الى أن سئل فيه ، فأذن في عوده الى بيته . وتوفي في شهر رمضان سنة ٥٣٨ هـ . وكان يضرب المثل بحسنه في صباه . وكان اماماً فاضلا فقيهاً بارعاً في مذهب أبي حنيفة ، وجواداً ممدحاً . وأخباره في الفخري (٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٧٦) ، والمنتظم (١٠/١٠٩) ، والنبراس (ص ١٥٢ — ١٥٤) ، والكامل (م ١٠ و ١١) ، وشذرات الذهب (٤/١١٧) ، والنجوم الزاهرة (٥/٢٧٣) ، والبداية والنهاية (١٢/٢١٩) ، وزبدة النصرة (الفهرست) . وانظر ما كتبته عن أبيه طراد في (ص ٨٨ و ٥) .

(٣) ل : « ابن طغارل » ، ط : « ابن طغارك » ، والصحيح ما أثبتناه . وهو فخر الدين عبدالرحمان ابن طغارك ، وكان من أكابر أهل عصره . أنظر أخبار الدولة السلجوقية (الفهرست : حرف العين) ، وزبدة النصرة « الفهرست : حرف العين » .

(٤) العافون : طلاب المعروف .

(٥) الصدى : العطش . والواردات : في ط «والواردون» . وقوم رواء من الماء : شربوا شرباً تاماً .

ولمّا دنت داري إليكم تعرّضت ... موانع قُربَى عندها عُدَواء[1]

فللهِ درُّ القَيْل من آل أُرْتقٍ ... اذا ذُكِرَتْ أكرومة وحياء[2]!

(البـــاء)

وقوله في الافتخار :

خُذوا من ذِمامي عُدَّةً للعواقبِ ... فيا قربَ ما بيني وبين المطالب[3]!

لَواني زماني بالمرام ، وربّمـــا ... تقاضيته بالمُرْهَفات القواضبِ[4]

على حين ما ذُدْتُ الصِّبا عن صبابةٍ ... ذِيادَ المطايا عن عِذاب المشاربِ

ورُضتُ بأخلاق[5] المشيب شبيبةً ... مُعاصيةً لا تستكين لجاذبِ

عقائلُ عزمٍ لا تُباح لضارعٍ ... وأسرار حزمٍ لا تُذاع للاعبِ

وللهِ مقـــذوفٌ بكلّ تَنُوفةٍ[6]

رأى العزَّ أحلى[7] من وصال الكواعبِ

أغرَّ الأعادي أنّني بِتُّ مُقتِراً ... ورُبَّ خلوٍّ كان عوناً لواثبِ[8]؟

رُوَيدَكُمُ ، إنّي من المجدِ مُوسِرٌ ... وإن صَفِرتْ عمّا أفدتم حقائبي[9]

هل المال إلّا خادمٌ شهوةَ الفتى ... وهل شهوة إلّا لجَلْبِ المعاطبِ

---

(١) العدواء : البعد .

(٢) القيل : الملك ، وهو خاص بملوك حمير ، الجمع أقيال . وأرتق : كأحمد ، قاله الزبيدي في تاج العروس ، هو ابن أكسك (ويقال أكسب وقد حرف في تأريخ ابن خلدون الى أكست) من مماليك السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان ملك السلجوقية ، وله مقام محمود في دولتهم ، وكان على حلوان وما اليها من أعمال العراق ، وهلك سنة ٤٧٣ هـ بالقدس ، واتصل الملك في عقبه فملكوا ماردين وديار بكر . والخبر عن دولتهم ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم في كتاب العبر لابن خلدون (٥/٢١٠) ، ومحاضرات تأريخ الأمم الاسلامية « الدولة العباسية » (٥٠٦) .

(٣) الذمام : الحرمة .

(٤) لواه دينه ويدينه : مطله وسوفه ودافعه . وتقاضيته : طالبته . والمرهفات : السيوف الرقاق الحد ، والقواضب : القواطع .

(٥) ط : « بأعلاق » . (٦) التنوفة : الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس .

(٧) ل : « أعلى » ، وقد آثرنا عليها رواية ط فأثبتناها .

(٨) المقتر : المفتقر . (٩) صفرت : خلت .

فلا تطلبنْ منه سوى سدّ خَلّةٍ — فإن زاد شيئاً فليكنْ للواهبِ [1]

مَرِهت بإدْماني سُرى كلِّ حادثٍ — ولا كحلَ إلّا من غبار المواكبِ [2]

فلا تصطلوها ، إنّها دارميّةٌ — مواقدُها هامُ الملوكِ الأغالبِ [3]

سأضرمها حمراءَ ينزو شرارُها — على جنَباتِ القاعِ نَزْوَ الجنادبِ [4]

بكلِّ تميميٍّ كأنّ قميصَهُ — يُلاثُ بغصن البانةِ المتعاقبِ [5]

ومنها :

اذا كذب البرقُ اللموعُ لشائمٍ — فبرقُ ظُباها صادقٌ غيرُ كاذبِ [6]

فوارسُ باتوا مُجمِعين ، فأصبحوا — وآثارُ عقدِ الرأي عقدُ السبائبِ [7]

اذا شرعوا الأرماحَ للطعنِ خلتَهمْ — بدوراً تجارى في طلابِ كواكبِ

أسودٌ اذا شبّ الحَميسُ ضِرامَهُ — أسالوا نفوسَ الأُسْدِ فوقَ الثعالبِ [8]

ومنها :

ورَكْبٍ كأنّ العيسَ أيانَ نوّروا — تساوق أعناقَ الصَّبا والجنائبِ [9]

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر .

(٢) مرهت عينه : خلت من الكحل ، أو فسدت لتركه .

(٣) دارمية : نسبة الى دارم ، بطن من تميم قبيلة الشاعر .

(٤) الجنادب : جمع جندب ، حيوان صغير يشبه الجراد كثير القفز والوثوب .

(٥) يلاث : يدار ويعصب .

(٦) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر .

(٧) ل : « الشبايب » ، والتصحيح من ط . والسبائب : جمع سبيبة ، وهي الخصلة من الشعر ، وشقة رقيقة من كتان .

(٨) الحميس : الجيش الجرار . والضرام (بالكسر) : لهب النار واشتعالها ، ودقيق الحطب الذي يسرع اشتعالها فيه . والثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٩) الركب : ركبان الإبل ، وقد يكون للخيل . والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة . تساوق : في ط ، ب : « تساور » . والجنائب : جمع جنوب ، وهي ريح تخالف الشمال .

خِفافٌ على أكوارها ، فكأنَّهم ... من الوَبَرِ المأنوسِ عند الغَوارِبِ (١)

[هذه مبالغة في خفة الرجال على الرحال (٢)] كأنهم بعض أوبار الأباعر .

اذا أضمرتهم ليلةٌ أظهرتهم ... صبيحتُها بين المنى والمآرب

ومنها في طلب غرض :

وبي ظمأٌ لم أرضَ نافعَ حرِّهِ ... سواك ، فهل في الكأس فضل لشارب (٣) ؟

وله من قطعة الى بعض الأمراء :

أبا عمارةَ ، إنْ شطت منازلنا ... فمن (٤) معاليكَ إدناءٌ وتقريبُ

كما يجوز ضياء الشمس مطلَعَها ... ويبعثُ العَرْفَ للمستنشق الطِّيبُ (٥)

أنت الأمير ، ووجه الشمس ملتثمٌ ، ... واليوم ليلٌ بركْض الخيل غِربيبُ

أحنّ شوقاً على نأي الدّيار بنا ... كما تحِنُّ الى حِيرانها النيّبُ (٦)

ولو ثنت عن وداد الشيء غيبته ... لما أضرَّ لفَرط الشوق يعقوبُ (٧)

وقوله في الافتخار من أخرى :

نَكِبا (٨) صَحْبي ، وخافا صَخَبي ، ... لا ركبتُ الخيل إنْ لم أغضَبِ

---

(١) الغوارب : جمع غارب ، وهو من البعير بين السنام والعنق .

(٢) الزيادة من ط .

(٣) ينظر الى قول المتنبي :

أبا المسك ، هل في الكأس فضل أناله ؟ ... فاني أغني منذ حين وتشرب !

(٤) ب ، ط : « فني » : شطت : بعدت .

(٥) العرف : أنظره في (ص ٣١ ر ٧) .

(٦) ل ، ط : « جيرانها » وهو تصحيف . والحيران : جمع حوار ، وهو ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل . والنيب : النوق المسنة ، واحدتها ناب .

(٧) يعقوب : هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ، وفي البيت اشارة الى حادثة محنته بابنه يوسف الصديق عليه السلام وذهاب بصره من أجله .

(٨) ب ، ط : « زكيا » ، وهو تحريف ظاهر .

وَأُحَــذِرا آخِرَ حِلْمي ، إنّمـا … لَهْذَمُ الذابلِ أقصى الأكْعُبِ [1]
وأذَنّا للقَــول من مَعْدِنِه … إنّ جِــدّ القول غير اللّعِب

ومنهـــا :

يا رُواةَ الشِّعرِ ، لا تَرْوُوه لي … فبغير الشعر شِــيدتْ رُتَبي
[وَدَعُوهُ لضِعــافٍ عَيُّهُمْ … مانعٌ عنهم (زُهَيْرَ) المكسب [2]]
وَرَدُوا الفضلَ ، وما بَلّوا به … مَشْرَعًا ، والشّرب غير المشرب

ومنهـــا :

لست بالقاعد عن مَكرُمَةٍ … وأبو رَغْوانَ [3] ذو المجد أبي
عَذَروا [4] للسِّلْم من أوْجُهِكُمْ … إنّهـا خيلُ حكيم العَرَب
قبــل يوم هامُهُ في صعد … حيثُ ما أبدانُه في صَبَبٍ [5]
يعسل الذئب الى معركه … شائم الأرزاق عند الثعلب [6]

وله من قصيدة في وصف أبيات كتبت اليه :

صادرات ألفاظهن عِــذاب … عن خلال مهذّبات عِــذابِ

---

(١) اللهذم : الماضي من الأسنة . والذابل : صفة للرمح . والأكعب : جمع كعب ، وهو هنا العقدة الناشزة بين الأنبوبين من القصب .

(٢) من ط . وزهير : يريد به زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات من شعراء الجاهلية .

(٣) ب ، ط : « وأبو زعوان » ، وهو تحريف . ورغوان : لقب مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، لقب به لفصاحته وجهارة صوته ، سمعته امرأة فقالت : ما هذا الا يرغو ، فلقب رغوان . وقد افتخر به الشاعر لأن نسبه في تميم .

(٤) ط : « عنفوا » وهو تحريف ظاهر .

(٥) الصبب : ما انحدر من الأرض . والصعد (بفتحتين) : خلاف الصبب ، و (بالضم) : العلو ، يقال : هبط من صعد .

(٦) عسل الذئب : اضطرم في عدوه تخفق برأســه . معركه : في ط « معركة » . شائم الأرزاق : ناظرها ، وفعل شام خاص بالبرق ، يقال : شام البرق اذا نظر الى سحابته أين تمطر . والثعلب : في هامش ط : « يعني ثعلب الرمح » . راجع الحاشية (٨) في ص (٢١١) .

كلّ روعاء لو تقلّدها ألفا ... رس أغنت عن صارم قرضاب[1]

أذكرتني أيام عصر التّصابي ... ومَراحي ، وأين عهد التصابي[2] ؟

حين لا آمرٌ يطاع سوى اللهـ ... و ، ولا حاكم سوى الأحباب

وله يصف حصاناً لمظفر الدين برنقش البازدار[3] صاحب قَزْوِينَ[4] :

مظفَّر الدين ، إن فاق الرجال فقد ... فاق الجيـاد بيوم الطرد أشهبُهُ[5]

تعلّم السبقَ منـــه في مناقبه ... من فرط ما راح يُجريه ويَرْكَبُهُ

مصغٍ الى هاجس من سرّ فارسه ... كأنه بضمير الركض يضربُهُ

يدنو عليه بعيدُ الأرض مرتكضاً ... كأنّ مربطه في الشدّ سَبْسَبُهُ[6]

برنقش كسليمان بأشـــبهه ... اذا غدا ورُخاه[7] الرّيح مركبُهُ

لما تعوّد في حربٍ خضابَ دمٍ ... غدا لدى[8] السّلْمِ بالحِنّاء يَخضِبُهُ

ومن قطعة :

تطيش الرزايا حوله وهو راسخ ... يزيد وقاراً من طروق النوائب[9]

وكتب عند قصده الموصلَ في أيام أتابك غازي بن زنكي[10] :

---

(١) أغنت : في ط « أعيت » ، وهو تصحيف ظاهر . والقرضاب : السيف القطاع .

(٢) ط : « وبنت عصر التصابي » ، والمعنى بها ضعيف .

(٣) ط : « رنقش البـاذار » ، وأورده في البيت الخامس بصورة : « برنقش » ، وكلاهما تحريف . وأخباره في المنتظم (ج ١٠) ، وزبدة النصرة (١٧٠ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٣) ، وأخبار الدولة السلجوقية (١٠٦ و ١٠٧ و ١١٠) ، والكامل ، وغيرها .

(٤) قزوين : مدينة مشهورة ، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً ، فتحها البراء بن عازب على عهد عثمان بن عفان صلحاً ، وينسب اليها خلق لا يحصون (معجم البلدان ٧/٧٩ — ٨٢) .

(٥) الشهبة في الألوان : البياض الغالب على السواد ، وفرس أشهب : به شهبة .

(٦) السبسب : الأرض القفر .

(٧) ط : « ورجال » ، وهي تحريف .

(٨) ط : « الى » .

(٩) ط : تطيش الرزايا . . . وهو راسخ ... يزيد وقاراً عند طرق النوائب

(١٠) هو سيف الدين غازي بن أتابك زنكي صاحب الموصل . ولد سنة ٥٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٤٤ هـ =

يَقَرُّ بعيني أن أُجشّمها السُّرى ... سِراعاً كظِلْمانِ المُروتِ السَّباسبِ [1]

لأنظرَ بالحَصْباء من سِيفِ دجلةٍ ... أغرّ كنَصْلِ السَّيفِ جمّ المَناقبِ [2]

تنوّرتُ منه لمعةَ المجدِ يافعاً ... فما رِمتُ حتّى طوّحتْ بالأيانبِ [3]

لِجاء عمادِ الدّين وابنِ عمادِه ... طليقِ المُحيّا في قُطوب النّوائبِ

يموتُ الرَّدى والمحل عندَ قِبابِه ... اذا سلَّ سَيْفَي نَصْلِهِ والرّغائبِ [4]

وقوله من مديح في [5] شرف الدين عليّ بن طِراد الوزير الزَّينبيّ [6] :

لَيبيقِ الغنى لا يَنقصُ الفقرُ جودَهُ ... ولا يُمْتَرَى معروفه بالعواصبِ [7]

مُريحِ غريبِ الحِلْمِ والخَطْبُ طائشٌ ... ومُغْزِي سَرايا صبرِه بالنّوائبِ [8]

وحاملِ غُرْمِ الحيِّ جلَّ سراته ... مَريرُ القُوى مُستروحٌ للمتاعبِ [9]

هو المرء ، أقصى البأس منه لنَجْدةٍ ... طريدٌ ، وأدنى مالِه للمواهبِ

= وكانت ولايته ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوما ، ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل . وكان كريماً شجاعا عاقلا عظيم الهمة . وله ترجمة في الكامل (١١/٥٦) وغيره . وكان آل زنكي نعمة أنعم الله بها على تلك العصور . أنظر في (ص ٦٣ ر ٦) ما كتبته عنهم .

(١) أجشمها : أكلفها . والسرى : سير عامة الليل . والظلمان : جمع ظليم ، وهو الذكر من النعام . والمروت : القفار ، واحدها مرت . والسباسب : مثلها ، واحدها سبسب .

(٢) السيف (بكسر السين) : ساحل البحر .

(٣) تنور النار من بعيد : تبصرها . واليافع : الغلام الذي بلغ العشرين . ورام مكانه : زال عنه وفارقه .

(٤) قبابه : في ط « فنائه » . والنصل : حديدة السيف . والرغائب : جمع رغيبة ، وهي العطاء الكثير .

(٥) « في » : لم ترد في ط .

(٦) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .

(٧) لبيق الغنى : أصل استعماله في الثريد ، ثم توسعوا فيه ، يقال « لبق الرجل الثريد » اذا أكثر إدامه ، ولينه بالدسم . وامتراء المعروف : استخراجه . والعواصب : من العصب وهو أن يشد فخذا الناقة لتدر ، أي ترسل الدر وهو اللبن . وفي الأساس : « ومثلي لا يدر بالعصاب » ، أي لا يعطي بالقهر والغلبة ، من الناقة العصوب .

(٨) غريب : كذا ورد في ل ، ط . ولعله « عزيب » ، وهو البعيد والغائب .

(٩) الغرم : ما يلزم أداؤه . مرير القوى : مستحكم القوى شديدها .

وما زالَ مِطْعامَ العشيِّ ، وسيِّدَ الـ ... نَّدِيِّ ، مشاراً في الوغى والمواكبِ (١)

وقوله فيه :

ما طابَ شيءٌ في الزّمانِ لسامعٍ ... أو ناشــقٍ إلّا وعرضُكَ أطيبُ
كلّا ولا بَعُدَ النّدى عن شائمٍ ... مستمطرٍ إلّا وجودُكَ أقربُ (٢)
ضَنْكُ الجوانحِ بالمضيمةِ مُحرَجٌ ... وإذا حللتَ فإنَّ صدرَكَ سَبْسَبُ (٣)
قد أعتبَ الدّهرُ الخؤونُ لعاتبٍ ... أوسعتَهُ صدراً ولم يكُ يُعتِبُ (٤)
فسطاكَ موتٌ للأعادي قاتلٌ ... ونداكَ للعافينَ غيثٌ صيِّبُ (٥)

ومن قوله فيه يصف الفضل :

أبعدتَ بالفضلِ عمّن قبلهُ سفهاً ... وبِتَّ للفضلِ منــه أيَّ مقتربِ
والفضلُ كالصبحِ يَهدي مَنْ لهُ نظرٌ ... ولا يَصِيرُ به الأعمى (٦) الى أَرَبِ

وله قصيدة في مدح الأمير هندي [الزّهريّ ، وكان موضعه الزّاب (٧)] :

أَجَأٌ وسلمى أم بلادُ الزّابِ ؟ ... وأبو المهنّـــدِ أم غضنفرُ غابِ ؟ (٨)

---

(١) مشاراً : لعله يريد مشاراً اليه ، أو اسم مفعول بمعنى معروض ، والأصل اطلاقه على الدابة اذا عرضت للبيع وأجريت أمام المشتري ، فتناسى الشاعر هذا واستعمله في مطلق العرض . وهو في ط يشبه أن يكون « مثاراً » .

(٢) الشائم : أنظر (ص ٢١٣ ر ٥) .

(٣) ضنك : ضيق . والجوانح : الأضلاع التي تحت الترائب ، وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر ، الواحدة جانحة . والمضيمة : الظلم والاغتصاب . والسبسب : الأرض القفر .

(٤) أعتبه : سره بعدما ساءه .

(٥) السطا : السطوة ، وهي القهر بالبطش . والعافون : طلاب المعروف . والصيب : السحاب . والصوب : نزول المطر .

(٦) ط : « أعمى » .

(٧) الزيادة من ط .

(٨) أجأ وسلمى : جبلان في منازل طيء بنجد . والزاب هنا أحد الزابين بين بغداد وواسط ، ويسميان الزاب الأعلى والزاب الأســفل ، وأراد الحيص بيص الأول ويقال له زاب النعمانية . والبيت في معجم البلدان (١/١١٦ و ٤/٣٦٤) ، وفي الموضعين ورد (أبو المظفر) مكان (أبو المهند) .

رفع المنارَ بنو زهيرٍ في العلى ... بالفارس المتغطرف الوهابِ [1]

بأغرَّ بسّامٍ كأنَّ بنانَهُ ... في كل مكرمة قطارُ سحابِ

بالمانع البذّال غير مدافعٍ ... في بذل معروفٍ وعزِّ صحابِ

عمّت فواضلُه وعمَّ ثناؤه ... فالحمد والإحسان في إصقابِ [2]

ومنها في صفة الجيش :

واذا الفلاة تضايقت أرجاؤها ... يوم الهياجِ بجحفلٍ غلاّبِ

وتعطّرتْ قُبْلُ العُيُونِ ، كأنّها ... بالقاع تحت القوم مُعْطُ ذئابِ [3]

ظمأى الى ماء الجراح كأنما ... تجري مواردُها بخدع سرابِ

تطوي نضير الثمد [4] وهي سواغبُ ... طلبًا لرعي جماجمٍ ورقابِ

واحلولكَ اليومُ الضبابُ شمسُهُ ... فالطيرُ جُنْحٌ غيرُ ما مُنجابِ [5]

فعلى الدروع غلائلٌ من عِثْيَرٍ ... وعلى مِجَنِّ الشمسِ فضلُ نقابِ [6]

لاقيت فخر الدين يكشف نقعها ... كشفَ الغزالةِ مضمحلَّ ضبابِ [7]

(١) تغطرف الرجل : تكبر واختال في المشي .

(٢) أصقبه إصقاباً : قربه وأدناه ، وأصقبت الدار : دنت ، لازم ومتعد . وهي في ط : « إطناب » .

(٣) تعطرت الخيل : جاءت وذهبت مسرعة . وقبل العيون : وصف للخيل ، وقبل (بضمتين) : جمع أقبل ، وهو الذي كانت احدى حدقتيه مقبلة على الأخرى . والمعط : جمع أمعط ، وهو من الذئاب الذي تساقط شعره وزاد خبثه .

(٤) ط : « نضير السعد » ، وهي تحريف . والنضير : من الألوان ما كان له بريق في صفائه ، ومن النبات الشديد الخضرة . والثمد : الماء القليل الذي لا مادة له .

(٥) احلولك : اشتد حلكه ، أي سواده . وجنح الليل (بضم الجيم وكسرها) : طائفة منه . و (ما) بعد (غير) ها هنا زائدة . منجاب : منكشف .

(٦) الغلائل : جمع غلالة (بالكسر) ، وهي شعار يلبس تحت الثوب ، وتحت الدرع أيضاً . والعثير : الغبار . والمجن : الترس . شبه بالشمس لاستدارته .

(٧) النقع : الغبار . والغزالة : الشمس .

وقولـــه :

وكنتُ كبازيّ من الطّير أشهبٍ ... يُهاب تجلّيه وتُخشى مخالبُه [1]

اذا انقضّ في إثرِ البُغاثِ تفرّقت ... شَعاعاً، ومَن لم يَنْجُ حانت معاطبه [2]

فأصبحت فلّاً بعد رائعِ نجدتي ... لِصِرْدانِها ، والدهرُ جَمٌّ عجائبُه [3]

وقولـــه :

الخُرْقُ يُرْهَبُ ، لكنّ الأناةَ لها ... عند التأبدِ أضعافُ من الرَّهَبِ [4]

لا يأمنُ الدّهرَ بأسَ الجرِ لامسُه ... وقد يروح سليماً لامسُ اللَّهَبِ !!

وقولـــه :

سلامةُ المرءِ ساعةً عجبُ ... وكلُّ شيءٍ لحتْفِهِ سببُ

يفرُّ والحادثاتُ تطلبُه ... يهربُ منها ونحوَها الهَرَبُ

فكيف يبقى على تقلّبه ... مسلّماً مَنْ بقاؤه العطَبُ !

وله من قطعة :

نشوانُ من ذكر العلاء ، كأنّما ... في كلّ منقبةٍ مدامةُ شاربِ

ويبيتُ منـــه جارُهُ وضيوفه ... رَغَداً وأمناً في حِمىً ومَلاعبِ

وقوله في التهنئة برجب :

أدنتْ لك العليــاءُ نازحها ... فبعيدُ كلِّ فضيلةٍ كَثَبُ

---

(١) الباز والبازي : ضرب من الصقور يتخذ للصيد . والأشهب : تقدم قريباً . وقوله : « تخشى مخالبه » هو في ط : « وتخشى معاطبه » .

(٢) البغاث : شرار الطير وما لا يصيد منها . وتفرقت : ل « تفرغت » ، والصواب ما أثبتناه من ط . وشعاعاً (بالفتح) : منتشرة . وفل القوم فلا : كسرهم وهزمهم . والصردان : جمع صرد (بضم ففتح) ، وهو طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار ، يصطاد العصافير . وهو في ط : « كصردانها » .

(٣) الخرق : الحمق ، والجهل ، وضد الرفق . والأناة : الحلم ، والرفق ، والتؤدة .

وَبَرَعْتَ في بأسٍ وفي كرمٍ   فالحاسدان : البيضُ والسُّحُبُ
فلئن عمراً أنت واحدُهُ   فضلاً ، وبعضُ شهورِهِ رَجَبُ

(التاء)

وقوله في مديح الوزير الزينبي (1) ، في الأيام المسترشدية :

صُلْتُ منه بصقيل الصـ   ـفْحِ مَطْرُورِ الشَّباةِ (2)
بكريم الأصل مَشْـ   ـعُوفٍ بحبِّ المأثُراتِ (3)
بجميع (4) العرض ، والأمـ   ـوالُ منه للشَّتاتِ
من قريش في نواصي المجـ   ـدِ والغُرِّ السَّراةِ (5)
شأنُهُمْ طعنُ الغطا   ريفِ وإدمانُ الصِّلاتِ (6)
واعتصابُ (7) العزِّ بالأيـ   ـدي الطِّوالِ الغاشماتِ
واقتيادُ الخيلِ جُرْداً   مثلَ سِيدانِ الفلاةِ (8)
يَتَعَثَّرْنَ بلغـو   ط (9) الظُّبا والقَنَواتِ
بحروبٍ مظلماتٍ   ووجوهٍ مُشْرِقاتِ

وقوله فيه من قطعة :

كأنَّ مِجَنَّ الشمسِ فوقَ جبينِهِ   إذا ما وجوهُ الحادثاتِ اكفهرَّتِ

---

(1) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .
(2) الصفح : العرض والجانب . والمطرور : المحدد . وشباة كل شيء : حد طرفه .
(3) شعفه الحب : أحرق قلبه ، وقيل : أمرضه . وقد شعف بكذا — على ما لم يسم فاعله — فهو مشعوف .
(4) ل : « بجمع » ، ولا يستقيم الوزن به ، ط : « بجميع » كما أثبتناه .
(5) السراة : السادة والأشراف .
(6) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف . والصلات : العطايا والهبات .
(7) ل : « واعتصاب » بالعين المهملة ، ط : « واغتصاب » كما أثبتناه .
(8) السيدان : الذئاب .
(9) ط : « بلقوط » ، وهو تصحيف .

يـــدلّ عليه نَشْرٌ عرضٍ كأنّه

رياح الخُزامى إذ جرتْ فاستمرّتِ [1]

كثير اهتزاز العطف من طرب العلى ... اذا ما أحاديثُ الماجيد كرّتِ

وقوله في الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء [2]، وكان أستاذ الدار في الأيام المستنجديّة :

أقولُ لمِنْطيقٍ من الحيّ أفوَهٍ ... بليغٍ اذا ما ألسنُ اللُّدِّ كلّتِ [3]

زعيمٍ بغُرمِ القوتِ غيرِ مُجَمْجِمٍ ... اذا لفظةٌ عن مسلك القول ضلّتِ [4]:

تحمّلْ، رعاك اللهُ، شكري الى الذي ... به عظُمت حالُ المعالي وجلّتِ

الى عضد الدين الجواد ابن عزّةٍ ... نِجارٌ كشمس الصبح حين تجلّتِ [5]

فتَمّ النّدَى الهامي اذا السُّحْبُ أخلفتْ

وثَمّ الحِمَى الحامي اذا البيضُ ذلّتِ

حيٌّ حرِيٌّ في العُفاةِ وفي العِدى ... اذا عدّةٌ زادت لفضليه قلّتِ [6]

فيحتقر الجمّين دثْراً وجحفَلاً ... عطاءً وإقداماً اذا الخيلُ ولّتِ [7]

يمنّ قيصـــاه على شامخ الذُرى

اذا ما ألحُبا من سَوْرة الخطْب حلّتِ [9]

فلا زال فرّاعاً لكلّ منيفة ... من المجد لو طارت بها الرّيح زلّتِ [10]

---

(١) النشر : الرائحة الطيبة . والخزامى : خيري البر .

(٢) أنظر عنه (ص ١٣ ر ٦) ، وعن بيت رئيس الرؤساء (ص ١٤٧) .

(٣) الأفوه : من كان واسع الفم عظيمه . واللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة الذي يتعسر فيها .

(٤) الزعيم : الكفيل . والغرم : ما يلزم أداؤه .

(٥) النجار : الأصل والحسب .

(٦) العفاة : طلاب المعروف .

(٧) الجم : الكثير . والدثر : المال الكثير . والجحفل : الجيش .

(٨) الحبا : أنظره في (ص ١٠٩ ر ٣) . من : ق ط « عن » . وسورة الخطب : شدته وسطوته .

(٩) فرع الشيء : علاه . والمنيفة : المرتفعة .

(الثـاء)

وقوله في مدائح [1] الوزير الزينبي [2] :

يفضّله على مـاء الغوادي ندى كفّيه والخُلُق الدميثُ [3]

له دونَ المَعابِ وقوفُ وانٍ وفي طلب العلى عَنَقٌ حثيثُ [4]

وزيرٌ في الثراء وفي الأعادي بنـائله ونجـدته يُغيثُ

قشيبُ العرضِ لا يُرمى بذمٍّ وعرضُ عدوّهِ سَمَلٌ رثيثُ [5]

تضاءلُ دونَهُ مُهَجُ الأعادي فنظرتُه لأنفسِـها تَميثُ [6]

رزينُ العِطفِ يحسبُ أنّ طَوْداً بنيقِ منـه عِطفَيْه يلوثُ [7]

تركتُ عليه غُرّاً ، لو زُهيرٌ أصاخ لفضلها ، فمنِ البَعيثُ [8] ؟

(الجيم)

وقوله في مديحه :

جُمِعَتْ لك الأوصافُ غيرَ منازَعٍ في غايةٍ ، وسواك منها مُخدَجُ [9]

---

(١) ط : « مدح » .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .

(٣) الغوادي : جمع الغادية ، وهي السحابة تنشأ صباحاً ، ومطرة الغداة . والدميث : اللين السهل .

(٤) وانٍ : ضعيف . والعنق : اسم من الإعناق للسير الفسيح . والحثيث : السريع .

(٥) القشيب : الجديد . والسمل : الخلق من الثياب . والرثيث : الرث البالي .

(٦) المهج : الأرواح . تميث : تذيب .

(٧) العطف : من كل شيء جانبه . وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه الى وركيه . يحسب : في ط « تحسب » . والنيق : أرفع موضع في الجبل ، وقيل : الطويل من الجبال . يلوث : يدير ويعصب .

(٨) لفضلها : في ط « بفضلها » . وزهير : هو زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات من شعراء الجاهلية . والبعيث : لقب أبي مالك خداش بن بشر المجاشعي . وهو شاعر إسلامي عاصر جريراً والفرزدق ، وكان فاخر الكلام حر اللفظ . وقد غلبه جرير وأخزاه ، وكان قد قاوم جريراً في قصائد ، ثم ضج الى الفرزدق واستغاثه . وكان أخطب بني تميم في زمانه . وأخباره في النقائض ، وطبقات الشعراء (١٧٩) ، والشعر والشعراء (١١٨) ، وتأريخ النقائض في الشعر العربي (١١٥ — ٢١٩) ، وغيرها .

(٩) مخدج : ناقص .

نَجْمُكَ مُعتَصِمٌ ، وكفُّكَ دِيمَةٌ ، وسُطاكَ مَعْطَبَةٌ ، ووجهُكَ أبلجُ (١)
هَيْفٌ على مُهَجِ الأعادي زَعزَعٌ وعلى الوليِّ نسيمُ ليلٍ سَجْسَجُ (٢)
تكبو العزائمُ في محــاولة العلى حيناً ، وعزمُكَ يستطيرُ ويَمعَجُ (٣)
جذلانُ مبتسمٌ اذا ازورَّ الرَّدى واذا يُنيــلُ المُعتفينَ فأبهجُ (٤)

وقوله فيه ، وكأنَّ حُسْنَ مدائحه فيه (٥) مقصور على حبى منائحه (٦) :

دعوتَ الّذي أرسى ثَبيراً بحَوْلِهِ وأعقبَ ظلماءَ الدُّجى بالتبلّجِ (٧)
دعاءَ بليغِ الالتماسِ مصرِّحٍ بآمـــالهِ لا بالعَييِّ المُلَجْلِجِ
بأن يَهديَ الآراءَ منكَ صوابَها لدى كلِّ مسدودِ المطالعِ مُرْتَجِ (٨)
ويجلو دجى الظلماءِ من كلِّ حادثٍ بواضحِ أمرٍ مثلِ وجهِكَ أبلجِ
وذلكَ مقدورٌ ليُمْنِ نقيبةٍ خُصِصتَ بها في كلِّ أمرٍ بمَخْرَجِ (٩)
فإنّكَ من حبِّ الصلاحِ تكادُ أن تصيبَ النَّدى عندَ الضِّرامِ المؤجَّجِ (١٠)
اذا أخدجَ الرأيُ اللبيبُ لطارقٍ أتيتَ بماضي الحجا غيرِ مُخْدِجِ
شِعــارُكَ إيســاعُ الجهالةِ رأفةً
مع الحذقِ في ضربِ الكَميِّ المُدجَّجِ (١١)

---

(١) ل : « معطيه » ، والتصحيح من ط . والمعطبة : المهلاك . والسطا : السطوة .

(٢) الهيف : الريح الحارة . والزعزع : الشديدة الهبوب . والسجسج : المعتدل بين الحر والبرد .

(٣) معج الفرس في سيره : سار في كل وجه من نشاطه . (٤) المعتفون : طلاب المعروف .

(٥) ل : « منه » ، وقد رجحنا عليها رواية ط .

(٦) الحبى : جمع حبوة ، وهي العطية . وهي في ط : « حسن » . والمنائح : جمع منيحة ، وهي في الأصل منحة اللبن كالناقــة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك . وقد استعملها المؤلف على سبيل المجاز . وهي في ط : « مناجية » .

(٧) ثبير : جبل بمكة . وأرساه : ثبته . والحول : القوة ، وهي في ط : « بحله » ، ولها وجه ؛ لأن ثبيراً هو في منطقة الحل من مكة .

(٨) مرتج : مغلق .

(٩) النقيبة : النفس ، و « فلان ميمون النقيبة » أي مبارك النفس مظفر بما يحاول .

(١٠) الضرام : (ص ٢١١ ر ٨) .

(١١) الكمي : الشجاع ، سمي به لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة . والمدجج : اللابس سلاحه التام .

وقوله في الحكمة :

لا يُعجِزَنَّكَ المجدُ من بُعْدِهِ ... وإن نضا عيسك إدلاجا (١)
واسلكْ الى إحراز غاياتِهِ ... وعراً من الرأي ومنهاجا
كم خامل صار بتدبيره ... ما بين أبناء العلى تاجا
كورقِ التوت على ضعفِهِ ... أصبح بالتدبير ديباجا

(الحاء)

وقوله في مدح الوزير الزينبي (٢) من قطعة :

إنَّ الوزارة وهي مُعتلَجُ العلى ... ومقامُ كلِّ مُسوَّدٍ جحجاحِ (٣)
نيطتْ بأبلجَ من ذؤابةِ هاشمٍ ... جمِّ المآثرِ ذي سطاً وسماحِ
نشوانَ من رجْعِ المديحِ كأنَّما ... في كلِّ قافيةٍ حُميّا راحِ (٤)

ومنها (٥) :

نكبتُ عن سَنَنِ الفخارِ توكّلاً ... منّي على المستبصرِ اللمّاحِ (٦)
وعلمت أنّ به أصيرُ الى العلى ... فأجدت فيه قلائدي وفصاحي
وله اعتناءٌ بالرجال أظنّه ... يناشني عن موقف المُدّاحِ (٧)

وقوله فيه :

يظنّ الهوى العُذْريّ وجدي بمجده ... وما هو الا الدارِميُّ المُبرِّحُ (٨)

---

(١) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة . ونضاها : أهزلها . والإدلاج : السير من أول الليل .

(٢) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩ ر ٢) .

(٣) معتلج العلى : مصطرعها . والجحجاح : السيد السمح .

(٤) ط : « حميا الراح » . والراح : الخمر . وحمياها : سورتها وشدتها .

(٥) وردت في ط قبل البيت السابق .

(٦) السنن : من الطريق نهجه ، والطريقة ، يقال : « استقام فلان على سنن واحد » ، أي على طريقة واحدة . ونكب عنها : مال وتنحى . واللماح : في ط « السماح » ، ولعلها « المساح » ليستقيم بهما الوزن والمعنى .

(٧) انتاشة من الهلكة : تناوله وأنقذه .

(٨) العذري : نسبة الى عذرة ، قبيلة توصف بشدة الصبابة والهوى والعفة . والدارمي : نسبة الى دارم (أنظر ص ٢١١ ر ٣) . والمبرح : البالغ في الإيذاء .

ويحسبُ أني مادحٌ ، وكأنّني لصـــدق مديح الزينبيّ مسبِّحُ
مكارِمُهُ أدنى من الغيثِ للغِنى وغُرّتُه من رَوْنَقِ الصبحِ أوضحُ
يَعافُ إباءً فيه أدنى خسيفةٍ[1] ويغفرُ الجُرْمَ الجليلَ ويصفحُ
ويهتزُّ عِطْفاه لِأُحدوثة العـــلى كما مالَ بالكأسِ النَّزيفُ المرنَّحُ[2]
اذا طاشتِ الأحلامُ يوماً فحِلْمُهُ من الأورقِ العاديِّ ذي النِّيقِ أرجحُ[3]
وإن ضاقَ قلبٌ بالصغيرةِ لامرئٍ فقلبُ عليٍّ بالكبيرةِ أسمحُ

وقوله ارتجالاً في أوّل لقية[4] الأمير دُبَيْس بن صَدَقة[5] :

إنّي لأُفكِّرُ في علاك فإنّني حيرانُ لا أدري بماذا أمدحُ !
إن قلت : « ليثٌ » كنتَ أفتكَ سطوةً أو قلت : « بحر ندى » فكفّك أسمحُ

(الدال)

وقوله في وصف الخال واللَّمى والعِذار :

وليس اللَّمى والخالُ زينةَ نظرة[6] ولكنّها قلبُ المُتيَّمِ ذي الوَجْدِ[7]
نَهبتُ سُـــويداءَ الفؤادِ بنظرةٍ فقسمتُها بين المُقبَّلِ والخـــدِّ

وقوله من قصيدة في الوزير الزينبي[8] :

---

(١) الخسيفة : النقيصة ، وهي في ط محرفة الى « منيته » .

(٢) العطف : أنظره في (س ٢٢١ ر ٧) . والنزيف : السكران . ورنحته الخمر : أسكرته . ورنح هو أي تمايل سكراً أو غيره .

(٣) كرر هنا معنى البيت المتقدم في (س ٢٢١ ر ٧) . والأورق : من كل شيء ما كان لونه لون الرماد ، وبعير أورق لونه لون الرماد ، وحمامة ورقاء . والعادي : القديم كأنه نسبة لعاد لقدمه ، تقول : مجد عادي ، وبئر عادية .

(٤) « أول لقية » : سقطت من ط .

(٥) تقدمت ترجمته في (٣٥ ر ٦) .

(٦) ب : « فطرة » ، ط : « قطرة » ، وكلاهما تحريف . واللمى (مثلثة اللام) : سمرة في الشفتين واللثات ، والعرب يستحسنون ذلك . والخال : الشامة . والعذار : جانب الوجه المحاذي لشحمة الأذن الى أصل اللحي ، والشعر النابت عليه .

(٧) المتيم : الذي ذلله الحب . والوجد : الحزن ، وشدة الحب .

(٨) تقدمت ترجمته في (س ٢٠٩ ر ٢) .

كيفَ الرُّقادُ، ولاتَ حينَ رُقادِ !   رَحَــلَ الشبابُ ولم أفُزْ بمُرادِ
هِمَمٌ عن الغَرَضِ الطويلِ بُدِّلَتْ   أملاً فَبُدِّلَتِ الكرى بسُهادِ
سِيّانِ : معتلجُ الحِمامِ ، وحسرةٌ   ضربتْ وجوهَ العزمِ بالأسدادِ (١)
إنّ التعاليَ حالَ دونَ بلوغها   عدمُ الثَّراءِ وقلّةُ الإنجادِ (٢)
فعلى العراقِ كآبةٌ من مُغْرَمٍ   جعلَ الضلوعَ ركائبَ الأحقادِ
يُبدي حفائظَه ، وليس بحاصلٍ   إلاّ على الإبراقِ والإرعادِ (٣)

ومنهـــا :

طرقتْ بأشرافِ العذيبِ مُسهَّداً   أغفى الجفونَ على القذى وقتادِ (٤)
والمرءُ من فَقْدِ الصلاحِ كأنّه   أسوانُ مشتملٌ بثوبِ حدادِ (٥)

ومنهـــا :

ما أنصفتْ بغدادُ ناشئها الذي   كثُرَ الثناءُ به على بغـــدادِ
سَلِبٌ بي (٦) إذا مدَّ الجدالُ رِواقَهُ   بصوارمٍ غيرِ السيوفِ حِدادِ
وجرتْ بأنواعِ العـــلومِ مقالتي   كالسيلِ مدَّ الى قرارِ الوادي
وذعرتُ أَلْبابَ الخُصومِ بخاطرٍ   يقظانَ في الإصدارِ والإيرادِ
فتصدّعوا متفرّقينَ كأنّهم   مالٌ تفرّقه يدُ (ابنِ عُبادِ)

(١) سيان : مثنى سيّ كمثل وزناً ومعنى . والحمام : الموت ، ومعتلجه : اعتلاجه ، أي تصارعه .
(٢) الإنجاد : الإعانة .
(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهي الحمية ، والغضب بحرمة تنتهك من حرماتك ، أو جار ذي قرابة يظلم من ذويك ، أو عهد ينكث .
(٤) الأشراف : الأعالي ، واحدها شرف . وهي في ط : « إشراق » . والعذيب : أنظره في (ص ١٨ ر ١) . وهو يغفي على القذى : أي يقيم على الضيم الملم به . والقتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .
(٥) أسوان : حزين .
(٦) سل بي : حرفت في المنتظم (٣٨٨/١٠) الى « شاني » .

وقوله في مدحه [من] قصيدة :

قَرِّبا مني حسامي (1) وجوادي ... وانظرا صدق ضرابي وجلادي
ودعاني من أحاديث الهوى ... فالعلى بين عنانٍ ونجادِ (2)
إن تَرَى جسمي سقامٌ عارقٌ (3) ... فبحبِّ المجد لا حبِّ « سعادِ »
لقحت حربُ (4) بني فاعلة ... جهلوا حقي ولم يرعوا ودادي

ومنها :

نطقوا (لا نطقوا) في فارع ... رفع الفضل الى السبع الشداد (5)
نقموا منه على أحرزها ... والصبا أغيد مخضر المرادِ (6)
بأس مطرور الشبا يشفعه ... كلم تسخر من قس إياد (7)
ووراء الضيم نفس مُرَّةٌ ... تستلين العزَّ من خرط القتادِ (8)

ومنها :

كرِّرا لحظكما في عارضٍ ... لبس الصبح به ثوب سواد (9)

---

(١) ل ، ط ، ب : « حصاني » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) أي بين عنان الفرس ونجاد السيف ، وهي حمائله .

(٣) ب : « عاذق » . والأصل هو الصواب ، وهو من قولهم : عرق العظم اذا أخذ عنه معظم اللحم وهبره ، وبقي عليه لحوم رقيقة .

(٤) لقحت الحرب : اذا اشتدت وعظمت على تشبيها بالأنثى الحامل التي لا يدرى ما تلد . قال مهلهل :

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

(٥) الفارع : من علا بشرفه . والسبع الشداد : في ل « سبع الشداد » ، وهي على الصحة في ط .

(٦) الأغيد : لين الأعطاف ، وهو أغيد وهي غيداء . والمراد (بفتح الميم) : المكان الذي يذهب فيه ويجاء .

(٧) مطرور الشبا : تقدم في (ص٢١٩ ر٢) . وقس إياد : هو قس بن ساعدة الإيادي الخطيب المشهور في الجاهلية ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٩ ر ٩) .

(٨) في ط : وفداء الضيم نفس مرة ... تستلين العز من شوك القتاد

والقتاد : تقدم في (ص ٢٢٥ ر ٤) . وخرطه : حته ، وهو أن تقبض على أعلى القضيب ثم تمر يدك عليه الى أسفل ، وفي المثل : « دون ذلك خرط القتاد » يضرب للأمر الشاق .

(٩) العارض : السحاب الذي يعترض الأفق . وسواد : في ط « حداد » .

يلمع البارقُ من حافاتــه ... بدلاصٍ ونصالٍ وصعادِ [1]

مستهلّ القَطْرِ ، لكنْ مزنهُ ... حَلَبُ الأوداجِ ، لا صوبُ العِهادِ [2]

ملأ الخَرْقَ رجالاً وقنــا ... وجياداً مثلَ مبثوثِ الجرادِ [3]

وأسـمرَ الطعنَ حتّى نُجِعَتْ ... ذُبُلُ الخطّيِّ بالزُّرقِ الحِدادِ [4]

وأتى الضَّرْبَ دراكاً مثلما ... رادفَ الجودَ (علي بن طِرادِ) [5]

أسدٌ يُخْشَى ، وغيثٌ يرتجى ... في غنىً مقْوٍ وإرغامِ معادي [6]

وقوله من قصيدة في مدح السلطان محمود [7] بن محمّد بن ملكشاه [في السهم والقوس وغيرهما [8]] :

ألقِ الحدائجَ ترعَ الضُّمَّرُ القودُ ... طال السُّرى وتشكّت وخدك البيدُ [9]

---

(١) الدلاص : الدرع الملساء اللينة البراقة ، والنصال : جمع نصل ، وهو حديدة السيف ، وقد يسمى السيف نصلاً من باب تسمية الكل باسم الجزء ، وهو المراد هنا . والصعاد : جمع صعدة ، وهي القناة المستوية التي تنبت كذلك غير محتاجة الى تثقيف .

(٢) الأوداج : جمع ودج (بفتحتين) ، وهو عرق الى جانب ثغرة النحر ، وهما ودجان يميناً وشمالاً . وحلبها : يريد بها دمها . والعهاد : جمع العهد ، وهو أول مطر الوسمي .

(٣) الخرق : الفلاة الواسعة .

(٤) الخطي : نسبة الى الخط ، مرفأ السفن في البحرين ، واليه تنسب الرماح . والذبل : صفة الرماح .

(٥) الدراك : المتلاحق ، ومثلما : في ط ، ب « كما » . ورادف الجود : تابعه .

(٦) المقوي : الذي لا زاد معه .

(٧) هو أحد الملوك السلجوقية المشاهير ، تولى السلطنة صبياً في ذي الحجة سنة ٥١١ ﻫ بعد وفاة أبيه ، وخطب له ببغداد ، على جاري عادة الملوك السلجوقية ، في خلافة المستظهر بالله . وكانت السلطنة في أواخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها حتى عجزوا عن إقامة وظيفة الفقاعي ، فدفعوا له يوماً بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها في حاجته . وكان في آخر سلطنته قد دخل بغداد ، ثم خرج منها ، فمرض في الطريق واشتد به المرض وتوفي في الطريق في ٥ شوال سنة ٥٢٥ ﻫ ، وقيل : في ١٥ شوال ٥٢٤ ﻫ بباب إصبهان ودفن بها . وكان متوقد الذكاء ، قوي المعرفة بالعربية ، حافظاً للأشعار والأمثال ، عارفاً بالتواريخ والسير ، شديد الميل الى أهل العلم والخير . راجع أخباره في الكامل (٧/١١) ، ووفيات الأعيان (٨٧/٢) ، وشذرات الذهب (٧٦/٤) ، وزبدة النصرة (الفهرست) ، وأخبار الدولة السلجوقية (الفهرست) ، والمنتظم (٩ و ١٠) ، ومرآة الزمان (٨ ما بين ٦٩ — ٥٨ :) ، ومحاضرات تاريخ الأمم الاسلامية « الدولة العباسية » (٨٥ : و ٩٨ : — ٥٠١) . وانظر ما كتبته عن أبيه في (ص ٢٨) .

(٨) الزيادة من ب .

(٩) الحدائج : مراكب النساء ، واحدها حداجة بوزن كتابة . ترع : في وفيات الأعيان (٨٧/٢) =

يا ساريَ الليلِ لا جَدْبٌ ولا فَرَقٌ ... النَّبْتُ أغيدُ والسلطانُ محمودُ (١)

قَيْلٌ تألّفتِ الأضدادُ خيفتَه ... فالوِردُ الضَّنْكُ فيه الشاءُ والسِّيدُ (٢)

أغرُّ يُشرِقُ ديجورُ الظلامِ به ... ومُشرِقاتُ الضحى من غزوِه سُودُ

تروى غروبُ الظُّبا والمعتفين به ... ما أنبطَ البرحَ أو ما أسبلَ الجودُ (٣)

ومنهـــا :

تَزيدُه جَذَلاً صوتُ الصريخِ ضُحى ... كأنّما الحربُ في ألحاظه رُودُ (٤)

أُلهوبُ حربٍ له يومَ الوغى شُعَلٌ ... وماءُ سِلْمٍ شهيُّ الطعمِ مورودُ (٥)

ومنها في وصف السهام :

يُصْمي بطيرٍ من الأعوادِ هافيةٍ ... أوكارُهنَّ المَجالي واللغاديدُ (٦)

من كلِّ أهيفَ ممشوقٍ يظاهره ... مُؤَلَّلٌ من حديدِ الهندِ مجرودُ (٧)

ألفى به النسرُ عهداً من قوادمه ... يَميرُه، ورواقُ الحربِ ممدودُ (٨)

= « ترعى » ، وحرف في شذرات الذهب (٤/٧٧) الى « تلق » . والضمر : جمع ضامر ، وهو القليل اللحم الدقيق . والقود : الطوال الأعناق والظهور ، من الإبل والخيل ، وغلب استعمالها في الابل ، وهو أقود وهي قوداء . والسرى : سير عامة الليل . والوخد : أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام .

(١) الفرق : الخوف . والنبت الأغيد : الناعم المتثني .

(٢) القيل : أنظر (ص ٢١٠ ر ٢) . والضنك : الضيق . والشاء : جمع شاة . والسيد : الذئب .

(٣) تروى : في ط « يروي » . والغروب : جمع غرب ، وغرب كل شيء حده . والمعتفون : طلاب المعروف . وأنبط : أظهر . وأسبل : هطل ، على التشبيه بهطول المطر .

(٤) الرود : الرؤد ، الشابة الحسنة ، حذفت همزتها للشعر .

(٥) الألهوب : أنظر (ص ١٠٣ ر ١) . وشعل : في ب ، ط « شغل » بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٦) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه . وهفا الطائر : خفق بجناحيه . والمجالي : مقاديم الرأس ، وهي في ل بالحاء المهملة ، واستصححها من ط . واللغاديد : جمع لغدود (كعصفور) ، لحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٧) مؤلل : محدد ، وهو في ب ، ط : « مؤلك » .

(٨) ألفى : في ط « ألقى » بالقاف . والقوادم : عشر ريشات في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، واحدتها قادمة . ومار عيره ميراً : أتاه بالميرة ، أي الطعام ، وقد استعاره للامداد .

كأنّ مرماهُ مغناطيسُ أنصلهِ ... فنيه قبلَ انتحاءِ القصدِ تسديدُ (١)

لو أبصرتْ عينُ داوودٍ منافذَهُ ... لما تحدّى بنسجِ السّردِ داوودُ (٢)

ومنها في صفة القوس :

من قلبِ مَحْنيّةٍ مَلْويّةٍ قُذُفٍ ... سِيّانِ في قصدها قربٌ وتبعيدُ (٣)

لها رنينٌ اذا ما أُنْبِضَتْ زَجِلٌ ... كما أرنَّ أبيُّ النفسِ مجهودُ (٤)

كأنّها حاجب المذعور ، مرشقة ... ما فيه للخوفِ تدريجٌ وتجعيدُ (٥)

وتنثني حين تلقى غيرَ مُوتَرَةٍ ... كأنّها حاجبٌ بالغيظِ معقودُ (٦)

و(*) في صفة الرمح :

له ألفٌ قويمُ القدِّ معتدلٌ ... مثقّفٌ من عروقِ الخطّ أُمْلُودُ (٧)

---

(١) الأنصل : جمع نصل ، وهو حديدة السيف .

(٢) منافذه : مواضع نفوذه ، يقال : نفذ السهم الرمية اذا خرقها وجازها حتى ظهر من الجانب المقابل . والسرد : حلق الدرع . ونقل ابن هشام في شرح قصيدة بانت سعاد عن قتادة ، قال : « كانت الدروع قبل داوود عليه الصلاة والسلام صفائح ، وهو أول من سردها وحلقها » . قال الباجوري : « ولا شك أن دروعه أحكم الدروع صنعة ، لأن تعلمه لتلك الصنعة من الله تعالى ، كما قال تعالى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم ، لتحصنكم من بأسه ، فهل أنتم شاكرون ؟ » ، ولأن الله تعالى ألان له الحديد كما قال تعالى : « أن اعمل سابغات ، الآية » . واشتهرت دروعه عند العرب ، واستفاض ذكرها في أشعارهم كالذي قاله كعب بن زهير يصف صحابة رسول الله :

شم العرانين ، أبطال ، لبوسهم ... من نسج داوود في الهيجا سرابيل

(٣) قذف (بضمتين) : قاذفة . وسيان : مثنى سي كمثل وزناً ومعنى .

(٤) أنبض الرامي القوس : جذب وترها لترن ، وحرفت الكلمة في ط الى « أنضت » . والزجل : ذو الصوت الرفيع العالي .

(٥) مرشقة : في ط « مرشفة » ، وهي تحريف . يقال : أرشق الرامي : أي رمى وجهاً واحداً . وما فيه للخوف تدريج وتجعيد : الظاهر أنه يريد به القلب .

(٦) كأنها : في ل « كأنما » ، وما أثبتناه عن ط ، ب أرجح .

(*) زاد في ط هنا وفيما يأتي من مقدمات الأبيات الآتية — الى قوله : صدق البديهة ... البيت — كلمة : « منها » .

(٧) الخط : أنظره في (ص ٢٢٧ ر ٤) . والأملود : الغض الناعم .

سكرانُ من عسلانٍ في معاطفه　　لكنّه عند طعن النّحرِ غرّيدُ [1]

وفي صفة السنان [2] :

يجري به وهو كيوانٌ لزرقته　　وينثني وهو كالمرّيخ مزؤودُ [3]

وفي صفة السيف :

وصارم يسبق [4] التصميمَ ، قدّته　　يومَ الكريهةِ والإيماء تقديدُ
يختالُ من لمعانٍ لحظ ناظره　　فما لمقلة راءٍ [5] فيه ترديدُ
كأنّه جدولٌ والبحرُ قابضُهُ　　اذا انتضاه شديدُ البأس محدودُ [6]

وفي صفة الفرس [7] :

على أقبَّ رحيبِ الصدرِ ذي خُصَلٍ　　فيه على الريح تبريزٌ وتجويدُ [8]
نوّام مربطة ، يقظان معركة ،　　سهل العِنانِ ، وفي الأعداء تشديدُ
مصغٍ الى هاجس من سرّ فارسه　　كأنّه بضمير الركض مجلودُ

وفي صفة الجيش :

في جحفل كأتيّ الطود ذي لجبٍ　　له بمخترق البيداء تضديدُ [9]
كأنّما القاعُ طرسٌ وهو أسطره　　والبيضُ والسمرُ إعرابٌ وتأكيدُ

---

(١) عسلان الرمح : اضطرابه واهتزازه .

(٢) كانت هذه الجملة في ل قبل البيت السابق ، فجعلناها بعده كما في ط ، لأنه في صفة الرمح لا السنان .

(٣) كيوان : اسم زحل بالفارسية ، وهو ثاني الكواكب السيارة في الترتيب بعد المشتري من حيث الحجم ، يظهر للعين المجردة نجماً أزرق النور . والمريخ : من الكواكب السيارة أيضاً ، يشبه الأرض كثيراً ، ويلوح للعين المجردة أحمر ثابت النور . والمزؤود : المذعور ، يقال زأده اذا أفزعه ، وزئد — على ما لم يسم فاعله — فهو مزؤود : ذعر فهو مذعور .

(٤) ط : « تسبق » .

(٥) ل ، ط : « رأي » ، ولعل ما أثبتناه هو المناسب للسياق .

(٦) انتضاه : سله .

(٧) لم ترد هذه الجملة في ط .

(٨) الأقب : الدقيق الخصر الضامر البطن من الخيل . والخصل : جمع خصلة ، وهي الشعر المجتمع .

(٩) الأتي : السيل الغريب لا يدرى من أين أتى . واللجب : الصوت والجلبة .

كأنَّ حيَّهُ تهادوا نار مُحْسِنِيَةٍ ... نارَ السنابك تعليها الجلاميدُ[1]

لاحت به الطَّالعة الغرَّاء ، إذ حجبت ... شمس الضُّحى ، فضياء اليوم موجودُ

من نور أبلجَ ، لا في عوده خَوَرٌ ... للعاجمين ، ولا في الرأي تفنيدُ[2]

صَدْقُ البديهة في تأميم مقصده ... وللرَّويَّة تصويبٌ وتصعيدُ[3]

ومنها في مدح قوم الممدوح :

قومٌ أناملُهم سُحْبٌ ، وأعصرهم

خِصْبٌ ، وعافيهم في الجدبِ مودودُ[4]

ومنها[5] :

من كلّ معتصبٍ بالتاج ، يَنْعَتُهُ ... على المنابر تعظيمٌ وتمجيدُ

يُهاب ، وهو جنينٌ قبلَ رؤيته ... ويستقادُ اليه وهو مولودُ

[وفي التهنئة بالصوم والعيد[6]] :

يا صائماً قبلَ صوم اليوم من وَرَعٍ ... هنَّاكَ باليُمْن هذا اليومُ[7] والعيدُ

وله من قصيدة في مدح السلطان طغرل[8] بن محمد بن ملكشاه :

---

(١) الحي : البطن من بطون العرب . وتعليها : في ط « تغليها » بالغين المعجمة .

(٢) رجل أبلج الوجه : مسفره مشرقه . والخور : الضعف . وعجم العود : عضه ليعلم صلابته من خوره . وتفنيد الرأي : تخطئته وتكذيبه .

(٣) البديهة : أول كل شيء ، وما يفجأ منه . والصدق (بفتح الصاد) : الكامل من كل شيء ، يقال « رجل صدق » على النعت ، و « هو صدق اللقاء والنظر » ، « وهي صدقة » . وتأمم مقصده : توخاه . والروية : النظر والتفكير .

(٤) العافي : طالب المعروف . (٥) لم ترد في ط .

(٦) الزيادة من ط . (٧) ط : « الصوم » .

(٨) ب ، ط : « طغر » ، وهو تحريف . ولد طغرل سنة ٥٠٣ هـ ، وملك بعد وفاة أخيه السلطان محمود ، وجلس على التخت بهمذان في جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ هـ ، وكانت مدة سلطنته قصيرة بدأها بمحاربة أخيه الملك مسعود ، فلما استتب له الأمر جاءته رسل الخليفة المسترشد بالله يشترطون عليه ، ليدخل الى بغداد ، فلم يجب ، ولم تستقر الحال بينه وبين الخليفة البتة ، وما كادت تصفو له الدنيا حتى عاجلته منيته في أوائل المحرم سنة ٥٢٨ هـ ، أو ٥٢٩ هـ . وكان خيراً عاقلا عادلا قريباً الى الرعية محسناً اليهم . الكامل (م ١١) ، وأخبار الدولة السلجوقية (٩٩ — ١٠٥) ، وزبدة النصرة (١٥٦ — ١٧٢) .

أأهجع أم آوي الى لين مرقدِ ... ولم يَرْوَ في كفّي غرارُ مهنّدِ (1) ؟

ومنها في الافتخار :

اذا أخمد النيرانَ قرٌّ مراوحٌ ... بأهداب رجّاف العشيّة مُرعِدِ (2)

ولم يُطِقِ العجلانُ في بأس ضرمةٍ ... حفاظاً ، لِما يعروه من رعشة اليدِ (3)

ولاذت بفرث الوديات مع الدّجى ... من القرّ رُعيانُ العزيبِ المبدّدِ (4)

رأيت ضيوف الدارميّين هُجّعاً ... لدى خير مثوى من رجال وموقدِ (5)

ومنها في صفة (6) الركب (7) :

أقولُ لركبٍ مُدلجين تدارعوا ... بُرودَ الفيافي بالرسيم المُردّدِ (8)

نشاوى من التهويم حتّى كأنّما ... سقاهم سهادُ الليل خمرةَ صرخدِ (9)

اذا ساور الإعياء منهم عزيمةً ... ثناه مقالٌ من فصيحٍ مغرّدِ

وقد لفظوا عن عيسهم كلَّ مثقلٍ ... من الرّحل حتّى بُلغةَ المتزوّدِ (10)

خذوا برقاب العيس إنْ رمتم الغنى ... الى ذي الأيادي المغرل (11) بن محمّدِ

---

(١) لين : في ط « طيب » . والغرار من السيف حده .

(٢) القر : برد الشتاء . و « بأهداب » : حرف في ط الى « بأهداف » ، ويريد بأهداب رجاف العشية : السحاب المدلي المثقل بالماء .

(٣) الضرمة : النار ، حرفت في ط الى « ضربة » .

(٤) الفرث : السرقين ما دام في الكرش . والعزيب : من الإبل والشاء ما يبيت في المرعى ولا يروح على الحي . وهي في ل ، ط : « الغريب » ، ولا معنى لها هنا .

(٥) الدارميون : أنظر (ص ٢١١ ر ٣ و ٢٢٣ ر ٨) .

(٦) ط : « وصف » .

(٧) وردت هذه الجملة في ط قبل البيت السابق .

(٨) المدلجون : السائرون من أول الليل . والرسيم : ضرب من سير الإبل السريع .

(٩) نشاوى : سكارى . والتهويم : مصدر هوم فلان تهويماً اذا هز رأسه لفرط النعاس . وكأنما : في ط ، ب « كأنهم » . وصرخد : بلد بالشام ، تنسب اليه الخمر .

(١٠) ل : « عيشهم » ، وهو تصحيف ظاهر يلفظه السياق ، وهي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبلغة : ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه .

(١١) ط ، ب : « مغر » ، وهو تحريف .

ومنهـــا [*] :

يُذَمُّ بأفواهِ العِشارِ عشيَّةً ... وتَحْمَدُهُ العِقبانُ عندَ ضحى الغدِ[1]

ومنهـــا [*] :

وأبلجَ متلافٍ كأنَّ نوالَهُ ... تحدُّرُ سيلٍ من ذُرى الطَّودِ[2] مُزْبِدِ

هنيءِ الندى ، لا واهبٌ بوسيلةٍ ، ... ولا شائبُ المعروفِ منه بموعدِ

ومنهـــا [*] :

اذا غدرَتْ دارٌ ، وكذَبَتْ[3] ترابُها ... لأيدي المَذاكي[4] والعجاجِ المُصعَّدِ

ومنهـــا [*] :

وكم حلَّ مجرمٌ فاغتفرتَ خطيرَهُ ... بحلمٍ جميلِ الصفحِ رحبِ التعمُّدِ

وقوله من قصيدة في السلطان مسعود بن محمد[5] نظمها بمَرْو[6] سنة اثنتين[7] وعشرين :

(*) « ومنها » : لم ترد في ط في كل هذه المواضع .

(1) العشار : النوق الحوامل التي مضى على حملها عشرة أشهر .

(2) ط : « السيل » ، ولا معنى له هنا . (3) ط : « ووديب » ، وهو تصحيف ظاهر .

(4) المذاكي : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها .

(5) هو السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي . ولد سنة ٥٠٢ هـ ، وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد سنة ٥٢٧ هـ ، وجرت له أحوال عجيبة ، وآل الأمر الى أن خرج المسترشد بالله الى محاربته ، فأسر المسترشد ، ورأى مسعود ما لم يره أبناء جنسه من التمكن ، وقدم بغداد فبايع المكتفي وتحكم ، واستمر في سلطانه مع كثرة الخالفين والخارجين عليه من أهل بيته ومن أمرائه الى أن توفي سنة ٥٤٧ هـ بهمذان ، وذلك على رأس مئة سنة من الخطبة ببغداد للسلطان طغرل بك ، ومات مع مسعود سعادة البيت السلجوقي ، فلم تقم له بعده راية يعتمد بها ولا يلتفت اليها . وكان حسن الأخلاق ، كثير المزاح والتبسط مع الناس . وكان كريماً عفيفاً عن أموال الرعية ، حسن السيرة فيهم ، من أصلح السلاطين سيرة ، وألينهم عريكة ، وله فضائل كثيرة ومناقب جمة . وأخباره في زبدة النصرة (الفهرست) ، وأخبار الدولة السلجوقية (الفهرست) ، والكامل (م ١١ ما بين ص ٧ — ٥٤) والمنتظم (١٠ ما بين ٢٥ — ١٥١) ، ومرآة الزمان (٨ ما بين ٤١ — ٤٤٥) ، ووفيات الأعيان (٢/٩٣) ، ومحاضرات تاريخ الأمم الاسلامية « الدولة العباسية » (٥٠٠ — ٥٠٤) .

(6) مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان ، وقصبتها ، قال ياقوت : وكان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي ، مع سعة ملكه ، قد اختارها على سائر بلاده ، وما زال مقيماً بها الى أن مات . وتليها في الشهرة مرو الروذ ، وهي قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام . وقد خرج منها خلق من الأعيان وأهل الفضل ، وكان لها شأن خطير وأثر عظيم في نمو الثقافة الإسلامية في الشرق . أنظر معجم البلدان (٨/٣٢) .

(7) ل ، ط : « اثنين » .

حيِّ نجداً وأين من مَرْوَ نجدُ … إنّما يبعثُ التحيّةَ وَجْـدُ !

عرضت بيننا البلادُ ، وأضحى … للمطايا دونَ التزاوُرِ وَخْدُ [1]

شامخاتٌ من الجبال صعـــابٌ … وقفارٌ من التنائف مُلْدُ [2]

ووراء الفراق طيفُ خيـــالٍ … لم يَعُقْهُ عــ ن الزيارة بُعْدُ

ينفضُ اليقظةَ الكرى حين يخطو … والظّلام الصّباح أيانَ يبدو

لا تظنّوا أنّ الغرامَ وإنْ بِتْـ … ـتُ وبيننا يقضي عليه الصدُّ

دون سلوانِ حبّكم زفراتٌ [3] … لاذعاتٌ لها ضرامٌ [4] ووقْدُ

ومنهـــا [5] :

دان عندي الزّمانُ بؤسى ونُعمى … وتساوى نحسٌ لديّ وسعدُ

واذا الحبّ لم يدمْ ، فـــواء … عَذْبُ الوصلُ ، أو أمرّ البعدُ

يفعل اللهُ ما يشـــاء ، فما منْـ … ـهُ مفرٌّ ، ولا لما شـــاء ردُّ

حازمُ القـــوم عاجزٌ في توقّيـ … ـهِ ، وكالجاهل اللبيبُ الأشدُّ

ما انضلي يذالُ [6] بين أناسٍ … جودُهم موعدٌ ، وشعريَ نقدُ !

كنزوا المالَ للخطوب ، وذمّي … كَمْ من أشدُّ خطبٍ أشدُّ

كم أذاتُ المديحَ في حمد قوم … كانَ كفراً بالمجد ذاك الحمدُ

حرجاً ألجأ الصـــدوق الى الدّيـ … ـنِ ، وما من لوازم العيش بدُّ !

لستُ أخشى فوتَ الغنى وأمامي … شرفُ الحظّ والمليك الجَعْدُ [7]

---

(١) وخد البعير وخداً : رمى بقوائمه كمشي النعام .

(٢) التنائف : جمع تنوفة ، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس . وملد : لا شيء فيها .

(٣) ل : « سلوات » ، والتصحيح من ط .

(٤) أنظره في (ص ٢١١ و ٨) .

(٥) وردت في ط قبل البيت السابق .

(٦) ط : يذال ، وهو تصحيف . وذال الشيء : هان ، وأذاله : أهانه وابتذله .

(٧) الجعد : السخي الكريم .

ملكٌ عنده قِراءان لضيـ ... ـفِ وللجيش : فتكه ، والرّفْدُ (1)
كلّما نازلَ الكتائبَ والنّقـ ... ـرَ ، شكا جحفَلٌ ، وأثنى وَفْدُ
نعمَ مَنْ أمّهُ كَبْوَةَ حربٍ ... وجلاه تحت السّنوّرِ طرْدُ (2)
واذا ملّ سيفُه الغِمْدَ أضحى ... وله مَفرِقُ المتوّجِ غِمْـدُ
دارُهُ حومَةُ الوَغى من غِوارٍ ... وحشاياه عُودُ سرجٍ ولِبْدُ (3)

ومنهـا :

مُتلِفٌ ما احتواه جوداً وبذلاً ... يَهْدِمُ المالَ حيثُ يُبْنَى المجدُ

وله من مدح المظفّر بن حماد (4) :

ظِلُّ الأسنّةِ لا جُدرانُ بغدادِ ... وسابغُ الزّغْفِ لا مَوْشِيّ أبرادِ (5)
أدنى الى المجدِ من عيشٍ يقارنُه ... تهضُّمٌ من أباةِ الحمدِ أوغادِ
فارغَبْ بنفسِك أنْ يقتادَها وَغْدٌ ... ودونَه جائرٌ في حكمه عادِ (6)
رحلت عنكم ، فلا جِيدٌ بملتفتٍ ... الى الدّيار ، ولا شوقٌ بمُعتادِ (7)
وكم وراء رحيلي من مخبّرةٍ ... روعاء بارقةٍ بالشرّ مِرعادِ (8)
يا غامزين قناةً غيرَ خائرةٍ ... ورامِسنين شديداً غير منقادِ (9)

---

(1) قرى الضيف يقريه وقرىً وقراء : أضافه . والرفد : العطاء والصلة .
(2) الكبوة : الغبار . والسنور : الدرع .
(3) الحومة : من القتال أشد موضع فيه . والوغى : الحرب . والغوار : الغارة .
(4) هو الأمير بدر الدين المظفر بن حماد بن أبي الجبر ، كان صاحب الغراف وأعمال البطيحة . فتك به في سنة ٥٥١ هـ نفيس أو يعيش بن فضل بن أبي الجبر في الحمام وولي بعده ، وقيل : ولي ابنه مكانه . أخبار الدولة السلجوقية (ص ١٣٧) ، والمنتظم (١٠/١٦٨) ، والكامل (١١/٨٨) ، والخريدة (الفاتيكان ، الورقة ١٦٢) .
(5) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع الواسعة الطويلة . ودرع سابغة : تامة طويلة .
(6) عادٍ : ظالم. (7) اعتاده : انتابه وقصده وأتاه مرة بعد أخرى .
(8) روعاء : فزعة . بارقة : متهددة ومتوعدة ، كبرقة .
(9) غمز المثقف القناة : اذا عضها وعصرها . ورسن الدابة : شدها برسن ، أي حبل .

كذّوا عن الأورق العاديّ ، إنّكُمُ لا تستطيعون نقلَ الأورق العادي (١)

ولا تسنّوا لأقوالي سِبابَكُمُ (٢) فما العضيهةُ من شأني ولا عادي (٣)

ومنهـــا :

وإن أكن مادحاً من غير قارصة فربّما كنتَ يوماً حيّةَ الوادي (٤)

وفي المخلص بعد وصف معرك :

وبالفلاة لنـــا يومٌ تراجـــه بالهام يُنجِزُ مأمولي وميعادي (٥)

كأنّما دمُ أوداجِ الرجال به سيلٌ تدافعَ أوجودُ ابنِ حمّادِ (٦)

ومن قطعة :

إلامَ أمنّي النفسَ كلَّ عظيمةٍ ودهريَ عنها دافعٌ لي وذائدُ ؟

وأستوكِفُ المعروفَ أيديَ معشرٍ تموتُ الأماني عندَهم والمحامدُ (٧)

اذا أنا بالغُرِّ القوافي مدحتهـــم لغدرٍ ، هجتني بالمديحِ القصائدُ !

وله من قصيـــدة في مدح الوزير محمود بن [أبي (٨)] توبة (٩) وزير الســـلطان

---

(١) أنظر (ص ٢٢٤ و ٣) .

(٢) ل : « سناسكم » ، والتصحيح من ط ، وفيها : « ولا تسنوا الى قولي سبابكم » .

(٣) العضيهة : الريبة ، وهي الإفك والبهتان ، والعضيهة : الكلام القبيح ، وكل تصح إرادته ، والمعنى الثاني أنسب . وهي في ط : « المضيمة » ، وتشبه أن تكون « المضيعة » ، وكلاهما تحريف . عادي : عاداتي ، وواحد العاد عادة .

(٤) القارصة : الكلمة التي تنغص وتؤلم . وحية الوادي : الأسد ، والرجل اذا كان شديد الشكيمة حامياً لحوزته .

(٥) الهام : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس وفيه الناصية والقمة .

(٦) أنظر ص (٢٣٥ و ٤) .

(٧) استوكف الماء : استقطره واستدعى جريانه .

(٨) الزيادة من زبدة النصرة ، وطبقات الشافعية .

(٩) حرف في ط الى « بويه » . وهو نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي ، قلده السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي الوزارة سنة ٥٢١ هـ . قال البنداري فيما اختصره في زبدة النصرة من كلام عماد الدين الأصبهاني : « وكان أوزر الفضلاء ، وأفضل الوزراء ، ولم يزل الأفاضل جامعاً ، والأراذل =

سنجر (١) :

كَفّي مَلامَكِ عن لومي وتفنيدي ... صَبابتي بالعلى لا الخُرَّدِ الغيدِ (٢)

أطلتُ حتّى حسبتُ المجدَ منقصةً ... كلّا ولو أنّه حَتْفُ المَاجيدِ (٣)

لمّا رأيتَ غرامًا جلّ عن عَذَلٍ ... حسبته بهوى الحُسّانةِ الرُّودِ (٤)

لا والرواقصِ في الأنساعِ يبعثُها ... زجرُ الحُداةِ بإنشادٍ وتغريدِ (٥)

اذا وَنِينَ من الإرقالِ، واضطُمِرت ... من اللُّغوبِ، خلطْنَ اليدَ بالبِيدِ (٦)

= قاطعاً ، وقصده أهل الفضل ، وآواهم بالإحسان الوافر الى وارف الظل ، وخدمه العلماء بمصنفاتهم ، وخصوه بمصنفاتهم . وصنف له عمر بن سهلان كتاب البصائر النصيرية ، وهو الكتاب الذي لم يصنف مثله في فنه ، ولم يسبق الى إحسانه فيه وحسنه .. وصرف عن الوزارة في سنة ٥٢٦ هـ عند وصول السلطان سنجر الى العراق بعد وفاة ابن أخيه السلطان محمود بن محمد وترتيب السلطنة لأخيه طغرل بن محمد مكانه » .

(١) هو سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، أبو الحارث واسمه أحمد ، وغلب عليه اسم سنجر لأنه ولد بسنجار في شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ . نشأ ببلاد الخزر ، وسكن خراسان ، واستوطن مرو الشاهجان . ودخل بغداد مع أخيه السلطان محمد ، واجتمع معه بالمستظهر بالله العباسي ، فعهد الى محمد بالسلطنة ، وجعل سنجر ولي عهده . فلما توفي السلطان محمد ، خوطب سنجر بالسلطان ، واستقام أمره ، وخطب له على أكثر منابر الإسلام ، وجلس على سرير الملك نيفاً وستين سنة ، من ذلك استقلالا احدى واربعون سنة ، وأسره الغز نحواً من خمس سنين ، ثم هرب وجمع اليه أطرافه ، وكاد يعود اليه ملكه ، فأدركه أجله في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ . وكان مهيباً كريماً حليما رفيقاً بالرعية ، وكانت البلاد آمنة في زمانه . المنتظم (١٠/١٧٨) ، مرآة الزمان (٨/ ما بين ٨ و ٢٢٧) ، الكامل (١١/٩٠) ، البداية والنهاية (١٢/٢٣٧) ، زبدة النصرة (٢٦٨) ، أخبار الدولة السلجوقية (الفهرست) ، وفيات الأعيان (١/٢١٧) ، شذرات الذهب (٤/١٦١) ، العبر (٥/ ما بين ١ و ٨٤) .

(٢) التفنيد : اللوم ، وتخطئة الرأي وتضعيفه . والخرد : جمع خريدة وخرود ، وهي البكر لم تمس ، أو المفرة الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة . والغيد : جمع غيداء ، وهي الطويلة العنق ، والمتثنية ليناً ، والتي يتميز بها لدانة وحسنها على الكمال .

(٣) الحتف : الموت والهلاك .

(٤) الحسانة : ط ، ب « المسانة » ، وهي تحريف . والحسانة هي الحسنة ، قال الشماخ :

دار الفتاة التي كنا نقول لها ... يا ظبية عطلا حسانة الجيد

والرود : (ص ٢٢٨ ر ٤) .

(٥) الرواقص : الإبل المسرعة في سيرها . والأنساع : حبال من أدم عراض تشد بها الرحال ، واحدها نسع بكسر النون .

(٦) ونين : فترن وضعفن . والإرقال : الإسراع ، وضرب من الخبب . والاضطمار : الضمور ، وهو الهزال . واللغوب : التعب والإعياء الشديد .

يحملن شعثاً على الأكوار تحسبهم ... أزمّةَ العيس من همّ وتسهيدِ (١)

ما حنّ (٢) قلبي الى الحسناء من عَلَقٍ ... لكنّني بالمعالي جِدُّ معمودِ (٣)

صبابتي دون عِقْدٍ زانه عنقٌ ... إلى لواء أمامَ الجيش معقودِ (٤)

أميسُ تيهاً على الأحياء كلّهمُ ... علماً بأنّ نظيري غيرُ موجودِ (٥)

كيف الاجادةُ في نظمٍ وقافيةٍ ... عن خاطر بصروفِ الدهرِ مكدودِ ؟

كم قد قريتُ هنيَّ العزم نازلةً ... والخطبُ يجلِبُ في ساحاتِ رعديدِ (٦)

تبصرُوها مراحا في أعنّتها ... يجفْنَ ما بين مقتولٍ ومطرودِ (٧)

تسكَرُ في ليلةٍ ليلاء من رَهَجٍ ... على نجيعٍ لخيلِ الله موردودِ (٨)

تنزو بخُمْسٍ هفت أضغانهم بهمُ ... فحطّموا في التراقي كلَّ أملودِ (٩)

كأنّ فرطَ توالي الطعنِ يذهبُهُم ... وَلْغُ العواسلِ أو معروفُ محمودِ (١٠)

الواهبُ المئين والعيش الخصيب معاً ... فالموتُ بالبأسِ ، والاحياءُ بالجودِ

ومنهــا (١١) :

إن أمسكَ الغيثُ لم يحبِسْ مكارِمَهُ ... طولُ المِطالِ ولا خُلْفُ المواعيدِ (١٢)

---

(١) الشعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس . والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والأزمــة : جمع زمام . والعيس : الإبل التي يخالط بياضها شقرة .

(٢) صحفت حاؤه في ل جيماً .

(٣) العلق : المحبة اللازمة . والمعمود : الذي هده العشق .

(٤) العقد : القلادة . والعنق (بضمتين) : معروف ، و (بفتحتين) : طول العنق ، وهو المراد .

(٥) ماس الرجل يميس ميساً وميساناً : تمايل وتثنى . والتيه : الكبر .

(٦) قريت : ضفت ، والقرى : الضيافة . يجلب : يتوعد بالشر . والرعديد : الجبان الكثير الارتعاد .

(٧) مراحا : الظاهر أنهــا « مراحى » بفتح الميم ، وهي جمع « مرح » ككذب ، وهو النشيط . ووجف البعير والفرس يجف : عدوا وسارا العنق .

(٨) الرهج : ما أثير من الغبار . والنجيع : دم الجوف خاصة .

(٩) تنزو : تثب . والخمس : الشجعان ، حرفت في ط الى « خمس » . والأضغان : الأحقاد الشديدة ، حرفت في ط الى « أظعانهم » . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق . والأملود : هنا وصف الرمح المهتز .

(١٠) العواسل : الرماح التي تهتز لينا . وولغها : مجاز في دخولها في الأجسام ، ويقال : « ولغ الكلب وكل ذي خطم في الإناء » : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل فيه لسانه فحركه .

(١١) ومنها : لم ترد في ط . (١٢) المطال : التسويف بوعد الوفاء بالدين مرة بعد مرة .

مالٌ مُذالٌ وعرضٌ دون بذلته   خوضُ الأسنّةِ في ماء الأغاديدِ (1)

أرقّ من خلق الصهباء شيمته   فإن يهجْ فهو كاسٍ خَلقَ جلمودِ

ومنهـــا :

فكلُّ مُعضِلِ خطبٍ في رَوِيّتِهِ   حديدُ سابغةٍ في كفّ داوودِ (2)

ومنها في التهنئة (3) :

قضلت حدّ التهاني فانصرفت الى   هنّي بك العيد من هنّيت بالعيدِ (4)

وله من قصيدة في الأمير دُبَيْس بن صدقة (5) :

يغبّ الغيثُ أكنافَ البلادِ   ويُخلفُ بارقُ السُحُبِ الغوادي (6)

ويغبرُّ الشتاءُ ، ومنـــه يرجى   نموُّ الروضِ ، أو ريُّ الصوادي (7)

وســيفُ الدولة الملك المرجّى   سَحوحُ الجودِ مُنْهلُّ العِهادِ (8)

يُبيدُ نوالُه فقرَ المقـــاوي   وحدُّ حسامِهِ مُهجَ الأعادي (9)

اذا افتخرت ملوكُ الأرضِ طراً   بتعديد (10) المســاعي والأيادي

شــآها عنـــد معتبر المعالي   طويلُ الرمحِ واليدِ والنجادِ (11)

(١) مذال : مبتذل بالإنفاق ، ومنه : « أذل مالك يصن عرضك » . والمغاديد : (ص ٢٢٨ ر ٦).

(٢) المعضل : الشديد . والروية : النظر والتفكير . والسابغة : الدرع الطويلة التامة . وانظر عن داوود (ص ٢٢٩ ر ٢) .

(٣) هذه الجملة وردت في ط قبل البيت المتقدم .

(٤) كذا ورد البيت في ل ، ط . أما ب ، فلم تورده .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٣٥ ر ٦) .

(٦) أغب الغيث البلاد : غب عليهـــا ، أي أمطرها يوماً وتركها يوماً . والأكناف : الجوانب والنواحي ، واحدها كنف (بفتحتين) . والغوادي : السحب التي تنشأ صباحاً .

(٧) اغبرار الشتاء : كناية عن جدبه لانقطاع المطر فيه . والصوادي : العطاش .

(٨) ط : « العهاد » ، وهو تحريف . والعهاد : جمع عهد ، وهو أول مطر الوسمي .

(٩) المقاوي : يريد المقوين ، وهم الذين لا زاد معهم ، ومنه قوله تعالى : « ومتاعاً للمقوين » .

(١٠) ل : « بعديد » .

(١١) شآها : سبقها ، وهي في ط محرفة الى « شاءها » . والنجاد : حمالة السيف ، وطوله كناية عن طول القامة ، وهو صفة محمودة عند العرب .

طليقُ الوجهِ أغلبُ مَزْيَدِيٌّ ... مضيءُ النارِ مرفوعُ العمادِ [1]

ومنهـــا [2] :

وباعثها الى الغـارات تهفو ... سِـراعاً مثلَ مبثوثِ الجرادِ

فيَوْماً بالمشـارق في مُغـارٍ ... ويوماً بالمغـارب في جِـلادِ

أجلت الخيلَ في الآفاق [3] حتّى ... تخوّفت السماءُ من الطِّرادِ

وبارك الملوكُ فكنتَ منهم ... مكانَ الشامخاتِ من الوِهادِ [4]

ومنهـــا [5] :

أطِعْ في العلى وأزْجُرْ رجالاً ... سعَوا في شأنِ مجدي بالفسادِ

فإنَّ الجاهلينَ بغيرِ خُلْفٍ ... لأهلِ الفضلِ قد [6] خُلِقُوا أعادي

ومنهـــا :

أنا الرجلُ المُقِرُّ بفخرِ فضـلي ... وهمّتيَ الأصادقُ والأعادي

فإنْ حَرْبٌ فعَمْرٌو في زُبَيْدٍ [7] ... وإن نُطْقٌ فقُسٌّ في إيادِ [8]

---

(١) الأغلب : الأسد . ومزيدي : في ط ، ب « مزبدي » ، وهو تصحيف ، وانما هو بالياء المثناة نسبة الى مزيد جد الممدوح الأعلى ، فهو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي . ورفعة العماد : كناية عن رفعة شأن الممدوح .

(٢) ومنها : لم ترد في ط . (٣) ل : « الآماق » ، والتصحيح من ط ، ب .

(٤) الوهاد : الأماكن المطمئنة ، أي المنخفضة ، واحدها وهدة .

(٥) ومنها : لم ترد في ط . (٦) ط ، ب : « مذ »

(٧) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، ينتهي نسبه الى كهلان بن سبأ . وكان من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها ، وله الوقائع المذكورة في الجاهلية . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في (زبيد) ، وأسلم سنة تسع ، وقيل سنة عشر ، وأبلى في فتوحات أبي بكر وعمر بلاء حسناً ، فشهد اليرموك في الشام وذهبت فيها احدى عينيه ، وأبلى في حرب القادسية بالعراق وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ، وشهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن . وفي كيفية موته وزمانه ومكانه روايات . الأغاني (٤/٢٥) ، الشعر والشعراء (٢١٩) ، الإصابة (٥/١٨) ، خزانة الأدب (٢/٣٨٨) من طبعة السلفية ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٣) ، أمالي القالي (٢/١١٦) ، ذيل الأمالي (١٤٥ و ١٥٣) ، المستطرف (١/١٧٩) ، بلوغ الأرب (٢/١٣١) من طبعة مصر .

(٨) هو قس بن ساعدة الإيادي ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٩) .

ولم أمنحك هذا الرأسَ إلّا   لترفعني على السبع الشِّدادِ

ومنها[1] :

وكم بدروبِ بغدادٍ حديث   بِشُكرِكَ نَشْرُهُ في كلِّ نادِ
بأنّي قد بلغتُ بك الثريّا   وأنّي للترقّي[2] في ازديادِ
[فكن حيثُ الظنونُ ، فكلُّ كسبٍ   سوى الذِّكْرِ الجميلِ الى نَفادِ[3]]

وله من قطعة في مدح الوزير الزينبي[4] :

جوادٌ ، اذا ما أفقر البذلُ كفَّهُ   غدا الشكرُ يُغني عرضه والمحامدُ
ويقظانُ في كسبِ العلى ، غير أنّهُ   عن الجُرْمِ نوّامُ الحفيظةِ راقدُ[5]

وله فيه :

دَأماءُ الجُودِ وخِضْرِمُهُ   وحُسامُ البأسِ مُهَنَّدُهُ[6]
مضّاءُ العزمِ وثاقبُهُ   ومُصيبُ الرأيِ مُسَدَّدُهُ
قَرّاءُ الضيفِ وخادمُهُ   ومُشارُ الدهرِ وسيّدُهُ[7]
يدنو للقِرْنِ فيصرعُهُ   ولِمَحْلِ العامِ فيطْرُدُهُ[8]
فالموتُ الفصلُ تقحّمُهُ   والطَّوْدُ الثَّبْتُ تأيُّدُهُ

وقوله :

مدحتكمُ للوُدِّ ، لا لرغيبةٍ ،   وشتّانَ ما بينَ الرَّغائبِ والوُدِّ[9]

(١) ومنها : لم ترد في ط .   (٢) ل : « لترقي » ، وهي في ط كما أثبتناها .
(٣) النفاد : الفناء ، والبيت من ط ، ب .
(٤) الوزير الزينبي : تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .
(٥) الحفيظة : (ص ٢٢٥ ر ٣) .
(٦) الدأماء : البحر ، وهي في ل : « دآما » ، وفي ط : « داه ماه » . والخضرم : البحر العظيم .
(٧) قرى الضيف : ضافه ، وقراء : مبالغة اسم الفاعل منه .
(٨) القرن (بكسر القاف) : الكفء والنظير في الشجاعة والحرب وغيرها . والمحل : الجدب ، وانقطاع المطر .
(٩) الرغيبة : العطاء الكثير ، جمعها الرغائب .

فجُدْتُمْ ولم أندمْ على ردِّ جودِكم ... مخافةَ أنْ أرْمى بداهيةِ الصدِّ
وندرتُم إنسَ القوافي وقد دنت ... اليكم دُنوَّ العاطشاتِ الى الوِرْدِ
ولمّا رأيتُ المدحَ فيكم فريضةً ... تحرَّجتُ من أخذ الجزاء على الحمدِ
فقل لرئيس الدين : مالي وللندى ... وحاجات نفسي منك في طلب المجدِ ؟

قال : أرسل اليَّ شرف الدين الزينبي[1] فضّة ، لأصوغ لي دواةً من الفضّة ، فصُغْتُها ، وكتبت عليها :

قد حويتُ الشّهْدَ والسُّمَّ معاً ... بالندى والبأس في لون مِدادِ
وفضلتُ الجنسَ ، إذ يُكتَبُ بي ... مدحُ مولانا عليِّ بْنِ طِرادِ !

وله في التغزّل :

عجزتُ فما لي حيلةٌ في هواكُمُ ... سوى أنّني أزدادُ وَجْداً مع[2] الصدِّ
ولو أنّني جاهدتُ نفسي فيكُمُ ... سلوتُ ، ولكنْ لا جِهادَ على العبدِ

وله في الحكمة :

لا تلبس الدهرَ على غِرّةٍ[3] ... فما لِموتِ الحيِّ من بُدِّ
ولا يُخادِعْك طولُ البقا ... فتحسب الطولَ من الخُلْدِ
يَنْفَدُ[4] ما كان له آخرٌ ... ما أقربَ المَهْدَ من اللَّحْدِ[5] !

وله :

وفُرْقةُ ما يعاد عليك صعبٌ ... فكيف فراقُ شيءٍ لا يُعادُ ؟

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .
(٢) ط : « على » .
(٣) الغرة : الغفلة .
(٤) ينفد : يفنى .
(٥) روى ابن كثير هذه الأبيات في البداية والنهاية (١٢/٣٠١) ، وحرف الناشر فيها البيتين : الثاني والثالث ، تحريفاً فاحشاً .

وله في المَطْل[1] :

رُبَّ رِفْدٍ وإنْ تكاثرَ عدّاً ... قلَّ من فَرْطِ كَثْرةِ التَّرْدادِ[2]

إنّما الجودُ كالحياةِ ، ولكن ... يعتريها السَّقامُ بالميعادِ

وسؤالُ الأحرارِ من غير خُلْفٍ ... ثَمَنٌ للنَّدى من الأجوادِ

(الرّاء)

وله في الوزير جلال الدين أبي عليّ ابن صدقة[3] في الأيّام المسترشديّة ، [و][4] كان قد عتب عليه :

وراءك أقوالُ الوُشاةِ الفَواجِرِ ... ودُونَك أحوالُ الغرامِ المُخامِرِ[5]

فلولا وَلوعٌ منك بالصَّدِّ ما سَعَوْا ... ولولا الهوى لم أنتدب للمعاذِرِ[6]

تزاورُ نومي أنْ هجرتِ ، وطالما ... صفا صَفْوَ جَفْنٍ ، إذ وَصَلْتِ ، وناظِرِ[7]

لقد أنجمت تلك العهودُ ، كأنّها ... جَوافِلُ طيرٍ نُفِّرتْ بالخوادرِ[8]

فلا الطَّيفُ للطَّرْفِ القريحِ بسانحٍ ... ولا الحبُّ للصبِّ المُعنّى بزائرِ

سليمٌ من الأشواقِ شِيبَ بكاذبٍ ... وأمنٌ من الإلمامِ رِيعَ بهاجرِ[9]

---

(١) المطل : التسويف بالدين والمدافعة .

(٢) الرفد : العطاء والصلة .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٩٤ ــ ٩٦) . ووردت ترجمته أيضاً في زبدة النصرة (١٠٤ و ١٥٢) ، وأخبار الدولة السلجوقية (٩٧) ، والكامل (٢٤٩/١٠) ، والمنتظم (٩/١٠) ، والبداية والنهاية (١٩٩/١٢) ، والفخري (٢٧١) ، والنجوم الزاهرة (٢٣٣/٥) ، وشذرات الذهب (٦٦/٤) .

(٤) من ط .

(٥) المخامر : المخالط .

(٦) الولوع : مصدر ولع بالشيء يولع ، أي علق به وغري شديداً .

(٧) أن هجرت : أي لأن هجرت . وصفا : دام .

(٨) أنجمت : ولت . وتلك : في ط « فلك » . والجوافل : المنزعجة . والخوادر : علق عليها في هامش ل بقوله : « جمع خادرة ، وهي العقاب » .

(٩) شيب : خلط ومزج .

وبالكِ اذا ما أجدبَ العامُ عندَه   سقى التُّربَ من أجفانِه بالمواطرِ

أُصِخْتَ ولو أرعيتَ بعديَ مِسمَعاً   تَرُدُّ على أعقابه كلُّ فاجرِ (١)

وحمّلتني ذنبَ الكذوبِ ، ولم تَزَلْ   يَدُ الخَطبِ تَرمِي نافلاً غيرَ عاثرِ

نصيتُ أميرَ العذلِ فيك ، وطالما   تداولَ سمعي مُجْلِباً بالزواجرِ (٢)

اذا عُدِّدَتْ أنواعُ صدِّكِ ، وغَدَتْ   أوائلُها مشفوعةً بالأواخرِ

محاها هَوىً لا يستفيقُ ، كما انمحى   بحِلْمِ (جلالِ الدين) عُظْمُ الجرائرِ

ومنها (*) :

اذا ما أتاه مُجْرِمٌ وهو قادرٌ   توهّمَه من عفوِه غيرَ قادرِ

وله من قصيدة في أنوشروان الوزير (٣) ، في الحِلْمِ :

وكم من سفيهِ الرأي والقولِ أجلبت   فَواحِشُهُ إجلابَ هوجاءَ ذاعرِ (٤)

يقولُ ليَ الفحشاءَ كيما أُجيبه   فيغدو بقولي في عِدادِ النَّظائرِ

---

(١) أرعاه سمعه : أصغى اليه . وبعدي : في ط « وحدي » ، وفي ب « وجدي » .

(٢) أجلب : ضج ، فهو مجلب . وأجلبه : توعده بالشر ، مثل جلبه .

(*) لم ترد في ط .

(٣) ط : « الوزير أنوشروان » . وهو شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني ، وزر للخليفة المسترشد بالله وللسلطان محمود والسلطان مسعود السلجوقيين ، وتوفي سنة ٥٣٢ ، وشذ ابن الأثير فذكره في وفيات سنة ٥٣٣ هـ . وكان من عقلاء الرجال ودهاتهم ، نبيلا فاضلا . له تأريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور ، وفتور زمان الصدور » نقل عنه العماد الإصبهاني في كتاب « نصرة الفترة » . وورد في عدة تواريخ أنه هو الذي أشار على أبي محمد القاسم بن علي الحريري بتكميل « المقامات » ، لكن نقل الشريشي عن ابن جهور أنه كان يرى أن الذي أشار على الحريري بذلك هو المستظهر بالله العباسي ، كما أن القاضي ابن خلكان ذكر في وفيات الأعيان أنه رأى في سنة ٦٥٦ هـ بالقاهرة نسخة مقامات بخط مصنفها ، وقد كتب بخطه أيضاً على ظهرها إنه صنفها لأبي علي الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد بالله أيضاً ، ورجح صحة هذا لكونه بخط المؤلف . المنتظم (٧٧/١٠) ، الفخري (٢٧٣) ، البداية والنهاية (١٩٢/١٢) ، شذرات الذهب (١٠١/٤) ، زبدة النصرة (الفهرست) ، شرح مقامات الحريري للشريشي (١٢/١) ، وفيات الأعيان (٤٢٠/١) .

(٤) أجلبت : ضجت . ذاعر : مفزع ، وهي في ط : « داعر » أي داعم ، يقال : دعره يدعره دعراً إذا دفعه ، ورواية ل أليق بالسياق .

كررتُ عليهِ الحلمَ حتّى تبدّلت   جراءتُهُ ، من خجلةٍ ، بالمعاذرِ

ومنهـــا (*) :

وحاجة مصدورٍ سَهرتُ لِنُجحِها   وقد نام عنها رَبُّها غيرَ ساهرِ
قطعتُ لها[1] لَيْلِيَ[2] سُرىً وَرَوِيَّةً   فجاءت وما تمَّ الصباحُ بجاشرِ [3]

ومنهـــا :

وإنّي لمشتاقٌ الى ذي حفيظـةٍ   شديدِ مَضاءِ البأسِ مُرِّ البوادرِ [4]
متى سُمتُهُ بالقولِ نصراً جرت به   مقاولُ أغمادٍ فِصاحُ الجـازرِ [5]
فيندبُ فيمن رامَ ظُلمي بأوّلٍ   ويسألُ عمّن جرَّ حربي بآخرِ
يكونُ نصيري في دراكِيَ للعلى   ولن تُدرَكَ العلياءُ إلاّ بناصرِ

ومنهـــا (*) :

هجرنا الى آمالنـــا كلَّ مطعمٍ   فلم نَرَ إلاّ ضامراً فوق ضامرِ
بيومِ وَغىً تُعمِي العجاجةُ شمسَهُ   وتُطلِعُ زُهْرَ الذابلاتِ الشّواجرِ [7]
جَبَهْناهمُ فيـه بطعنٍ كأنّه   خُروقُ العزالي وأستنانُ المواطرِ [8]

(*) ومنها : لم ترد في ط .

(١) ط : « بها » .

(٢) ل : « ليلا » ، وهي في ط كما أثبتناها .

(٣) السرى : سير عامة الليل . والروية : النظر والتفكير . وجاشر : اسم فاعل من جشر الصبح جشوراً اذا طلع وانفلق . وهي في ط « بحاسر » » مصحفة .

(٤) الحفيظة : (ص ٢٢٥ ر ٣) . والبوادر : جمع بادرة ، وهي ما يبدر من حدة الإنسان في الغضب ، والغضبة السريعة . وبادرة السيف : شباته .

(٥) جاء في هامش ل : « أي لا يرتضي بنصر القول ، فينتصر بمقاول الأغماد ، وهي السيوف » .

(٦) دارك الأمر دراكاً : بادر اليه قبل فواته .

(٧) الذابلات : صفة للرماح ، وقد تطلق على الرماح . والشواجر : التي يطعن بها الإنسان حتى تشتبك فيه .

(٨) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من الراوية ونحوها . واستنان المواطر : انصبابها .

وسقناهم تحت العجاج كأنما تخب بغزلان الصريم النواور (١)

فلولا ادكار من أناة (ابن خالد)

لما كف عن ضرب الطلى غرب باتر (٢)

وله من قصيدة :

بني دارم ، إن لم تغيروا فبدلوا عمائمكم يوم الكريهة بالخمر (٣)

فإن القرى والمدن حيزت لأعبد وما سلمت أفحوصة لفتى حر (٤)

ربطتم بأطناب البيوت جيادكم

وخيل العدى في كل ملحمة تجري (٥)

اذا ما شببتم نار حرب وقودها

صدور المواضي البيض والأسل السمر (٦)

ضمنت لكم أن ترجعوها حميدة

تواجف غب الروع بالنعم الحمر (٧)

---

(١) الخبب : ضرب من العدو ، وهو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه . والصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٢) الأناة : الحلم ، والرفق ، والتؤدة . والطلى : الأعناق . والغرب : حد السيف ، وهي في ط : « كل » .

(٣) بنو دارم : (٢١١ ر ٣) . ويوم الكريهة : يوم الحرب . والخمر : جمع خمار (بكسر الخاء) ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

(٤) الأفحوص : مجثم القطاة ، وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه أي تنحيه وتقصيه لتبيض فيه ، والملحمة : الوقعة العظيمة في الفتنة .

(٥) الأطناب : جمع طنب ، وهو حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .

(٦) الوقود (بفتح الواو) : الحطب ونحوه . والأسل : الرماح الطوال .

(٧) تواجف : تتواجف ، أي تعدو وتسير العنق ، وهو ضرب من العدو . والروع : الفزع ، والحرب . وغب كل شيء : عاقبته . والنعم الحمر : الجمال الحمر ، وهي عند العرب أشرف الأموال .

أنا المرء لا أوفي المُنَى عن ضراعة
ولا أستفيدُ الأمْنَ إلا من الذُعْرِ (1)

ولا أطْرُقُ الحَيَّ اللئامَ بمدحةٍ ... ولو عرقتْني شدةُ الأزْمِ الغُبْرِ (2)

تغانيت عن مال البخيلِ ، لأنّني ... رأيتُ الغِنى بالذلِّ ضرباً من الفقْرِ

ولـه :

أقربُ من قولك يا عَمْرُو ... حالٌ بها ينكشفُ الضُّرُّ

فلا تَبِتْ أسْوانَ في غَمْرةٍ ... ضاق بها ذَرْعُكَ والصَّدْرُ (3)

واتَّخذِ الصبرَ لها جُنّةً ... فمن شِعارِ الحازمِ الصبرُ (4)

هي العلى عِلْقٌ اذا قِسْتَهُ ... مسترخَصٌ ، والثمنُ العُمْرُ (5)

إنّ امرءاً مات على مجده ... لخالدٌ ما خلد الذكرُ

لا خيرَ في مُثْرٍ بلا شاكرٍ ... فإنما المالُ هو الشكرُ

أحجارُ سَوْءٍ جُعِلَتْ آلةً ... وسِرُّها النفعُ أو الضُّرُّ

يُصيب من يبذلُها أجرَهُ ... وللذي يحرزُها الوِزْرُ (6)

ومنهـا (7) :

إنْ شام غيري بارقاً من ندىً ... بفضله ، فهو إذنْ نكْرُ (8)

---

(1) أوفي : ل « أومي » ، وهي في ط كما أثبتناها . والأمن : في ل « الأمن » ، وهي على الصحة في ط كما أثبتناها .

(2) الطروق : المجيء ليلا . والحي : البطن من بطون العرب . وعرق العظم : (ص ٢٢٦ ر ٣) . والأزم الغبر : سنوات القحط الشداد .

(3) الأسوان : الحزين . وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه . وضاق بالأمر ذرعاً : لم يطقه ولم يقو عليه ، وأصل الذرع بسط اليد ، فكأنك تريد مد يدك اليه فلم ينله .

(4) الجنة : ما استترت به من السلاح . والشعار : هنا العلامة .

(5) العلق : النفيس من كل شيء .

(6) حرز الشيء وأحرزه : اذا حفظه وضمه اليه وصانه عن الأخذ . والوزر : الاثم .

(7) ومنهـا : لم ترد في ط .

(8) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

أيُّ مَحَلٍّ لنجومِ الدُّجى ... يبقى اذا ما جُهِلَ البدرُ

وله من قصيدة في الأمير مظفَّر بن حماد [1] ، في الحثّ على السفر والْخلص [2] :

ومعنِّفٍ في الجِـد يحرق نابَه ... متخمّطٍ [3] في عَذْلِهِ متنمِّرِ

قال : اتخذتَ [4] الإغترابَ مطيّةً

فأرْفُقْ بنفسك من سِفارك وأحصُرِ [5]

فأجبته : إنَّ الهلالَ بسيرِهِ ... بدرٌ ، ولولا سيرُهُ لم يُقْمِرِ

دَعْ عنك لومي ، إن عزمي والسُّرى ... أخوا لِبانٍ : كالنّدى و(مظفّرِ) [6]

ومنها في المديح [7] :

خِرْقٌ ، اذا عنَتَ وغىً وخصاصةٌ ... جادتْ يداهُ بوابلٍ مُثْعَنْجِرِ [8]

فالقَرْنُ والرجلُ الفقيرُ كلاهما ... غَرِقانِ من عُرْفٍ وقانٍ أحمرِ [9]

واذا خبت نارُ اليَفاعِ ، فنارُهُ ... تَهدي رِكابَ الخابطِ المتنوِّرِ [10]

نارٌ تكادُ من المكارمِ والنّدى ... تخبو ، فلولا البأسُ لم تتسعَّرِ

---

(١) مظفر بن حماد : (ص ٢٣٥ ر ٤) .

(٢) المخلص : يريد به بيت التخلص من غرض الى آخر على نحو ما تراه في البيت الرابع الذي انتقل به من ذكر السفر الى مدح « مظفر بن حماد » المذكور .

(٣) المتخمط : هنا الشديد الغضب الذي له جلبة من شدة غضبه ، وقد صحفت خاؤه في ط ، ب حاء مهملة .

(٤) ط : « قالت : أخذت ... » ، وهو تحريف .

(٥) الاغتراب : همزته همزة وصل ، قطعها الشاعر لضرورة الوزن .

(٦) السرى : سير عامة الليل . واللبان : الرضاع .

(٧) لم ترد هذه الجملة في ط .

(٨) الخرق (بالكسر) : من الفتيان ، الظريف في سماحة . عنت : ظهرت وعرضت ، وقد صحفت عينه في ل غيناً معجمة . والوغى : الحرب . والخصاصة : الفقر . والوابل المثعنجر : المطر الهاطل المنصب .

(٩) القرن (بفتح القاف): سيد القوم . والعرف : المعروف ، والجود . ودم قان : شديد الحمرة ، وأصله قانىء بالهمزة ، وقال بعضهم : لغة فيه .

(١٠) اليفاع : التل المشرف . والخابط : الساري ليلا على غير هدى . والمتنور : الذي يتبصر النار من بعيد .

رُفِعَتْ لأبلجَ من كنانةَ ، دَأْبُهُ | ضربُ الجماجمِ تحتَ ظلِّ العِثْيَرِ (١)

لِمُعَذَّلٍ في الجودِ ، صَوْبُ يمينِهِ | يُزْري بسيلِ الشاهقِ المتحدِّرِ (٢)

باعَ الثراءَ من الثنـاءِ بطيبِهِ | وشرا الثنا بالمالِ أربحُ مَتْجَرِ

فاذا غدا صِفْرَ اليـدَيْنِ ، فإنّه | ملآنُ من شرفِ العُلى والمفخرِ (٣)

سـهلُ الخلائقِ والودادِ كلاهما | لا بالملولِ هوىً ولا المتكبِّرِ

تجابُ أستارُ الحجابِ اذا انتدى | للحيِّ عن متواضعٍ متوقِّرِ (٤)

تُخْشَى سُطاه على لطافةِ وجهِهِ | ولَرُبَّ برقٍ بالصواعقِ مُنْذِرِ (٥)

ألِفَتْ قِراعَ الدّارِعينَ سيوفُهُ | فيكادُ يمرقُ (٦) مُغْمَدٌ لم يُشْهَرِ

وتعوّدت خوضَ النُّحورِ رماحُه | فاذا جرتْ للطّعنِ لم تتأطّرِ (٧)

وغنينَ من وِرْدِ الدّماءِ جيادُهُ | في الحربِ عن وردِ النّميرِ الأخضرِ

زَوْلٌ تُعيضُ الحيَّ غُرَّةُ وجهِهِ | تحتَ الظلامِ عن الصباحِ الأسفرِ (٨)

لا تَطَّبيهِ مع الشبيبةِ للهوى | خدعٌ ، ولا تُلْهيه بهجةُ منظرِ (٩)

ومنها في صفة الجيش (١٠) :

---

(١) الأبلج : المشرق الوجه ، والمرتاح الى المعروف . وكنانة : هو ابن خزيمة ، أبو قبيلة . والعثير : الغبـار .

(٢) المعذل : من يعذل ويلام لإفراط جوده . والصوب : مصدر صاب المطر اذا انصب ونزل ، والعطاء على التشبيه .

(٣) صفر اليدين : خال من المال .

(٤) انتدى : حضر الندي ، وانتدى القوم : اجتمعوا في النادي . والحي : البطن من بطون العرب . ومتوقر : صحفت فاؤه في ل «ه» ، وهو على الصحة في ط .

(٥) لطافة : ط « طلاقة » .

(٦) ل : « فتكاد تمرق » ، والجملة في ط ، ب كما أثبتناها .

(٧) تأطر الرمح : انثنى .

(٨) الزول : الجواد ، والشجاع ، والخفيف الظريف الفطن .

(٩) لا تطبيه : لا تستميله .

(١٠) لم ترد هذه الجملة في ط ، ب .

ومُمجرٍ بالقاع يُظلِمُ صبحُهُ مما يثير من العجاجِ الأكدرِ

مَجْرٍ كأنَّ خيُولَهُ ورِجالَهُ غِزْلانُ وَجْرَةَ تحتَ جِنَّةِ عبقرِ (١)

أعمى القَتامُ به الكُماةَ ، فخيلُهُ لولا بريقُ حديدِهِ لم تنظرِ (٢)

فيه السوابغُ والدِّلاصُ كأنَّها غُدُرُ الفلاةِ تلوحُ للمتبصِّرِ (٣)

غادرتهم صَرْعَى بأوَّلِ حملةٍ من غير ثنيةٍ وغير تكرُّرِ

وإلى عُلى بكرٍ نَمتْكَ عِصابةٌ طيبُ الثناءِ لهم لطيبِ العُنْصُرِ (٤)

قوم اذا كَرِهوا الحريرَ بَسالةً لَبِسوا لزينتهم ثيابَ سَنَوَّرِ (٥)

يتقارعون على الضيوفِ اذا الدُّجى سُدَّتْ مطالعُهُ بريحٍ صَرْصَرِ (٦)

من كلِّ متبوعِ الأَوَّاءِ ، مؤمَّلٍ

في المَحْلِ ، مُنْتَجَعِ النَّدى ، مُستَمْطَرِ (٧)

تتلو الدِّئابُ المُعْطُ كَبَّةَ خيلِهِ ثِقةً بأنَّ طعامَها من مَنْسِرِ (٨)

أرِجُ الثناءِ لدى النَّديِّ ، كأنَّما تُتْلَى مدائحُ عِرْضِهِ من مِجْمَرِ (٩)

وله من أخرى في الهمّ :

كأنَّ بلادَ اللهِ مما أجنُّهُ من الهمِّ أُحْبُولٌ تحاذِرُهُ العُفْرُ (١٠)

---

(١) المجر : الجيش العظيم . ووجرة : موضع كثير الشجر على طريق البصرة الى مكة ، ومنه الى مكة مرحلتان . وعبقر : موضع كانت العرب تزعم أنه موطن للجن ، وقد نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته .

(٢) القتام : الغبار الأسود . والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتكمي أي المتستر بالدرع والبيضة .

(٣) السوابغ : الدروع التامة . والدلاص : (ص ٢٢٧ ر ١) .

(٤) لطيب : ط ، ب « وطيب » . (٥) السنور : الدرع .

(٦) سدت : صحفت سيئها في ط شيناً . وريح صرصر : هوجاء شديد البرد .

(٧) الاواء : في ط « الولاء » . المنتجع : المقصود ، من الانتجاع ، وهو طلب الكلأ في موضعه .

(٨) المعط : (ص ٢١٧ر٣) . والكبة : الجماعة من الخيل ، وكذلك المنسر . ومن : ط « في » . ومجمر : صحفت جيمه في ط ، ب حاء .

(٩) لدى : في ط « لذي » ، وهي لا تناسب السياق .

(١٠) الأحبول : الحبالة . والعفر : الظباء البيض في حمرة .

يَضيقُ بيَ الخرقُ الوسيعُ كآبةً ... ولولا همومُ النفسِ لم يضقِ القفرُ (١)

يظنّون فخري رائقَ الشعرِ عندَهم ... ولا عيبَ لي إلّا الفصاحةُ والشعرُ

اذا لم يكن لي ناصرٌ من صوارمي ... فما لي من قولٍ أعفّهُ نصرُ

وكم عارِ مدحٍ مُثقِلٍ لأُبهّتي ... وإن كان لي لمّا نطقتُ به عذرُ (٢)

وله من قصيدة في السلطان مسعود (٣) :

وما عذبٌ مواردُهُ بَرُودٌ ... له بالرَّعْنِ جَرْيٌ وانحدارُ (٤)

أصاب بجريِهِ عُلويَّ وَقْبٍ ... تقاصَرُ عن تناوُلِهِ البحارُ (٥)

حديثُ المجِّ من كرماءِ رَعْيٍ ... لهنّ بكلِّ ناضرةٍ مَطارُ (٦)

له خَصَرٌ، ونسمته اعتلالُ (٧) ... اذا ما استوقد الشِّعْرَى النهارُ (٨)

بأعذبَ من (غياث الدين) وُدّاً ... اذا ما علقمَ البَرِمَ النِّفارُ (٩)

ومن قوله فيه :

وصاحبٍ من بني الآمال خضتُ به ... بحراً من الآلِ ذا لُجٍّ وتيّارِ (١٠)

---

(١) الخرق : الفلاة الواسعة .

(٢) الأبهة : الكبر ، والعظمة .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٢٣٢) .

(٤) البرود : البارد . والرعن : أنف الجبل المتقدم ، والجبل الطويل ، وقال الليث : الرعن من الجبال ليس بطويل .

(٥) الوقب : نقرة في الصخرة يجتمع فيها ماء المطر .

(٦) المج : مصدر مج الشراب من فيه اذا ألقاه وطرحه ، ومجت النحل العسل . وكرماء الرعي : يريد بها النحل . والناضرة : من الأشجار والنبات ، الشديدة الخضرة . حرفت ضادها في ط ظاء .

(٧) ط : « له حذر ونسمته اعتلال » ، وهو تحريف . والخصر : البرد .

(٨) الشعرى : كوكب عبدته بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش ، وخصص في القرآن في قوله تعالى : (وانه هو رب الشعرى) لكونه معبوداً لهم . وهما شعريان : العبور ، والغميصاء ، والمعبودة لمن ذكرنا هي الأولى .

(٩) بأعذب : خبر (ما) في البيت الأول . وغياث الدين : لقب الممدوح ، وكان يقال له غياث الدين والدنيا . وعلقم الطعام : جعل الشيء المر فيه . وهي في ط : « اذا ما العلقم » ، ولا وجه لها . والبرم : الذي به سأم وضجر . والنفار : كالنفور ، وهو التباعد .

(١٠) الآل : (ص ١٠٨ ر ١) . واللج : معظم الماء .

يلذُّهُ النومُ أحيـــاناً فأفرشُهُ ... حديثَ مجدٍ يجلّي نومةَ (1) الساري
يرجو ، ويرقُدُ عمّا قد سَهِرتُ له ، ... والمجدُ لا يُبْتَنى الّا بمسهار (2)
اذا أطْباهُ مُناخٌ عند باديةٍ ... أذكرتُه دَعَةً من ريفِ أمصارِ (3)
علماً بأنّ أعتزامي سوف يُنزِلُنا ... بمنزلٍ من (غياث الدين) مُختارِ
حتّى أنخنـــا بميمون نقيبتُهُ ... منزّهِ العِرْضِ عن ذامٍ وعن عارِ (4)
القاتلِ المحلِ حيثُ المُزْنُ مُكديةٌ ... بهاطلٍ من ندى كفّيه مِدرارِ (5)
يَجِلُّ عن منحةِ الأموالِ آونةً ... فالجودُ منـــه بآجالٍ وأعمارِ
ويُكْرِمُ السيفَ عن غمْدٍ فيَغْمِدُهُ ، ... اذا يُجرِّدُهُ ، في رأسِ جبّارِ (6)

ومنهـــا (7) :

تَنـاطُ حُبوتُهُ في يومِ نَدْوَتِهِ ... بصافحٍ عن عظيمِ الجُرْمِ غفّارِ (8)

وله من قصيدة في الوزير الزينبي (9) :

أعيذُ قريشاً أنْ تُصيخَ لكاشحٍ ... كذوبٍ ، وما يقضي بظلمٍ أميرُها (10)
وعنـدَ قريشٍ شـيمةٌ نبويّةٌ ... يُخبِّرُها (11) ما في النفوس ضميرُها

---

(1) ط : « تومه » .

(2) ط : « والمجد لا يبتني الا بسهار » . وقوله « لا يبتني » تحريف . والسهار والمسهار : الكثير السهر .

(3) اطباه : استماله : وأذكرته : في ط « ذكرته » .

(4) ميمون النقيبة : (ص ٢٢٢ ر ٩) . والذام : العيب ، وفي المثل : « لا تعدم الحسناء ذاماً » .

(5) المحل : الجدب . والمزن : السحب البيض ، والأمطار ، واحدتها مزنة . ومكدية : منقطعة .

(٦) غمد : صحفت غينه في ط عيناً مهملة .

(7) ومنهـا : لم ترد في ط .

(8) تناط : تعلق . والحبوة : الثوب الذي يحتبى به ، والاحتباء أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ، أو بيديه . وعن : حرفت في ط الى « من » .

(9) تقدمت ترجمته في (ص ٢٩٩) .

(10) الكاشح : المتولي عنك بوده ، والعدو المبغض .

(11) ل : « تخبرها » ، وهي في ط ، ب كما أثبتناها .

لهم مَهْبِطُ الوحيِ المجيدِ، ومنهمُ   بَشيرُ البرايا مُرْسَلاً ونذيرُها
ومنهم أغرُّ الوجهِ يُشرقُ وجهُهُ[1]   بشَيبتِهِ، جادَ البلادَ مَطيرُها
وجهلٍ بحِلْمٍ قد غفرتم عظيمَهُ   اذا ما شفى غيظَ النفوسِ قديرُها
ويوم نِزالٍ قد دَلَفْتُمْ لِشمرِهِ   فأبليتُمُ والخيلُ تَدمى نحورُها[2]

ومنهـا :

ومَنْ كقريشٍ في المعاركِ والنَّدى   يموتُ مُناديهـا ويحيا فقيرُها
اذا ما مساعيهم أُعيدَتْ وكُرِّرَتْ   أضاءَ الدجى والشمسُ لم يَبْدُ نورُها
أبَرَّ عليّـاها على كلِّ ماجدٍ   فأوّلُها حازَ العلى وأخيرُها[3]
تلا (ابنُ طِرادٍ) في المعالي سَمِيَّهُ   فلا سورةٌ الا الوزيرُ أميرُها[4]

ومنها في صفة الروض :

وما أُنُفٌ من روضةٍ ذاتِ بهجةٍ   ممنّعةِ الأكنافِ غضٍّ نضيرُها[5]
لها نفَحاتٌ بالعشيِّ، كأنّها   لَطيمةُ داريٍّ تُفَتُّ عبيرُها[6]
أقامَ بها القَيْلُ التَّريفُ وأُسرةٌ   كِرامُ التلبّي نشؤها وكبيرُها[7]
تصبُّ على نُوّارِهـا قَرقفيّةٌ   يميسُ لِعَرْفِ الطّيبِ منها مديرُها[8]

---

(١) ب، ط : « نوره » .

(٢) النزال : أن ينزل الفريقان عن ابلهما الى خيلهما فيتضاربوا . دلف الشيخ : مشى وقارب الخطو ، ودلفت الكتيبة الى الكتيبة في الحرب : سعت رويداً . وأبلى في الحرب : اجتهد .

(٣) علياها : عليا قريش ، وهما : علي بن أبي طالب ، وممدوحه علي بن طراد الزينبي ، ونسبته الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

(٤) السورة : المنزلة الرفيعة .

(٥) روضة أنف : لم يرعها أحد . والأكناف : النواحي والجوانب .

(٦) اللطيمة : وعاء المسك . والداري : العطار ، وهو منسوب الى دارين فرضة في البحرين كان يحمل اليها المسك .

(٧) القيل : (ص ٢١٠ ر ٢) . والتريف : المتنعم ، وهي في ط ، ب : « الشريف » !

(٨) النوار : زهر الشجر . والقرقف : الخمر . يميس : يتبختر . والعرف : (ص ٣١ ر ٧) .

يكادُ نسيمُ الجوِّ بعدَ رُكودِهِ　　يموجُ انتشاءً إذْ تَصَبَّ خمورُها[1]

بأطيبَ من عَرْفِ الوزيرِ، وإنْ غدت　　أصائلُها مطلولةً وبُكورُها[2]

ومنها في الاستعطاف :

تيمَّمْتُ زَوراءَ العراقِ، وذادَني　　عن القصدِ بُهتانُ الأعادي وزورُها[3]

ومالِيَ ذنبٌ أختشي من عِقابه　　سوى صحبةٍ مجدُ الإمامِ غفورُها

يعني صحبة دُبَيْس[4] حين خرج الى المسترشد[5].

أقمتُ بها حيثُ الرِّضا ذو مخايلٍ　　وفارقتُها لمّا بدا لي غرورُها

ومنها :

ومن عجبٍ تغشى البلادَ فلائدي　　وتُعرضُ عن زَوْرائكم لا تزورُها

وفيكم غدت ألفاظُها مستجيبةً　　ملائمةً أعجازُها وصدورُها

ومنها :

أقلْني عثاري واتّخذها صنيعةً　　يُطرِّبُ شاديها ويلهى سميرُها[6]

فما الدهرُ الّا حِلْيةٌ مستعارةٌ　　جديرٌ بكسبِ الحمدِ من يستعيرُها

وله في مدحه :

اذا ما عليُّ الخيرِ عُـدَّ فخارُهُ　　فكلُّ ثرىً روضٌ، وكلُّ دُجىً فجْرُ

---

(١) الانتشاء : السكر .

(٢) بأطيب : خبر « ما » في البيت الأول . وعرف : ل « عرض » ، ط : « أعرف » ، وهي على الصحة في ب كما أثبتناها (أنظر ص ٣ ر ٥) . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت بعد العصر الى المغرب . والمطلولة : التي أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف والندى .

(٣) الزوراء : لقب بغداد .

(٤) هو الأمير دبيس بن صدقة المزيدي ، صاحب الحلة ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٣٥ ر ٦) .

(٥) تقدمت ترجمته في (ص ٢٩) .

(٦) أقاله عثاره : رفعه من سقطته . والشادي : المترنم .

عميدٌ بحبِّ المجدِ ، ما في وِصالِهِ   اذا انقضتِ الأهواءُ صدٌّ ولا هجرُ (1)

هزيمانِ عن عافيهِ والمحتمي به   لِفرطِ النّدى والنّجدةِ : القلُّ والفقرُ (2)

ترى المُخصِباتِ الخُضْرَ غُبْراً بفتكِهِ   وتخضرُّ من جَدْوى أناملِهِ الغُبْرُ (3)

يودُّ نسيمُ الليلِ لُطفَ خِلالِهِ   وترهبُهُ من بأسِهِ البيضُ والسُّمْرُ (4)

يُسِرُّ النّدى ، والحمدُ فاشٍ حديثُهُ ،   فنائلُهُ سِرٌّ ، وإحمادُهُ جَهْرُ

وله فيه من قطعة :

أبى اللهُ إلّا ما تُريدُ ، فكُنْ له   شكوراً ، فنُعْمى اللهِ تبقى على الشكرِ

ودُمْ سالماً ، إنّ المعالي بهيجةٌ   بتصريفها ما بين نَهْيِكَ والأمرِ

فإنّ على الأيامِ نَضْرةَ زهرةٍ (5)   بوجهكَ يا ابنَ الماجدينَ بني النَّضْرِ (6)

ومن قوله فيه :

تُناطُ أيادي اللهِ منه وعندَه   الى وَرِعٍ جمِّ المحامدِ شاكرِ (7)

يُعيدُ النَّوارَ النافراتِ أنيسةً   ويحبِسُ منها شكرَهُ كلُّ طائرِ (8)

ومنها :

أغرُّ ، مَريرُ البأسِ ، سهلٌ ودادُهُ   رفيعُ عمادِ البيتِ ، جمُّ المآثرِ

---

(1) العميد : من أضناه العشق .   (2) العافي : طالب المعروف .

(3) الجدوى : العطية .   (4) الخلال : الخصال .

(5) ط : « ... نصرة دهره » ، وهو تحريف ظاهر . والنضرة : الحسن ، والرونق .

(6) بنو النضر : النضر بن كنانة ، أبو قريش خاصة ، ومن لم يلده النضر فليس من قريش ، كذا في المحكم . وهو الجد الثالث عشر لسيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

(7) الورع : المتحرج ، أي الذي يجانب الإثم ويكف عن المعاصي .

(8) النوار : المرأة النفور من الريبة ، ورواية ط : « البزاة » جمع الباز والبازي ، وهو ضرب من الصقور يتخذ للصيد .

إذا ما عصتْ صِيدُ الرّقابِ مُرادَهُ   بَراها بحدِّ الرأي قبلَ البواتِرِ (١)
نمى لِمَعَدٍّ ، والمساعي حميــدةٌ   مرَدَّدةٌ بين النُّفـوسِ الطواهرِ (٢)
فجاءَ كَنَصْلِ السيفِ أكرمَ صاحبٍ   وألينَ ملموسٍ ، وأخشنَ ناصرِ (٣)
فتى مالُهُ نَهْبُ الفقيرِ ، وبأسُـــهُ   حِمى المستجيرِ في الليالي الغوادرِ

وله فيه :

مُسْمَهِرُّ البأسِ من مُضَرٍ   يقشعرُ الموتُ من حَذَرِهْ (٤)
تطرَبُ الألبـــابُ مصغيةً   لحديثِ المجـــدِ من سِيَرِهْ
كلّما أوسعتَ مبتليـــاً   خُبْرَهُ أربى على خَبَرِهْ (٥)
تُهْزَمُ الأحـداثُ كالحةً   بارتجالِ الرأي لا فِكَرِهْ (٦)
واذا ما أجدبتْ ســنةٌ   كان سُقيا الحيِّ من مطرِهْ (٧)
هو بحرٌ من فضــائله   ومديحي فيـــه من دُرَرِهْ
شرفُ الدين الذي وَضَحَتْ   ظُلَمُ الأحداثِ من غُرَرِهْ (٨)

ومن قوله فيه :

هو المرءُ : أمّا فضلُهُ فهو شاملٌ   عميمٌ ، وأمّا مدحُهُ فهو سائرُ
يَقَرُّ بعيني مدحُهُ وثنــاؤهُ   وإنْ باتَ جفْني وَهْوَ بالنظمِ ساهرُ

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المائل العنق ، والملك لكونه لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً . وبرى العود وغيره : نحته .

(٢) ل : « الظواهر » ، والوجه ما أثبتناه من ط . ونمى لمعد : انتسب اليه . وهو معد بن عدنان ، أبو قبيلة مشهورة . (٣) نصل السيف : حديدته .

(٤) اسمهر الرجل في القتال فهو مسمهر : اشتد . ومضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان ، أبو قبيلة مشهورة .

(٥) الخبر (بالضم) : الاختبار والتجربة . أربى عليه : زاد ، وهي في ط « أزرى » . ومعنى أزرى عليه : عابه . (٦) تهزم : في ط « يهزم » .

(٧) سقاه الله الغيث وأسقاه : أنزله له ، والاسم منهما السقيا . والحي : البطن من بطون العرب .

(٨) الغرر : جمع الغرة ، وهي من كل شيء أوله وأكرمه .

وله من قصيدة (١) في مدح أتابك [غازي بن (٢)] زنكي بالموصل سنة أربع وأربعين [وخمس مئة (٣)] :

إلامَ يراكَ ٱلمجدُ في زِيِّ شاعرٍ ... وقد نَحَلَتْ شوقاً (٤) فروعُ ٱلمنابرِ ؟
كتمتَ بصيتِ الشعرِ علماً وهمّةً ... بعضهما ينقادُ صعبُ ٱلمفاخرِ
لئنْ سرّكَ التجويدُ فيما نظمتَهُ ... فنظمُ ٱلقوافي غيرُ نظمِ ٱلعساكرِ
لَعَمْرُ أبيكَ ٱلخيرِ ، إنّكَ فارسُ ٱلْـ ... ـمَقالِ ، ومحيي الدارساتِ ٱلغوابرِ
وإنّكَ أغنيتَ السامعَ والنُّهى ... بقولكَ عمّا في بطونِ الدّفاترِ

ومنها :

ولا خيرَ في فضلٍ تباعدَ عِزُّهُ ... ولو فاقَ أضواءَ النجومِ الزّواهرِ
يذلُّ شديدُ ٱلأَيْدِ أنْ تقطعَ الطُّلى ... اذا لم يُعِنْهُ غَرْبُ أبيضَ باترِ (٥)

ومنها (*) :

أقولُ لخِلٍّ بالعراقِ يَسُرُّهُ ... مُقامي ، ويأبى لي شِعارَ ٱلمسافرِ (٦)
حريصٍ على علمِ ٱلخفيِّ ، ودُونَهُ ... جدائلُ حزمٍ مُحْصَداتُ ٱلمرائرِ (٧)

---

(١) ط : « ومن قصيدة له » .

(٢) الزيادة من ط ، ب . وهي لازمة ، لأن القصيدة في مدح أتابك غازي نفسه ، وليست في مدح أبيه . قال ابن الأثير في ترجمته في الكامل (٥٦/١١) : « ومن جملة كرمه أنه قصده شهاب الدين الحيص بيص ، وامتدحه بقصيدته التي أولها :

إلام يراك المجد في زي شاعر ... وقد نحلت شوقاً فروع المنابر ؟

فوصله بألف دينار عين ، سوى الخلع وغيرها » . وقد تقدمت ترجمة أتابك غازي في (ص٢١٤ ر ١٠) .

(٣) الزيادة منا .

(٤) صحفت شينها في ل سيناً ، وهي في ط ، ب كما أثبتنا ، وكذلك وردت في الكامل كما تقدم .

(*) ومنها : لم ترد في ط .

(٥) الأيد : القوة . والطلى : الأعناق . وغرب السيف : حدّه .

(٦) المقام (بالضم) : الإقامة . والشعار : العلامة .

(٧) الجدائل : الحبال المفتولة . والمحصد : المحكم الفتل . والمرائر : جمع مريرة ، وهي القوة وطاقة الحبل ، يصف حزمه بالقوة .

إذا ٱستنطقتني في هواه مودّةٌ   محا الرأيُ حُبًّا آذنًا بٱلفواقرِ [1]
تنكّر من كتمان سرّي . ولو درى   بحُرْقِ زماني ، بات في الصمت عاذري [2]
تطاولَ همّي ، فٱبْغني ذا نباهةٍ   يُجلّي دُجى ظلمائه عن خواطري [3]
فبات لَمُوحَ الطّرف ، والعمرُ أغبرُ ٱلـ   مَطالع ، والأيّامُ شُوسٌ لناظرِ [4]
فلمّا ٱستجال الرأي وٱنهزمت به   رَوِيّتُهُ عن غادرٍ بعد غادرِ [5]
ورَدَّ إليَّ الأمرَ ردَّ مُسَلِّمٍ   الى عالمٍ بالدهرِ والناسِ ماهرِ
سَهِرتُ لبرقٍ من ديارِ ربيعةٍ   ولم أكُ للبرقِ ٱللَّمُوعِ بساهرِ

ومنها في التخلّص [6] :

وما ٱلبرقُ إلا ٱلبِشْرُ عند أسِرَّةٍ   بوجه عماد الدين رَبِّ ٱلمفاخرِ [7]

وله في عضد الدين [8] وزير ٱلإمام ٱلمستضيء [9] :

آل المظفّرِ ، وٱلأيّامُ شاهدةٌ ،   بيضُ العَوارفِ والأنسابِ والأُثُرِ [10]
تشكو مَراجِلُهم فَرْطَ الوفودِ كما   تشكو النواصفُ فَرْطَ ٱلقُرِّ وٱلخَصَرِ [11]
فساهراتٌ من ٱلتَّرْدادِ في صَرَدٍ   وراسياتٌ من الإيقادِ في سُعُرِ [12]

---

(١) الفواقر : الدواهي ، واحدتها فاقرة ، يقال : فقرته الفاقرة ، أي كسرت فقار ظهره .

(٢) الحرق : الحمق . وبات : في ط « مات » .

(٣) يجلي : يكشف ، وهي في ل « تجلي » ، وفي ط كما أثبتناها .

(٤) شوس : جمع أشوس ، وهو من ينظر نظر الغضبان أو المتكبر .

(٥) الروية : النظر والتفكير . وغادر الأولى في ط « عاذر » .

(٦) ط : « المخلص » ، وقد أكثر من استعماله فيما سبق .

(٧) الأسرة : خطوط الجبهة ، واحدها السرار .

(٨) عضد الدين : (ص ١٣ ر ٦) .

(٩) المستضيء : (ص ٩ ـ ١٨) .

(١٠) العوارف : جمع عارفة ، وهي المعروف ، والعطية . والأثر : المكرمات المتوارثة ، واحدتها أثرة كغرفة .

(١١) المراجل : القدور من النحاس . والفرط : الزيادة . والنواصف : الخدام . والقر : برد الشتاء . والخصر : البرد .

(١٢) الصرد : البرد ، وصرد الرجل صرداً : وجد البرد سريعاً . والسعر : الحر .

اذا ٱستراحتْ طِغامٌ من منازلةٍ … فلاغِباتٌ لِعَقْرِ النِّيبِ وٱلجُزُرِ (١)

ومن مقطوعاته في ٱلمعاني قوله :

تعجَّبَ صحبي أنْ كتمتُ فلم أُشِعْ … علومي ٱلّتي في بعضها شَرَفُ ٱلقدرِ

فقلتُ لهم : مالَ ٱلزمانُ وأهلُهُ (٢) … الى فضلِ قولٍ ، فٱقتصرتُ على الشعرِ

وقوله في ٱلعذار (٣) :

شكّوا أشمسٌ أنتَ أم قمرٌ ؟ … ولِفَرْطِ حسنِكَ أشكلَ ٱلأمرُ !

فأجاب ليلُ الشكِّ حينَ قضى … ليلُ ٱلعِذارِ بأنّكَ ٱلبدرُ

وقولـــه :

ومن السعادةِ لِلّئامِ ترفُّعِي … عن هَجْوِهِمْ ، لمناقبي ومفاخري

فلو ٱتّدَبْتُ له ، أتيتُ بمعجزٍ … منه ، لِفَيْضِ عُيُوبِهِمْ وخواطري

وقولـــه :

أسـدٌ باتَ يتّقي سَوْرَةَ الذئـ … ـبِ ، وبازٌ يخشى من ٱلعُصْفُورِ (٤)

وقولـــه :

اذا شوركْتَ في حالٍ بدُونٍ … فلا يغشاكَ (٥) عارٌ أو نُفُورُ

تشاركَ في ٱلحياةِ بغيرِ خُلْفٍ … أرسطاليسُ وٱلكلبُ ٱلعَقُورُ (٦)

وقولـــه :

---

(١) فلاغبات : ل « فلاغبات » ، ط « فلاعبات » ، والصحيح ما أثبتناه ، والاستراحة يقابلها اللغوب وهو الإعياء والتعب . لعقر : ط « بعقر » ، والعقر : حصد قوائم الناقة بالسيف كيلا تدرد عند النحر . والنيب : النوق المسنة ، واحدتها ناب . والجزر : جمع جزور ، وهو من الإبل ما يباح أن يجزر أي يذبح .

(٢) ط : « ما للزمان وأهله » ، وهو تحريف مفسد للمعنى .

(٣) العذار : (ص ٢٢٤ ر ٦) .

(٤) سورة الذئب : صولته وبطشه . والباز : (ص ٢١٨ ر ١) .

(٥) ط : « يخشاك » .

(٦) الخلف : اسم من الإخلاف ، أو المخالفة . والعقور : الجارح . وأرسطاليس : هو =

وجوهٌ لا يُحمِّرُها عتابٌ جديرٌ أنْ تصفَّرَ بالصَّغارِ [1]
فما دانَ الشآمُ لغيرِ بأسٍ ولا لانَ الحديدُ لغيرِ نارِ

وقوله في كبيرٍ زاره [ثم انقطع عنه [2]] ، وتعذّر لقاؤه :

إنْ عزَّ لقياك وماءُ النَّدى هامٍ ، فإنّني شاكرٌ عاذرُ [3]
يسقي السَّحابُ الجدْبَ سحّاً ، ولا يجتمعُ المطورُ والماطرُ

وقوله ممّا يكتب على المقرعة :

لِمْ لا أتيهُ على الرِّماحِ إذا فخرتْ وتحسدُني الظُّبى البُتُرُ [4] ؟
وإليَّ سوقُ الرّيحِ حاملةً طَوْداً أشمَّ ، وقابضي بحرُ [5]

وقولـه :

اذا المرءُ لم يُرزَقْ مع الأيْدِ همّةً فلا شرفٌ في الأيْدِ منه ولا فخرُ [6]
ألم ترَ أنَّ البازَ يسمو لصيده عزيزاً ، ويهوي نحوَ جيفتِهِ النَّسْرُ [7] ؟

وقوله في التحريض :

قولُ المحرِّضِ يزدادُ الشجاعُ به بأساً ، ويغدو جبانُ القومِ ذا أشَرِ [8]

= أرسطوطاليس (Aristoteles) بن نيقوماخس الفيثاغوري ، الفيلسوف اليوناني المشهور . لازم أفلاطون عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ، ويسميه العقل . والى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم . وكان معلم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية ، وبآدابه عمل في سياسة رعيته وسيرة ملكه . وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الاسلامية ، وكان المأمون أول من استحضر كتبه وعهد بها الى المترجين فنقلوها الى العربية . أنظر الفهرست لابن النديم (ص ١/٢٤٦) ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٧) ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/٥٤) ، ونزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري (بتحقيقي ، ومنه سبع نسخ مخطوطة ومصورة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي) ، وعلم الفلك : تأريخه عند العرب في القرون الوسطى (٢٧ ـ ٢٩ و ٦٢ و ٢٦١ ـ ٢٦٣ و ٢٦٨) .

(١) الصغار : الذل ، والضيم . (٢) الزيادة من ط . (٣) هام : سائل .
(٤) الظبى : جمع ظبة ، وهي حد السيف . والبتر : القواطع .
(٥) هذان البيتان لم يردا في ط . (٦) الأيد : القوة . (٧) الباز : (٢١٨ ر ١) .
(٨) الأشر : المرح ، والبطر .

ما السيفُ سيفاً وإنْ أرضاكَ جوهرُهُ   لو لا الصَّيقلُ والإمهاءُ بالحجرِ [1]

وقوله في صفة الجيش :

ويومٍ تظمأُ الأرواحُ منه [2]   وتَرْدَى من جماجمه الشِّفارُ
تَضيقُ بخيله فِيحُ المَوامي   ويكسِفُ شمسَ ضَحْوتِهِ الغُبارُ [3]
كأنَّ رِماحَهُ أشطانُ جدلٍ   تُرَنِّحُها من الطُّولِ البِئارُ [4]
تسابقُ طيرُهُ زُرْقَ العوالي   الى مُقَلٍ ، فطعنٌ وابتسارُ [5]

جعل الطير والأسنّة متسابقاتٍ الى مقل الرجال ، والطّعن أخره ما أصاب المقل ، والطير شأنها ابتسار[5] عيون القتلى . وهذا أبلغ من قول النابغة الذُّبياني[6] :

اذا ما غزوا بالجيش ، حلّقَ فوقهم   عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ [7]

(الزّاي)

وقولـــه :

---

(١) الإمهاء : مصدر أمهى الحديدة اذا أحدها وسقاها الماء .
(٢) ط ، ب : « فيه » .
(٣) فيح : جمع أفيح ، وهو الواسع . والموامي : الفلوات الواسعة ، واحدتها موماة .
(٤) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل الطويل الشديد الفتل . وجدل الحبل جدلا : أحكم فتله .
(٥) الابتسار : أخذك الشيء طرياً ، وقد صحفت باؤه في ل ، ط نوناً في الموضعين .
(٦) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية من بني ذبيان ، من قيس عيلان . شاعر جاهلي مشهور ، وهو أحد رجال المعلقات العشر . كان معدوداً في « عبيد الشعر » الذين شغل الشعر خواطرهم . وكان سرياً من سراة ذبيان ، ولكن تكسبه بشعره غض من شرفه ، على أنه لم يتقصد به الا الملوك ، فكان يفد على المناذرة في الحيرة ، وعلى الغساسنة في الشام ، فيكرمونه على مدائحه فيهم . الأغاني (الفهرست) ، معاهد التنصيص (١/١١١) ، ديوان المعاني (الفهرست) ، خزانة الأدب (٢/١١٦ و ٣٩١) ، الأدب العربي وتأريخه في العصر الجاهلي (١٨٧) ، رجال المعلقات العشر (٢٧٢) ، المجمل لصاحب هذه التعليقات (١/٦٤) .
(٧) البيت من قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج الغساني ، عدتها ٢٩ بيتاً في كتاب التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني ذبيان (٤٢ ـ ٤٥) . والعصائب : الجماعات . وحلق : ل « علق » ، وهي في ط كما أثبتناها . وقد أخذ معنى هذا البيت مسلم بن الوليد ، فقال في يزيد بن مزيد الشيباني :

قد عود الطير عادات وثقن بها   فهن يتبعنه في كل مرتحل

حُثَّ الكريمَ على النَّدى ، وتقاضَهُ بالوعدِ ، وابْعَثْهُ على الإنجازِ [1]
ودَعِ الوثوقَ [2] بطبعه ، فلطالما نشِطَ الجوادُ بشوكةِ المِهْمازِ [3]

(السين)

وقولـه :

لا تُنكري شَعَثي ، ولو حسبت تلك البرودُ هوابيَ الرَّمْسِ [4]
فالحظُّ قـد غطّى مطالعَهُ بخلُ المـلوكِ وعزَّةُ النفسِ
ولقد شكوتُ الأمسَ قبلَ غدٍ فأتى غدٌ فشكرتُ للأمسِ

(الصَّاد)

وقوله في خالص المسترشديّ :

اذا شائباتُ الدَّهرِ كدَّرْنَ صَفْوَتي جلوتُ قَذاها عن فُؤادي بـ(خالصِ)
بخِرْقٍ اذا عزَّ الحَيا غيرِ باخلٍ وماضٍ اذا جدَّ الوغى غيرِ ناكصِ [5]

[الضـاد [6]

وقولـه :

اذا مَرِضَ الممرِ [7] أبو عليٍّ — رعاه الله — فالمجدُ المريضُ
يرى النـاسُ العوارفَ نافلاتٍ وهنَّ عليه واجبةٌ فروضُ [8]

---

(١) تقاضه بالوعد : طالبه به .

(٢) ط ، ب : « الوقوف » .

(٣) المهماز : الحديدة التي في مؤخر خف الفارس ، يستحث بها الفرس على الإسراع .

(٤) الشعث : اغبرار الشعر وتلبده . وهي في ط : « حسبي » . والرمس : القبر . وهوابيه غباره الدقيق .

(٥) الخرق : (٢٤٨ ر ٨) . والحيا : المطر .

(٦) هذه الأبيات الثلاثة من ط .

(٧) كذا ، ولعلها « الوزير » . وأبو علي : الظاهر أنه الوزير جلال الدين أبو علي الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد بالله المترجم في (٩٤ ــ ٩٦) من هذا الكتاب . وقد سبق للشاعر في (ص ٢٤٣) أبيات في مدحه .

(٨) العوارف : جمع عارفة ، وهي المعروف . والنافلة : عطية التطوع ، ومنه « نافلة الصلاة » . وقد صحفت دؤها دالاً في ط .

فدامت صحّةُ العلياء منه … ودام ٱلمدحُ فيه والتقريضُ]

(الطـــاء)

وقوله في مدح ٱلوزير الزّينبيّ [1] :

وأحلاف مجدٍ مُوجِفينَ الى ٱلعلى … لهم من قُصَيٍّ حيثُما ٱنتسبوا رَهْطُ [2]

تُقِلُّهُمُ ٱلجُرْدُ ٱلجيادُ كأنّها … سَراحينُ ثَلّاتٍ بمَوْماتِها مُعْطُ [3]

يَرُودُونَ رأيًا من لبيبٍ مُغامرٍ … لكلِّ عِقالٍ من رَويّتِه نَشْطُ [4]

منحتهمُ أسطارَ طِرْسٍ ومعركٍ … بليغَيْنِ ممّا أنبت ٱلخطُّ والخطُّ [5]

فعادت لهم صِيدُ ٱلملوكِ أذِلّةً … لكلِّ طليقٍ من كُماتِهِم رَبْطُ [6]

ومَنْ كٱلوزيرِ الزّينبيِّ مقرّبًا … بعيدَ العلى إذ حال من دونه الشَّحْطُ [7]

فتًى لا يُدانيه رضاهُ لِلينةٍ … تذلُّ ، ولا يَثْنِيه عن كرمٍ سُخْطُ

(العين)

وقوله من قصيدة في مدح أنوشروان [8] بن خالد ، ٱلوزير :

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .

(٢) أوجف الفارس فرسه : حثه لكي يجد في السير . وقصي : هو ابن كلاب بن مرة ، أحد أجداد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اسمه زيد أو مجمع . وانتسبوا : في ط « انبسطوا » . والرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .

(٣) الجرد : جمع أجرد ، وهو من الخيل ما كان قصير الشعر ، والذي يسبق الخيل . والسراحين : الذئاب . والثلات : جمع ثلة ، وهي جماعة الضأن الكثيرة . وهي في ل : « بلات » ، وفي ط : « ثلات » . والموماة : الفلاة الواسعة . والمعط : (٢١٧ ر ٣) .

(٤) الروية : النظر والتفكير . ونشط العقال : مد أنشوطته « عقدته » فانحل .

(٥) ل ، ط : « الخط والخط » ، والسياق يقتضي ما أثبتناه . فالخط الأولى الكتابة وهي لأسطار الطرس أي الصحيفة . والخط الثانية اسم مرفأ للسفن بالبحرين كان سوقاً للرماح ، وهي تعود الى المعرك . أنظر (ص ٣٨ ر ٣

(٦) الصيد : (٢٤٩ ر ١) . والكماة : (٦٩ ر ٨) .

(٧) الشحط : البعد .

(٨) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤٤ ر ٣) .

وفتيانِ صدقٍ من تميمٍ تسائلوا دروعَهم والليلُ ضافي الوشائعِ (١)

وَقيذَيْنِ من عرقِ السُّرى، وقلوبُهم شِدادٌ على مرِّ الخطوبِ الصوادعِ (٢)

يقودون جُرْداً مُضمَراتٍ، كأنّها كواسرُ عِقبانِ الشَّريفِ الأبائعِ (٣)

تَجارى الى شعواءَ، لا السَّيفُ عندَها بصادٍ، ولا ظامي الرِّجالِ بناقعِ (٤)

ضَمِنْتُ لهم مُلْكَ العراقِ، فأوسعوا ضِرابَ الطُّلى بالمُرْهَفاتِ القواطعِ (٥)

وكنتُ اذا ما ساوَرَتْني كريهةٌ بَرزْتُ لها في جحفلٍ من مُجاشعِ (٦)

فلم أستكِنْ من صرفِ دهرٍ لحادثٍ ولا ارتعتُ من وقعِ الخطوبِ الروائعِ

قناعَكِ ما اسْتطَعْتِ الغداةَ، فإنّما صَبابةُ مجدٍ لا هوىً بالبراقعِ

سَلي غانياتِ الحيِّ عن مُتخمِّطٍ

اذا السُّجْفُ مِيطَتْ عن ظباءِ الأجارعِ (٧)

وكم زَوْرةٍ قابلتُها بتجنّبٍ ومبذولِ وصلٍ رُعْتُه بالقطائعِ

وسكرى من الوَجدِ الدَّخيلِ أبحتُها عَفافَ تقيٍّ لا عفافَ مُخادعِ (٨)

---

(١) فتيان صدق : بالإضافة ، أي نعم الفتيان هم . وتسائل الفارس الدرع عنه : ألقاها . والوشائع : لفائف القطن أو الغزل .

(٢) الوقيذ : البطيء ، والشديد المرض المشرف . والسرى : سير عامة الليل . وعرقها : إنحالها ، يقال : عرقت المطلوب فلاناً اذا أخذت منه .

(٣) الجرد : (٢٦٣ ر ٤) . والشريف : ماء لبني نمير ، وتنسب اليه العقبان ، ويقال إنه أمرأ موضع بنجد . معجم البلدان (٥/٢٦٠) ، القاموس المحيط (مادة / شرف) ، صحيح الأخبار لابن بليهد النجدي (٣/١٤٧) .

(٤) تجارت : جرت معاً . وغارة شعواء : فاشية متفرقة . والصادي : كالظامىء ، وهو العطشان .

(٥) الطلى : الأعناق . والمرهفات : السيوف المرققة .

(٦) ساورتني : واثبتني . والكريهة : النازلة ، والحرب . والجحفل : الجيش الكثير . ومجاشع : هو ابن دارم ، أبو قبيلة من تميم .

(٧) المتخمط : (٢٤٨ ر ٣) ، ومن معانيه أيضاً : الغلاب ، والقهار . و[illegible]ف : من ط ، جمع سجاف وهو الستر . وهي في ل « السحب » ، والسياق يأباها . ميطت : أزيلت . [illegible]باء الأجارع : أراد بها النساء على التشبيه . والأجارع : جمع أجرع ، وهو الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ، وقيل غير ذلك .

(٨) سكرى : حرفت في ط الى « كري » ، والوجد : الحب الشديد . والدخيل : المداخل ، والباطن .

اذا المرءُ لم يَعتَمِدْ إلّا لِصَبْوةٍ	أتاه الرَّدى ما بين ناءٍ وقاطعِ (١)
وإنْ هو لم يَجهدْ الى العِزِّ نفسَهُ	تحمَّلَ أوْقَ الذُّلِّ في زيِّ وادعِ (٢)
أبى اللهُ الّا وثبةً مُضَرِيّةً	تُبيحُ المواضي من دماءِ الأخادعِ (٣)
تعمُّ الفضا من أدكنِ البُرْدِ قاتمٍ	وتكسو الثَّرى من أحمرِ اللَّونِ ناصعِ
فلا تاجَ إلّا وهْوَ في رُسْغِ سابحٍ	ولا رأسَ إلّا وهْوَ في كفِّ قاطعِ (٤)
اذا ما حمَوا أرماحَهم بيدٍ رُوعِهِمْ	أبحْنا حِماها بالرماحِ الشَّوارعِ
وإنْ ناجزونا بالطِّعانِ سَفاهةً	أعدناهُمُ بالرِّقِّ بعضَ البضائعِ (٥)

ومنها في صفة الغمام :

بدا لأُصَيْحابي غمامٌ كأنَّهُ	أُعَيْلامُ رَضْوى للأَجَدِّ المُتابِعِ (٦)
تعرَّضَ نَجْدِيّاً كأنَّ وميضَهُ	سيوفٌ جلاها صاقلٌ غِبَّ طابعِ
كأنَّ العِشارَ المُثْقَلاتِ أجاءَها	مَخاضٌ فجاءت بين مُوفٍ وواضعِ (٧)
فما زعزعَتْهُ الرِّيحُ حتّى تصادمَتْ	
	على الأكْمِ أعناقُ السُّيولِ الدَّوافعِ (٨)
فأضحتْ له البيداءُ يَمّاً ، وبُدِّلَتْ	يرابيعُ ذاكَ المُنْحَنى بالضَّفادعِ (٩)

---

(١) لم : ط « لا » . ناء : ط « ذاء » ولعلها « داء » . (٢) الأوق : الثقل .

(٣) الأخادع : جمع أخدع ، عرق في المحجمتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٤) السابح : الفرس . ورسغه : هو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من يده .

(٥) ناجزونا : قاتلونا . والرق : في ط « البرق » ، وهو تحريف .

(٦) أعيلام : تصغير أعلام ، وهي الجبال . ورضوى : جبل بالمدينة . والأجد : الذي يسالك الأجدد ، وهو ما استرق من الرمل ، والأرض الصلبة المستوية .

(٧) العشار : (٢٣٣ و ١) ، أو هي اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها وبعضها ينتظر نتاجها . أجاءها : جاء بها . والمخاض : وجع الولادة . والموفي : يريد الموفية أي المشرفة على الولادة . وقد صحفت « فجاءت » في ط فاتا . وواضع : ل « راضع » ، وهي في ط ، ب كما أثبتناها . والواضع : هي التي وضعت حملها .

(٨) الأكم : التلال والروابي ، واحدتها أكمة .

(٩) اليم : البحر . واليرابيع : جمع يربوع ، وهو دويبة نحو الفأرة رجلاها أطول من يديها .

فـلا مُوضِعٌ إلّا مخيضُ رِكابِهُ ... ولا واضعٌ الّا فُوَيْقَ ٱلمنـاقعِ [1]

فقال خيرُ ٱلقومِ : عامٌ بغبطـةٍ ... نَديُّ الثّرى ، وٱلجوُّ غضُّ المراتعِ

فقلت : لأَنْدَى منـه لو تعلمونه ... أناملُ نُوشَرْوانَ تَهْمِي لتابعِ [2]

قوله : « نديّ الثري » لحن ، يعني به ندي مخففاً من النَّدَى ، ولا أعلم أنّه يجوزُ بالتشديد إلّا بمعنى النادي .

وقوله من قصيدة في ملك ٱلعرب دُبَيْس بن صدقة [3] :

أمجداً [4] بلا سعيٍ ؟ لقد كذبتكُمُ ... نفوسٌ تَناهَا الذُّلُّ أنْ تترفّعا

سَلُوا صَهَواتِ ٱلخيلِ عنّي ، فإنّني ... جعلْتُ ظُهورَ اللاحقيّاتِ مَضْجَعا [5]

ومنهـا :

وَفَيْتُ لِقَيْلٍ من ذُؤابةِ خِنْدِفٍ

اذا ما أضاعَ ٱلقومُ حقَّ ٱمْرِئٍ رعى [6]

هو ٱبْنُ ٱلذي جازى مُناوِلَ سَوْطِهِ

فأغنَى وأقنَى حينَ أعطَى وأوسعا [7]

---

(١) الموضع : اسم فاعل من أوضع الفارس الفرس اذا حمله على الإسراع في سـيره . والمخيض : الذي يدخل فرسه في الماء . والمناقع : جمع منقع كمجمع ، وهو البحر ، والموضع يستنقع فيه الماء . وقد صحفت قافها في ل فاء ، وهي في ط « المنابع » .

(٢) نوشروان : هو أنوشروان الوزير . تهمي : تسيل . و « تابع » : من ب . وهي في ل « قالع » ، وفي ط « نابع » .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٣٥) .

(٤) ط ، ب : « أمجد ؟ » .

(٥) الصهوات : مقاعد الفرسان من الخيل . واللاحقيات : الخيل المنسـوبة الى لاحق . أنظر تاج العروس (مادة / ل ح ق) .

(٦) القيل : (ص ٢١٠ ر ٢) . وخندف : بطن من مضر من العدنانية ، وهم بنو إلياس بن مضر ، وخندف اسم امرأته ، عرف بنوه بها . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٠٨) طبعة بغداد ، وقد صحفت فاء خندف فيها قافاً . وذؤابتها : أعلاها وأشرفها .

(٧) أقناه : أعطاه ما يسكن اليه .

يعني أنّ سيف الدولة سقط السوط من يده يوماً ، فناوله إنسان إيّاه ، فأعطاه وأغناه .

تَغِيبُ شُمُوسُ الصُّبحِ من نَقْعِ خَيلِهِ   وتغدو نُجُومُ الليلِ بالصُّبحِ طُلَّعا (١)
تَخالُ سُقاطَ السُّمْرِ والدَّمِ إنْ غزا   غُثاءً وسَيْلاً من يَفاعٍ تَدفَّعا (٢)

ومنها في صفة الجيش :

وذي رَهَجٍ جَمِّ الغَماغِمِ مُجْلِبٍ   غدا عَرْضُهُ من أوسعِ الخَرْقِ أوسعا (٣)
طويلِ القَنا تخشى النُّجومُ طِعانَهُ   بأمثالها ما لم تَرَ السُّمْرَ شُرَّعا
اذا استشبحَ الظمآنُ فارطَ خيلِهِ   يَظُنُّ الغَديرَ السابريَّ المُرَقَّعا (٤)
تَخَيَّرَتِ الأبطالُ والخيلُ عندَهُ   فلم تَرَ إلّا سابقاً وسَمَيْدَعا (٥)
وطالَتْ به عندَ التَّجاوُبِ ألسُنٌ   فأحمدت فيه ذا صهيلٍ ومِصقَعا (٦)
كأنَّ على أقطارِهِ من وَجيفِهِ   غَضىً نَبَّهَتْهُ حَرْجَفٌ فتجعجعا (٧)
تَأَرَّدْتَ رخيَّ البالِ من سَوْرَةِ الرَّدى   كما جفَّلَ المُصطادُ سِرْباً مُذَعْذَعا (٨)
فغادرتَهُ من عادةِ النَّيلِ القِرى   يقوتُ عُقاباً كاسِراً وسَمَعْمَعا (٩)

---

(١) النقع : الغبار .
(٢) السقاط : ما سقط من الشيء . والسمر : الرماح . و « إن » : في ط « إذ » . والغثاء : زبد السيل ، والبالي من ورق الشجر المخالط له . واليفاع : التل المشرف .
(٣) الرهج : (٢٣٨ ر ٨) . والجلب : (٢٤٤ ر ٢) . والخرق : (٢٢٧ ر ٣) .
(٤) الفارط : السابق ، والمتقدم . و « استشبح » : الظاهر أنه يريد بالاستشباح النظر الى الأشباح ، ولم نجد له ذكراً في دواوين اللغة . والغدير السابري : الذي تنسج الريح عليه تموجات كزرود الدرع الدقيقة النسج في إحكام . والمرقع : صحفت دوّها في ط قاناً .
(٥) السميدع : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف ، والشجاع ، والرجل الخفيف في حوائجه .
(٦) التجاوب : ل « التجارب » ، وهي في ط كما أثبتناها . والمصقع : البليغ ، أو العالي الصوت .
(٧) أقطاره : نواحيه وجوانبه . والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . والغضى : شجر عظيم من الأثل ، وخشبه من أصلب الخشب وأجود الوقود . والحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
(٨) سورة الردى : وثوبه وحدته . وجفله : نفره وشرده . والسرب : القطيع من الظباء والطير وغيرها . والمذعذع : المبدد والمفرق .
(٩) السمعمع : الخفيف السريع ، ويوصف به الذئب .

وكنت متى (1) اُستمطرتَ بيضَكَ والقنا   دماءَ الأعادي في الوغى ، هطّلاً معا

ومنها في البحر والروض :

[وما الأخضرُ الطّامي يَعُبُّ عُبابُهُ   بأكرمَ من كفّيكَ في الجدبِ مُنتجَعا (2)

ولا أُنُفٌ من روضةٍ ذاتِ بهجةٍ   سقتها الصَّبا كأساً من الغيث مُترَعا (3)]

أقامَ بها الشَّربُ الكرامُ عشيّةً   وقد هجمَ الليلُ البهيمُ فأمتعا (4)

اذا أمسكَ الغيثُ المُلِثُّ بأرضها   سَقَوْها من الأيدي عُقاراً مُشَعْشَعا (5)

وإن دارتِ الصَّهباءُ فيهم ، تجاذبوا   أحاديثَ مجدٍ يجعلُ النِّكسَ أروعا (6)

فما الهُجْرُ مسموعاً لهم عندَ سَكْرةٍ   وما الحِلْمُ فيهم بالشُّرورِ مضيَّعا (7)

ـ بأطيبَ من ذكرى دُبَيْسِ بنِ مَزْيَدٍ   اذا ردَّدَ السّاري ثناءً ورجّعا (8)

توالتْ عليه الفادحاتُ ، ولم يَحِدْ   عن الصَّبرِ حتّى أدركَ المجدَ أجمعا

وما زالَ يُرخي للنَّوى من قِيادهِ   الى أن أفادَ الحيَّ شملاً (9) مُجمَّعا

ولو لم تكن فيه سريرةُ قادرٍ (10)   لَما راحَ من جورِ الرَّزايا مُمنَّعا

وقولـه :

حلفتُ بما شادتْ تميمٌ من العلى   أُولو الفضلِ في يومِ النَّدى والوقائعِ (11)

---

(1) ط : « اذا » .

(2) الجدب : ضد الخصب . ونجع الطعام : هنأ آكله .

(3) روضة أنف : لم ترع . ومترع : ملآن . والبيتان من ط ، ب .

(4) الشرب : جمع شارب ، كصاحب وصحب .

(5) الملث : اللايم . والعقار : الخمر . والمشعشع : الممزوج بالماء .

(6) الصهباء : الخمر ، أو المعصورة من عنب أبيض اسم لها كالعلم . « يجعل » : ط « تجعل » . والنكس : المقصر عن غاية الكرم . والأروع : ما هنا من يعجبك بشجاعته .

(7) الهجر : القبيح من الكلام . (8) بأطيب : خبر « ما » في البيت الأول .

(9) ل : « سهلا » ، وهي في ط كما أثبتناها .

(10) ط : « و (لو) لم تكن لله فيه سريرة » .

(11) تميم : هو ابن مر بن أد بن طابخة ، أبو قبيلة مشهورة ، وكان الشاعر تميمياً ، فكثر فخره بها .

يَبِينُ (1) صَدُوقَ القولِ من غيرِ خَلْفَةٍ ... كريمَ المساعي والثنا والمطامعِ (2)

لَئِنْ لم تَلُذْ بالوُدِّ من بعدِ بُعْدِهِ ... مَلاذَ الأراوى بالطِّوالِ النَّوازعِ (3)

لَيَعْتَلِجَنْ بين البيوتِ مع الضُّحى ... مَقالٌ كأطرافِ الرِّماحِ الشَّوارعِ (4)

وله في الوزير الزينبي (5) يهنّئه بالخلعة ، قال : جئته وهو يتهادى في ديوان الخلافة ، والناس حافّون به ، وللحديد حوله صليلٌ ، فتولجتُ كثافة الجمع ، وخُضتُ وعر الهيبة مسترسلاً . فلما بَصُرَ بي (6) ، قبض قدميه عن السعي ، وأنصت لأمارات (7) المقالة من أسرّة وجهي (8) ، فوضعت يدي على كمّ الخلعة ، وقلت :

جُمِّلْتِ من الحَدَثانِ أحصنَ أدرُعٍ ... فلقد سُنِنْتِ على الكريمِ الأروعِ (9)

شُرِّفْتِ على شرفِ الأنُوسِ ، فغُودِرتْ ... فلكًا لشمسٍ عُلًى حميدِ المطلعِ

زُرِّرتِ على طَوْدِ الأناةِ (10) ، وضُمِّنَتْ ... بحرَ النَّدى ، وحوتْ شِراسَ الأذرُعِ

[* حسدَ اللِّباسُ العبقريُّ مقامَها ... من ماجدٍ « في نُكْبِه متودعِ » (11)

تَنْضَرُ النعيمِ ، يكادُ ساحبُ ذيلِهِ ... يخضرُّ منه ثرى الجديبِ المُدْقِعِ (12)

---

(1) ل : « يبين » ، وهي في ط كما أثبتناها .

(2) الخلفة : الاسم من الاختلاف ، أو مصـــدر الاختلاف أي التردد . وقد صحفت خاؤها في ل ، ط حاء مهملة .

(3) الأراوى : جمع أروية ، وهي أنثى الوعول . والطوال النوازع : أي الجبال الطوال المرتفعات .

(4) اعتلج القوم : اتخذوا صراعاً وقتالا ، واعتلجت الأمواج : اضطربت .

(5) تقدمت ترجمته في (ص ٣٠٩) . (6) ط : « أبصرني » .

(7) ط : « لأمارة » . (8) الأسرة : (٢٥٨ ر ٧) .

(9) سن عليه الدرع : أرسلها إرســـالا لينا . الأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ، أو بشجاعته .

(10) الأناة : (٢٤٦ ر ٢) ، وهي في ط « الأنام » .

(*) من هذا البيت الى البيت الحادي والعشرين من ثاني قصيـــدة في حرف اللام ، مخروم في ل . وقد ظفرنا به في ط فأثبتناه .

(11) كذا ، ولعل صوابها : « في لبسه متورع » .

(12) نضر : من باب ظرف ، وحـــكى أبو عبيـــد نضر من باب طرب : حسن . وهو في الأصل « نظر » . والجديب : ضد الخصيب . والمدقع : الذي لا نبات به ، وقد صحفت قافه في الأصل فاء .

يختالُ في شَرَفَيْنِ شَـأْوُ عُلاهما ... لبني المناقبِ سامقٌ لم يُفْرَعِ (١)

نَجْرٌ كمنبلجِ الصباحِ يَزِينُهُ ... سعيٌ كعَرْفِ الروضةِ المتضوّعِ (٢)

ومنها :

يغدو لدى الحاجاتِ أسمعَ منصتٍ ... ويروحُ للّاحي كأنْ لم يسمعِ (٣)

فاللامُ المنطيقُ أعجمُ قائلٍ ... والقَرْمُ السكّيتُ أفصحُ مُسمعِ (٤)

ومنها في صفة السّحاب :

وإذا جرتْ هُوجُ الرّياحِ عشيّةً ... ما بين نكباءِ الهبوبِ وزعزعِ (٥)

فُرُطًا لمؤتلفٍ كأنّ رُكامَهُ ... في جوّه عَقِداتُ رملِ الأجرعِ (٦)

أو مُؤثَراتٌ من ركائبَ بُزَّلٍ ... نَزَعُوا بمُعتلجِ المُناخِ الجعجعِ (٧)

فاقتدنَ منه كلَّ أكلفَ داجنٍ ... هولَ التصاخبِ بالمكانِ البلقعِ (١)

دانٍ يكادُ الوحشُ يكرعُ وسطَهُ ... وتمسُّهُ كفُّ الوليدِ المرضعِ

هذا أبلغُ من قول الطرمّاح (٩) :

---

(١) الشأو : الغاية والأمد . والشأو أيضاً : السبق . وفرعه : علاه .

(٢) النجر : الأصل ، وهو في الأصل « بحر » . والعرف : (٣١ ر ٧) . (٣) اللاحي : اللائم .

(٤) القرم : السيد العظيم على التشبيه بالقرم من الإبل ، وهو الذي لا يحمل عليه ولا يذلل وإنما هو للفحلة والضراب . والسكيت : ضد المنطيق .

(٥) الهوج : جمع هوجاء ، وهي الريح تقلع البيوت . والنكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين . والزعزع : الشديدة التحريك .

(٥) الفرط : السوابق والمتعجلات . المؤتلف : أي لسحاب مؤتلف . والعقدات (بكسر القاف وفتحها) : ما تعقد من الرمل وتراكم . والأجرع : (٢٦٤ ر ٧) .

(٧) المؤثرات : المكرمات ، وهي في الأصل « موبرات » ولم أر لها تخريجاً سليماً . والركائب : جمع ركاب ، وهي الإبل ، وواحدة الركاب راحلة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل في تاسع سنيه ، وليس بعده سن تسمى . ونزوع النوق : حنينها الى أوطانها ومرعاها . وأرجح أنها « نزلوا » . والمعتلج : مكان الاعتلاج ، واعتلجت الأرض أي طال نباتها . والجعجع : من معانيه ما تطامن من الأرض .

(٨) التصاخب : هي في الأصل بالحاء المهملة ، ولم أر لها هاهنا وجهاً .

(٩) هو الطرماح بن حكيم ، من طيء . كان من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم . نشأ في الشام ، وانتقل الى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشراة الأزارقة . قال الجاحظ : « كان يؤدب الأطفال ، فيخرجون من عنده كأنما جالسوا العلماء » ، وتوفي سنة ١٠٠ هـ . وله ديوان =

دانٍ مسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ   يكادُ يَدْفَعُهُ مَن قامَ بالرّاحِ (١)

* * *

متتابعٌ بَجِمٌ كأنَّ رُكامَهُ   كبَّاتُ قيصرَ أو سَرايا تُبَّعِ (٢)

زَجِلُ الرُّعودِ يكادُ يُخْدِجُ عندَهُ   شاءُ المَلاءِ ويَموتُ سَخْلُ المَوضعِ (٣)

فَهَمى ، فألقى بالعَراءِ بَعاعَهُ   سَحًّا كمُندفِعِ الأتيِّ المُترَعِ (٤)

فتساوتِ الأقطارُ من أمواهه   فالقارَةُ العلياءُ مثلُ المَدْفَعِ (٥)

وغدا سَرابُ القاعِ بحرَ حقيقةٍ   فكأنّه لتيقُّنٍ لم يَخْدَعِ

متغطمطاً غصَبَ الوحوشَ مكانَها   تيّارُهُ ، فالضَّبُّ جارُ الضِّفْدَعِ (٦)

فضلُ الوزيرِ الزينبيِّ بجودِه   ذاك النَّدى حقًّا بغيرِ توسُّعِ

ومنها في صفة الرَّكْب :

ومُسَهَّدينَ على الرِّحالِ يَميزُهُم   شرفُ الرَّجاءِ عن النُّفوسِ الهُجَّعِ (٧)

= طبعته لجنة تذكار جيب بانكلترة مع ديوان الطفيل بن عوف بعناية Krenka v . الأغاني (١٠/١٤٨) ، خزانة الأدب (٣/١٨/٤) الطبعة الأولى ، الشعر والشعراء (١٤٠) ، جمهرة أشعار العرب (٣٨٤) طبعة الرحمانية ، تاج العروس (٢/١٩٠) ، تاريخ آداب اللغة العربية (١/٢٨١) .

أما البيت فقد غلط المؤلف في نسبته الى الطرماح ، والتحقيق أنه لعبيد بن الأبرص من أصحاب المعلقات العشر . وهو من قصيدة له عدتها ١٥ بيتاً في مختارات ابن الشجري (٢/٤٨) ، و ٧ أبيات في أمالي القالي (١/١٩٧) .

(١) المسف : الشديد الدنو . وهيدبه : ما تدلى منه . والراح : الأكف .

(٢) الكبات : (٢٥٠ و ٨) . والسرايا : جمع سرية ، وهي من خمسة أنفس الى ثلاث مئة أو أربع مئة . وكسرى : لقب ملوك فارس . وتبع : لقب ملوك حمير في اليمن .

(٣) الزجل : الصوت ذو الرعد . وأخدجت الناقة : جاءت بولد ناقص وإن كانت أيامه تامة . والشاء : جمع شاة . والملا : الملأ ، الجماعة .

(٤) همى : سال . والبعاع : ثقل السحاب من المطر ، وألقى السحاب بعاعه : أي كل ما فيه من الماء . والأتي : (٢٣٠ و ٩) .

(٥) قال ابن شميل : مدفع الوادي حيث يدفع السيل ، وهو أسفله حيث يتفرق ماؤه .

(٦) المتغطمط : المضطرب الأمواج . والضب : دويبة من الحشرات ، وقد خصها الجاحظ في كتاب الحيوان ببحث مستفيض .

(٧) المسهد : المؤرق الساهر . والرحال : مراكب الجمال ، وقد صحفت هاؤها في الأصل جيماً .

شُعثٌ كأنَّ على الرَّكائبِ منهمُ … غولاً تَجارَى بالنَّعامِ الأجدعِ (١)

نَحَلوا على شَعَثِ الرِّحالِ، فأشبهت … أعوادُها منهم عريقَ الأضلُعِ (٢)

وتناضلوا شَحَباً، فأبعدُ همِّهِ … أوفاهمُ وَصَباً وإنْ لم يوجعِ (٣)

خَفَقوا بهامِهمُ على أكوارِهمْ … خَفْقَ السُّجودِ من الصَّلاةِ الرُّكَّعِ (٤)

وطغت بإنجادِ النُّعاسِ أزِمَّةٌ … يُجمِلْنَ طاعةَ راحةٍ أو إصبعِ (٥)

ومنها:

كتمَ الدُّجى والقاعُ سِرَّ سُراهمُ … فأباحه صبحُ المكانِ المُتلِعِ (٦)

يبغونَ مُشكيَ المُجْدِباتِ وماجداً … تُغني رغائبُه غَناءَ المُهمِعِ (٧)

ناداهمُ كرمُ الوزيرِ، فأنزلوا … بعد التَّماحلِ بالخصيبِ المُمْرِعِ (٨)

بمُوسِّعِ المعروفِ غيرِ مُضيِّقٍ … ومُضيِّقِ الأعذارِ غيرِ مُوسِّعِ

ومنها في صفة السيف:

متبدِّمٌ قبلَ الضِّرابِ، وإنَّهُ … من بعدِ فتكتِه غزيرُ الأدمعِ

---

(١) الشعث: (٢٣٨ ر ١). والركائب: (٢٧٠ ر ٧). والغول: واحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أنها في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا أي تتلون تلوناً في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. وقد نفى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « لا غول ولا صفر ». وقد صحفت غينها المعجمة في الأصل عيناً. تجارى: تتجارى. والأجدع: الشيطان، والأجدع: المقطوع الأذن، فتأمل.

(٢) نحلوا: هزلت أجسامهم، وهي في الأصل مهملة النقط. والشعث: انتشار الأمر وتفرقه. والرحال: صحفت حاؤها في الأصل جيماً. وعريق الأضلع: معروقها، قليل اللحم.

(٣) الوصب: المرض.

(٤) خفق الرجل: حرك رأسه اذا نعس، وقيل: هو اذا نعس نعسة ثم تنبه، وفي الحديث: « كانوا ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤوسهم »، أي ينامون حتى تسقط أذقانهم على صدورهم وهم قعود. ولا تعرف تعديته بالباء. والهام: (٢٣٦ ر ٥). والأكوار: جمع كور، وهو الرحل.

(٥) الإنجاد: الإعانة. والأزمة: جمع زمام.

(٦) السرى: سير عامة الليل. المتلع: العالي المشرف.

(٧) مشكي المجدبات: مزيل شكواها. والرغائب: (٢٤١ ر ٩). والمهمع: السحب الماطرة.

(٨) بعد التماحل: أي بعد تغير أبدانهم. والممرع: الذي أكلأ، أي صار به كلأ وعشب

برقٌ أُضيفَ الى سَحابٍ أناملٍ　　　والبرقُ لولا سُحْبُهُ لم يلمعِ
بل جدولٌ في رَعْنِ طَوْدٍ أيْهَمٍ　　　حَوْلَيْهِ بحرُ نائلٍ مُتدفِّعِ [1]
عَدِمَ النُّبُوَّ غِرارُهُ ، فكأنّه　　　من غيرِ حدّةِ عزمِهِ لم يُطْبَعِ [2]

ومنها في صفة الفرس :

طِرْفٌ يراه الطَّرْفُ عندَ وَجِيفِهِ　　　جبلاً يسيرُ على الرِّياحِ الأربعِ [3]
رَحْبُ اللَّبانِ ، كأنّ لونَ إهابِهِ　　　شَفَقٌ تحلَّلَ قَشْعَ غيمٍ مُقلِعِ [4]

ومنها في المقطع :

ما أقنعتني في وَلائكَ غايةٌ　　　فبِدُونِ تبليغي العُلَى لم تَقنعِ [5]

وقوله في الغزل :

صحا القلبُ من وُدِّ الغواني ، وودُّها　　　من السَّورةِ العلياءِ ليس براجعِ [6]
وفرّقَ جيشَ الجهلِ شيبٌ وُجوهُنا ؛　　　حصينُ الحِجى لا يُدَّرَى بالرَّوادعِ [7]
منعَّمةٌ لا الصبرُ عنها بناصرٍ　　　مُجيرٍ ، ولا العَذْلُ الطويلُ بنافعِ
يذودُ الكرى عن مُقلةِ الصَّبِّ صَدُّها　　　وتسخرُ عندَ الوصلِ من نفسِ هاجعِ
أسيرٌ هواها غيرةً ، فتُذيبُهُ　　　حرارةُ أنفاسٍ ، وفيضُ مدامعِ [8]

---

(١) الرعن : (٢٥١ ر ٤) . وطود : في الأصل « طول » . والأيهم : الجبل الصعب . بحر : باشباع الضمة ، وهو غير مقبول .
(٢) نبا السيف عن الضريبة : كلّ . وغرار السيف : حدّه .
(٣) الطرف : الكريم من الخيل . والطرف : العين . والوجيف : ضرب من سير الخيل .
(٤) اللبان : الصدر . تحلل : علا ، وهو في الأصل بالحاء المهملة . والقشع : السحاب الذاهب المتقشع .
(٥) الأصل : « لا تنفع » .
(٦) السورة : المنزلة الرفيعة .
(٧) وجوهنا : في الأصل « وجهاً » . ادرى الصيد : ختله ، أي خدعه وتخفى له . والروادع : الثياب الملمعة بالزعفران أو الطيب . قال امرؤ القيس :
حوراً يعللن العبير روادعاً　　　كمها الشقائق أو ظباء سلام
(٨) فتذيبه : الأصل « تيذيبه » .

وأظهرَ سُلواني لها ، ووراءَهُ غرامٌ كضربِ المرهفاتِ القواطعِ [1]

ولمّا استراحَ العذلُ من بعدِ شدّةٍ الى بارقٍ في مفرقِ الرأسِ لامعِ

تضاعفَ سلطانُ الهوى ، فكأنّما أطافَ بغُمْرٍ في الخلاعةِ يافعِ [2]

وقوله في أنوشروان [3] :

يُجيبُ نداهُ قبلَ أن تستغيثَهُ وخيرُ النّدى ما لم يكن بدواعِ

يُضيءُ ابتهاجاً بالعفاةِ ، كأنّما مُحيّاهُ في الجدوى ظهيرةُ قاعِ [4]

يُرى عن جليلِ الجُرْمِ بالحلمِ مُعرِضاً وعندَ دقيقِ القولِ أحسنَ واعِ

ومن قوله في قصيدة في وصف الخيل عند شربها :

اذا ما احتست ، خلتَ الرّياحَ جرت ضُحى

على قصبِ الآجامِ وهيَ زعازعُ [5]

ومن قوله في الوزير الزّينبي [6] :

أغرُّ ، رحيبُ الصّدرِ . أمّا ملامُهُ فعاصٍ ، وأمّا جودُهُ فهوَ طائعُهْ

تُضيءُ ظلامَ الليلِ غرّةُ وجههِ وتُظلِمُ منه بالطِّرادِ وقائعُهْ

فتى هامُ أبناءِ المعالي صِلالُهُ قديماً ، وأطواقُ الرّقابِ صنائعُهْ [7]

وقوله فيه :

قومكَ أغرى معشراً بالنّدى وخيرُ من أصغى الى الدّاعي

صِيدٌ ، ومن رائقِ أخلاقِهم تشبّهُ المرعيّ بالرّاعي [8]

---

(١) المرهفات : (٢١٠ ر ٤) .

(٢) الغمر : من لم يجرب الأمور . وهو في الأصل بالعين المهملة . واليافع : الذي راهق العشرين .

(٣) تقدمت ترجمته في (ص ٣٤٤) .

(٤) العفاة : طلاب المعروف . ومحياه : وجهه . والجدوى : العطية .

(٥) احتساء الماء : شربه شيئاً بعد شيء . والآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف . والزعازع : جمع زعزع (٢٧٠ ر ٥) . (٦) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .

(٧) الهام : (٢٣٦ ر ٥) . (٨) الصيد : (٢٤٩ ر ١) .

تضمُّ منـــه هبواتُ الوَغى   كلَّ طويلِ الرُّمحِ والباعِ (١)
وقفتُ في المسعى ، ولمّـــا أقُلْ   سعيت كيلَ الصّاعِ بالصّاعِ
مُضيّعُ المالِ ومِتـــلافُهُ   والعهدُ وافٍ حافظٌ راعِ
يُنيـــخُ منه جارُهُ بالنّدى   والعُرفُ والخِصْبُ بجعْجاعِ (٢)

ومن قوله فيه :

رعاكَ ضمانُ اللهِ ، ما أظلمَ الدُّجى (٣)   بهيماً ، وما ابيضّتْ وجوهُ المطالعِ
وما طاب ذكرُ المحسنين ، وما جرى النّـ   ـسيمُ بأرجاءِ المُرُوتِ البلاقعِ (٤)
أفاءت بكَ الأحداثُ حتّى كأنّها   بشائرُ في ألحاظِنا والمسامعِ
وطابت بكَ الأيّامُ (٥) حتّى كأنّها   إيابُ شبابٍ ، أو وِصالُ مُقاطعِ

ومن قوله فيه :

يبذلُ المالَ ، فإنْ حلَّ به   لاجئٌ من صَرْفِ دهرٍ ، منَعَهْ (٦)
ولدى الفاقةِ خِصْبٌ وغِنًى   ولدى الخيفةِ أمنٌ ودَعَهْ (٧)
أبداً يجمعُ بالبـــأسِ الغِنى   ويَفُضُّ الجودُ ما قد جمَعَهْ
زينـــيٌّ يفخرُ الدّهرُ بهِ   أحرز المجـــدَ غلاماً يَفَعَهْ (٨)
ضيّقُ الأعذارِ ، لكنْ ضيفُهُ   من حِماهُ وقِراهُ في سَعَهْ

---

(١) الهبوة : الغبار . والوغى : الحرب .

(٢) العرف : المعروف . والخصب : وردت في الأصل بصورة « والخصنر » ، ولعل كلمة « الخصب » هي المرادة . والجعجاع : من معانيه الأرض عامة ، وما تطامن منها .

(٣) الأصل : « رعاك ضمان ما أظلم الدجى » .

(٤) المروت (بضم الميم) : جمع مروت (بفتحها) ومرت ، وهو المفازة بلا نبات ، أو الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها .

(٥) الأيام : في الأصل « الدنيا » .

(٦) الصرف : من الدهر حدثانه ونوائبه .

(٧) الفاقة : الفقر والحاجة . والدعة : الخفض والسعة في العيش .

(٨) زيني : (٢٥٣ ر ٣) . واليفعة : كاليفع واليافع ، وهو الذي راهق العشرين .

وقوله من مدائحه في عمّي الصّدر الشّهيد عزيز الدّين [1] أبي نصر أحمد بن حامد بن محمّد ، وكان حينئذٍ مستوفي السّلطان محمود [2] بن محمّد بن ملكشاه ، كتبها اليه بعد غيبته عنه :

ألا ، مَنْ مُبلغٌ عنّي هُماما ... أَشَمَّ كذِرْوَةِ الطَّودِ الرَّفيعِ ؟

يُباري بالنّدى والبأسِ سَيْحَ الـ ... غَمامِ ، وهبّةَ السَّيفِ القَطُوعِ

اذا ما حلَّ أرضاً ذاتَ مَحْلٍ ... أعادَ المَحْلَ خِصْباً من ربيعِ

أَلُوكَةَ صادقِ الدّعوى أمينٍ ... بريءٍ من نِفاقٍ في خضوعِ [3]

بأنّي مُغرمٌ بهـواكَ أطوي ... على البُرَحاءِ أحناءَ الضّلوعِ [4]

أحنُّ حنينَ رازحةٍ قَعيدٍ ... تراوحُ في الأزِمّةِ والنُّسوعِ [5]

الى الوجهِ الطّليقِ لمعتفيـه ... على العِلّاتِ ، والكَلِفِ الوَلوعِ [6]

وما غالتْ هوايَ نوىً شَطُونٌ ... ولكنْ زادَ بُعدي في وَلُوعي [7]

ولو مُكِّنْتُ من عطفِ المطايا ... لَكانَ الى أبي نصرٍ رُجوعي

وله في مدح أمير المؤمنين عليّ — عليه السّلام — [8] :

---

(١) الأصل : عز الدين ، والصواب ما أثبته على ما حققته في (٧ ر ١١) .

(٢) تقدمت ترجمته في (٢٢٧ ر ٧) .

(٣) الألوكة : الرسالة . (٤) البرحاء : شدة الأذى .

(٥) رازحة : أي ناقة رازحة ، وهي التي سقطت إعياء أو هزالا . والنسوع : جمع نسع (بكسر النون) ، وهو سير ينسج عريضاً تشد به الرحال .

(٦) المعتفي : (٢٠٥ ر ٥) .

(٧) غاله : أخذه من حيث لم يدر . شطون : بعيدة . ولوعي : في الأصل « ولوع » .

(٨) علي بن أبي طالب : هو رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالجنة . ربي في حجر النبي ، وكان من السابقين الأولين الى الإسلام ، وفي سنه يوم أسلم زهاء تسع روايات ، وشـهد مع النبي المشاهد كلها الا غزوة تبوك ، وتزوج ابنته فاطمة ، ولم يزل بعد وفاة النبي متصدياً لنصر العلم والفتيا . بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ، ونازعه جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ، فنشبت من ذلك وقعة الجمل ووقعة صفين ، ثم انشق عنه الخوارج فلم يزل يقاتلهم الى أن ائتمروا به فقاتلوه ليلة سبع عشرة من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ . وأخباره كثيرة =

صِنْوَ ٱلنَّبِيِّ ، رأيتُ قافيتي ... أوصافَ ما أُوتيتَ لا تَسَعُ [1]

فجعلتُ مدحي الصَّمْتَ عن شرفٍ ... كلُّ ٱلمدائحِ دُونَهُ يَقَعُ

ماذا أقولُ ، وكلُّ مُفتَقَسِمٍ ... بين ٱلأفاضلِ فيكَ مجتمعُ ؟

(الفـــاء)

وقوله في الذمّ :

خليليَّ من عُليا تميمِ ٱبنِ خِنْدِفٍ ... نداء ، أبيٍّ لِلبَضِيمةِ عارفِ [2]

خُذا بِرِقابِ ٱلعِيسِ عن عُقْرِ منزلٍ ... بَغيضٍ الى النُّزَّالِ شَيْنِ المواقفِ [3]

عن ٱلحيِّ : لا ٱلجارُ ٱلمقيمُ بآمنٍ ... لَدَيْهِمْ ، ولا ٱلجاني عليهمْ بخائفِ

بيوتٌ قصيراتُ ٱلعمادِ ، كأنّها ... وِجارُ ضِباعٍ أجحرتْ للمخاوفِ [4]

اذا نزلَ النّاسُ ٱليَفاعَ ، تزاوروا ... الى سُتُراتِ ٱلغائطِ ٱلمتقاذفِ [5]

جِفانُهُمُ أردانُهُمْ بِسُرُوتِها ... اذا أطعموا نَشْرَ ٱلبُزاةِ ٱلخواطفِ [6]

أذىً كصدورِ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ مُرْهَفٌ ... وذُلٌّ كعيدانِ ٱلأراكِ الضَّعائفِ [7]

= جداً ، أفاضت فيها كتب التأريخ وسير الصحابة . طبقات ابن سعد (٩/١٦٥) ، أسد الغابة (٤/١٦) ، الاستيعاب (٢/٤٥٦) ، الإصابة (٤/٢٦٩) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/٣٤٤) ، تأريخ الطبري (٥/١٥٢) طبعة الحسينية ، التنبيه والاشراف (٢٥٥) ، الكامل (٣/١٦٨) ، البداية والنهاية (٧/٢٢٢) ، العبر (٢/١٥٠) ، معجم الأدباء (١٤/٤١) الطبعة المصرية ، محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية (٢/١١٦) ، وغيرها .

(١) الصنو : الأخ الشقيق ، والابن ، والعم .

(٢) تميم ابن خندف : قدمت في (ص ٢٦٨ ر ١١) أن تميماً هو ابن مر بن أد بن طابخة ، أما خندف فهي أم طابخة بن إلياس بن مضر ، وبها عرف بنوه . أنظر (ص ٢٢٦ ر ٦) . والقضيمة : الظلم والاغتصاب .

(٣) العيس : (٢١١ ر ٩) . والعقر : وسط الدار وأصلها .

(٤) الوجار : جحر الضبع وغيرها .

(٥) اليفاع : التل المشرف . والغائط : المطمئن الواسع من الأرض . والمتقاذف : يريد به المتباعد .

(٦) الجفان : القصاع . والبزاة : جمع باز (٢١٨ ر ١) .

(٧) السمهرية : (١١٣ ر ٨) . والأراك : (١٢٢ ر ٢) .

ظواهرُ أمثالُ الصَّباحِ ، ودُونَها ... بَواطِنُ سُودٌ كالدُّجى المتكاثفِ
عَـداكُمْ غَمامُ العامِ أخصبَ أهلَهُ ... وجادكُمُ صَوبُ اللِّدانِ الرَّواعفِ (١)

وله من قصيدة في شرف الدِّين البَيْهَقِيِّ (٢) :

حاشا لدينِ العلى يُلْوِي بواجبِـــهِ ... وأنت للدِّينِ من بين الورى شرفُ
خيرُ المَواردِ أدناها لذي ظمأٍ ... وشرُّها بطويلِ المَتْحِ يُعْتَسَفُ (٣)
لولا الحوادثُ ، إذْ أمسين ضاريةً ... كما تضارى ذئابُ الثَّلَّةِ الغُضُفُ (٤)
وجورُ دهرٍ أعادَ الحالَ رازحـــةً ... فالمالكُ يُمدحُ والمخدومُ يُحترفُ (٥)
ـ لما طَمَحْتُ الى عيشٍ أرَمِّقُهُ ... أعُبُّهُ تارةً عبًّا ، وأرتشـــفُ (٦)
وما جَزِعْتُ لخطبٍ غانَ في شرفي ... والشَّمسُ تُشرقُ أحيانًا وتنكسفُ (٧)

---

(١) عداكم : في الأصل « عراكم » . والصوب : القطر . واللدان : وصف للرماح ، واحدها لدن ، وهو اللين من كل شيء . والرواعف : السوائل دماً .

(٢) هو شرف الدين أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ، من ذرية خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رســول الله صلى الله عليه وسـلم . ولد سنة ٤٩٩ ه في قصبة السابزوار من ناحية بيهق ، وورد بيهق ونيسابور ومرو ، ودرس بها ، وتلقى عن مشايخ عصره ، وبرع في ضروب من المعرفة ، ووضع مؤلفات متنوعة في اللغة والأدب والتأريخ والأنساب والفقه والأصول والخلاف والسـموم والأدوية والهيأة والنجوم والحكمة والفلسفة والمساحة . ومن كتبه : وشـاح دمية القصر ، وتتمة كتاب الوشاح ، وتتمة صوان الحكمة ، وكتاب شـرح شعر البحتري وأبي تمام ، وكتاب إعجاز القرآن ، وتاريخ بيهق بالفارســية ، وغيرها . ذكره العماد الأصفهاني في هـــذا الكتاب ، ووصفه بالرئاسة والشرف ، ونقل عن أبيه قال : « وأظنه نكب في وقعة السلطان ســنجر مع الكفار الخطائيــة » . وله ترجمة حافلة في معجم الأدباء (٢١٩/١٣) من الطبعة المصرية ، وقد وهم ناشره بأن له ترجمة في بغية الوعاة للسيوطي فأحال عليها ، وإنما هي ترجمة علي بن زيد القاشاني النحوي أحد أصحاب ابن جني .

(٣) المتح : مصدر متح المستقي الدلو اذا نزعها وجذبها من البئر . ويعتسف : يخبط على غير هداية .

(٤) ضري الكلب بالصيد : تعوده واجترأ عليه . و « ذئاب » : في الأصل « دباب » ، ولا وجه لها هنا . والثلة : جماعة الغنم . والغضف : جمع أغضف ، وهو من السباع الذي انكسر أعلى أذنه واسترخى أصله ، ومنه الليث .

(٥) رازحة : هزيلة ، يقال « رزحت الناقة » اذا سقطت إعياء أو هزالا .

(٦) طمح ببصره اليه : ارتفع . والترميق : العمل يعمله الرجل ولا يحسنه ، وقد يتبلغ به ، وهو مرمق العيش : ضيقه . والعب : شرب الماء ، أو الجرع ، أو تتابعه ، والكرع . والارتشاف : المص .

(٧) غان : غام ، يقال غانت السماء غيناً اذا طبقها الغيم . وهي في الأصل « غاث » ، ولا وجه لها هنا ، فلعلها تصحيف « عاث » .

وإنْ علا نورَ مجدي ليلُ نازلةٍ ... فهالةُ البدرِ في لألائِها كلَفُ (١)

ومنهـــا :

وكم ثلمتَ غروبَ البيضِ ماضيةً ... بمُضْمَرِ القدِّ في أعطافِهِ هَيَفُ (٢)

الجودُ عندكَ طبعٌ لا تكلّفهُ ... وعندَ غيركَ أفعالُ النَّدى كُلَفُ (٣)

وقوله في الحكمة :

اضطرارُ الحُرِّ الكريمِ الى الدُّو ... نِ ، وإنْ حازَ غايةَ الإسرافِ ،

لا يَشينُ المجدَ المُنيفَ ، ولا ينـ ... ـقصُ قدرَ الشَّريفِ في الأشرافِ (٤)

هل يُعابُ العطّارُ يوماً اذا أصـ ... ـبحَ ذا حاجةٍ الى الكنّافِ ؟

(القاف)

وله من قصيدة سارت في مدح الوزير الزَّينبي (٥) :

لمن جيرةٌ دونَ اللِّوى والشقائقِ ... يُعَطُّون بالأعداد ثوبَ السَّمالقِ (٦) ؟

ومنها ، وقد أحسن :

عِجالُ السُّرى ، لا يستقلُّ مُعرَّسٌ ... بهم غيرَ إزجاءِ الطَّلاحى الأيانقِ (٧)

كأنَّ فتيتَ المسكِ ذرُّ سحيقةٍ ... مع الصُّبحِ في أكوارِهم والنَّمارقِ (٨)

---

(١) الهالة : دارة القمر . والكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم ، قاله الجوهري . والكلف : لون بين السواد والحمرة ، وحمرة كدرة تعلو الوجه .

(٢) البيض : السيوف . والغروب : جمع غرب ، وهو الحد . والأعطاف : الجوانب . والهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة .

(٣) الكلف : جمع كلفة ، وهي ما تكلفته من نائبة أو حق .

(٤) المنيف : الرفيع . (٥) تقدمت ترجمته في (ص ٢٠٩) .

(٦) اللوى : ما التوى من الرمل ، أو مسترقه . والشقائق : جمع شقيقة ، وهي الفرجة بين الجبلين تنبت العشب . والسمالق : جمع سملق (كجعفر) ، وهو القاع الصفصف .

(٧) السرى : سير عامة الليل . وعرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة ، والموضع معرس . والإزجاء : السوق والدفع . والطلاحى : في الأصل « الطلاح » وهو خطأ ، قال أبو سعيد : الطلاحى هي الكالة المعيبة .

(٨) ذر سحيقة : في الأصل « در سحيقة » . والأكوار : (٢٣٨ و ١) . والنمارق : جمع نمرق ونمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل .

إذا رَحَلُوا عن منزلٍ ، غادروا به   مِهاجاً لمشتاقٍ وطيباً لنَاشِقِ (١)

وفوقَ ٱلحَوايا كلُّ غَيداءَ ، دُونَها   حميّةُ غَيرانٍ ولوعةُ عاشِقِ (٢)

سَحَبْنَ فُضُولَ الرَّيْطِ صَوْناً كأنّما   خِفافُ ٱلمطايا من شعورِ ٱلمفارِقِ

يعني : أضفين ٱلملابسَ حتّى سوّين — من الصَّوْن — بين أخفاف إبلهنّ وبين شعور مفارقهنّ .

وأعرضُ عن زَجْرِ ٱلحُداةِ تحرُّجاً   عن النّظمِ في ذِكرى مَشُوقٍ وشائقِ

توهّمتُ حِلمي بعدَهُنّ سَفاهةً   وخِلْتُ أَناتي خِفّةَ ٱلمتنازقِ (٣)

وعهدي بنا والدّارُ قربٌ لشاحطٍ   ووصْلٌ لمهجورٍ ووُدٌّ لوامقِ (٤)

ومُرتبَعُ ٱلحيِّ ٱلجميعِ من ٱلحِمى   رياضُ ٱلعوالي في رياضِ ٱلمبارقِ (٥)

مجامعُ أيسارٍ ، وموقفُ سُمَّرٍ ،   ومَطْعَنُ فُرسانٍ ، وشاراتُ راشقِ (٦)

ومَبْرَكُ أنضاءٍ ، ومُلْقَى سوابغٍ ،   ومَسْحَبُ أرماحٍ ، ومُنْقَى سوابقِ (٧)

فلمّا دعا داعي النّوى واستخفّنا   تجاوُبُ غربانِ ٱلفراقِ النّواعقِ

ظللتُ أداري دمعَ عينٍ قريحةٍ   أبى ٱلوَجْدُ إلّا أن تجودَ بدافقِ (٨)

كأنّ إهابي مُشْعَرٌ جبريّةً   غداةَ سرتْ ظُعْنُ ٱلخليطِ ٱلمُفارقِ (٩)

---

(١) مهاج : أراد بها جمع مهجة ، وهو خطأ ، إنما جمعها مهج كغرف جمع غرفة . وهي الروح .

(٢) الحوايا : جمع حاوية وحاوياء ، وهي كساء يحشو حول سنام البعير . والغيداء : (٢٣٧ ر ٢) .

(٣) الأناة : (٢١٨ ر ٣) . ونزق : طاش وخف عند الغضب ، وتنازق : تظاهر بالنزق .

(٤) الشاحط : البعيد . والوامق : المحب .

(٥) المرتبع : المنزل ينزل فيه أيام الربيع . والحي : البطن من بطون العرب . والجميع : المجتمع . والعوالي : الرماح . والمبارق : لعله يريد بها مواضع بريق السيوف والأسنة .

(٦) الأيسار : جمع ياسر ، وهو الذي يلي قسمة جزور الميسر . والسمر : الذين يتحدثون بالليل خاصة . والشارة : الحسن والجمال والهيأة . والراشق : هنا الرامي بنظراته .

(٧) الأنضاء : جمع نضو (بالكسر) ، وهو المهزول من الإبل وغيرها . والسوابغ : الدروع الطويلة التامة . والسوابق : الخيل . ومنقاها : موضع إنقائها .   (٨) الوجد : شدة الحب .

(٩) الإهاب : الجلد . والجبرية : كالجبروت ، الكبر . وسرت : سارت الليل كله ، وهي في الأصل « سرى » . والظعن (بالضم) : جمع ظعينة ، وهي الهودج . والخليط : المخالط .

تنفّستُ حتّى قال صحبي : ضريمةٌ ... منَ النّارِ هاجتها رياحُ المشارقِ

أهجراً وما أضمرتُ غدراً ، ولا سرى ... مشيبي في ليلِ الشّبابِ الغُرانقِ (١) ؟

إذنْ فوصالُ الغانياتِ نقيصةٌ ... أمحّتْ فما فيها اعتصامٌ لواثقِ (٢)

ذرِ الدّمعَ يجري مُستهِلّاً ، فما الهوى ... بدانٍ ، ولا وعدُ الحسانِ بصادقِ

وإنّ وراءَ الحبِّ حِبّاً وصالُهُ ... مجالُ المذاكي في دماءِ المواذقِ (٣)

منعتُ القِرى إنْ لم أُذُدْها عوابساً ... تثيرُ عجاجَ المأزقِ المتضايقِ (٤)

خوارجَ من ليلِ الغُبارِ ، كأنّها ... رُجومُ نُجومٍ أو سِهامُ مُراشقِ

تجانَفُ عن وِرْدِ الفلاةِ ظميئةً ... فلا وِرْدَ إلّا من دماءِ الفيالقِ (٥)

يُعيدُ عليها الكرَّ كلُّ مُجاهرٍ ... بأخذِ العلى والمجدِ غيرِ مُسارقِ

رجالٌ نبتْ أغمادُهم بسيوفِهم ... فعاجوا على إغمادِها في العواتقِ (٦)

يَزينونَ ما أبقى الطِّعانُ من القنا ... لهم برؤوسِ الصِّيدِ لا بالبيارقِ (٧)

أُروّعُ به ضبحاً ظهيرةَ يومِهِ ... تعصّبَ تاجٍ واحتلالَ سُرادقِ (٨)

دعوتُ تميماً والرّجالُ بعيدةٌ ... وقد ضقتُ ذرعاً بالخطوبِ الطّوارقِ (٩)

فقامَ بنصري من قُريشٍ مُمَجَّدٌ ... شديدُ مَضاءِ البأسِ سهلُ الخلائقِ

---

(١) الغرانق : الشاب الأبيض الجميل . (٢) أمح الثوب : أخلق وبلي .

(٣) الحب (بالكسر) : الحبيب . والمذاكي : (٢٣٣ ر ٤) . والمواذق : جمع ماذقة ، وهي التي لم تخلص الود . وأحسبه يريد المذاق ، أي جماعة الذكور .

(٤) المأزق : المضيق يقتتلون فيه .

(٥) تجانف : تتجانف ، أي تنحرف . والفيالق : الجيوش .

(٦) نبت أغمادهم بسيوفهم : على حد قولهم نبا منزله به اذا لم يوافقه . وعاج عليه : مال . والعواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكب والعنق .

(٧) الصيد : (٢٥٦ ر ١) .

(٨) الضبح : مصدر ضبحت الخيل اذا أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة ، أو عدت دون التقريب . وهو في الأصل بالصاد المهملة ، فانظر كيف يتلاءم السياق به . وتعصب : شد العصابة ، وعصبه : شده بها . وهي في الأصل « تعصت » .

(٩) تميم : (٢٦٨ ر ١١ و ٢٧٧ ر ٢) . وضاق به ذرعاً : (٢٤٧ ر ٣) .

فتى قَدُّ قَدِّ المَشْرَفيِّ ، فَصَفْحُهُ ... لِصَفْحٍ ، وحدًّا شَفْرَتَيْهِ لِعاتِقِ (١)

يُشامُ نَدى كفَّيْهِ من بِشْرِ وجهِهِ ... كما شِيمَ مُنْهَلُّ الحَيا بالبَوارِقِ (٢)

ومنها في وصف العود :

وما مَنْدَلٌ فاحتْ به بعدَ هَجْعةٍ ... جِمارُ غَضىً شُبَّتْ بأتلعَ شاهِقِ (٣)

من القُطْرِ الأحوى كأنَّ أريجَهُ ... بَديعٌ لدى الدّاريّ دُونَ المَحارِقِ (٤)

أُتيحَ له نَشْرُ الخُزامَى ونَفْحُهُ ... من الغِيدِ ما بين الطُّلَى والبَنائقِ (٥)

تهادَتْهُ أرواحُ الصَّبا فَبَعَثْنَهُ ... لِشُرْبِ جِلالٍ بالحِمَى فالأبارِقِ (٦)

فادت بمن لم يسكر الخمرُ نشوةً ... من الطِّيبِ في عِرْنينِه والمَناشِقِ (٧)

ـ بأطيبَ من عرضِ الرِّضا حين تنشرُ الـ ... ـمدائحُ غرًّا بين نادٍ ومازِقِ (٨)

وله من قصيدة فيه ، مطلعها :

ذَريني وأهوالي تَفِرُّ وتلتقي ... سيُبْرِزُها عنّي حُسامي ومَنطِقي

ومنها :

وإنَّ صَبابانيَ بأجردَ سابحٍ ، ... وأسمرَ خَطّيٍّ ، وعَضْبٍ مُذَلَّقِ (٩)

(١) القد : القطع المستأصل ، أو المستطيل ، أو الشق طولا . والمشرفي : (٦٦٦ ر ٥) . والصفح من السيف : عرضه . والصفح من الإنسان : جنبه .

(٢) يشام : (٢٤٧ ر ٨) .

(٣) المندل : العود الذي يتبخر به ، أو أجوده . والغضى : (٢٦٧ ر ٧) . الأتلع : المرتفع .

(٤) القطر : العود الذي يتبخر به . والأحوى : الأسود . والأريج : توهج ريح الطيب . وبديع : في الأصل « بديع » . والداري : العطار ، منسوب الى دارين فرضة بالبحرين بها سوق يحمل المسك من الهند اليها .

(٥) النشر : الرائحة الطيبة . والخزامى : (١١٣ ر ١) . والطلى : الأعناق . والبنائق : جمع بنيقة ، وهي لبنة القميص أي طوقه الذي فيه الأزرار مخيطة .

(٦) الحمى : المحظور الذي لا يقرب ، وأحميت المكان : جعلته حمى ، وفي الحديث : « لا حمى الا لله ولرسوله » . والأبارق : جمع أبرق ، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(٧) العرنين : أول الأنف حيث يكون فيه الشمم .

(٨) بأطيب : خبر « ما » في البيت الأول . والمازق : المأزق (٢٨١ ر ٤) .

(٩) الأجرد : (٢٣٦ ر ٣) . السابح : الفرس . الأسمر : الرمح . الخطي : (٣٨ ر ٣) . والعضب : السيف القاطع . والمذلق : المحدد . صحفت ذاله في الأصل دالا مهملة .

هجرتُ الهوى والعمرُ غضٌّ نباتُه … فكيف وقد لاحَ المشيبُ بمفرِقي[1] !

ومنهـــا :

وربَّ لُهامِ الجيشِ جمٍّ بُنــــودُهُ … وَشيكٍ نَفاذِ الأمرِ من آلِ سلجقِ[2]
تحجّبُهُ عنــــدَ المقامِ سُتورُهُ … وفي الحربِ أستارُ العجاجِ المُروَّقِ[3]
مَهيبِ الرُّؤا ، معدودةٍ لحظـــاتُهُ ، … يُحـاذِرُهُ الموتُ الزُّؤامُ ويتّقي[4]
وَلَجتُ عليـه والملوكُ بنجوةٍ … يُذادُونَ عن صعبِ المراتجِ مُغلَقِ[5]

ومنهـــا :

وعَنْسٍ كأعوادِ القِداحِ زجرتُها … على لاحبٍ من نازحِ الغَوْرِ سَملَقِ[6]
وَرَدْتُ بها أعقابَ ماءٍ كأنّه … من الأجْنِ أغبارُ السَّليطِ المُعتّقِ[7]

ومنها في المدح :

يُهابُ نَداهُ مثلما هِيبَ بأسُــهُ … إذِ المُغْرِقُ الجيّاشُ مثلُ المُحرِّقِ[8]
فشيبُ رداءِ العِرضِ ، لكنّ مالَهُ … يُمزّقُهُ العافُونَ كلَّ مُمزَّقِ[9]
فشملُ العُلَى من سعيِهِ في تجمُّعٍ … وشملُ اللُّهى من بذلِهِ في تفرُّقِ[10]

ومنها في المقطعة والتهنئة :

---

(١) العمر : في الأصل « الغدر » ، وهو تصحيف .

(٢) اللهام : العدد الكثير ، والجيش العظيم . والبنود : الأعلام الكبيرة . والوشيك : السريع . ونفاذ : صحفت ذالها في الأصل دالا مهملة . وآل سلجق : هم السلاجقة أو السلجوقيون (أنظر فهرست الكتاب) . وقد صحفت جيم سلجق في الأصل حاء مهملة .

(٣) المروق : المضروب عليه كالرواق .

(٤) الرؤا : الرؤاء ، وهو حسن المنظر ، قصره لضرورة الوزن . والموت الزؤام : الكريه ، أو المجهز .

(٥) النجوة : ما ارتفع من الأرض . والمراتج : الطرق الضيقة .

(٦) العنس : الناقة الصلبة . واللاحب : الطريق الواضح . والنازح : البعيد . والغور : ما اطمأن من الأرض . والسملق : (٢٧٩ ر ٦) .

(٧) الأجن : تغير طعم الماء ولونه . والسليط : الزيت ، وكل دهن عصر من حب . وأغباره : بقاياه .

(٨) اذ : في الأصل « اذا » .

(٩) العافون : طلاب المعروف . (١٠) اللها : (٧٤ ر ٤) .

لِيَهْنِكَ عيدٌ أنتَ عيـدٌ لأهلِهِ سرورٌ لمهموم ووُجْـدٌ لِمُملِقِ [1]
ولا زلتَ تبقى للمكارمِ والعلى فأنتَ الّذي يبقى الفخارُ اذا بَقي
تعطَّلَ جيدي من حلى كلِّ منّةٍ وراحَ بمـا أوليتَ أيَّ مُطوَّقِ

ومن قوله :

وما مغرمٌ صبُّ الفؤادِ وشتّ بـه مدامعُهُ إثرَ الخليطِ المُفارقِ [2]
تذكّرَ نُوّاراً من الثّغرِ ضاحكاً ونشراً عطاريّاً كروضِ المبارقِ [3]
لهيفاءَ مِقلاقِ الوشاحِ ، قوامُها لعُوبٌ كمتنِ الصَّعْدَةِ المتناسقِ [4]
تعلّقَها والقلبُ لم يعرفِ الأسى ولا أعاقه صرفُ الليالي بعائقِ
وباتَ يُرَجّي بعد ما شطّتِ النّوى زيارةَ طيفٍ بالتحيّةِ طارقِ [5]
بأوجـدَ منّي للعلى ، غيرَ أنّه اذا فارقتْ محبوبةٌ لم يفارقِ [6]

وقوله في الوزير ابن هُبَيْرَةَ [7] ، في الأيّام المستنجديّة [8] ، وقد دعاه الى خِوانه [9] ، فكتب يستعفي من الحضور :

يا باذلَ المالِ في عدلٍ وفي سعةٍ ومُطعمَ الزّادِ في صُبحٍ وفي غَسَقِ [10]

---

(١) الوجـد (بضم الواو) : مصدر وجد المطلوب أي أدركه . والمملق : المفتقر .
(٢) الخليط : المخالط .
(٣) الثغر : الفم . والنوار : الزهر ، أو الأبيض منه ، والمعنى الثاني هو المراد هنا ، لأنه شبه به الأسنان . والنشر : الرائحة الطيبة . والعطاري : نسبة الى العطارة (بالكسر) ، وهي حرفة بائع العطر .
(٤) الهيفاء : الرقيقة الخصر الرشيقة الممشوقة . والوشـاح : أديم عريض يرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، وهي مقلاق الوشاح وغرثى الوشاح أي هيفاء . والصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى تثقيف .
(٥) شطت : بعدت . والطيف : الخيال الطائف في المنام . والطارق : الذي يأتي ليلا .
(٦) بأوجد : خبر « ما » في البيت الأول .
(٧) تقدمت ترجمته في (ص ٩٦ ـ ١٠٠) .
(٨) نسبة الى المستنجد بالله العباسي ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ١٨ ـ ٢٢ و ٤٣ وما بعدها) .
(٩) الخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ، جمعه أخونة .
(١٠) الغسق : ظلمة أول الليل .

وحاشرَ النّاسِ أغنتهم فواضله ... الى مَزيدٍ من النَّعماءِ مندفقِ (١)

في كلّ بيتٍ خِوانٌ من مكارمه ... يَميرُهم وَهْوَ يدعوهم الى الطَّبَقِ (٢)

فاضَ النَّوالُ ، فلولا خوفُ مفعمة ... من بأس عدلك نادى النّاسُ بالغرقِ

فكلُّ أرضٍ بها صوبٌ وساكبةٌ ... حتّى الوغى من نجيع الخيلِ والعَرَقِ (٣)

صُنْ مَنْكبي عن زِحامٍ إن غَضِبتُ له ... تمكّن الطّعنُ من عقلي ومن خُلُقي

وإنْ رَضيتُ به فالذُّلُّ منقصةٌ ... وكم تكلّفتُهُ حِمْلاً فلم أُطِقِ

أنا المريضُ بأحداثي وسَوْرَتِها ... وليس غيرَ إبائي حافظٌ رَمَقي (٤)

فَهَبْهُ لي كعطاياك التي كَثُرَتْ ... فالجود بالعزّ فوق الجود بالوَرِقِ (٥)

إنّ اصفرارَ مِجَنّ الشّمسِ عن حَزَنٍ ... على علاها لمرماها الى الأُفُقِ (٦)

وإنْ توهّمَ قومٌ أنّه حُمُقٌ ... فطالما أشبه التّوقيرُ بالحُمُقِ

وقوله في صفة مِرْوَحة الخَيْش (٧) لغزاً (٨) :

ولَيّنة الأعطاف خوّارة ... ذات غصونٍ لونُها أورقُ (٩)

غبراء لا تبرحُ ممطورةً ... وَهْيَ على الغَبرة لا تورقُ

موثقة ، مطلقة ، ليّنة ، ... شديدة ، ثابتة ، تقلقُ

تسعى بلا رجلٍ على طائرٍ ... للذَّرّ في مسلكها مَزْلَقُ (١٠)

---

(١) حاشر الناس : جامعهم . والفواضل : النعم الجسيمة .

(٢) يميرهم : يأتيهم بالميرة ، أي الطعام .

(٣) الصوب : المطر . والوغى : الحرب . والنجيع : (٤٥ و ٤) .

(٤) السورة : الحدة . والرمق : بقية الحياة .

(٥) الورق : الدراهم المضروبة .

(٦) المجن : الترس ، وهو الصفحة المستديرة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف وغيره . شبه به قرص الشمس .

(٧) الخيش : (١٨٤ و ٧) . (٨) اللغز : (١٧٧ و ٣) .

(٩) الأعطاف : (١٣١ و ١) . والخوارة : الضعيفة . والأورق : من كل شيء ، ما كان لونه لون الرماد .

(١٠) الذر : صغار النمل . وهي في الأصل بالدال المهملة .

تجري مدى الشمس ، على أنها　　　محصورة مذهبها ضيق
طيّارة يمتنع إبعادها　　　أسبابها والسور والخندق (١)
كأنها ، من حيرة ، ناشد　　　يدأب نشدانا ولا يلحق (٢)
اذا أريحت خلتها والهاً　　　ثكلى بها من حزنها أولق (٣)
كرّارة في حرب شمس الضحى　　　لا ترهب البأس ولا تفرق (٤)
ما بين إدريس ونوح لها　　　في حالتيها نسب معرق (٥)
تهدي الكرى للمستهام الذي　　　ينبو به المضجع والنمرق (٦)
لا يسأل المجبل معروفها　　　ويجتدي نائلها المعرق (٧)
تنفض من خاشنها بزّها　　　وتوسع الجود لمن يرفق (٨)
قوية السلطان في مدنها　　　ضعيفة إن ضمها سملق (٩)
تجبل حال الأرض من فضلها　　　سيراف من إحسانها جلق (١٠)

---

(١) أسبابها : حبالها . والسور : في الأصل بالصاد .

(٢) نشد الضالة نشداً ونشدة ونشداناً (بكسرهما) : طلبها وعرفها .

(٣) الواله : الحزينة ، أو الذاهبة العقل حزناً ، والحائرة . والثكلى : من فقدت حبيبها أو ولدها . بها : في الأصل « بنا » . والأولق : الجنون ، أو شبهه .

(٤) كرارة : مبالغة اسم الفاعل من الكر ، وهو الرجوع ، يقال « كر الفارس على قرنه » : عطف وحمل . وهي في الأصل « كرازة » . والفرق : أشد الفزع .

(٥) نسب معرق : له عرق في الكرم . وادريس ونوح : أنظر عنهما الكامل (١/٢٥ و ٢٧ و ٣١ وما بعدها) ، ولقطة العجلان لمحمد صديق حسن خان (ص ٧٤ وما بعدها) ، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص ٣٨ ــ ٦٨) الطبعة الثانية .

(٦) المستهام : المغرم الكلف الفؤاد ، تقول : هو مستهام بها ، وله قلب مستهام . وينبو به المضجع : لم يوافقه . يقال : نبا منزله به لم يوافقه ، ونبا جنبه عن الفراش . لم يطمئن عليه . والنمرق : (٢٧٩ ر ٨) .

(٧) المجبل : اسم فاعل من أجبل أي صار الى الجبل . والمعرق : اسم فاعل من أعرق أي أتى العراق .

(٨) البز : ثياب الكتان والقطن لا الخز والصوف .

(٩) السملق : (٢٧٩ ر ٦)

(١٠) البيت في الأصل :

(تحبل) حال الأرض من فضلها　　　سيراف من إحسانها (حلق)

وهو كما ترى شيء لا معنى له ، وقد حررته ــ بعد طول التأمل ــ على الوجه الذي أثبته فستقام =

مَن لي بأخرى مثلها لِلّذي ... أعيا على الآسي ، فما يعرق[1] ؟

وقوله في الحكمة :

مِنَّةُ الدُّونِ في الرِّقابِ حِبالٌ ... مُحْصَداتٌ كأحْبُلِ الخُنّاقِ[2]

غيرَ أنَّ التَّخنيقَ مُرْدٍ ، وهذا ... ألَمٌ دائمٌ مع الدَّهرِ باقِ[3]

فإذا أخفق الرَّجاء من الدُّو ... نِ ، فأكْرِمْ بذاك من إخفاقِ !

سَوْرَةُ السُّمِّ في التَّعزُّزِ أوْلى ... من شفاءٍ بالذُّلِّ في التِّرْياقِ[4]

(الكاف)

وقوله ممّا يكتب به بتطريز الإبرة على قميص امرأة :

إذا اشتملتُ على شمسٍ وبدرِ دُجًى ... يهدى به الرَّكْبُ أنّى وجهةٍ سلكوا[5]

فَمَنْ دعاني قميصاً ، بات يَظْلِمُني ... وإنّما أنـــا لو أنصفتُمُ فَلَكُ

(الـــلام)

وقوله في مدح ابن هُبَيْرة[6] الوزير في الأيام المقتفوية[7] ، وفيه حسن صنعة المقابلة[8] :

يَفُلُّ غَرْبَ الرَّزايا وهْيَ باسلةٌ ... ويُوسِعُ الجارَ نصراً وهْوَ مخذولُ[9]

= معناه ، على أنه مع ذلك يبيت بارداً تافه لاطائل تحته . وتجبل : تجبر ، يقـال جبله وأجبله أي جبره . وسيراف : بلد بفارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، وهو موصوف بشدة الحر . وجلق : اسم دمشق ، أو غوطتها ، وكلاهما من أنزه البلاد وأعذبها ماء وألطفها هواء .

(١) يعرق : هي في الأصل « يغرق » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) محصدات : محكمات الفتل . كأحبل : في الأصل « كاحبل » .

(٣) مرد : مهلك .

(٤) سورة السم : حدته . والتعزز : في الأصل « التعزر » . والترياق : (٢٠٠ ر ٢) .

(٥) الركب : (٢١١ ر ٩) . (٦) تقدمت ترجمته في (ص ٩٦ ــ ١٠٠) .

(٧) نسبة الى المقتفي لأمر الله العباسي ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٣٤) .

(٨) المقابلة : من فنون البديع ، وهي أن يؤتى بمتعدد من المتوافقات ، ثم يؤتى بما يقابله على الترتيب .

(٩) يفل : يثلم . والغرب : الحد .

وَيَشْهَدُ ٱلْهَوْلَ بَسَّامًا ، وَقَدْ دَمَعَتْ ... شُوسُ ٱلْعُيونِ ، فَدَمُ ٱلْقَوْمِ إِجْفِيلُ (١)

وَتُتَّقَى مِثْلَمَا تُرْجَى فَوَاضِلُهُ ... وَجُودُهُ ، فَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ (٢)

عَارٍ مِنَ ٱلْعَارِ ، كَاسٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ ... كَأَنَّهُ مُرْهَفُ ٱلْحَدَّيْنِ مَصْقُولُ (٣)

سَهْلُ ٱلْمَكَارِمِ ، سَهْلٌ فِي حَفِيظَتِهِ ، ... فَبَأْسُهُ وَالنَّدَى مُرٌّ وَمَعْسُولُ (٤)

قَالِي الدَّنَايَا وَصَبْوَانُ ٱلْعُلَى كَلِفٌ ... فَٱلْعَارُ وَٱلْمَجْدُ مَقْطُوعٌ وَمَوْصُولُ (٥)

الصَّدْرُ بَحْيًا لِذِي قَوْلٍ وَمُعْتَرَكٍ ... إِذَا تَشَابَهَ مَقْطُوعٌ وَمَفْلُولُ

تَهْمِي ٱلْأَسِنَّةُ وَٱلْأَقْوَالُ مَاضِيَةٌ ... فَٱلْحِبْرُ وَٱلْقِرْنُ مَطْرُودٌ وَمَفْضُولُ (٦)

جَوَادُ مَحْلٍ ، لَهُ مِنْ فَخْرِهِ شِيَةٌ ، ... وَفِيهِ مِنْ وَاضِحِ ٱلْعَلْيَاءِ تَحْجِيلُ (٧)

يَصِيدُ وَحْشَ ٱلْمَعَالِي وَهْيَ نَافِرَةٌ ... كَأَنَّ مَسْعَاهُ لِلْعَلْيَاءِ أُحْبُولُ (٨)

وقوله من قصيدة في أنوشروان (٩) :

عفا اللهُ عنها . هل يُلِمُّ خَيالُهَا ... فيقضى على رغمِ الرَّقيبِ وِصالُها؟

وما ملتقى الطَّيفِ ٱلْمُلِمِّ بنافعٍ ... غَلِيلاً . ولكنْ مُنْيَةٌ وضَلالُها (١٠)

تذكَّرتُها وٱلحيُّ للحيِّ جيرةٌ ... يهونُ تلاقيها ويدنو منالُها

---

(١) شوس : جمع أشوس ، وهو من كان ينظر نظر الغضبان أو المتكبر . والإجفيل : النفور يهرب من كل شيء فرقاً .

(٢) الفواضل : (٢٨٥ ر ١) .

(٣) المرهف : المرقق الحد .

(٤) الحفيظة : (٢٢٥ ر ٣) .

(٥) قالي الدنايا : مبغضها . وصبوان العلى : محبها المائل اليها ، لم أجده في المعجمات . والكلف : الشديد الحب ، والمولع بالشيء مع شغل قلب ومشقة .

(٦) تهمي : تسيل . والأسنة : يريد بها الأقلام كما يدل عليها سياق الشطر الثاني . والقرن : الكفء والنظير .

(٧) المحل : الجدب ، وانقطاع المطر . والشية : اللون . والتحجيل : مصدر حجلت المرأة بنانها أي لونت خضابها ، والتحجيل : بياض في قوائم الفرس .

(٨) الأحبول : المصيدة .

(٩) تقدمت ترجمته في (ص ٢٤٤) .

(١٠) الطيف : (٢٨٤ ر ٥) . والملم : الزائر غباً . والغليل : شدة العطش ، وحرارة الحب والحزن . ونقع الماء العطش : سكنه وقطعه . والمنية : المراد ، وما يتمناه المرء .

وقومي وقومُ ٱلعامريّةِ عُصبةٌ ... كذاتِ ٱلبَنانِ ما يُرامُ ٱنفصالُها

رِقاقُ نَدىً لا يستهلُّ نوالُها ... وأحلافُ درعٍ لا يُفَلُّ نزالُها (١)

وفي ألسُنِ ٱلواشينَ صمتٌ عن ٱلخَنا ... اذا أرشقت بٱلقول طاشت نِبالُها (٢)

فبتُّ كأنّي شاربٌ قَرْقَفِيَّةً ... من الرّاح لم يَفْلُلْ شَباها زُلالُها (٣)

أبى حبّها إلّا غرامي ، وأصبحت ... تقطّعُ إلّا من فؤادي حِبالُها

كأنَّ خوافي ناهضٍ مُتَسَمْطِرٍ ... غدت بفؤادي يومَ زُمّتْ جِمالُها (٤)

عدمْتُ أصطباري ، والنّوى مطمئنّةٌ ، ... فكيف ٱحتمالي حين جدّ ٱحتمالُها (٥)

وممّا شجاني أنّ حُبّيَ سالمٌ ... من ٱلفحش ، والدّنيا كثيرٌ وبالُها

اذا رقّت ٱلعشّاقُ ساهرتُ عفّةً ... سواءٌ عليها حِرْمُها وحلالُها (٦)

تجنّبُني عن مَحْرمِ اللهِ خشيةٌ ... وتكثُرُ عندي رُخصةٌ وٱحتيالُها

ومن رام ما أبغيه ، فالحربُ عندهُ ... فتاةٌ ، وتحطيمُ ٱلمعالي بِعالُها (٧)

ستُسفرُ لي تلك الدُّمى مستدقّةً ... اذا هلكت تحتَ ٱلعجاج رجالُها (٨)

لدُنْ غدوةً لا أمنعُ السّيفَ حقّهُ ... من ٱلهامِ ، أو يُبدي شِعاري مقالُها (٩)

---

(١) استهل المطر : اشتد انصبابه . والنوال : العطاء . والنزال : (٢٥٣ ر ٤) .

(٢) أرشق : رمى وجهاً واحداً . وطاش السهم عن الهدف : عدل ولم يقصده .

(٣) القرقفية : نسبة الى القرقف ، وهي الخمر يرعد عنهـا صاحبها . والراح : الخمر . والشبا : جمع شباة ، وهي حد طرف الشيء .

(٤) الخوافي : ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح . والناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران . والمتسمطر : الذي يسرع في هويه . غدت به : ذهبت به بكرة . وزم البعير : خطمه وشد زمامه .

(٥) احتمالي : إطاقتي وصبري . واحتمالها : ارتحالها . وجد : ضد هزل ، وعجل .

(٦) المحرم : الحرام . (٧) البعال : جمع بعل ، وهو الزوج .

(٨) الدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة ، والصنم ، شبه بها النساء الجميلات .

(٩) لدن : الموضع الذي هو الغـاية ، وهو ظرف غير متمكن بمنزلة « عنـد » ، وقد أدخلوا عليه « من » وحدها من حروف الجر . وجاءت مضافة تخفض ما بعدها . وقالوا : « لدن غدوة » ، ولم ينصبوا بهـا الا « غدوة » خاصة . والغدوة : البـكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . والهـام : (٢٣٠ ر ٥) .

بفتيانِ صدقٍ من ذُؤابة دارمٍ   مَواضٍ اذا أعيا ٱلكُماةَ ٱقتتالُها [1]

عَثَرْنَ جيادي بٱلوشيج ، وربّما   أُعيدت وتيجانُ ٱلملوك نعالُها [2]

وَعَمٍ ضاقَ عنها ٱلقاعُ طرداً وكثرةً   فشاركت ٱلبَيْداء، فيها جبالُها

أذلّتُ مديحي ، وٱلحوادثُ جمّةٌ ،   بأعراض لؤمٍ من أذاها نوالُها [3]

ودونَ مديحي كلُّ دهياء ، لو رمت   دعائمَ رَضْوَى لٱستمرَّ ٱنهيالُها [4]]

فإنْ تجهلوني فٱلقنا ومُجاشعٌ   وعزمي وحزمي وٱلعلى وٱحتلالُها [5]

وإن صَدِئتْ أعراضُهم فصوارمي   ءٍ، طُلاهم سوف يصدا صِقالُها [6]

وإنّ مقامي في فِناء ٱبن خالدٍ   لأوّل حربٍ عاث فيهم صِيالُها [7]

هو ٱلمرءُ يُغني مُعطياً عن سؤاله   اذا شانَ بِيضَ ٱلأعطياتِ سؤالُها [8]

منيعُ ٱلحمى ، لو ساور ٱلموتُ جارَهُ   لردَّ المنايا ٱلحمرَ تنبو نصالُها [9]

مرائرُ عهدٍ لا يُرامُ ٱنتقاضُها   وعجلى عطايا لا يُخافُ مِطالُها [10]

وأبلجُ سامي الطَّرْفِ لا تستفزّه الـ   دنايا ولو زانَ الدنايا جمالُها [11]

تطيشُ الرّزايا وهو ثَبْتٌ كأنّما   جرت بِشَرَوْرَى نسمةٌ وٱعتلالُها [12]

---

(١) فتيان صدق : (٢٠٤ ر ١) . ودارم : (٢٠١ ر ٣) . والكماة : (٢٥٠ ر ٢) .

(٢) الوشيج : شجر الرماح ، وقد أراد الرماح .

(٣) أذلت مديحي : ابتذلته .

(٤) رضوى : جبل بالمدينة . أنظر معجم البلدان (٤/٢٠٠) . وهذا البيت آخر المخروم في ل ، وقد ظفرنا به في ط . راجع أوله في (ص ٢٦٩) .

(٥) فالقنا : ط « والقنا » . وهو تحريف . ومجاشع : (٢١٣ ر ٣) .

(٦) طلاهم : أعناقهم . ويصدا : مخفف « يصدأ » ، وهو في ل « يصدي » ، وفي ط « تصدى » .

(٧) فناء الدار : ما اتسع من أمامها .

(٨) شان : ضد زان ، وهو في ط « شاب » .

(٩) ساور الموت جاره : واثبه . والجملة في ط « لو سار والموت جاره » . تنبو نصالها : تكل عن الضريبة ، والنصال : جمع نصل (٢٢٧ ر ١) .

(١٠) المرائر : (٢٥٧ ر ٧) . وانتقاضها : انحلالها وانتكاثها . ومطالها : التسويف بها ومدافعتها .

(١١) أبلج : (٢٤٩ ر ١) . لاتستفزه : ط « لا تستقره » ، وهو تحريف .

(١٢) تطيش : تجوز أهدافها كالسهام تخطئ مرماها . والرزايا : ط « الرجايا » ، ولا معنى لها . وشروری : جبل مطل على تبوك في شرقيها . معجم البلدان (٥/٢٥٨) .

ومنها في صفة السَّيل :

وما مقبِلٌ من قُنَّة الطَّودِ زاخِرٌ ... له صَخَبَاتُ الأُسدِ عن مَصالِها [1]
تَظلُّ به عُصْمُ اليفاعِ غريقةً ... ويتبعُها ضَبُّ الفلا وغزالُها [2]
اذا مرَّ بالوعساء وهو مزمجرٌ ... تَدَهْدَى له كُثبانُها ورمالُها [3]
ترى شجرَ الغُلَّانِ فيه كأنّها ... سفائنُ يمٍّ أسلمتها رجالُها [4]
كأنّ بياضًا راغيًا في غُثابه ... لُغامُ المَطايا أثقلتها رحالُها [5]
أفادته غِبَّ المَحْلِ وطفاءُ جَوْنَةٌ ... أقامتْ نَعاماها وغابَ شِمالُها [6]
سرتْ لبني الآمالِ من بعدِ هجعةٍ ... الى الصُّبح سَحًّا ودَفْقُها وانهيالُها [7]
بأغزرَ من يُمناه جودًا اذا همى ... على مُعتفيها رفدُها ونوالُها [8]

ومنها في المقطع :

ألا رجلٌ ألقي عليه عظيمةً [9] ؟ ... وهيهاتَ ، أعيت عقدةٌ وانحلالُها
فيغضب لي حتى أديرَ رحى وغىً ... تكونُ ديارَ النّاكثين ثِفالُها [10]

---

(١) عن الأمر : ظهر وعرض . مصالها : سطوها ، واستطالتها ، ومقاتلتها ، ووثوبها .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . واليفاع : التل المشرف . والضب : (٢٧١ ر ٦) .

(٣) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول . تدهدى : ط « هدى » ، وهو تحريف .

(٤) ط : الغيلان ، وهو تحريف . والغلان : منابت الطلح ، أو أودية غامضة في الأرض ، ونبات . واليم : البحر .

(٥) الراغي : المصوت ذو الضجيج . واللغام : الزبد الذي يخرج من فم البعير .

(٦) المحل : هو الجدب ، وانقطاع المطر . والغب : عاقبة الشيء . وسحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هي الدائمة السح الحثيثة طال مطرها أو قصر . والجونة : البيضاء والسوداء ، وهي من الأضداد . والنعامى : (١١٢ ر ٥) .

(٧) ودفق المطر ودفقاً : قطر .

(٨) بأغزر : خبر « وما » في البيت الأول . همى : سال . معتفيها : طلاب معروفها . والرفد والنوال : العطاء .

(٩) ط : « ألا رجل ألقي اليه عزيمة » .

(١٠) الوغى : الحرب . وثفال الرحى : جلد يبسط تحتها ليسقط عليه الدقيق .

ومن قوله في الوزير جلال الدين [1] بن صدقة في الأيام المسترشدية [2] :

لَمَعَتْ كتلويحِ الرِّداءِ المُسْبَلِ والليلُ صِبغُ خِضابِهِ لم يَنْصُلِ [3]

نارٌ كنَحْرِ العَوْدِ أرشدَ ضوؤها بالبِيدِ أعناقَ الرِّكابِ الضُّلَّلِ [4]

طابتْ لمعتسِفِ الظلامِ ، كأنّما شُبَّتْ على قُنَنِ اليَفاعِ بمَنْدَلِ [5]

فعلمتُ أنَّ بني تميمٍ عندَها يتقارعونَ على الضيوفِ النُّزَّلِ [6]

العاقرينَ الكُومَ وهي منيفةٌ والضاربينَ الهامَ تحتَ القَسْطَلِ [7]

والسائسينَ المُلْكَ لا آراؤُهم تهفو ، ولا معروفُهم بمُقَلَّلِ [8]

قومي ، وأين كمثلِ قومي والقنا والبِيضُ بينَ مُقَصَّدٍ ومُفَلَّلِ [9] ؟

نُجِلُوا أخا وَجْدٍ بغيرِ خريدةٍ جعلَ النسيبَ لذابلٍ أو مُنْصُلِ [10]

شغلَتْهُ عن وصفِ الهوى ذِكْرُ العُلى فنضا شعارَ الشاعرِ المتغزِّلِ [11]

قَضَّى شبيبتَهُ لمجدِ مَشيبِهِ فإذا المشيبُ بدا له لم يَوْجَلِ [12]

ومنهـــا :

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٩٤) ، وانظر عنه أيضاً (٩٤٣ ر ٣) .

(٢) نسبة الى الخليفة المسترشد بالله العباسي ، وقد تقدمت ترجمته في (ص ٢٩) .

(٣) المسبل : المرسل . ونصل الشعر : زال عنه الخضاب ، وهو ما يختضب به من الحناء والكتم ونحوهما .

(٤) العود : الجمل المسن . ونحره : رئته . والبيد : الفلوات . والركاب : (٢٧٠ ر ٧) .

(٥) اعتساف الظلام : خوضه بلا روية . واليفاع : التل المشرف . وقننه : أعاليه . والمندل : (٢٨٢ ر ٣) .

(٦) تميم : (٢٠٨ ر ١١ و ٢٧٧ ر ٢) .

(٧) العقر : (٢٥٩ ر ١) . والكوم : الجمال الضخام الأسنمة . والهام : (٢٣٠ ر ٥) . والقسطل : غبار الحرب .

(٨) تهفو : تزل وتخطىء .

(٩) البيض : السيوف . والمقصد : المكسر . والمفلل : المثلم .

(١٠) نجلوا : ولدوا . والوجد : (٢٢٤ ر ٧) . والخريدة : (٦ ر ٢) . والنسيب : عند الشعراء وصف محاسن المرأة وصبابة الأحباب . والذابل : الرمح . والمنصل : السيف .

(١١) الشعار : ما يلي الجسد من الثياب . ونضاه : خلعه وألقاه .

(١٢) ل : « لم يرحل » ، والتصحيح من ط ، ب . والوجل : الخوف والرعب .

يَحْمِلْنَ فُرساناً كأنَّ دُرُوعَهُمْ ... سُنَّتْ على مثلِ الجبالِ المُثَّلِ (١)

قوماً إذا طُبِعت نُصُولُ سيوفِهم ... قام التَّجبيعُ لها مَقامَ الصَّيْقَلِ (٢)

ومنهـــا :

فكأنَّ حرَّبَهُمْ أُوارُ ضَرِيمةٍ ... بالقاعِ ، أو بأسُ الوزيرِ أبي علي (٣)

ومن قصيدة له (٤) في عزّ الدّولة (٥) أبي المكارم بن الوزير ابن المطّلب أستاذ دار (٦) المسترشد بالله (٧) :

لمنِ الخيلُ كأمثالِ السَّعالي ... عادياتٍ تمطّى بالرّجال (٨) ؟

ماعجــاتٍ بغطاريفِ وَغىً ... جلَبُوا الموتَ بأطرافِ العوالي (٩) ؟

---

(١) سن عليه الدرع : أرسلها إرسالا ليناً (٢٠٩ ر ٩) . المثل : الشاخصة المنتصبة .

(٢) النصول : جمع نصل ، وهو حديدة السـيف . والتجبيع : (٢٣٨ ر ٨) . والصيقل : الذي يسن السيوف ويجلوها .

(٣) الأوار : حر النار ، واللهب . والضريمة : الذي في المعجمات « الضرمة » ، وهي الجمرة ، وقيل : النار نفسها .

(٤) أورد ابن الجوزي في ترجمة الحيص بيص في المنتظم (٢٨٨/١٠) خمسة أبيات من هذه القصيدة ، منها بيتان لم يردا هنا . قال ابن الجوزي :

« وقال أيضاً :

كلما أوسعت حلمي جاهـلا ... أوسع الجهل له فحش المقال

وإذا شـاردة فهت بهـا ... سبقت مر النعامى والشمال

عزة بأسي أن أرى مضطهداً ... وأبى لي عزب عزمي أن أبالي

لا تلمني في شـقائي بالعلى ... رغد العيش لربات الحجـال

سـيف عز زانه رونقـه ... فهو بالطبع غني عن صقـال »

(٥) قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٣ هـ ، في المنتظم (١٤/١٠) : « أبو المكارم بن المطلب الملقب عز الدولة ، كان أستاذ دار الخليفة ، فتوفي في يوم الجمعة تاسع رجب هذه السنة » ، ولم يزد على هـذا شيئاً . أما ابن الأثير ، فقد أشار اليه في ترجمة فخر الدولة ابن المطلب في حوادث سنة ٥٧٩ هـ (٢٠٠/١١) ولم يترجم له . وكذلك أغفله ابن كثير في البداية والنهايـة . وعن بني المطلب راجع (ص ١٧٨ ـ ١٨٣) من هذا الـكتاب .

(٦) أستاذ الدار : (١٦٢ ر ٣) .

(٧) المسترشـد بالله : تقدمت ترجمته في (ص ٢٩ ـ ٣١) .

(٨) السعالي : جمع سعلاة (بالـكسر) ، وهي أنثى الغول . وعن الغول ، أنظر (٢٧٢ ر ١) .

(٩) معج الفرس في سيره : سار في كل وجه من نشاطه . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو الســيد الشريف ، والسخي السري ، والشاب . والوغى : الحرب . والعوالي : الرماح .

حظَرَ الغِمْرُ عليهم دِعَةً … فأباحُوا غارةَ الحيِّ الحِلالِ (١)

لِغُلامٍ هتَفَ المجدُ بِهِ … فغدا يفرعُ غاياتِ القِلالِ (٢)

حالفَ الدَّهرَ بأيمانِ العُلى … لَيَلُفَّنَّ رِعالاً بِرِعالِ (٣)

ويُعيدُ الصُّبحَ ليلاً بِمُثارٍ … من عَجاجٍ ونجومٍ من نِصالِ (٤)

فاتَّقُوا وثبةَ ليثٍ خادِرٍ … أُكْلُهُ الموتُ اذا يُدعى نَزالِ (٥)

فؤادي من أذى مِضْرِكُمُ … شارةٌ أودى بها كرُّ النِّبالِ (٦)

كلَّما أوسعتُ حِلْمي جاهلاً … أوسعَ الجهلُ له فُحشَ المقالِ

كلَّ يومٍ حسنُ صفحٍ مُطمِعٍ … يُشْمِتُ الفتكَ بِلينِ الاحتمالِ (٧)

يا بني الأشعارِ، كفُّوا سَفَهاً … واقصُروا، إنَّ بِنا مجدي عالِ (٨)

فالقوافي لكُمُ مسترزَقٌ … ومطايا أملي نحوَ المعالي

لكم البُلْغةُ من مَكسَبِها … ولي الحالانِ: من مجدٍ ومالِ (٩)

ومنها:

---

(١) حظر الشيء: منعه وحجره. والغمر (بالكسر): الحقد والغل. والدعة: (٢٧٥ ر ٧). والحلال: القوم النزول.

(٢) ل: « يقرع » بالقاف، وهو في ط كما أثبتناه بالفاء، يقال: فرع الجبل اذا صعده. والقلال: أعالي الجبال.

(٣) ل: « لتلفن »، والفعل في ط كما أثبتناه. والرعال: جمع رعلة، وهي القطعة القليلة من الخيل، أو مقدمتها، كالرعيل.

(٤) النصال: جمع نصل (٢٢٧ ر ١).

(٥) ليث خادر: مقيم في خدره، وهو عرينه. والأكل: كل ما يؤكل، والطعمة. ونزال: اسم فعل للأمر بمعنى انزل. قال عنترة العبسي:

ودعوا « نزال » فكنت أول نازل … وعلام أركبه إذا لم أنزل؟!

(٦) الشارة: (٢٨٠ ر ٦).

(٧) شمت بعدوه شماتة: فرح بمصيبة نزلت به، وأشمت الله بفلان العدو: جعله يشمت به. والاحتمال: همزته للوصل، وقطعها الشاعر للضرورة.

(٨) قصر الرجل عن الأمر قصوراً: انتهى وكف وهو لايقدر عليه. بنا: مقصور بناء.

(٩) البلغة: ما يتبلغ به (أي يكتفى به) من العيش.

تومي به الأيدي اذا لحتُ كما　　أومأت غِبَّ صيامٍ لهلال (1)

إنني سِلْمٌ لمن سالمني　　وفتى الرَّوْعِ لمن رامَ قتالي (2)

عزَّ بأسي أن أرى مُضطهداً　　وأبى لي غَرْبُ عزمي أن أبالي (3)

ومنها :

لا تلمني في شقائي بالعلى　　رَغَدُ العيشِ لربَّاتِ الحجال (4)

إنني في المجدِ أعصي عاذلي　　كتظاهر الدَّين في بذل النَّوال (5)

وله من قصيدة :

يا حرَّةَ الأبوين ، إنَّ صبابتي　　عظُمت ، ومالي في وصالك طائل (6)

سدَّ العفافُ عليَّ كلَّ ثنيَّةٍ　　فالهجرُ عندي للوصال مماثل (7)

إنَّ المياهَ حسدنَ صفوَ مدامعي　　فصفت لوُرَّادِ المياهِ مناهل

وتأوُّهي أعدى الحمامَ وبانه　　فالبانُ مهتزٌّ ، وتلك هوادل (8)

ولقد علمتُ بأنَّ نفسيَ صارمٌ　　والحادثاتُ وإن كرِهتُ صياقل (9)

وله من قصيدة نظمها بمرو (10) :

---

(1) لحت : ظهرت . وغب كل شيء : عاقبته . وآخره ، وقد استعملها الشاعر بمعنى بعد ، وهو استعمال مولد .

(2) الروع : الفزع ، والحرب .

(3) أبى لي : ل « آبائي » ، وهو في ط كما أثبتناه . والغرب : الحد .

(4) الحجال : جمع حجلة (بفتحتين) ، وهي بيت يزين للعرس بالثياب والأسرة والستور .

(5) النوال : العطاء .

(6) الطائل : الفائدة ، أو النفع ، و « لم يحل منه بطائل » عاش بالجهد ، و « هذا الأمر لا طائل فيه » اذا لم يكن فيه غناء ومزية ، و « ما هو بطائل » أي ليس برفيع ولا بنفيس .

(7) الثنية : العقبة ، أو طريقها ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه أو اليه .

(8) البان : شجر يطول في استواء ، له هدب كهدب الأثل ، وثمرته تشبه قرون اللوبياء ، ولاستواء نباته ولين أفنانه يشبه الشعراء المرأة الهيفاء به فيقولون كأنها بانة وكأنها غصن بان . والهوادل : ذوات الهديل ، وهو صوت الحمام ، أو خاص بوحشيها . وقد صحفت دالها في ط ذالا معجمة .

(9) الصياقل : جمع صيقل (٢٩٣ ر ٢) .

(10) مرو : (٢٣٣ ر ١) .

أقولُ لقلبٍ هاجَهُ لاعجُ الهوى   بصحراء مرو واستشاطت بلابلُه (١)

وضاقت خُراسانٌ على مُعْرِقِ الهوى   كما أحرزت صيدَ الفلاةِ حبائلُه (٢)

[(*) أعنّي على فعلِ التصبُّرِ ، إنّني   رأيتُ جميلَ الصبرِ يُحْمَدُ فاعلُه

فلمّا أبى إلّا غراماً وصبوةً   أطعتُ هواكم ، واستمرّت شواغِلُه

وأجريتُ دمعاً لو أصاب بسحّه

رُبا المَحْلِ يوماً أنبتَ العُشْبَ هاطِلُه (٣)

هَبُوني أمرتُ القلبَ كِتمانَ حبِّكم   فكيف بجسمٍ باحَ بالوجدِ ناحِلُه (٤) ؟

وكنتُ أمرتُ العزمَ أن يخذلَ الهوى   وكيف اعتزامُ المرءِ والقلبُ خاذلُه ؟

فكيف التسلّي بعدَ عشرٍ وأربعٍ ؟   أبى لي وفاءٌ لا تذُبُّ جحافلُه (٥)

وله في بعض الأكابر ، وقد عثر به فرسه :

لا تُنكِرَنَّ لِطِرْفٍ أنت راكبُهُ   فرطَ العِثارِ ولا الإفراطَ في الزَّلَلِ (٦)

---

(١) هوى لاعج : أي محرق . استشاط عليه : إلتهب غضباً . والبلابل : الهموم والوساوس .

(٢) المعرق : (٢٨٦ ر ٧) . وخراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، وليس ذلك منها وإنما هو أطراف حدودها . وتشتمل على أمهات من البلاد ، منها : نيسابور ، وهراة ، ومرو وهي كانت قصبتها ، وبلخ ، وطالقان ، ونسا ، وأبيورد ، وسرخس ، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون . وقد فتح المسلمون أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً ، وذلك في سنة ٣١ هـ في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز . معجم البلدان (٣/٤٠٧) .

(*) من هذا البيت الى قوله : « اذا مدحت معز الدين ... » في مدح السلطان سنجر ، محروم في ل . وقد ظفرنا به في ط فأثبتناه .

(٣) الربا : جمع ربوة ، ما ارتفع من الأرض . والمحل : الجدب ، وأرض محل ومحلة : مجدبة . والهاطل : اسم فاعل من الهطل ، وهو المطر الضعيف الدائم ، وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر .

(٤) هبوني : إحسبوني ، تقول : هبني فعلت ، أي احسبني واعددني ، كلمة للأمر فقط . وباح بسره : أظهره ، والوجد : الحزن ، والحب الشديد .

(٥) تذب : في الأصل بالدال المهملة . وجحافله : جيوشه الكثيرة .

(٦) الطرف : (٢٧٣ ر ٣) . والفرط : اسم من الإفراط وهو مجاوزة الحد ، يقال : إياك والفرط في الأمر ، أي مجاوزة الحد . ويجمع على أفراط .

فكيف تجري الى ٱلغاياتِ سـالمةً   ريعٌ تكلَّفُ حملَ ٱلبحرِ وٱلجبلِ ؟!

وله من قطعة كتبها الى أمير ٱلمؤمنين ٱلمسترشد بالله [1] :

خليفةَ اللهِ ، مالي كلّما بسطَت   نفسي الرَّجاءَ طوى ٱلحرمانُ آمالي ؟

وكلّما كثُرتْ ـ وٱلحالُ شاهدةٌ ـ   وسائلي ، آذنت حالي بإقلال [2]

ومنهـا :

فبوّئوا ٱلمالَ في إحرازِ حمدِكُمُ   فالحمدُ للمقتني خيرٌ من ٱلمالِ

وله في جمال الدَّولة إقبال ٱلمسترشديّ [3] قصيدة أوَّلُها :

عفا ضارجٌ من آل ليلى فعـاقِلُ   وخفّت بأعباء ٱلقطينِ الرَّواحلُ [4]

---

(١) تقدمت ترجمته في (ص ٢٩ ـ ٣١) .

(٢) آذنت : في الأصل « أذنت » . وآذنه الأمر وآذنه به : أعلمه .

(٣) هو جمال الدين إقبال الجاندار ، من الخدام الحبوش « الذين كانت لهم الجيوش والأسرة والعروش » في العصر السلجوقي . خدم الخليفة المسترشد بالله العباسي ، فنسب اليه ، وكان من المقدمين في دولته . خلع عليه خلع الملوك ، وولاه الحلة وأعمالها بعد هزيمة صاحبها دبيس بن صدقة المزيدي . ولما عاد دبيس يلوذ ببلاده وجمع جمعاً لقتاله ، أمد إقبال بعسكر ببغداد ، فهزم دبيساً ، ولاذ منه بأجمة ثلاثة أيام لايطعم حتى أخرجه جاس على ظهره وخلصه . وولاه الخليفة قيادة الجنـد ، وشاركه في حربه للسلطان مسعود السلجوقي حيناً ، وتخلف عنه بالعراق حيناً . ولما قتل المسترشد بالله في أسر السلطان مسعود على باب مراغة في ذي القعدة سنة ٥٢٩ هـ ، عبر إقبال الى الجانب الغربي ، وأصعد الى تكريت ، وراسل مجاهد الدين بهروز وحالفه وصعد اليه الى القلعة . ثم قدم من تكريت الى الخليفة الراشد بالله ، فقبض عليه ونهب ماله وانزعج العسكر لأجله ، فشفع فيه أتابك عماد الدين زنكي ، وكان نازلاً بالجانب الغربي ، فأطلق ، وصار اليه ونزل عنده . ولما توجه السلطان مسعود الى بغـداد وحاصرها ، واضطر الراشد بالله الى الرحيل عنها مع أتابك عماد الدين زنكي الى الموصـل ، كان إقبال الخادم في النفر القليل الذين صحبوه . ولكن عماد الدين ، وكان يخشى السلطان مسعوداً ، أصلح أمره معه ، فسيبه وخيبه ، وأخذ إقبالاً خادمه وحبسه ثم قتله . وكان إقبال والخدام الحبوش يؤلفون عصبة قوية في الدولة ، وكانوا حنفية وفيهم عصبية على الشافعية ، فنكبوا أصحاب الشافعي بأنواع البلاء في جميع البلاد ، فدخل في مذهب أبي حنيفة جماعة طلباً للجاه وخوفاً منهم كما يقول العماد . وكان من آثاره مدرسة بناها في همذان ، دفن فيها السلطان مسعود . وأخباره نبذ منتشـرة في بطون التواريخ ، رأيت من الخير جمعها وتيسيرها للدارسين . أنظر زبدة النصرة (١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٢٧) ، أخبار الدولة السلجوقية (١١٢) ، المنتظم (٢٧/١٠ ، ٣٤ وما بعدها ، ٦٩) ، مرآة الزمان (٩٧/٨ ، ١٤٠) ، الكامل (٢٥٩/١٠ « مـكرر » ، و ١٠/١١ ، ١١ ، ١٥) ، العبر (٢٩٠/٤) وفيـه : « اقبال المسترشـد » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) ضارج : جبل في بلاد بني أسد ، وجبل في الحجاز ، وأرض سبخة مشرفة على بارق ، وبارق =

ومنهـــا :

وهيّجَ وجدي ، والدُّجى مُرجَحِنّةٌ ، حمامٌ بأغصان الأراكة هادلُ (١)

سجعنَ ، وقلتُ الشعرَ ، لكنّ أدمعي سوافحُ من حرّ الفراق سوابلُ

غداةَ كنّ رامي الصبح . إنّ صبابتي تقاصرُ عنها الفاقداتُ الثواكلُ (٢)

وفي الظُّعنِ فتّاكُ اللحاظ إذا رنا فسيّانِ عندي لحظُه والمعابلُ (٣)

يُظاهرُ سحرَ العين خمرُ رُضابِهِ كأنّ مُحيّاه على الفودِ بابلُ (٤)

من البيض . أمّا ودُّه فهو صارمٌ قطوعٌ ، وأمّا وعدُه فهو ماطلُ (٥)

تعلّقتُه والحِلمُ من مَرَحِ الصِّبا ربتاه ، وحقّي في البطالة باطلُ (٦)

وكم زارني سيلُ الأقاء ، وإنّـــه من الحسن شاكٍ في السلاح مقاتلُ (٧)

إذا ما تثنّى قدُّه فهـــو رامحٌ وإنْ كرّ من ألحاظه فهو نابلُ (٨)

= قرب الكوفة . وقال نصر : ضارج من الثلي ماء ونخل لبني سعد بن زيد مناة . معجم البلدان (٤٢١/٥) ، صحيح الأخبار لابن بليهد النجدي (٢١/١) . وعاقل : واد بنجد لبني أبان بن دارم . أو جبل ، قال ياقوت : « والأشعار التي قيلت فيه هي بالوادي أشبه ، ويجوز أن يكون الوادي منسوباً الى الجبل لكونه من لحفه » . معجم البلدان (٩٧/٦) ، صحيح الأخبار (٥٣/١ ، ١٠٠ ، ١٢٠ و ٤٤/٢ ، ٤٥) . والقطين : الإماء ، والحشم الأحرار ، والحشم المماليك ، والخدم ، والأتباع ، وأهل الدار للواحد والجمع .

(١) الوجد : الحزن ، والحب الشديد . وليل مرجحن : ثقيل واسع ، ذكره الزبيدي في مستدركاته في تاج العروس (٢١٣/٩) . والأراكة : (١٢٢ ر ٢) . وهادل : (٢٩٥ ر ٨) .

(٢) الفاقدات : في الأصل « الفاقرات » . والثواكل : فاقدات الحبيب أو الولد .

(٣) الظعن : (٢٨٠ ر ٩) . رنا اليه : أدام النظر بسكون الطرف . سيان : مثنى سي كمثل وزناً ومعنى . والمعابل : النصال الطوال العراض ، واحدتها معبلة (كمكنسة) .

(٤) يظاهر : يعاون وينصر . والرضاب : الريق . والمحيا : الوجه . والفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن ، وناحية الرأس . وبابل : (٤١ ر ٢) .

(٥) مطل بالوعد : سوف به ودافعه .

(٦) المرح : النشاط . والصبا : الصغر ، تقول « كان ذلك في صباه » .

(٧) شاكي السلاح : ذو شوكة وحدّ في سلاحه .

(٨) الرامح : ذو الرمح . والنابل : صاحب النبل ، واسم الفاعل من نبل الرامي فلاناً اذا رماه بها .

وعهدي بنا والنازحُ الدارِ رابعٌ ... مقيمٌ بنا ، والقاطعُ الحبلَ واصلُ (١)
ليالِيَ ألحاظُ الوشاةِ رواقدٌ ... لنا ، وقلوبُ الحادثاتِ غوافلُ (٢)
فياليتَ شعري والأمانيُّ ضِلَّةٌ ... من النفسِ والأيّامُ مُعطٍ وباخلُ (٣)
هلِ الدارُ تدنو بالأحبّةِ بعدما ... تفرّقَ مجموعٌ وأقفرَ آهلُ ؟
عدِمتُ اصطباري والنوى مطمئنّةٌ ... فكيف أطيقُ الصبرَ والحيُّ راحلُ ؟

وله من قصيدة :

حفّضا ، لا موتَ إلّا بأجَلْ ... واحْذَراني ، سبقَ السيفُ العذَلْ (٤)
وردا بي كبّةَ الخيلِ ضحىً ... لضِرامِ الهامِ أو طعنِ المُقَلْ (٥)
لا تظُنّا ضحكي عن طربٍ ... فالسَّنا مُخبِرٌ عن فرطِ الشّعَلْ (٦)
ضِقتُ ذرْعاً بني اللؤمِ ، فما ... تركتْ شكوايَ للشعرِ غزَلْ (٧) !
وغدا ترتيلُ دمّي لهمُ ... شاغلَ القولِ عنِ الثغرِ الرّتَلْ (٨)
ملءُ أهبِ القومِ ، إن فتّشتَها : ... يا أخا سفيانَ ، كبرٌ وبخَلْ (٩)
جهلوني ، والعلى عارفةٌ ... بمقامي في نزالٍ وجدَلْ (١٠)

---

(١) نزحت الدار : بعدت . وربع الرجل في المكان فهو رابع : نزل حيث شاء في خصب ومرعى .
(٢) الوشاة : النامون والساعون بالناس .
(٣) الضلة (بالكسر) : الضلال ، ضد الهدى .
(٤) حفض الأمر : (١٧ ر ٥) . وسبق السيف العذل : مثل يضرب لما قد فات ، وللأمر الذي لا يقدر على رده . قاله رجل يدعى ضبة بن أد لما عذله الناس ، أي لاموه ، على قتله قاتل ابنه في الحرم . وقيل : إن المثل لحريم بن نوفل الهمداني . فرائد اللآل في مجمع الأمثال (١/٢٧٦) .
(٥) كبة الخيل : جماعتها . والهام : (٢٣٠ ر ٥) .
(٦) السنا : الضوء . والشعل : في الأصل بالغين المعجمة .
(٧) ضقت ذرعاً : (٢٤٧ ر ٣) .
(٨) دمي (بتشديد الميم) : لغة في الدم المخففة . والثغر : الفم ، وما تقدم من الأسنان . والرتل : الفلج ، أو الحسن التنضد الشديد البياض الكثير الماء من الثغور . وقد صحفت تاؤه في الأصل قافاً .
(٩) الأهب (بضمتين) وسكن ثانية للضرورة : جمع إهاب ، وهو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ .
(١٠) النزال : (٢٥٣ ر ٢) .

ومنهـــا :

طالَ إجمامي عن شأوِ المَدى ... واذا يُرْتبَطُ الطِّرْفُ صَهَلْ[1]

ولقـــد مَلَّ مُقامي أُســـرتي ... جارَ بغدادَ ، ومثلي لا يُمَلّ[2] !

وقـوله :

أداري المرء ذا خُلُقٍ نَكيرٍ ... وأعرِضُ صافحاً عن ذنبِ خِلّي

وأجعَلُ خُوصَ أفكاري حُليّاً[3] ... فأغبِطُهُ ، وكم طَوْقٍ كغُلِّ

وأغدو - من[4] غِنى نفسي - غنيّاً ... عن الدُّنيا ، ولي حالُ المُقِلّ

ولا أرضى اللئيمَ لكشفِ ضُرّ ... ولو أُسلِمتُ للموتِ المُذِلّ

وكم ضحكٍ كتمتُ به دموعاً ... لِئَلّا يَعلمَ عندهُ سِرّي وعقلي

ومن قوله يتضمّن استزادة :

شربتُ دماً إنْ حالَ وُدّيَ ساعةً ... الى غيرِ صفوٍ ، أو أقمتُ على الذُّلّ

وإنْ رُحتُ إلّا حامداً ، غيرَ أنّني ... أخو حالة : إن لم أقُلْ ، نطقت قبلي !

وإنْ بِعتُ آمالي من المجدِ والعلى ... مَبيعَ الكسالى بالمَواطنِ والأهلِ

وإنْ بات يَثنيني عن العزم موعدٌ ... بكى الفضلُ من إنجازه لأُولي الجهلِ

فلا يخـــدَعَنْ الحيَّ صبري ، فإنّني ... لأمْرَقُ - عندَ المُوديات - من النَّبْلِ[5]

---

(١) إجمامي : إراحتي نفسي . والشأو : الغاية ، والأمد .

(٢) مقامي : إقامتي .

(٣) هذا الشطر في الأصل : « وأجعل خوض أفكاري لحلياً » . ومن الواضح أنه يصف نفسه بمداراة السفهاء ، والصفح عن المذنبين ، وأنه ينظر الى الأشياء نظر الغبطة الرضى فيتساوى عنده حينئذ الخوص والحلي ، والطوق والغل . والطوق : حلي للعنق ، وكل ما استدار بشيء . والغل : طوق من حديد يوضع في العنق أو اليد .

(٤) الأصل : « واعذوا مني » .

(٥) فلا يخدعن : الأصل « فلا تخدعن » . ومرق السهم من الرمية مروقاً : خرج من الجانب الآخر . والموديات : المهلكات .

ومن قوله :

هَنا رَجَبَ الشهورِ وما يليـــه ... بقاؤكَ أنت يا رَجَبَ الرِّجالِ

له البركاتُ . لكنْ كلَّ حولٍ ... وأنت مباركٌ في كلِّ حالِ

وله من قصيدة في مدح جمال الدّين (١) ، وزير الموصل ، مطلعا :

يا للصّــوارمِ والرِّماحِ الذُّبَّلِ ... نَصْراً ، ومن أنجدتما لم يُخْذَلِ (٢)

سِيّانِ شيبي والشّبابُ توقّراً ... فكذاكَ في إدراكِ كلِّ مؤمَّلِ

كَرُمَ الدُّجى عمّا يشينُ ، ولم أَبِتْ ... خَشْيانَ واشيةِ الصباحِ المقبلِ

ومنهـــا :

ولئنْ عَرِضَتْ فصارمٌ ذو رَوْنَقٍ ... خَفِيَتْ جواهرُهُ لفقدِ الصَّيْقَلِ (٣)

ولئنْ جهلتُ ، وغيرُ شعري واصفي ، ... فالعيبُ أنّي حازمٌ لم أَجْهَـــلِ

ما للملوكِ تسنّموا شَعَفاتِهـــا ... وبَقيتُ في قعرِ الحضيضِ الأسفلِ (٤)

---

(١) هو جمال الدين الجواد أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني ، كان أبوه علي من أصفهان وهو حاجب الوزير شمس الملك بن نظام الملك ، وكان جده أبو منصور فهاداً في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان . ونشأ الجمال في أيام الأتابك زنكي بن آق سنقر ، وتدرج في الرتب على يد العزيز عم عماد الدين الأصفهاني حتى رتبه وزيراً لخاصبك بن كندغدي من أمراء الدولة ، ثم حظي بمنادمة زنكي وعول عليه في اشراف ديوانه . ولما قتل زنكي صار ملاذ الدولة الأتابكية ، واستوزره الأمير غازي بن زنكي ، ثم أخوه قطب الدين مودود ، فعلا شأنه ، وأفاض معروفه في كل جهة ، وأثر آثاراً عظيمة بمكة والمدينة ، وبنى الربط ، والجسور ، وقصده الناس من كل فج ، ومدحه الشعراء . ثم قبض عليه فسجن وبقي في السجن نحو سنة ، وتوفي فيه في شعبان سنة ٥٥٩ هـ ، وحمل بوصية منه من الموصل الى المدينة ندفن بها في رباط بناه شرقي مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . زبدة النصرة (٢٠٩ ـ ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٥) ، المنتظم (٢٠٩/١٠) ، الكامل (١٢٤/١١) ، البداية والنهاية (٢٤٨/١٢) .

(٢) يا للصوارم : في الأصل وفي زبدة النصرة (ص ٢١٢) : « يال الصوارم » . والذبل : جمع ذابل ، وهو الرقيق اللاصق بالليط . وقد أورد في زبدة النصرة بيتين بعد هذا البيت ، وهما قوله :

لو شئتما ، ومشيئة عشيئة ، ... جاد الزمان ، وبالعلى لم يبخل

أنا فارس اليومين يوم مقالة ... ووغى ، أصول بصارمي ومقولي

ثم اختار من مدحها ثلاثة أبيات ، ستأتي هنا مع جملة أبيات أخر .

(٣) الصيقل : (٢٩٣ ر ٢) .

(٤) الشعفات : رؤوس الجبال . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

إنْ كانَ بأساً فالمعاركُ والوغى | أو كان فضلاً فهي حقُّ الأفضلِ
ظلمَتْ فضائلِيَ المقاولُ ، مثلَما | ظلمَتْ جمالَ الدّين مأوى العُيّلِ [1]

ومنهـــا :

ثُقلت به الأعناقُ من مِننِ النّدى | فالهامُ مُطرقةٌ لذاك المُثقلِ [2]

ومنهـــا :

من سَمَرْقَنْدَ الى تِهامةَ شاهدٌ | فضلُ الجَمالِ على الحَيا المُتهلِّلِ [3]
السُّحْبُ تُمطرُ ما تُظِلُّ ، وجودُهُ | يَسري ، ودارُ مُقامِهِ بالمَوْصلِ [4] !

ومنها يصف بناء سور [5] « المدينة » [6] ، وعمارة قبر الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ :

وتقرُّ عينُ مُحمّدٍ بمُحمّدٍ | مُحيي دَريسَي شرْعِهِ والمنزِلِ [7]

---

(١) المقاول : الألسنة . والعيل : الفقراء .

(٢) ثقلت : الأصل « ثقلت » . الهام : (٢٣٦ ر ٥) .

(٣) سمرقنـد : من المدن القديمـة في « ماوراء النهر » ، مشهورة ، وهي قصبة الصغد . وهي بفتح أولها وثانيها كما هو المشهور والمنصوص عليه في معجم البلدان (٥/١٢١) وغيره . ووردت أيضاً بفتح أولها وسكون ثانيها كما استعملها الحيص بيص . ومن الأول قول يزيد بن مفرغ يمدح سـعيد بن عثمان وكان قد فتحها بعد ولايته خراسان في سنة ٥٥ هـ :

فتحت سمرقنـد لـه | وبنى بعرصتهـا خيامـه

ومن الثاني قول بعض ظرفاء العراق :

وليس اختياري سمرقند محلة | ودار مقام لاختيار ولا رضا
ولكن قلبي حل فيها فعاقني | وأقعدني بالصغد عن فسحة الفضا

وتهامة : مكة شرفها الله ، وأرض معروفة في جزيرة العرب . وفي تحديدها خلاف استوفاه ياقوت في معجم البلدان (٢/٤٣٦) . والحيا : المطر .

(٤) الموصل : مدينة قديمة الأصل على طرف دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى . قال حمزة : كان اسم الموصل في أيام الفرس نوأردشير (بالنون أو الباء) ، ثم كان أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديواناً برأسه ونصب عليها جسراً ونصب طرقاتها وبنى عليها سوراً ، مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية . معجم البلدان (٨/١٩٥) . ومن الكتب الحديثة في تأريخها كتاب تأريخ الموصل لسليمان صائغ .

(٥) في الأصل : السور .

(٦) المدينة المنورة ، مثوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنظر عنها معجم البلدان (٨/٤٢٤) .

(٧) الدريس : الثوب الخلق .

بِعَمارِ مرقده ، وحافظِ دينِهِ ... ومُعينِ أُمّتِهِ بجودٍ مُسْبِلِ (١)
جَعَلَ « ٱلمدينةَ » مصرَ رِيفٍ آهلاً ... نَشْوانَ يَمْرَحُ بالنّشاطِ ٱلمُخْضِلِ (٢)
فكأنّها بٱلخِصْبِ من قُرْبانِهِ ... بلدٌ على شطِّ الفُراتِ السَّلْسَلِ (٣)
ولو أنّهُ في عصرِه ، نَزَلَتْ له ... في مدحه سُوَرُ ٱلكتابِ ٱلمُنْزَلِ
خِرْقٌ يُنَاطُ قميصُهُ ورداؤهُ ... بِعُبابِ زَخّارٍ وهَضْبَةِ يَذْبُلِ (٤)

وقولــه :

نَصَبُوا ٱلقَنافِلَ الطِّعانِ ، فَخِلْتُه ... من فَرْطِ نَفْعِهِمُ بَناتِ ٱلقَسْطَلِ (٥)
حتّى اذا شَرَعُوه ، قلت : كواكبٌ ... منقضّةٌ في جِنْحِ ليلٍ أليَلِ (٦)

وقولــه :

لامَ على ٱلعُذْرِ ، ويا رُبّما ... يشتبهُ ٱلعادمُ بٱلباخلِ

وقوله في ٱلحكمة :

علي بسابقة ٱلمقسوم ، ألزمني ... صبري وصمتي ، فلم أحْرِصْ ولم أَسَلِ
لو نِيلَ بٱلقول مطلوبٌ ، لما حُرِمَ ٱلـ ... كَليمُ موسى ، وكان ٱلحظُّ للجبلِ (٧)

---

(١) الجود (بالضم) معروف ، (وبالفتح) المطر الغزير ، يشبه الجود الكثير به . وأسبل : هطل .

(٢) نشوان : سكران . يمرح : يتواثب فرحاً ونشاطاً . والمخضل : المخصب . من أخضل الشيء اذا بله ، ويقال عيش خضل أي ناعم طيب .

(٣) شط الفرات : شاطئه . والفرات : نهر مشهور . أنظر معجم البلدان (٣٤٧/٦) .

(٤) خرق : (٢٤٨ و ٨) . وبحر زخار : طام ممتلىء . ويذبل : صحفت ذاله في الأصل دالا مهملة ، وهو جبل لباهلة بنجد ، وقد تغير اسمه فلم يعد يذكر به ، ويسمى اليوم « صبحا » كما في صحيح الأخبار (٢٤/١) .

(٥) فرط : (٢٩٦ و ٦) . القسطل : الغبار .

(٦) الجنح (بكسر الجيم وضم) : من الليل ، الطائفة . وليل أليل : طويل شديد .

(٧) يشير الى مناجاة موسى عليه السلام على جبل الطور ، ويريد بحرمانه ما جاءت الإشارة اليه في سورة الأعراف : « ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال : رب : أرني أنظر اليك ، قال : لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً » . فذلك هو حرمان موسى وحظ الجبل . وأخبار موسى عليه السلام في التفاسير ، وفي تأريخ الطبري =

وحكمةُ العقلِ إنْ عزّتْ وان شرُفتْ		جهالةٌ عندَ حكمِ الرّزقِ والأجلِ [1]

وقولـــه :

إحـــذرِ الهزلَ وجانِبْ أهلَهُ		إنـه ينقصُ من قدرِ النّبيلْ
إنْ يُجَبْ أو لا يُجَبْ قائلُهُ		فسفيهٌ أنتَ منـــه أو ذليلْ

وقولـــه :

إذا قيـــلَ : الكريمُ أخو العطايا		وبـذّالُ الرّغائبِ والنّوالِ [2] ،
فأكرمُ منـــه ذو خُلُقٍ أبيٍّ		يصونُ الوجـهَ عن ذُلِّ السُّؤالِ
وهل يُلْفَى جوادٌ مثـــلَ حُرٍّ		أجلَّ النّفسَ عن مِنَنِ الرّجالِ ؟

وقوله من قصيدة في مدح أمير المؤمنين ، المقتفي لأمر الله [3] ، يصف القُرَّ الشديد :

وإذا استمرَّ المَحْلُ يشفعُ شرَّهُ		خَصَرٌ يعضُّ له الحصى والجندلُ [4]
واستحمد الشَّفَّانُ كلَّ ضريبةٍ [5]		وإذا تلظّى كلَّ جمرٍ أفكلُ [6]
ببعيدةِ الإصباحِ حالكةِ الدُّجى		سهرَ النّؤومُ بها ونامَ المُفْضِلُ [7]
تَثْني مطارفَها الجوارحُ عندها		حتّى تظلَّ الرّاحَ فيها الأنملُ [8]

= (م ١) ، وأخبار الدول على هامشـــه ، والعبر (م ٢) ، وقصص الأنبياء لعبـــد الوهاب النجار (١٨٩ ـ ٣٦٠) .

(١) عزت وعند : هما في الأصل : « عرت » و « عن » .

(٢) الرغائب : (٢٤١ ر ٩) . والنوال : العطاء والصلة .

(٣) الأصل : « بأمر الله » . وترجمة المقتفي لأمر الله تقدمت في (ص ٣٤) .

(٤) يشفع : يزيد . والخصر : البرد ، وهو في الأصل « حضر » .

(٥) الشفان : برد وريح ، وهو في الأصل « الشقان » بالقاف . والضريبة : (٢٩٣ ر ٣) .

(٦) ط : « واذا ناظى كل حر فكل » ، وهو تحريف عجيب ، وقد حررته على الوجه الذي تراه ، ولعلي لم أبعد عن أصله الصحيح . وإذا : في البيت فجائية ، والأفكل : الرعدة تعلو الإنسان تكون من البرد والخوف ، وقد استعاره لما يصيب الجمر من هبوب الشفان عليه .

(٧) ببعيدة الإصباح : صفة لموصوف محذوف ، أي بليلة بعيدة الإصباح .

(٨) مطارفها : الأصل « مصارفها » ، ولم يظهر لي وجهه ، ولعله تحريف « مطارفها » أي أرديتها ، جمع مطرف (بضم الميم وفتح الراء) ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وثناها : رد بعضها على بعض ، وذلك من شدة البرد . والجوارح : الأعضاء المكتسبة من الإنسان . والراح : بواطن الأكف .

وأطارتِ الهوجاءُ كلَّ مُطنَّبٍ ... فالرَّثُّ فانٍ والصحيحُ مُرعْبَلُ (١)

واستهذمَ الجدبُ الغواربَ والذُّرا ... حيثُ الهمازرُ والصِّعابُ البُزَّلُ (٢)

في أزْمةٍ قذفٍ كأنَّ أخيرَها ... من بؤسها للضعف عنه أوّلُ (٣)

غبراءَ ريعانَ الربيعِ ، لِقيظها ... في المَحْلِ لا مرعىً ولا مُتبقَّلُ (٤)

فقديرُ زادِ المترفينَ على الطَّوى ... قدٌّ تناهبُهُ الأكفُّ ، وحنظلُ (٥)

آوى أميرُ المؤمنين محمَّدٌ ... بدرَ الضيوفِ ، فكلُّ وعرٍ مُسْهِلُ

وقرى فأشهبَ كلَّ جونٍ هاطلٍ ... هامٍ ، وأغبرَ كلُّ روضٍ مُبقِلُ (٦)

وله من قصيدة في المخلص :

بعثتُ عليهم صارماً من قوارصي ... تطيرُ له الأعراضُ في كلِّ محفلِ (٧)

كأنَّ شباهُ ، والرُّواةُ تهزُّهُ ، ... شبا مُرهَفٍ ، أو بأسُ بدرِ بنِ معقلِ (٨)

وقولـــه :

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة الهبوب حتى تقلع البيوت . والمطنب : البيت المشدود بالأطناب ، أي الحبال الطوال . والرث : الخلق البالي . والمرعبل : الممزق .

(٢) هذمه هذماً : قطعه وأكله بسرعة ، ولم أر في المعجمات فعل استهذم ، وقد صحفت ذاله في الأصل دالا مهملة . والجدب : ضد الخصب . والغوارب : (٢١٢ ر ١) . والهمازر : النوق العظام ، واحدتها همزرة (كقنفذة) . والصعاب : الجمال التي تركت فلم تركب . والبزل : الجمال في سنيها التاسعة .

(٣) الأزمة : الشدة والقحط . قذف : في الأصل بالدال المهملة ، ولم أر لها وجهاً . والقذف : البعيدة .

(٤) لقيظها : لعله « لقيظها » . والريعان : من كل شيء ، أوله وأفضله . والمتبقل : المحل الذي يرعى بقله ، والبقل هو ما نبت في بزره لا في أرومة ثابتة . وهو في الأصل « متبقل » .

(٥) القدير : ما يطبخ في القدر . والطوى : الجوع . والقد : السير يقد أي يقطع من جلد غير مدبوغ . تناهبه : تتناهبه ، حذف تاء المضارع منه تخفيفاً . والحنظل : نبت يضرب بمرارته المثل .

(٦) قرى الضيف : أحسن اليه وأضافه . والأشهب : ما كان لونه الشهبة ، وهي بياض يصدعه سواد . وجون : صفة لموصوف محذوف ، أي سحاب جون ، وهو الأبيض والأسود ، ضد . وهام : سائل لا يثنيه شيء ، والمبقل : الذي خرج بقله .

(٧) القوارص : الكلمات المؤلمة المؤذية . تطير : في الأصل « تطير » .

(٨) الشبا : (٢٨٩ ر ٣) . والمرهف : (٢٨٨ ر ٣) .

نحن قومٌ من تميمِ بنِ مُرٍّ   مُطارُ العافينَ والعامُ مَحْلُ (١)

نفصحُ الخُطبةَ والقومُ لُكْنٌ   ونَرُدُّ الجيشَ والخيلُ قُبْلُ (٢)

حلمــاءٌ لا يُحَــلُّ حُبــانا

ـ عندَ طيشِ الخَطبِ ـ طيشٌ وجهلُ (٣)

أوجــهٌ غرٌّ ، وأيدٍ بســطٌ   وندى غَمْرٌ ، وملقىً ، وظِـلُّ (٤)

ومنهــا :

وخميسٍ ضاربٍ بجِرانٍ ،   مُجْلِبٍ ، سَوْرَتُهُ ما تُقَلُّ (٥)

فلَّ منظومَ الشناخيبِ رَكْضـاً   وعوادي بأســهِ ما تُفَلُّ (٦)

... ف البيــداءِ حتى أطاقَتْ   بفضاءِ الجوِّ أرضٌ تُحَــلُّ (٧)

وأديمُ الأرضِ خافٍ فما يُنْـ   ـظَرُ إلّا حافرٌ وأظَــلُّ (٨)

صُلْتُ فيهم ببَراعٍ ورأيٍ   فانجلى نقعٌ وأدركَ تَبْــلُ (٩)

فلمْ يقطرْ سُمّاً وشَــهْداً   فهو في الحالينِ نحلٌ وصِــلُّ

وقوله من قصيدة في سديد الدّولة الكاتب ابن الأنباري (١٠) :

---

(١) تميم بن مر : (٢٦٨ ر ١١ ، ٢٧٧ ر ٢) . والعافون : طلاب المعروف . والمحل : الجدب ، وانقطاع المطر .

(٢) لكن : جمع ألكن ، وهو الذي لا يقيم العربية لعجمة لسانه ، والذي في لسانه عي وثقل . وقبل : جمع أقبل ، وهو الفرس الذي كانت احدى حدقتيه مقبلة على الأخرى .

(٣) لا تحل حبانا : (١٠٩ ر ٣) .

(٤) غر : بيض . بسط : الأصل « باسط » . والغمر : الماء الكثير .

(٥) الخميس : الجيش الجرار . والجران : مقدم عنق البعير . وألقى البعير جرانه : اذا برك ومد عنقه على الأرض . وضرب الجيش بجرانه : أي ثبت واستقر . والمجلب : (٢٤٤ ر ٢) . وسورته : سطوته وبطشه .

(٦) فل : كسر وهزم . والشناخيب : أعالي الجبال ، وهي في الأصل بالجيم .

(٧) الكلمة الأولى مطموسة الا حرفها الأخير ، ولعلها « ألف » .

(٨) الأظل : من الإبل ، باطن المنسم .

(٩) النقع : الغبار . التبل : الثأر ، والعداوة يطلب بها .

(١٠) ترجمته في (ص ١٤٠) .

عَلِقتُهُ والصِّبا غَضٌّ ٱلأديمْ ... مُهمَلَ ٱلوَفْرَةِ من آلِ تَميمْ.[1]
يحسُنُ التّاجُ على مَفرِقِهِ ... ناشِراً في يومِ بؤسٍ ونَعيمْ.[2]
يُنسِلُ الصَّعدةَ من أقرانِهِ ... ويلبّي طارقَ الليلِ ٱلبَهيمْ.[3]
رُتَبٌ غادرْنَهُ ذا شُغُلٍ ... بِهواها عن هوى ظبيٍ وريمْ.[4]
فالهوى والقلبُ من همّتِهِ ... بين إعمالِ رَوِيٍّ ورَسيمْ.[5]
وعلى ٱلأحياءِ دَيْنٌ فادحٌ ... أوسعَ الدّهرَ بهِ مَطْلُ ٱلغَريمْ.[6]
كلّما طولِعَ ، حالت دونَه ... سَورةُ ٱلمقدارِ لا بأسُ ٱلخصومْ.[7]
بالقويِّ من نِزارٍ غارةٌ ... تَخلِطُ ٱلقومَ بريئاً بسقيمْ.[8]
تُعجِلُ ٱلفارسَ عن تحصينِهِ ... وجريحَ ٱلقومِ عن شدِّ ٱلكُلومْ.[9]
فبعيدٌ دَرْكُ ٱلمجدِ ، ولم ... أحمِلِ النّفسَ على ٱلهولِ ٱلعظيمْ.
وأثيرُ النّقعَ من أنديةٍ ... يعبَقُ ٱلمَنْدَلُ فيها بالنَّسيمْ.[10]

قال : من فرط طيبها ، لنعم أهلها ، يستفيد ٱلعود منها طيباً . ووجه آخر ، وهو أنّ النَّسيم يعبق بٱلمَنْدَل ، فذكر ٱلمعنى مقلوباً ، وهي عادة عربيّة[11] .

---

(١) علقته : هويته ، وأحببته حباً لازماً . غض الأديم : طري الجلد . والوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الأذن . تميم : (١٦٨ ر ١١ ، ٢٧٧ ر ٢).

(٢) المفرق : وسط الرأس ، وهو الذي يفرق فيه الشعر .

(٣) الصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك . والطارق : الآتي ليلا .

(٤) الريم : الرئم (٤ ر ٧) .

(٥) الروي : العقل ، ذكره الزبيدي في مستدركات تاج العروس . والروي : حرف القافية . والرسيم : سير للإبل ، وهو في الأصل بغير راء .

(٦) دين فادح : مثقل ، مبهظ . والمطل : التسويف بالدين ومدافعته . والغريم : المدين .

(٧) المقدار : القدر (٩ ر ٧) .

(٨) بنو نزار بن معد بن عدنان : قبيلة عظيمة من جرائم العرب . الإنباه على قبائل الرواه (٦٣، ٦٤) ، نهاية الأرب (٣٤٥) . والبريء : الناقه من المرض .

(٩) الكلوم : الجروح .

(١٠) النقع : الغبار . والمندل : (٢٨٣ ر ٣) .

(١١) أنظر أسرار اللغة العربية للثعالبي .

بِدِلاصٍ صِباحٍ كشُموسٍ … وخَناذيذَ جِيادٍ كنُجومْ (1)

عادِياتٍ تَزْحَفُ الأرضُ لَها … ورِجالٍ مثلِ جِنّانِ الصَّريمْ (2)

يومَ لا يُحسِنُ الفِـراقَ شافعٌ … عن ذوي الطَّعنِ ولا وُدُّ الحَميمْ (3)

واشْتِجارُ الضَّربِ من حَرَّتِهِ

يُذْهِلُ الأُمَّ ـ عن الطِّفلِ ـ الرَّؤومْ (4)

وسليمُ الفَلِّ مُلْقٍ نفسَهُ … فترى كلَّ سليمٍ ككَليمْ (5)

أضعفَ الرَّوْعُ قُواهم ، فاغتدى … عَسَلانُ الرُّمحِ في ساقِ الهَزيمْ (6)

أنا بالرَّوْعِ كفيلٌ ، والعُلى … كافلاتٌ لي بالمُلكِ العَقيمْ (7)

وبنـو الزَّوراءِ من هَزْلِهِمُ … شُغِلوا عن حَمْلِ أعباءِ الهُمومْ (8)

حَسِبوا أنِّيَ منهم مثـلَ ما … صَحَّفَ القومُ رَحيماً بِرَجيمْ

لستُ بالكَلِّ على حَيِّكُمُ … مُنْصُلي ماضٍ، وبيتي في الصَّميمْ (9)

إنَّ ذا الأعوادِ مِنِّي لأبٍ … باذلِ الرِّفدِ ومَنّاعِ الحَريمْ (10)

---

(١) الخناذيذ : الفحول ، واحدها خنذيذ .

(٢) الجنان : جمع الجان ، والجان اسم جمع للجن . والصريم : (٢٤٦ ر ١) .

(٣) ذوي : في الأصل « ذي » . والحميم : القريب ، والصديق .

(٤) اشتجار الطعن : اشتباكه وتداخل بعضه في بعض . والحرة : الشدة ، يقال « حر القتل » أي اشتد . والرؤوم : العاطفة على ولدها ، و « ظئر رؤوم خير من أم سؤوم » : مثل في تفضيل الغريب المهتم بأمرك على القريب المتغاضي .

(٥) سليم الفل : يريد السليم من الفل ، وهو الضغينة والحقد . والكليم : الجريح .

(٦) الروع : الفزع ، والحرب . وعسلان الرمح : اشتداد اهتزازه .

(٧) تقول العرب : « الملك عقيم » ، أي لا ينفع فيه نسب ، لأن الرجل قد يقتل ابنه اذا خافه على الملك .

(٨) الزوراء : (٢٥٤ ر ٣) .

(٩) الكل : العيال ، والثقل . قال الله تعالى : « وهو كل على مولاه » . والمنصل : السيف . وصميم الشيء : خالصه .

(١٠) الرفد : العطاء . وحريم الرجل : ما يحميه ويقاتل عنه ، ومنه سميت نساء الرجل بالحرم .

ضاربُ القبّةِ للاجي ، وقد أخذَ الضيمُ بأطواقِ المضيمْ [1]

حينَ لا أمرُ بني طاعتـــه ؟ يُوجبُ الحكمَ ، ولا فتوى العليمْ

منْ لخيلٍ أن ترى مبثوثةً أمَمَ الحيِّ تمطّى في الشكيمْ [2] ؟

توسعُ الأعداءَ طرداً مثلمــا طردَ الفقرَ فتى عبدِ الكريمْ

وله من قصيدة في مدح الأمير قرواش بن مسلم بن قريش [3] :

أقِمْ يا حُسامي في صِوانِكَ واسلمِ شربتَ دماً إنْ لمْ أروِّكَ بالدمِ [4]

قيل له : لِمَ لا تقول « شربت دمي » ؟ فقال : الذي قلته معنى عربيّ ، وهو أبلغ ، فإنّ العرب اذا أخذوا في الدّم الدّية [5] ، قالوا « شرب الدم » ، وعدُّوه عاراً [6] .

ألا ، إنَّ وَجْدي بالمعالي مُبَرِّحٌ

وأبرحُ من وَجْدي بها وَجدُ مِخْذَمي [7]

طوَيتُ لها خمساً وعشرينَ حِجّةً ووَاحدةً طيَّ الرِّداءِ المُسَهَّمِ [8]

أذودُ الصِّبا عن مطمحٍ غيرِ ماجدٍ وأنهى الهوى عن موقفٍ غيرِ مُكرِمِ

---

(١) الأطواق : جمع طوق (٣٠٠ ر ٣) .

(٢) الأمم : القرب . والشكيم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس .

(٣) الأمير قرواش سليل أمراء بني عقيل الذين خلفوا بني حمدان على الموصل ، وامتدت إمارتهم في بعض أيامها من السندية على نهر عيسى في غربي بغداد الى حلب ومنبج . قامت إمارتهم سنة ٣٨٠ أو ٣٨١ هـ على يد أبي الذوّاد محمد بن المسيب أمير بني عقيل ، واشتهر من أمرائها : أخوه المقلد بن المسيب ، وقرواش بن المقلد ، وقريش بن بدران بن المقلد ، وشرف الدولة مسلم بن قريش . وقضى عليها السلاجقة سنة ٤٨٩ هـ وأمرها يومئذ بين اثنين من أمرائهم ، هما : محمد وعلي ابنا شرف الدولة مسلم بن قريش . أما أخوهما قرواش ، فقد كان يوم زوال الإمارة صغيراً فلم يشتهر . وقد ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٧ هـ عرضاً بين الأمراء الذين استدعاهم المسترشد بالله لقتال دبيس بن صدقة صاحب الحلة . وعن هذه الإمارة العربية ، أنظر وفيات الأعيان (١١٤/٢ الى ١١٨) ، والعبر (٢٥٤/٤ الى ٢٧١) ، وتأريخ الموصل (١٣١/١ الى ١٥٤ و ٧١/٢ الى ٨٧) .

(٤) الصوان : الوعاء الذي تصان به الثياب أو الكتب ونحوها . وأراد به الشاعر غمد السيف .

(٥) الدية : حق القتيل ، وهو مال يعطى ولي القتيل بدل النفس .

(٦) أنظر بلوغ الأرب في أحوال العرب (١٩/٣) طبعة مصر « بتعليقاتي » .

(٧) وجد بالشيء : أحبه وأغرم به : والمبرح : الشديد الأذى . والمخذم : القاطع من السيوف .

(٨) الحجة : السنة . والمسهم : المخطط .

يقولون : « جانبت النسيب » ، وإنّما ... نسيبي ذكرى غارةٍ وتقحُّمِ (١)

وفي غزل العلياء لو تعلمونه ... شفاءُ غرامٍ وادّكارُ متيَّمِ (٢)

وكم مُغرَمٍ بالمجد عزّ سلوُّهُ ... فأعرض لا يُصغي الى لوم لُوَّمِ (٣)

اذا قيل : « هذا مفخرٌ » ، ظلّ مائساً ... كما اضطرب المجهودُ من أمّ ملدمِ (٤)

سأبعثها شعواءَ إمّا لمغنمٍ ... يحقّقُ آمالي ، وإمّا لمغرمِ (٥)

تميميّةً لا صبرُها عن تقاعسٍ ... مُذِلّ ، ولا إقدامُها عن تهجُّمِ (٦)

تُجِدُّ رُسُومَ المالكين ودارمٍ ... وسُفيانَ والصيفيّ منها وأكثمِ (٧)

بحورُ نوالٍ لم تغضْ دُونَ واردٍ ... وأطوادُ ملكٍ لم تُنَلْ بالتسنُّمِ (٨)

سهرتُ وما حبُّ الحسان بمُسهري ... وهل مُنجدٌ فيما يرومُ كمُتهِمِ ؟ (٩)

لِبرقٍ كلمع الهندوانيّ ، دونه ... سحيقةُ حيٍّ أنجموا بالتهضُّمِ (١٠)

ترامت بهم أيدي النوى ، فتزاوروا ... الى عازبٍ عن أرضهم متوخِّمِ (١١)

---

(١) النسيب : (٢٩٢ ر ١٠) ، وهي في الأصل « النسيم » .

(٢) المتيم : (٢٢٤ ر ٧) .

(٣) بالمجد : في الأصل « بالوجد » .

(٤) المائس : المختال المتمايل . وأم ملدم : الحمى .

(٥) سأبعثها : أي سأبعث الحرب . شعواء : (٢٦٤ ر ٤) . والمغنم : الغنيمة . والمغرم : الغرامة ، وما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه .

(٦) تميمية : نسبة الى تميم (٢٦٨ ر ١١) .

(٧) هؤلاء كلهم رجال من قبيلة تميم . وقد قدمنا ترجمة بعضهم كأكثم في (ص ٢٠٢ ر ٤) . ومعنى تجد رسومهم : تجدد آثارهم وطرائقهم . يقال : أجد الشيء أي صيره جديداً ، مثل جدده واستجده .

(٨) غاض الماء يغيض غيضاً : نقص وغار وذهب في الأرض .

(٩) المنجد : الذي أتى نجداً ، أو أخذ في بلاد نجد . والمتهم : الذي أتى تهامة ، أو نزلها . وعن نجد : أنظر (ص ١١٨ ر ٥) وعن تهامة : أنظر (ص ٣٠٢ ر ٣) .

(١٠) الهندواني : السيف المنسوب الى الهند . والسحيقة : المطرة العظيمة تجرف ما مرت به . والحي : البطن من بطون العرب . أنجموا : أقلعوا . بالتهضم : بسبب التهضم ، وهو غصب الحق والظلم .

(١١) العازب : البعيد . والمتوخم : من الأماكن غير الموافق .

وعهدي بهم والدهرُ مُلقٍ قيادَهُ ... الى كلِّ مَشبوحِ الذِّراعِ غشمشمِ (١)

لَبُوسُهُمُ من سابريٍّ مُعَسْجَدٍ ... وأرضُهُمُ من لاحقيٍّ مُسوَّمِ (٢)

غَنِيِّينَ من أرماحِهِم ووجوهِهِم ... نهاراً وليلاً عن شموسٍ وأنجمِ

فبتُّ كما باتَ السَّليمُ بقفرةٍ ... سرت في أعاليه مُجاجةُ أرقمِ (٣)

ومنهـــا :

تزاحمُ أشجاني اذا ما ذكرتُهم ... زِحامَ المقاوِي عندَ بابِ ابنِ مُسْلِمِ

فتى واضحُ القشرينِ عن شمسِ أرضه ... دُخانَ قدورٍ أو مجاجةَ مَصْدمِ (٤)

عنيفُ إزارِ الليلِ ، لا يستفزُّهُ ... ظلامٌ ، ولا تغتالُهُ ذاتُ مِعْصَمِ (٥)

ومنها في وصف الخمر :

وما نشوةٌ من قرقفٍ صرخديةٍ ... تدفَّقُ من ضنكِ الجرانِ مُقدَّمِ (٦)

اذا سُكبت في الكأسِ خلتَ شُعاعَها ... ـ على غسقِ الظلماءِ ـ جذوةَ مضرمِ (٧)

لها حَبَبٌ يرفضُّ عنها ، كأنــه ... عيونُ جرادٍ أو زواهرُ أنجمِ

أتيحت لمشعوفِ الفؤادِ مُدلَّهٍ ... رمتهُ الغواني عن قِسِيِّ التصرُّمِ (٨)

فعادت بأشجانٍ ، وهاجت صبابةً ... له ، وتمشَّت في مُشاشٍ وأعظُمِ (٩)

---

(١) مشبوح الذراع : عظيمها . والغشمشم : من يركب رأسه ، فلا يثنيه عن مراده شيء .

(٢) السابري : ثوب رقيق جيد ، ودرع دقيقة النسج في إحكام . واللاحقي : (٢٦٦ ر ٥) . والمسوم : المعلم بعلامة يعرف بها ، والحسن الخلق .

(٣) السليم : اللديغ ، كأنهم تفاءلوا له بالسلامة . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس ، أو مافيه سواد وبياض ، أو ذكر الحيات . ومجاجته : ما يمجه ، أي يرمي به ، من السم .

(٤) واضح القشرين : لم يظهر لي مراده منه . والمصدم : مكان الصدم ، وهو ضرب صلب بمثله ، والدفع .

(٥) تغتاله : تأخذه من حيث لم يدر . والمعصم : موضع السوار .

(٦) قرقف : (٢٨٩ ر ٣) . صرخدية : (٢٣٢ ر ٩) . ضنك الجران : ضيق مقدم العنق ، يريد إبريق الخمر . والجران في الأصل مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره . وإبريق مقدم : عليه مصفاة .

(٧) الغسق : (٢٨٤ ر ١٠) . والجذوة : النار الملتهبة . ومضرم النار : موقدها .

(٨) مشعوف الفؤاد : (٤٨ ر ٢) .

(٩) المشاش : رؤوس العظام الممكنة المضغ .

ـ بأحسنَ من هزّ القوافي لعِطْفه ... اذا رجّعتْ بالأفوهِ المترنّم (١)

يُطيفُ به من قيسِ حوثةَ فتيةٌ ... جريئون في يومَيْ ندى وتقدّم (٢)

يُحيّونَ بسّاماً ، كأنّ رداءَهُ ... يُلاثُ بركنيْ يذبلٍ ويلَمْلَم (٣)

ومنها في وصف الجيش :

ومَجْرٍ كمُنْهالِ الشقيقِ وعالجٍ ... مفضٍّ بأكنافِ البلادِ عرَمْرَم (٤)

خلا فرَقاً من بأسه كلُّ مَرْبِضٍ ... وأقفر من إرهابه كلُّ مجثَم (٥)

يُخالُ ، اذا ما الخرقُ ضاق بخيله ، ... بنا قرْمَدٍ ، أوجنبَ رَعنٍ مُلمْلَم (٦)

كأنّ بأعلى بيْضه من عجاجه ... رداءَ خُداريٍّ من الليل مُظلم (٧)

فلا أفقَ إلّا من إزار عجاجةٍ ... ولا أرضَ إلّا من سَراةِ مُطَهَّم (٨)

---

(١) بأحسن : خبر « ما » في البيت الأول . والعطف : (٢٢١ ر ٧) . والأفوه : (٢٢٠ ر ٣) .

(٢) حوثة بالضم اسم ، نقله الصاغاني . كذا في تاج العروس ، ولم يزد عليه . وعن قيس أنظر نهاية الأرب للقلقشندي (ص ٣٢٦) طبعة بغداد .

(٣) يلاث : يعصب ويشد . ويذبل : (٣٠٣ ر ٤) . ويلملم : ميقات اليمن ، جبل على مرحلتين من مكة ، ويقال له ألملم ويرمرم .

(٤) المجر : الجيش العظيم . والمنهال : المنصب . والشقيق : جمع شقيقة ، وهي كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين . قال ابن بليهد في صحيح الأخبار (٢/٩١) : وتسميها عامة أهل نجد اليوم « الحبة » ، وأعرف موضعاً في بلاد العرب باقياً بهذا الاسم . وانظر معجم البلدان (٥/٢٨٤) . وعالج : رملة بالبادية ، وهي لا تعرف اليوم بهـذا الاسم على ما في صحيح الأخبار (١/١٢٣ ، ٢/٤٦) . والمفض : المسرح . والمفضر : الداني . والأكناف : الجوانب ، والنواحي . والعرمرم : الجيش الكثير .

(٥) الفرق : (١٥٤ ر ١) . والمربض : موضع ربوض الغنم ومأواها . والمجثم : مكان جثوم الطائر ، وهو بروكه على رجليه ولزومه مكانه .

(٦) الخرق : (٢٢٧ ر ٣) . بنا : مقصور بناء ، قصره للضرورة . والقرمد : الخزف المطبوخ ، والآجر ، وحجارة لها خروق تنضج ويبنى بها . والرعن : (٢٥١ ر ٤) . والململم : الململم .

(٧) البيض : خوذ الحديد . وليل خداري : شديد السواد ، قال ابن الأعرابي : وأصل الخداري أن الليل يخدر الناس ، أي يلبسهم . صحفت داله في الأصل ذالا معجمة .

(٨) إزار : في الأصل « أثار » ، وليس له وجه ، ولعل الصحيح ما أثبتناه . والسراة : الظهر . والمطهم : من الخيل ، المجتمع الخلق البارع الجمال .

تلته سباعُ الطَّيرِ والوحشِ، فاغتدى   بطِرْفٍ ومِغْوارٍ وسِيدٍ وقشعَمِ (١)

غلا حرُّهُ حتى كأنَّ اشتجارَهُ (٢)   سَنا لَهَبٍ في عَرْفجٍ متضرِّمِ (٣)

وأجلبَ حتى لو رمى الأرضَ صاعقٌ   لما نمَّ من ألفاظه والتَّغمغُمِ (٤)

طِعانٌ كقرعِ النَّيبِ غيرُ مباعدٍ   وضربٌ كولْغِ الذِّئبِ غيرُ ملعثَمِ (٥)

شككتَهُمُ شكَّ الطرائدِ بالضُّحى   وسُقتَهُمُ سَوْقَ الطَّوِيَّ المُحزَّمِ (٦)

والقصيدة طويلة، وفيها في المقطع في وصف القصيدة :

فخذها حصانًا لم تُزَنَّ بريبةٍ   أتتها، ولم تَخطَبْ لِنِكْسٍ مُذمَّمِ (٧)

يُشجِّعُ من قلب الجبان نَشيدُها   ويُفصِحُ من لفظ العيي المجمجم

وقوله من قصيدة :

كُبِّتْ جِفانُ القومِ من دارمٍ   إنْ لم يلوذوا بشبا صارمي (٨)

ومنهـــا :

علوتُ عن تأثيرِ قولِ الخنا   فلستُ أخشى سَـــفَهَ الشاتمِ

---

(١) معنى هذا البيت قديم ، طرقه النابغة الذبياني فتناهبه الشعراء من بعده ، وقد استحسنه الحيص بيص فنظمه مرتين : مرة هنا ، ومرة في احدى رائياته في صفة الجيش ، وقد تقدمت في (ص ٢٦١) . والطرف : (٢٧٣ ر ٣) . والمغوار : من الرجال ، المقاتل الكثير الغارات . والسيد : الذئب . والقشعم : المسن من النسور .

(٢) الأصل : « علا حره حتى كان استجاره » . والاشتجار : (٣٠٨ ر ٤) .

(٣) السنا : الضوء . والعرفج : شجر سهلي ، له قضبان دقاق ليس لها ورق وفي أطرافها زمع يظهر في رؤوسها شيء كالشعر أصفر .

(٤) أجلب : اختلطت أصواته وارتفعت ، ونم : ظهر وفشا .

(٥) ولغ الذئب : شرب بأطراف لسانه . وقد صحفت غينه في الأصل عيناً مهملة .

(٦) شكه بالرمح : انتظمه . والطرائد : جمع طريدة ، وهي ما طردت من صيد أو غيره . والطوى : الحزمة من البر أو البز .

(٧) الشطر الأول أخذه من قول حسان بن ثابت في مدح أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق :

حصان رزان لا تزن بريبة   وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

والحصان : العفيفة ، أو المتزوجة . والرزان : ذات الثبات والوقار والعفاف . وأتتها : في الأصل « انتحال » ، وهو تحريف عجيب . وتخطب : في الأصل « يخطب » . والنكس : الضعيف .

(٨) دارم : هو ابن مالك ، من فروع تميم (٢١٣ ر ٣) . والشبا : (١٩٦ ر ٧) .

لو رُجِمَ النّجمُ بأيدي الورى لم تُدْمِهِ قطُّ يَدُ الرّاجمِ
أقتلُ حِلماً ، ويقولُ العلى : واعجباً للقاتلِ الباسمِ !

ومنها في صفة قومه :

صِيدٌ ومن رائق أخلاقهم يشتبهُ المخدومُ بالخادمِ (١)

وقوله من قصيدة أوّلها :

أظلماً ورمحي ناصري وحُسامي ؟ وذُلّاً وعزمي قائدي وزمامي ؟

ومنها :

ولمّا التقينا بالكثيب ، وأسبلت غِزارُ دُموعٍ للفراق هوامي (٢)
ولاذت بخدّاع الصِّبا عامريّةٌ تَرومُ اغتراراً من شبابِ غُلامِ
تقاوضُني نظمَ الهوى ، ودُموعُها على الخدِّ منها غيرُ ذاتِ نِظامِ
وأعدى الدُّجى نوم الوُشاة وقد مضى هَزيعٌ ، فألقى كَلْكَلاً بإكامِ (٣)
وفاحَ النّقا من رَدْعِها ، فكأنّما أصاب من الدّاريِّ فضَّ ختامِ (٤)
بكيتُ ، فقالت : خامَرَ القلبَ حُبُّها ، فقلتُ : لغيرِ الغانياتِ غَرامي (٥)
منعتُ القِرى إنْ لم أقدْها عوابساً تَشُبُّ على الأعداء نارَ حِمامِ (٦)
فأُدرِكَ مجداً أو تجلّى عجاجتي من الطّرد عن ثاوٍ بغيرِ رَجامِ

---

(١) أنظر (ص ٢٧٤ ر ٢) .

(٢) همى الدمع : سال لايثنيه شيء .

(٣) الوشاة : النامون والساعون بالناس . والهزيع : من الليل ، الطائفة منه ، قيل : نحو ربعه . والكلكل : الصدر ، استعاره الليل محتذياً به امرأ القيس في وصفه الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

والإكام (بكسر أوله) : جمع أكمة ، وهي التل والرابية .

(٤) النقا : الكثيب من الرمل . والردع : أثر الطيب في الجسد . والداري : (٢٨٢ ر ٤) .

(٥) خامر : (٨٣ ر ٧) .

(٦) القرى : الضيافة . والحمام : الموت .

ومنها :

وكم صَوْنِ جسمٍ بعدَ موتٍ أذَلَّهُ كما ذَلَّ بالتَّصبيرِ جسمُ هِشامِ (١)

وقوله :

رأتْ جمَّ المآثِرِ من نِزارٍ مَهيبَ اللَّحْظِ يُبْدَأُ بالسَّلامِ (٢)
اذا شَهِدَ النَّدِيَّ لفصلِ حكمٍ تحفَّظَ عنـــدَهُ هَذْرُ الكلامِ

ومن مديحه في السّلطان الأعظم سِنْجَر (٣) :

اذا مـــدحتُ معزَّ الدّينِ آونةً فما زُهيرٌ بمذكورٍ ولا هَرِمُ (٤)]
إن قلتُ فالدرُّ يُخفِي حسنَ رونقِهِ أو جادَ فالبحرُ يَسْتَحْيِي ويحتشمُ

---

(١) الظاهر أنه يريد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويفسر هذا البيت ما رواه صاحب « الإمامة والسياسة » في أخباره (ص ١٠٦) ، قال : « وكان قد حبب اليــه الكاثر من الدنيا ، والاستمتاع بالكساء ، لم يلبس ثوباً قط يوماً فعاد اليه ، حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا سبع مئة بعير من أجلد ما يكون من الإبل وأعظم ما يحمــل عليه من الجمال . وكان ، مع ذلك ، يتقللها . واستبطأ صاحب العهد موته ، فناوأه وعاداه ، وانتقل عن الموضع الذي كان به ، وهو الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، فمات هشـام والوليد غائب ، فأتاه موته ، فأمر بقفل الخزائن ، فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به . واستؤذن الوليد في إقباله ، فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد ، وذلك في ثلاثة أيام » .

ولي هشام الخلافة من ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ ﻫ الى ٦ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ ﻫ ، فكانت أيامه عند الناس أحمد أيام مرت بهم ، وذكر أنه لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ، ولا أعظم قدراً ، ولا أعلى صوتاً منه . دانت له البــلاد ، وأديت له الجزية من جميع الجهـات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والســند والهند . الإمامة والسياسة (١٠٢ ــ ١٠٧) ، تأريخ الرســل والملوك (٨ / ما بين ١٧٩ ــ ٢٨٤) طبعة المطبعـة الحسينية ، الكامل (٥/٥٠ ــ ١٠٦) ، العبر (٣/٨٥ ــ ١٠٤) ، محاضرات تأريخ الأمم الإسلامية (٢/٢٢٠ ــ ٢٣٤) ، وغيرها .

(٢) نزار : (٣٠٧ و ٨) .

(٣) قدمت التعريف به في (ص ٢٣٧) .

(٤) هرم : الأصل « ارم » . وهو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، ممدوح زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات العشر ، وكان من أشهر أجواد زمانه وأرغبهم في الإحسان والمعروف . قيــل : وفدت ابنة هرم على عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال لها : ما كان الذي أعطى أبوك زهيراً حتى قابله من المدح بما سار فيه ؟ فقالت : قد أعطاه خيلا تنضى ، وإبلا تتوى ، وثياباً تبلى ، ومالا يفنى . فقال — رضي الله عنه — : لكن ما أعطاكم زهير لايبليه الدهر ، ولا يفنيه العصر . بلوغ الأرب (١/٨٥) الطبعـة الثانية ، قرائد اللآل (١/١٥٤) . وهذا البيت آخر المخروم في ل ، أنظر أوله في (ص ٢٩٦) .

ومنهـــا :

مُستبشرٌ ووجوهُ الخيـــلِ عابسةٌ ... وعابسٌ وقَوْلُ الهُجْرِ مبتسمُ [1]

وجهٌ وكفٌّ ، مضيءٌ عند مندفقٍ ، ... كما تقابلَ قَرْنُ الشمسِ والدِّيَمُ [2]

فالواهبُ الرَّخْصُ يُغني فقرَ سائلِهِ ... والواضحُ الطَّلْقُ تجلى عنده الظُّلَمُ [3]

كلُّ الملوكِ وإن جلّت مراتبُهمْ ... لِسَنْجَرٍ ومعالي سَنْجَرٍ خَدَمُ [4]

ومن قوله في الوزير أنوشروان بعد عزل الزَّينبيّ عن الوزارة [5] :

شكراً لدهري بالضَّميرِ وبالفمِ ... لمّا أعاضَ بمُنْعِمٍ عن منعمِ [6]

لا سـلوةً بل صبوة بمحاسنٍ ... بَرَدَ الوصالُ له فؤادَ المغرمِ [7]

ومنهـــا :

سَعِدَ الجَهُولُ وراحَ علمي ذائدي ... عمّا أرومُ ، فليتني لم أعلمِ

---

(١) الهجر : القبيح من الكلام .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .

(٣) الرخص : اللين الناعم من كل شيء ، ويريد به السمح . وطلق الوجه : ضاحكه مشرقه .

(٤) لسنجر : ل « بسنجر » ، وهو في ط كما أثبتناه .

(٥) قدمت ترجمة أنوشروان في (ص ٢٤٤) ، وترجمة الزينبي في (ص ٢٠٩) . وقد جاء في « الفخري » عن هذه القصيدة هذا الخبر ، والناس هم الناس في كل زمان ومكان ، وندر المعتصم بالوفاء والحرية والخلق العظيم . قال :

« وكان بين أنوشروان بن خالد وبين الوزير الزينبي عداوة وتباغض وتنافس على الوزارة ، فعزل الوزير الزينبي وتولى أنوشروان بن خالد ، فتقرب الناس اليه بثلب الزينبي ، فدخل الحيص بيص الشاعر عليه وأنشده قصيدة أولها :

شكراً لدهري بالضمير وبالفم ... لمـا أعاض بمنعم عن منعم

يشير الى أنوشروان والى الزينبي . فاستحسن الناس منه ذلك ، واستدلوا به على وفائه وحريته . ثم ان أنوشروان بن خالد مات ، وأعيد الزينبي الى الوزارة ، فتقرب الناس اليه بعيبة أنوشروان ، فدخل عليه الحيص بيص وأنشده :

بقيت ولا زالت بك النعـال ، انني ... فقدت اصطباري يوم فقد ابن خالد »

قلت : وموقف الحيص بيص هذا أعظم من موقفه الأول ، وأدل على حريته ووفائه ، لزوال مظنة التقرب الى أنوشروان بموته .

(٦) لدهري : ط « لدهر » .

(٧) بمحاسن : ط « بمجالس » .

وغدوتُ ذا حزنٍ بفضلٍ مُعاوِبٍ   غيري ، فكنتُ كمنعمٍ لم ينعمِ
واستهونَ القومُ المقالَ سفاهةً   فالفضلُ للسِّكِّيتِ لا المتكلِّمِ
وندمتُ للعمرِ المُقَضَّى عندَه   فلكادَ يقضي بالحِمامِ تندُّمي
همٌّ ثوى بينَ الضلوعِ مُبرِّحٌ   لولا الوزيرُ وفضلُهُ لم يُنْجِمِ (١)

ومنها في وصف الخائف الطريد اللاجيء الى الممدوح :

ومشرَّدٍ يبزو به فرَقُ الرَّدى   نَزْوَ المُدامةِ بالنَّزيفِ المُفعَمِ (٢)
جمِّ الظنونِ يكادُ يدرأُ خوفُهُ   محضَ اليقينِ اذا بدا بتوهُّمِ (٣)
رسبت به السُّدَفُ الضِّخامُ كأنَّه   صلدٌ توغَّلَ لُجَّ يمٍّ خضرمِ (٤)
يأوي لتعريسٍ ، فيبعثُ رجلَه   مرُّ النَّسيمِ على المكانِ المُرْثِمِ (٥)

يقول : إنّه — لتوهّم خوفه — يطل (٦) يقين الأمن عنده ، وإذا أراد التعريس ، بعث رجله (٧) ، أي عدّاه ، مرورُ النّسيم على الرّثم ، وهو نبت ضعيف ، فيخيّل له أنّ صوت ضعيف الريح على ضعيف النّبت ، طارقٌ من عدوّ .

نَسَعَ المطيّةَ ، والرَّسيمِ لِجذْرِهِ   بحجارةِ المَعْزاءِ كالمتبغِّمِ (٨)

(١) مبرح : (٣٠٩ ر ٧) . ولم ينجم : لم يقلع .

(٢) الفرق : الخوف . يبزو : يثب . والنزيف : السكران . والمفعم : الذي امتلأ من شرب الخمر . والفعم : المغضب .

(٣) هذا البيت لم يرد في ط . ويدرأ : يدفع .

(٤) السدف : جمع سدفة ، وهي الظلمة . والصلد : الصلب الأملس من الحجارة . واليم : البحر . والخضرم : الكثير الماء .

(٥) التعريس : النزول في آخر الليل للاستراحة . ورجله : ط « رحله » . والمرثم : ل « المرثم » بالثاء المثلثة ، وهو في ط كما أثبتناه . وقد فسره المؤلف .

(٦) ل : « فيطل » ، وهو في ط كما أثبتناه .   (٧) ط « رحله » .

(٨) المطية : كل ما يمتطى ظهره . ونسعها : شد لسانها بنسعة ، وهي سير ينسج عريضاً تشد به الرحال . والرسيم : سير للإبل . والمعزاء : الأرض الصلبة . والمتبغم : صحفت غينه في ل عيناً مهملة ، وهو في ط كما أثبتناه . يقال : بغمت الظبية ، أي صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . وبغمت الناقة : قطعت الحنين ولم تمده ، وبغم الأيل والوعل : صوت ، كتبغم في الكل . وبغم فلان صاحبه : لم يفصح له عن معنى ما يحدثه .

أي شدّ لسان مطيّته بنسعة ، ليكفّها عن البغام .

يهفو به ضخمٌ تخاذلَ دونهُ   نصرُ المطاع ، فبأسُهُ لم يعْصِمِ

آويتَهُ فحميتَهُ من ذُعرهِ   دونَ الرِّجال ، وكان عينَ المسلمِ (١)

وطريدِ مُجدبةٍ غلت بتراثه   شهباء مُرديةٍ كحدِّ اللَّهْذَمِ (٢)

سفعتْهُ من غبراتها عرّاقةٌ   تذرُ الحليلةَ تربةَ المتيمّمِ (٣)

مازال إخلافُ النجوم ينوشُهُ   حتّى أناب به فُويْقَ المُصرمِ (٤)

حتّى إذا ما الذَّوْدُ صرّمَ نحضَهُ   لَسُ الرُّغام بكلّ فجٍّ أقتمِ (٥)

وأقام بالصرّم العزيبِ ، فلم يُطِقْ   دركَ المعاطنِ بالالقاح الأعْظمِ (٦)

الصرّم أبيات يسيرة مجتمعة (٧) .

واشتد محْلٌ ، فاعتدت أشلاؤُهُ   للمشرفِ العيّافِ أكرمَ مطْعمِ (٨)

ـ أمّ الطريدُ نوالَ مُولي نعمةٍ   فأناخ عندكَ بالمُجيرِ المُطْعِمِ

---

(١) ذعره : ط « دعوة » .

(٢) شهباء : صفة لموصوف محذوف ، أي سنة شهباء ، وهي التي لاخضرة فيها أو لا مطر . ومردية : مهلكة . واللهذم : القاطع من الأسنة .

(٣) سفعته : لفحته . عراقة : صفة لموصوف محذوف ، أي سنة عراقة ، وهي مبالغة اسم الفاعل من عرق العظم عرقاً اذا أكل ما عليه من اللحم .

(٤) مازال : ل « فأزال » . وإخلاف النجوم : إمحاذها فلم يكن فيها مطر . ينوشه : يتناوله . والمصرم : الفقير الكثير العيال .

(٥) الذود : ط « الدود » بتصحيف الذال الأولى دالا مهملة . والذود هو ما بين الثنتين والتسع من الإبل ، وقيل غير ذلك . والنحض : اللحم ، أو المكتنز منه . وصرمه : قطعه . ولس الرغام : أكل التراب ولحسه . والفج : الطريق الواسع بين جبلين . والأقتم : الأسود .

(٦) العزيب : (٢١٥ و ٨) . والمعاطن : أوطان الإبل ومباركها حول الحياض ، واحدها معطن . واللقاح : ضبط في الأصل بكسر اللام ، فهو على هذا « الإبل » ، واذا فتح أريد الحي الذين لا يدينون الملوك . وأعظمه : فخمه وكبره ، فهو معظم ، ويقال لأكثر الشيء معظمه .

(٧) هذه الجملة وردت في ل قبل البيت ، وفي ط على الهامش .

(٨) المحل : (٢٨٨ و ٧) . والعياف : مبالغة اسم فاعل من عاف الطعام أو الشراب ، وقد يقال في غيرهما ، يعافه ويعيفه : كرهه فلم يشربه .

ومن قوله في مدح السلطان مسعود [1] :

كفيلٌ بعسّالَيْ فلاةٍ وغابةٍ ... اذا حَمِيَتْ حربٌ وطال احتدامُها [2]
فسُمْرٌ ومن ماء النُّحور شرابُها ... وغُبْرٌ وأشلاءُ الملوكِ طعامُها [3]

ومن قوله في الوزير الزينبي [4] :

كأنّ كأساً خندريسيّةً ... تعلّى بماء المزنة الهامي [5]
يُراوحُ المسكُ على شربها ... ما بين مُستافٍ ورَتّامِ [6]
صِينَتْ عن اللغو . فأقرانُها ... رزانُ أعطافٍ وأحلامِ [7]
كرامُ أخلاقِ الوزيرِ التي ... خُلِصْنَ من عابٍ ومن ذامِ [8]
أخلاقُ طلقِ الوجهِ في جِدِّهِ ... مستبشرٍ للسؤول بسّامِ [9]
خرقٌ . ندى راحتِه دائماً ... من العطايا ودمِ الهامِ [10]
دُرُّ كلامي منه مستخرَجٌ ... إذ هو لُجُّ الخِضْرِمِ الطامي [11]

ومن قوله فيه :

---

(١) قدمت التعريف به في (ص ٢٣٣) .

(٢) عسالا الفلاة والغابة : يريد بهما الذئب والرمح كما بين ذلك في البيت الثاني ، يقال : عسل الرمح : اشتد اهتزازه ، وعسل الذئب : اضطرم في عدوه فخفق برأسه . واحتدامها : التهابها .

(٣) السمر : الرماح . وغبر : صفة لموصوف محذوف ، أي ذئاب غبر . والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو ، والجسد من كل شيء .

(٤) قدمت التعريف به في (ص ٢٠٩) .

(٥) خندريسية : نسبة الى الخندريس ، وهي الخمر . والمزن : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء . والهامي : (٣١٤ ر ٢) .

(٦) يراوح : ط « تراوح » . والشرب : (٢٦٨ ر ٤) . والمستاف : المشتم . والرتام : الذي يرثم أنفه ، أي يلطخه ، بالطيب .

(٧) الأعطاف : (١٣١ ر ١) .

(٨) خلصن : ط « خلصن » . والذام : العيب ، والذم .

(٩) طلق الوجه : (٣١٦ ر ٣) .

(١٠) الخرق : (٢٤٨ ر ٨) . والهام : (٢٣٦ ر ٥) .

(١١) اللج : معظم الماء . والخضرم : (٣١٧ ر ٤) . والطامي : العالي ، الممتلىء .

وأقسمُ ما يمّمتُ بالعزمِ وجْهةً		الى أحدٍ إلّا وكنتَ المُيمَّما (١)

ولا راحَ جسمي ظاعناً عن مَقامه		بمجدكَ إلّا كانَ قلبي مخيِّما (٢)

وهل ساجدٌ بالصِّين إلّا لِكعبة الـ		ـحجازِ إذا ما كان لله مُسلما ؟

ومن قوله فيه :

اذا ما نظرتُ الى وجهه		شكرتُ الزّمانَ ولم أذْمُمِ

وهانَ عليَّ افتقادُ الغِنى		وما واجدُ المجدِ بالمُعدِمِ

وقوله في الحكمة * :

لا تَضَعْ من عظيمِ قدرٍ وإنْ كنـ		ـتَ مشاراً إليه بالتّعظيمِ

فالشريفُ الكريمُ ينقصُ قدراً		بالتّعدّي على الشّريفِ الكريمِ (٣)

ولَعُ الخمرِ بالعقولِ رمى الخمـ		ـرَ بتنجيسها وبالتحريمِ

وقوله :

وما يدفعُ المقدورَ حزمٌ ، وإنّما		يؤمّنكَ التعنيفَ من كلّ لائمِ (٤)

وقوله في الخمر والسكر ، والاعتصام بها من الهمّ (٥) ، والشكوى من العِلم :

اذا جارَ همٌّ فاعتصِمْ بمُدامةٍ		فإنّ حُميّاها لمعتصِمٍ تَحمي (٦)

وإنْ قيل : مُغْرًى بالخلاعةِ عاكفٌ

على الجهل ، قل : لا ، بل هزيمٌ من العلمِ * (٧)

وخلِّ تكاليفَ الحياةِ لِنشْوةٍ		تريكَ الغِنى المحسودَ في ساعةِ العُدْمِ (٨)

---

(١) يمم : قصد .		(٢) الظاعن : السائر .

(*) قال هذه الأبيات رداً على شاعر هجاه بأبيات ذكرها ابن خلكان في الوفيات (١/٢٠٢) .

(٣) ل : « والشريف » ، وهو في ط كما أثبتناه .

(٤) يؤمنك : ل « يؤمن » ، والتصحيح تتطلبه إقامة الوزن . ، وقد انفردت ل برواية البيت .

(٥) والاعتصام بها من الهم : لم ترد في ط .

(٦) المدامة : الخمرة . وحياها : شدتها وسورتها ، أو إسكارها .

(٧) مغرى بالخلاعة : مولع بها .

(٨) العدم : فقدان المال .

ومن كان علمُ النفسِ مما يَسُرُّهُ ... فإني امرؤٌ بالطالبيين عالِمُ

ولم أرَ في الأشياء ، والحظُّ شاهدٌ ... بما أدّعي ، شيئاً أضرَّ من الفهمِ !

ومن قوله :

كم طيلسانٍ هزمتْ حاملَهُ ... في يَلْمَقٍ حين أشكلَ الكَلِمُ (1)

والحربُ لا تنفعُ المغمودُ بها ... وإنما تنفعُ الظُّبا الخُذُمُ (2)

ومن قوله :

فقرُ الأبيّ الى إكرامِ موضعه ... أشدُّ من فقرِ ذي الإملاقِ والعَدَمِ (3)

فقُمْ لراجيك من قبل النوال تَبِتْ ... بين التواضعِ والإحسانِ في حَرَمِ (4)

تحرّكُ المُزْنِ عند السحِّ أكسبه ... جوامعَ الحمدِ من قاصٍ ومن أَمَمِ (5)

وقولـــه :

يلينُ في القول ويحنـــو على ... سامعه وهْوَ له يقصِمُ (6)

كشوكة العقربِ في شكلها ... لهـــا حُنُوٌّ وهْيَ لا ترحَمُ

(النون)

وقوله ، وقد لمس الزناد في ليلة باردة :

أنا والزّنادُ ببردهِ وتصـــبّري ... سِيّانِ في الإخفاء والكتمانِ (7)

لكنّهُ بالقدْحِ يظهرُ نارَهُ ... وسرائري أعيت على الإخوانِ

فإذا صمَتُّ فهمّـــةٌ لا ترتضي ... أن تشتكي إلا الى الرحمانِ

---

(١) اليلمق : ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ، ويسمى القباء (بالفتح) .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان ونحوه . والخذم : القواطع .

(٣) الإملاق : الافتقار .

(٤) النوال : العطاء .

(٥) المزن : (٣١٩ ر ٥) . والقاصي : البعيد . والأمم : القريب .

(٦) قصمه : كسره وأبانه .

(٧) أنا والزناد : ب « أنا كالزناد » . وسيان : مثنى سي كمثل وزناً ومعنى .

وقوله من مدحه في شرف الدّين البيهقيّ [1] :

مُطمعي في مدحهم زينتهم ... تلكم الزّينةُ خضراءُ الدِّمَنْ [2]

كلُّ حِلِّ العِرْضِ مَحْميِّ الثّرا [3] ... لا ينالُ المجدَ ما عاش ولَنْ

طيّبَ الذّمِّ له حُبُّ الغِنى ... فاستمرَّ العِرْضُ منه ومَرَنْ [4]

صبّحوا المُدْنَ بها مبثوثةً ... فتكةً تبقى حديثاً في الزّمَنْ

وخُراسانَ ، فصوناً ضافياً [5] ، ... إنّها أرضُ عليِّ بنِ الحسَنْ [6]

مستريحُ الرِّفدِ ، ما في جوده

كَدَرُ المَطْلِ ، ولا شَوْبُ المِنَنْ ! [7]

ومن قوله :

ما ضاق قوليَ عن شيءٍ أحاولُهُ ... إلا بشكر الذي أوليتَ من حَسَنِ

فإن حَصِرْتُ فقلبي أفوهُ ذَرِبٌ ... وفي الضّمائر ما يُغني عن اللَّسَنِ [8]

وقوله [9] من قصيدة في الوزير الزينبيّ [10] :

أطعتُ النّهى في نجدتي وبياني ... فأصبح سيفي مُغْمَداً ولساني

وداريتُ حتّى قيل جبناً ، وربّما ... غدا حازمٌ في أمره كجبانِ

---

(١) قدمت التعريف به في (ص ٢٧٨) .

(٢) في الحديث : « إياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما ذاك ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء » . شبه المرأة بما ينبت في الدمن من الكلأ ، يرى له نضارة وهو وبيء المرعى منتن الأصل .

(٣) ل : « كل حي العرض محمي الثرى » ، والشطر في ط كما أثبتناه . والحل : الحلال . والثرا : الثراء ، قصره للضرورة .

(٤) ط : « وقرن » .

(٥) أي صن خراسان صوناً واسعاً ، هذا هو الظاهر . وقد قدمت التعريف بخراسان في (ص ٢٩٦ ر ٢) .

(٦) هو علي بن زيد البيهقي ، والحسن من أجداده .

(٧) الرفد : العطاء . المطل : (٢٩٨ ر ٥) . والشوب : الخلط .

(٨) حصرت : عييت في المنطق ، أو لم أقدر على الكلام . وقد صحفت صاده في ل ضاداً . والأفوه : الواسع الفم . والذرب : الحديد اللسان . واللسن : الفصاحة والبيان .

(٩) ط : « ومن قوله » . (١٠) قدمت التعريف به في (ص ٢٠٩) .

سجيةُ مُنهِي النفسِ عذراً وناهضٍ … بأعباء صرفِ الدهرِ والحدثانِ (١)

يُبيحُ الليالي والرِّجال (٢) تهامُمي … وفاءً ، ومَنْ لي عندهم بأمانِ ؟

اذا أصحبت منّي سجايا مهذّبٍ … غدا أملي ذا وقفةٍ وحِرانِ (٣)

ويا رُبَّ عهدٍ حالَ من دون حفظه … أذىً وردىً في الملتقى خصمانِ

أمانٍ (٤) تفاقُ الحيّ بعد انتصاره … فلم تلفِ منهم صادقاً بمكانِ (٥)

جَشِمتُ خِطارَ الموتِ دونَ وفائه (٦) … أو الفقرِ ، والحالانِ مستويانِ

وصبرٍ تكادُ الشُّمُّ من حَمْلِ بعضِه … تكونُ وِهاداً وهْيَ ذاتُ قنانِ (٧)

نصَبْتُ له من رغبة الحمدِ كاهلاً … نُهوضاً بعبءِ المجدِ ليس بوانِ (٨)

وإنّي وأبناءَ العراقِ أولي الغنى … لمُجْتمِعا معنىً ومفترقانِ

أسارِهم أبهى حُلِيّاً وزينةً … ونَرْجِعُ والحالانِ مختلفانِ

الى صَفِراتٍ من نعيمٍ ، خِماصُها … تُكاثِرُ من تَغْشاهمُ ببطانِ (٩)

تُطارِدُ حاجاتي اليهم أبيّتي … وتعلو غِناهم همّتي بتغانِ (١٠)

اذا عطَفتني نحوَهمْ ألمعيّةٌ … وفهمٌ ، لوَاني جورُهمْ وثناني (١١)

---

(١) صرف الدهر : (٢٧٥ ر ٦) . ومنهي النفس : مبلغها .

(٢) ط : « والجبال » .

(٣) ط « وجران » وهو تصحيف . والحران : مصدر حرنت الدابـــة فهي حرون ، وهي التي اذا استدر جريها وقفت . وفي الصحاح : فرس حرون لاينقـاد .

(٤) كذا ، وفي ط : « أبان » ، ولعل صوابها « أمات » .

(٥) قبل هذا البيت في ط : « ومنها » .

(٦) ط : « حشمت حطات الموت دون وفائه » ، وهو كما ترى . وجشم الأمر (كسمع) : تكلفه على مشقة ، كتجشمه . والخطار : جمع الخطر ، وهو الاشراف على الهلاك .

(٧) الشم : جمع أشم ، وهو المرتفع . وهي صفة لموصوف محذوف ، أي الجبال الشم . والوهاد : جمع وهد ، الأرض المنخفضة . والقنان : جمع قنة ، وهي قلة الجبل ، أو الجبل المستوي المنبسط على الأرض .

(٨) الـكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . والواني : التعب ، الفاتر .

(٩) الصفرات : الخاليات . والخماص : الجياع . والبطان : العظام البطون .

(١٠) الأبية : (٢٥١ ر ٢) .

(١١) الألمعية : الذكاء المتوقد . جورهم : ط « جوهم » .

يَوَدُّون فضلي ما كَتَمتُ مآربي … فإنْ بُحتُ بِمَاتَ ٱلوُدُّ بالشَّنَآنِ (١)

ويُصغِي له ما لم يكن ذا لُبانةٍ … فإن كان لم تَنعت له أُذُنانِ (٢)

ولولا ٱلوزيرُ ٱلزَّينبيُّ ، رحلتُها … تَخُبُّ تُرَبَ لِبِيدٍ بالوَخَدانِ (٣)

تُباري نَعامَ ٱلقَفرِ بُعداً عن ٱلأذى … وتَطوي عُقابَ ٱلجوِّ بالطَّيَرانِ

ولكنَّها شُدَّت من ٱلبأسِ والنَّدى … بأروعَ صَفوِ ٱلعُنصُرَينِ هِجانِ (٤)

بأبيضَ من عُليا قُرَيشٍ مُؤمَّلٍ … بيومِ نَوالٍ أو بيومِ طِعانِ (٥)

بِمُشرِكِ نفسي بالذي هو واجِدٌ … ولو ساعدتني حالةٌ لكَفاني

ومنها في صفة ٱلجيش :

وجونٍ من ٱلنَّقعِ ٱلمُثارِ ، ولأمةٌ … ولمعُ الظُّبا برقانِ يأتلقانِ (٦)

كثيفٍ يُعيدُ ٱلجوَّ أرضاً صَليبةً … لها ٱلجيشُ داجٍ بالدِّلادِ وبانٍ

تَشابَهَ فيه وحشُهُ وجِيادُهُ … فسِيَّانِ فَرْطُ ٱلرَّكضِ والعَسَلانِ (٧)

وزاحمتِ ٱلجُردُ ٱلمَذاكي رِكابَهُ … وكلُّ زِمامٍ عابثٌ بِعِنانِ (٨)

يظلُّ كُماةٌ في الدُّروعِ ، كأنَّما … تَخُبُّ السَّعالي تحتَهُم بِرِعانِ (٩)

مَساعيرُ لا يستكرهون منيَّةً … اذا صَرَّحت في المَأزِقِ ٱلمُتداني (١٠)

---

(١) ما كتمت : « ما » مصدرية ظرفية ، أي مدة كتماني مآربي . مات : ط « بان » أي فارق . والشنآن : البغض .

(٢) اللبانة : الحاجة من غير فاقة ، بل من همة .

(٣) الوخدان : البعير ، الإسراع ، أو أن يرمي بقوائمه كمشي النعام ، أو سعة الخطو .

(٤) صفو : ط « صفر » ، وهو تحريف . والهجان : الرجل الحسيب .

(٥) نوال : ط « نزال » ، ورواية ل أفضل . والنوال : العطاء . والنزال : (٢٥٣ و ٤) .

(٦) جون : (٢٩١ و ٦) . والنقع : الغبار . واللأمة : الدروع اللامة اللينة . والظبا : (٢٢١ و ٢) .

(٧) سيان : (٢٢١ و ٢) . فرط : (٢٩٦ و ٦) . العسلان : (٣٠٨ و ٦) .

(٨) الجرد : (٢٣٦ و ٣) . والمذاكي : (٢٩٦ و ٦) .

(٩) الكماة : (٦٩ و ٨) . تخب : تسرع . والسعالي : (٢٩٣ و ٨) . والرعان : (٢٥١ و ٤) .

(١٠) المساعير : موقدو نيران الحروب . والمأزق : (٢٨١ و ٤) .

أوانسُ بالحربِ العَوانِ نفوسُهمْ كأنَّ رضاعاً بينهم بلِبانِ (١)

أعاروا نسيمَ اليومِ حرَّ ذُحولِهم فأخصره الرَّمضاءُ في الجَوَلانِ (٢)

وطارت بهم نحوَ اللقاءِ عزيمةٌ تعلَّمَ منها الشَّدَّ كلُّ حصانِ

كشفتَ برأيٍ ذي صوابٍ ونجدةٍ إليك بحبلِ المجدِ يصطحبانِ

وقوله فيه :

يجلّي العظيمةَ من غيرِ فخرٍ ويُعطي الجزيلةَ من غيرِ مِنَّهْ

ويُغلِظُ في الملتقى للكُماةِ وفيه لدى السِّلمِ لُطفٌ وحَنَّهْ (٣)

ويتّخذُ الحمدَ فرضاً عليه إذا ما رأوه بنو المجدِ سُنَّهْ (٤)

له في الرَّغائبِ بذلٌ وجودٌ وبالعِرضِ والجارِ بُخلٌ وضِنَّهْ (٥)

إذا ما المحامدُ رامَ الرِّجالُ كرائمَها ، كان أولى بهنَّهْ

من المطعمينَ ضيوفَ الشتاء بسودِ الليالي غرابيبِهنَّهْ (٦)

يحوزون فخرَ الندى والوغى إذا أطلقوا مالَهم والأعِنَّهْ (٧)

توَدُّ عزائمَ هذا الوزيـ ـرِ ومعروفَهُ سُحْبُنا والأسِنَّهْ (٨)

ويغدو لنا بأسُهُ والندى من الجورِ والفقرِ حصناً وجُنَّهْ (٩)

---

(١) العوان : (٢٠٣ و ٢) .

(٢) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . أخصره : جعله خصِراً ، أي بارداً . والرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة .

(٣) الكماة : (٦٩ و ٨) .

(٤) الحمد : ط « المجد » .

(٥) الرغائب : (٢٤١ و ٩) . والضنة : البخل .

(٦) غرابيب : جمع غربيب ، يقال : أسود غربيب حالك ، يؤكد به السواد . وأما « غرابيب سود » في الآية ، فالسود بدل ؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدم .

(٧) فخر : ط « فضل » . والوغى : الحرب .

(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، أي حديدته .

(٩) الجور : ط « البؤس » . والجنة : (٢٤٧ و ٤) .

وَسَمِعَ أَنَّ ٱلقاضي الرَّشيدَ [1] بمصرَ دخل على الأفضل [2] ، وبين يديه دواةٌ من البلّور وحليتها [3] من المرجان ، فقال :

أَلِينَ لداوودَ ٱلحديدُ كرامةً ... يُقدِّرُ منه السَّرْدَ كيفَ يُريدُ [4]

ولانَ لكَ ٱلمَرْجانُ وهو حِجارةٌ ... ومقطعُهُ صعبُ المرامِ شديدُ [5]

فقال هو [6] :

صِيغَتْ دَواتُكَ من يوميكَ ، فاشتبهتْ ... على ٱلعيونِ ببِلَّورٍ ومَرْجانِ

فيومُ سِلْمِكَ مبيضٌّ بصفوِ [7] ندىً ... ويومُ حربِكَ قانٍ بالدمِ ٱلقاني [8]

---

(١) القاضي الرشيد : هو — على ما في مرآة الزمان ٨/١٠٥ — أحمد بن قاسم الصقلي ، قاضي قضاة مصر . قدم من صقلية ، فأقام بمصر ، ومات بعد الأفضل . وله ديوان شعر .

(٢) هو أمير الجيوش أبو القاسم شاهنشاه الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني ، مدبر دولة الفاطميين بمصر ، خدمها هو وأبوه خمسين سنة . وكان أبوه نائب المستنصر الفاطمي على مدينة صور ، وقبل على عكا ، ثم استنابه على ديار مصر ، فسدد الأمور بعد فسادها ، ومات سنة ٤٨٨ هـ . فقام في الوزارة ولده الأفضل هذا ، ودبر الدولة ٢٨ سنة ، وسار سيرة أبيه في حجره وتضييقه على الخلفاء ، بل زاد على أبيه في ذلك فمنع « الآمر » من شهواته ، وأراد قتله ، فلم يطق ، وحفظه منه القهرمانة وابن البطائحي الذي خلفه على الوزارة ، فأعدوا له فاتكين من السودان ، فوثبا عليه وقتلاه في شهر رمضان سنة ٥١٥ أو ٥١٦ هـ . وكان حسن العقيدة ، عادلا ، حسن السيرة والسياسة ، جواداً ممدوحاً ، ومن أجل مزاياه إطلاقه الحرية للشعب في اظهار معتقداته والمناظرة عليها بعد أن قيدت زمناً طويلا . وفيات الأعيان (١/٢٢١) ، الكامل (١٠/٢٢٤) ، مرآة الزمان (٨/١٠٤) ، البداية والنهاية (١٢/١٨٨) ، النجوم الزاهرة (٧/٢٢٢) ، شذرات الذهب (٤/٤٧) .

(٣) ط : « حليتها » مجردة من الواو .

(٤) أنظر عن داود وعن السرد (ص ٢٢٩ ر ٢) .

(٥) روى شمس الدين أبو المظفر البجين في مرآة الزمان (٨/١٠٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها ، وزاد أن القاضي الرشيد قالها بديهاً ، وهما :

ألين لداوود الحديد بقدرة ... يقدره في السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة ... على أنه صعب المرام شديد

ثم أورد له خمسة أبيات على روي الدال يسأل بها الأفضل ، حين أجرى الماء من النيل الى القرافة ، وكان للقاضي الرشيد بها دار ، أن يجري الماء الى داره . فلما أجراه له ، أخذ يمدحه عليه سروراً بجميله ، وأورد أبو المظفر من مطلع القصيدة خمسة أبيات في الغزل على روي الكاف .

(٦) هو : لم يرد في ط . (٧) ط : بسلم .

(٨) ل ، ط : « القان » . وأحمر قانيء : (٢٤٨ ر ٩) .

وقـوله :

تبدّلَ مُرْهَفُ ٱلعزَماتِ حزماً ... وتختلفُ السّجايا بالزّمانِ
وكنتُ أجيلُها مُتَمطّراتٍ ... فما أنا لا أُفرّطُ في ٱلعِنانِ (١)

وقوله في ٱلحكمة :

لا تلطُفَنَّ بذي لؤمٍ فتطغيَهُ ... وٱغلُظْ له يأتِ مِطواعاً ومِذْعانا
إنّ ٱلحديدَ تُلينُ النّارُ شِدّتَهُ ... ولو صببتَ عليهِ ٱلماءَ مالانا (٢)

وقـوله :

تظُنُّ خطوبُ الدّهرِ أنّي بِكَرِّها ... أحاذرُ حربَ ٱلخَطْبِ وهي زَبُونُ (٣)
ولم تدرِ أنّ ٱلماءَ تحميهِ نارُهُ ... ويُطفِئُها بالطّبعِ وهْوَ سَخينُ

وقـوله :

إنْ شاركَ ٱلأدْوانُ أهلَ ٱلعُلى ... والجدِ في نسبةٍ باللّسانْ
فما على أهلِ ٱلعُلى سُبّةٌ (٤) ... إنّ بَخُورَ ٱلعودِ بعضُ الدُّخانْ
صاحِبْ أخا الشّرّ لتسطو به ... يوماً على بعضِ شِرارِ الزّمانْ
والرّمحُ لا يُرْهَبُ أنبوبُهُ ... إلّا اذا رُكّبَ فيهِ السّنانْ (٥)
إصبِرْ على الشدّة نحوَ ٱلعلى ... فكلُّ قاصٍ عندَ ذي الصّبرِ دانْ
ما لقي الضّامِرُ من جوعه ... حوى له السّبقَ بيومِ الرّهانْ
أشْجِعْ وجُدْ تحظَ بفخرَيْهما ... فكلُّ ما قدّرهُ اللهُ كانْ

---

(١) المتمطرات : الخيل التي جاءت يسبق بعضها بعضاً . والعنان : ط « للغاني » ، وهو تحريف .
(٢) الماء : ط « البحر » .
(٣) حرب الخطب : ل « خطب الدهر » ، والسياق يقتضي النص الذي أثبتناه من ط ، وانه يقال « حرب زبون » أي يدفع بعضها بعضاً كثرة ، ولا يقال « خطب زبون » .
(٤) ط : « نسبة » ، وهي تحريف . والسبة : هي العار .
(٥) السنان : (٣٢٥ ; ٨) .

لو نفعَ ٱلبخــلُ وذلُّ ٱلفتى　　　ما ٱفتقر ٱلكزُّ ومات ٱلجبان (١)

وقـوله :

إنّي وبغـدادَ كالمظلوم من قمرٍ　　　حسن وليس وراء الحسنِ إحسانُ

أغـنى بمدحي ولا أغنَى بمكرُمَةٍ　　　كخـيّـطِ السِّـلكِ يكسو وهو عُريانُ

وأنفذ اليه بعض ٱلأكابر ٱلمانعين حقّه دواةً يسأله تسويدها بمداد ، فكتب معها :

رأيتُ حوباً كبيراً غـيرَ مغتفرٍ　　　تسويدَها وهي لا تجري بإحسانِ (٢)

وسمع بعض الصُّوفيّة يُنشد (٣) :

مَرَضُ ٱلحبِّ شِفائي أبداً　　　كلما أكربني أطربني

فقـال :

فبقـائي في فَنائي فيكُمُ　　　وسروري منكُمُ في حَزَني

وٱشتريتم بوصـالٍ مُهجتي　　　ومن ٱلعدل أداء الثَّمَنِ (٤)

حسنُ ظنّي فيكُمُ ، إن خفتكم　　　دُونَ أعمالي جميعاً ، جُنَني (٥)

وإذا ٱلبلوى أفادت قُرْبَكُمْ　　　فمن النُّعمى دوامُ ٱلمحَنِ

(الهـاء)

وقوله في ٱلوزير الزَّينبيّ (٦) :

بلفظةٍ منك يَشفي داءَ مُعضلةٍ　　　أعيا على فصحاء النّاس شافيها (٧)

عمَّتَ بٱلخير أرضَ اللهِ قاطبةً　　　فظـلّ حاضرُها يُثني وباديها

(١) الكز : اليابس المنقبض ، وهي في ط : « الكنز » .

(٢) الحوب : الإثم .

(٣) زاد في ط هنا « فقال » ، وهي في ل تأتي بعد البيت .

(٤) ط : « ومن العـدل أداء الثمن » ، وهو تصحيف ظاهر . والمهجة : الدم ، أو دم القلب ، والروح .

(٥) الجنن : جمع جنة (٢٤٧ ر ٤) .

(٦) قدمت التعريف به في (ص ٢٠٩) .

(٧) المعضلة : المسألة أو الخطة الصعبة .

تلقى « عليّاً » على ما فيه من شرف   مسترسلَ ٱلمجدِ لا كبراً ولا تِيها
وكم مثالبِ أيامٍ مقــدّمــةٍ   غدوتَ بالطَّوْلِ والإحسانِ تُنسيها(1)
سهلُ ٱلقياد لراجيــه وآمــله   وفي ٱلأعادي عزيزُ ٱلنفسِ آبيها
وراءَ حُجْبِ ٱلعلى طودٌ أخو شرفٍ   أرجو نداهُ ، فإذكاراً وتنبيهـا !

(اليــاء)

وقوله في أمير ٱلمؤمنين الإمام ٱلمستضيء بأمر الله (2) أبي محمّد ٱلحسن بن ٱلمستنجد ابن ٱلمقتفي بن ٱلمستظهر لمّا بُويع بٱلخلافة في ربيع الآخر(3) سنة ستٍّ [وستّين (4)]

---

(1) ترتيب هذا البيت في ط ، ا . ات . والطول : الفضل .

(2) تقدمت ترجمته في (٩ ــ ١٨) . وتجد بقية نسبه في (ص ١٨) .

(3) « في ربيع الآخر » : لم ترد في ط . وقد تقدم في (ص ١١) أن مبايعة المستضيء بالخلافة كانت في تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مئة للهجرة . وقال ابن الجوزي في المنتظم (١٠/٢٣٣) : « بويع المستضيء بأمر الله يوم توفي المستنجد بالله البيعة الخاصة ، بايعه أهل بيته .. ثم جلس بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر في « التاج » ، فبايعه الناس ، وصلى في « التاج » يومئذ على المستنجد .. » الى أن قال : « وفي يوم الاثنين ثالث عشرين الشهر ، جلس الوزير في داره للناس ، وأنشد الحيص بيص :

أقول ، وقد تولى الأمر حبر   ولي لم يــزل براً تقيـا
وقد كشف الظـلام بمستضيء   غدا بالخلق كلهم حفيـا
وفاض الجـود والمعروف حتى   حسبناه عبــاباً أو أتيـا
بلغنـا فوق ما كنا نرجي   هنيـاً — يا بني الدنيا — هنيا
ســألنا الله يرزقنا إمامـاً   نسر به ، فأعطـانا نبيا ! !

وقال أيضاً :

يا إمام الهدى ، علوت عن الجو   د بمال وفضــة ونضــار
فوهبت الأعمار والأمن والبلـ   ـدان في ساعة مضت من نهار
فبماذا أثني عليك ، وقــد جا   وزت فضل البحور والأمطار ؟
إنمـا أنت معجز مســتمر   خارق للعقـول والأفكـار
جمعت نفسك الشــريفة بالبأ   س وبالجــود ، بين ماء ونار ! »

قال : « واحتجب الخليفة عن أكثر الناس .. » .

وفي بعض شعر الحيص بيص هــذا ، في المنتظم ، تحريف صححته بما يقتضيه السياق ، مثل كلمة « حبر » في البيت الأول ، وكلمة « عباباً » في البيت الثالث من المقطوعة الأولى ، فانهما في المنتظم « خير » و « حباباً » . وكان البيت الخامس من المقطوعة الثانية على هذه الصورة :

جمعت نفسك الشريفة بين الـ   بأس والجود ، بين ماء ونار

فأوردته صحيحاً من شذرات الذهب (٤/٢٥١) ، وهي ترويه عن المنتظم .

(4) هذه الزيادة لازمة . وقد وردت كلمة « ستين » في ط ، ولكن سقطت منها كلمة « ست » .

وخمس مئة ، وهي أبيات يسيرة [١] أعطاه بها ثلاث مئة دينار وخلعةً وداراً ، وأقطعه بها ضيعة كبيرة :

سألنا الله أن نُعطى إماماً ... نعيشُ به ، فأعطانا نبيّا [٢] !!
بلغنا فوقَ ما كنّا نُرَجّي ... هنيّاً ، يا بني الدّنيا ، هنيّا
[وقد كشف الظّلامُ بمستغيٍ ... غدا بالنّاس كلّهمُ حفيّا [٣]]

وقوله من قصيدة نظمها في ريعان عمره ، في سنة عشرين وخمس مئة :

أرادت جِواراً بالعراق ، فلم تُطِقْ ... هواناً ، فراحت تستفزّ المواميا [٤]
كأنّ نَعاماً صِيحَ في أخرياته ... جوافلها لمّا مَرَرْنَ هوافيا [٥]

المراد بالصّياح هاهنا الطّرد والغارة ، فإنّه لمّا كان من أبين الطّرد عبّر عنه [٦] [بالصّياح [٧]] .

---

(١) « وهي أبيات يسيرة » : ط « وهو ثلث أبيات » . وعدتها في ل بيتان ، وفي ب ثلاثة أبيات ، وفي المنتظم خمسة أبيات . وسيكررها المؤلف في آخر قافية الياء فيوردها في ل ، ط خمسة أبيات مختلفة عما في المنتظم بتغيير بعض ألفاظها وبتقديم الأبيات وتأخيرها .

(٢) هذا الغلو من الشاعر في المدح والخروج به الى الكفر ، لا يكون في العادة إلا من ضعف النفس وانحراف العقيدة . وقبول « الخليفة » العباسي له ، بل فرحه به ، وتشجيعه الشاعر بالسخاء عليه من أموال بيت المسلمين وهي وديعة الله في يديه ، يفسر لنا حالة الضعف التي صار اليها الخلفاء في غمرة سيول المتغلبين على الخلافة من الفرس والديلم والترك ، فكأنهم أرادوا أن يقووا وأن يستعلوا بمثل هذه المدائح الفجة المتهافتة ، غير أنها لم تزدهم الا ضعفاً وهوان شأن ، وكأن هذا الخليفة عفا الله عنه قد نسي أن سلفه انما كسبوا هذا الملك وأورثوه إياه بادعائهم ميراث « خاتم النبيين » فيهم حصراً وبلزومهم شرائع الإسلام وعقائده ، ولكن النفوس اذا ضعفت استساغت الكذب وهشت الى الباطل ، وظنت أن فيها خيراً لها كثيراً ، وما هذا الظن إلا معاذير وأخيلة فاسدة ، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً .

(٣) الزيادة من ط ، ب . والحفي : المبالغ في إكرامه .

(٤) فلم تطق : ط « فلم أطق » . والهوان : الذل . تستفز : تزعج . والموامي : جمع موماة ، وهي الفلاة .

(٥) جوافل النعام : مسرعاتها ، الذاهبات في الأرض . والهوافي : المسرعات ، والخافقات بأجنحتها ، والضوال .

(٦) لم يرد هذا الشرح في ط .

(٧) الزيادة منا .

تَجيشُ صدورُ الأرْحَبيّاتِ غضبةً فما يَدَّرِعْنَ الليلَ إلّا رَواغيا (١)

وما يَكدن يعرفن النِّفارَ عن الدُّنى ركابيَ لو لا ما رأت من إبائيا

تقيّلن أخلاقَ ٱبنِ عزمٍ مشمّرٍ على الهول لايخشى الخطوبَ العواديا (٢)

بكفكفُ غَرْبَ القولِ عن ذي سفاهةٍ ويُوسِعُ حسنَ الإطّراحِ الأعاديا (٣)

لَئِنْ جحدَتْ بغدادُ حقّي من العلى فلا البحرُ مغموراً ولا الصبحُ خافيا

تركتُ بني آدابها غيرَ حافلٍ رَذايا سُرىً يستشبحون مكانيا (٤)

إذا طار بي قولٌ الى ما أُريدُهُ كَبَتْ بهمُ أقوالُهمْ من ورائيا

وسِرْبٍ كغزلانِ الصَّريمِ نوافرٍ عن الفحش يستشرِفْنَ نحوي عواطيا (٥)

اذا ما أعتجرنَ الليلَ كتمانَ زورةٍ إليَّ، غدا جَرْسٌ من الحَلْي واشيا (٦)

تعفّي فضول الرَّيطِ سحباً على الخطا ويخفي قشيبُ العبقريِّ التناجيا (٧)

---

(١) الأرحبيات : نسبة الى أرحب ، قبيلة من همدان من قبائل اليمن ، أو فحل . كذا قاله الأزهري ، قال : ربما تنسب اليه النجائب لأنها من نسله . وقال الليث : أرحب حي أو مكان ، ومنه النجائب الأرحبيات . تاج العروس (١/٢٦٨) . وغضبة : حرفت في ط بحذف بائها . والرواغي : الإبل التي تضج برغائها ، وهو صوتها .

(٢) تقيله : احتذى مثاله . وفي ط : « تقلن » ، وهو تحريف .

(٣) غرب الشيء : حده .

(٤) الرذايا : جمع رذية ، وهي الناقة المهزولة من السير ، والذكر رذي . وفي ط : « ردايا » بالدال المهملة ، وهو تصحيف . والسرى : سير عامة الليل . والاستشباح : (٢٦٧ و ٤) .

(٥) ورد قبل هذا البيت في ط : « ومنها » . والسرب : القطيع من الظباء . والصريم (١،٢٤٦) . ويستشرفن : يرفعن بصرهن . والعواطي : جمع عاطية ، وهي التي ترفع رأسها وتتطاول الى الشجر لتتناول منه .

(٦) إعتجرن : إلتحفن . والجرس : الصوت ، أو خفيه . والواشي : النمام .

(٧) الريط : جمع ريطة ، وهي كل ثوب لين رقيق ، وقيل غير ذلك . والقشيب : الجديد ، والأبيض ، والنظيف . والعبقري : الديباج ، قال أبو عبيدة : أصل العباري صفة لكل ما بولغ في وصفه . أنظر في اللسان (عبقر) .

تضوعُ الصَّبا من غيرِ فضٍ لَطيمةٍ ... اذا مِسْنَ ما بين البيوتِ تهاديا (١)

شموسُ وجوهٍ في البراقعِ طلقةٌ ... تُقبِلُ من الوَحفِ الأثيثِ لياليا (٢)

سنحْنَ ولكأسِ العُقاريِّ هدرةٌ ... تُعيدُ حليمَ الحيِّ صَبْوانَ لاهيا (٣)

فأعرضتُ كي لا أسترقَّ لصبوةٍ ... وأغضيتُ كيما لا أغيرُ المعاليا

ومنهـــا :

وما المرزماتُ يعتسِفْنَ تنوفةً ... بواغمَ من حرِّ الفراقِ صواديا (٤)

يكادُ الصَّدى يهفو بهنَّ محلِّقاً ... الى كلِّ وِرْدٍ لو أمِنَّ المثانيا (٥)

براهُنَّ إدْمانُ الرَّسيمِ من السُّرى ... فجئنَ كأعوادِ القِسيِّ حوانيا (٦)

عشيَّةَ لا أنساعُهنَّ جواذبٌ ... لهنَّ ، ولا أقرانُهنَّ ثوانيا (٧)

اذا ضاقتِ الأُهْبُ الفسيحةُ بالجوى ... تشقَّفْنَ نسيماً أو تسمَّعنَ حاديا (٨)

— بأوجدَ منه للعلى ، غيرَ أنَّهُ ... اذا ما ونت لم يُلْهِهِ الصَّبرُ وانيا (٩)

ومنها في صفة الحيَّة (١٠) :

وما مُطرِقٌ بالرَّملِ يُخفي اهتزازَهُ ... رُواءً كعقدِ الخَيزُرانةِ خافيا (١١)

---

(١) تضوع : تفوح . واللطيمة : (٢٥٣ ر ٦) . ومسن : اختلن وتمايلن .

(٢) الوحف : الشعر الكثير الأسود . والأثيث : الكثير العظيم .

(٣) سنحن : عرضن . والكأس : مؤنثة ، وتذكيرها خطأ . والعقاري نسبة الى العقار ، وهي الخمر . والصبوان : الصابي ، ولم أجده في المعجمات .

(٤) المرزمات : النياق التي حنت على أولادها . ويعتسفن : يخبطن الطريق على غير هداية . والتنوفة : الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة ، وقيل غير ذلك . والبواغم : (٣١٧ ر ٨) . والصوادي : العطـــاش .

(٥) الصدى : العطش . والمثاني : الحبال .

(٦) براهن : هزلهن . وأدمن الشيء إدماناً : أدامه . والرسيم : (٣٠٧ ر ٥) . والســـرى : (٢٧٩ ر ٧) .

(٧) الأنساع : جمع نسعة (٣١٧ ر ٨) . جواذباً : ل « حواذباً » ، ط « جوادباً » .

(٨) الأهب : جمع إهاب (٢٩٩ ر ٩) .

(٩) بأوجد : خبر « وما » في البيت الأول . ونت : فترت . وهي في ط « وانت » .

(١٠) ط : « الجيش » ، وهو تحريف كما تدل عليه الأبيات .

(١١) « وما » : ل « ولا » ، والســـياق يقتضي ما أثبتنـــاه من ط . « يخفي اهتزازه رواء » : ط « يخفي اهتزاره دواء » ، وهو تحريف .

يُبلغْنَ مرهوبًا ، كأنّ اعتصابَهُ   حبابُ مَخيضٍ لاطَمَ الوَطْبَ راغيا (1)

يؤلُ عُصلاً [لا] بُناهُنّ هينةٌ   ضعافًا ، ولا أطرافُهنّ نوابيا (2)

تَجنّبُهُ الرُقْشُ القواتلُ خِيفةً   ويَطويهِ معتلُّ النّسيمِ تفاديا (3)

اذا اعتسَ شرابُ الهمومِ لقوته   تودّعَ خُمصانًا وأصبحَ طاويا (4)

— بأنفذَ من أقلامه في عدوّه

اذا رقشتْ فوقَ الطروسِ الدّواهيا (5)

ومنها :

بواسطَ أيدٍ لا تزال جريئةً   تُحاربُ أحداثًا وتولي أياديا (6)

تعافُ الهِرَقْليّاتِ حتّى كأنّما   تنارشُ من لمسِ النُّضارِ الأفاعيا (7)

---

(1) يلغن : جاء في حاشية ل « يلغن : أي يبعد ، أي يصل رشاش سمه الى الأماكن البعيدة » . كأن اعتصابه : لعله يريد كأن اعتصاب سمه أي تجمعه واطافته برأسه وبدنه عليه ، حباب مخض . والحباب : شبه الزبد في ألبان الإبل . والمخيض : اللبن الذي استخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه ، وقد صحفت خاؤه في ط حاء مهملة . والوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . واللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة ، لطمه يلطمه ، ولاطمه يلاطمه وملاطمة ولطاماً . والراغي : (٢٩١ ر ٥) . وقد احتذى الحيص بيص في هذه الصورة الكلامية قول أبي محمد الفقعسي ، وهو في (عصب) في تاج العروس :

يعصب فاه الريق أي عصب   عصب الحباب بشفاه الوطب

(2) يؤل : يحدد ، وهي في ط « يؤلك » . والعصل : جمع أعصل ، وهو الناب الأعوج . « لا » : مزيدة من ط . والبنى (بكسر الباء وضمها) : جمع البنية ، وهي ما بنيته . والنوابي : الكالات ، يقال : نبا السيف ، أي كل عن الضريبة .

(3) تجنبه : تتجنبه . والرقش : الحيات المنقطة بسواد وبياض .

(4) صورة الشطر الأول في ط : « اذا اعتس شرابا الهوام لقوته » . واعتس : طاف بالليل ، وفي المثل : « كلب اعتس خير من كلب ربض » . وشراب : في ل « سراب » ، وهو تصحيف . ورجل خمصان : ضامر البطن . وطاو : لم يأكل شيئاً .

(5) بأنفذ : خبر « ما » في البيت الأول .

(6) واسط : (٣٩ ر ٥) . لا تزال جريئة : هي رواية ط ، أما ل فالذي فيها « لا تنال حرية » .

(7) الهرقليات : الدنانير ، نسبة الى هرقل ملك الروم ، قال الجواليقي في المعرب (٢٧٧) : « وكانت الدنانير في صدر الإسلام تحمل من بلاد الروم . وكان أول من ضربها للمسلمين عبد الملك بن مروان » . وفي كلام الجواليقي خطأ ونقص ، أحيلك في بيانها على كتاب المواهب الفتحية (٢٥٢/١) . والنضار : الجوهر الخالص من التبر .

خزائنُهمْ أيدي ٱلعُفاةِ ، لأنّهم ... رأوها على مرّ الزّمانِ ٱلبواقيا (١)

وقوله في ٱلوزير الزّينبيّ (٢) :

شموسُ ٱلمواضي إن بعثتَ ٱلأمانيا ... وظلُّ ٱلعوالي إن أردتَ ٱلمعاليا (٣)

وَعدّ عن ٱلأرضِ ٱلّتي لتعيبها ... سواك ، ولو أدركته كنت عانيا (٤)

لحى اللهُ مجهودَ ٱلفؤادِ من ٱلأذى ... اذا هو لم يستخلصِ ٱلعَزمَ شافيا (٥)

فما أحرز ٱلآمالَ مثلُ مهـاجرٍ ... اليها ، وفات النُّجحُ من بات ثاويا

عَصيتُ إبائي إذْ أطعتُ مَطامعي ... ولو كنتُ شهماً ما أطعت إبائيا (٦)

وما زلتِ مقلاقَ ٱلوَضينِ الى السُّرى ... جرئياً كصدرِ ٱلهُنْدُوانيّ ماضيا (٧)

يسابقُ همّي بٱلخطوب رواحلي ... الى نازحٍ يُضحي عليهنّ دانيا (٨)

الى أن تحاماني الظّلومُ ، وأذعنت ... لفضلي نفوسٌ لا تودُّ ٱلقوافيا

وها أنا عند ٱليوم أرضى بخُدعةٍ ... وأقنعُ أن أُدعَى لبيباً مُداريا

ومنها في وصف ٱلبرد وٱلجدْب وٱلقُرّ (٩) :

إذا أخمدَ النّيرانَ رَيْعانُ زعزعٍ ... بعيدُ ذكيّ ٱلجمرِ قرّانَ شاتيا (١٠)

---

(١) العفاة : طلاب المعروف .

(٢) قدمت التعريف به في (ص ٢٠٩) .

(٣) المواضي : السيوف القواطع . والعوالي : الرماح .

(٤) العاني : التعب . وهي في ط : « غانيا » ، أي ذا غنى .

(٥) لحى الله فلاناً : قبحه ولعنه . والعزم : في ط « الغرم » ، وهو تصحيف .

(٦) ما أطعت : كذا في ل ، ط . والسياق يوجب أن يكون « ما عصيت » .

(٧) الوضين : للهودج ، بمنزلة الحزام للسرج ، ويقال : « هو مقلاق الوضين » اذا كان كثير الأسفار . والسرى : (٢٧٩ ر ٧) . والهندواني (٣١٠ ر ١٠) .

(٨) يسابق : ط « تسابق » .

(٩) الجدب : المحل ، وانقطاع المطر . والقر : (٢٣٢ ر ٢) .

(١٠) ريعان كل شيء : أوله . وريح زعزع : تزعزع الأشياء . والقران : المقرور ، ولم أجده في المعجمات .

وخرّت على الأحفاض كلُّ معمَّدٍ ... أطال الرواسي في الثرى والأواخيا (1)

وجعجع قُرُّ الليل من فرط صرّه ... شِداد الصفايا والعِشارَ المواليا (2)

وزاول راعي الذَّودِ عهداً، فلم يُطِق ... وفاءً، ولم يبرحْ أميناً ووافيا (3)

ومالت الى الصّرمِ العزيبِ جوافلٌ ... رَبَيْنَ القِداحَ الجُمَّ للدهرِ قاصيا (4)

على حينِ غبراءِ المطالعِ أزمةٌ ... تُعيدُ غنيَّ الحيِّ خُمصانَ عافيا (5)

تساوى بها نِينانُ لُجٍّ وكُنَّسٌ ... بوجرةَ يرأمْنَ الظِّباءَ الجوازيا (6)

فأضحت وكثبانُ الصّريمِ وعالجٍ ... من المحلِ قد شاكهْنَ نِهْياً ووادِيا (7)

قرى شرفُ الدين الغِنى، وأبت له ... معاذرُهُ أن يحتبسنَ الطّواهيا

وقوله في الحكمة :

يزيدُ في عزِّ الفتى ذُلُّهُ ... حيناً وإن كان له آبيا

---

(1) الأحفاض : كتبت في ل ، ط بالظاء خطأ ، وهي الأمتعة ، واحدها حفض كأسباب وسبب ، قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

ونحن اذا عماد الحي خرت ... على الأحفاض نمنع ما يلينا

والخباء المعمد : المنصوب بالعماد . والرواسي : العمد الثوابت وسط الأخبية . والأواخي : جمع آخية ، وهي عود في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة ، والآخية : الطنب .

(2) جعجع البرد الإبل : حركها ، أو جعلها تصوت ويجتمع بعضها الى بعض . والقرط : (٢٩٦ر٦) . والصر : شدة البرد . والصفايا : النياق الغزار اللبن ، واحدتها صفي . والعشار : (٢٣٣ ر ١) . والموالي : المنعم عليها .

(3) زاول : عالج ، وحاول . والذود : (٣١٨ ر ٥) .

(4) الصرم : (٣١٨ ر ٥) . والعزيب : (٢٣٢ ر ٤) . والجوافل : (٣٣٠ ر ٥) . والقداح : (٣١٨ر٦) .

(5) غبراء المطالع : سنة غبراء المطالع ، لقلة مطرها . أزمة : شديدة القحط . والخمصان : (٢٣٣ ر ٤) . والعافي : طالب المعروف .

(6) النينان : الحيتان ، واحدها نون . وكنس : صفة لموصوف محذوف ، أي ظباء كنس ، يقال : كنس الظبي ، دخل في كناسه ، وهو مستتره في الشجر . ووجرة : (٢٥٠ ر ١) . يرأمن : يعطفن . والجوازي : الوحش ، أصلها الجوازيء بالهمزة وقد خففت للضرورة .

(7) الصريم : (٢٤٦ ر ١) . وعالج : (٣١٢ ر ٤) . وشاكهن : شابهن . نهياً : ل « نهباً » بالباء الموحدة ، ط « نهيا » بغير نقط ، وصوابه بالياء المثناة ، وهو الغدير أو شبهه .

كسابقٍ قصّر عن غايةٍ　　　فكان بالسُّوطِ لها حاويا [1]

ولمّا بويع للإمام المستضيء بأمر الله بالخلافة، قال فيه [2]:

أقول، وقد تولّى الأمرَ حَبْرٌ　　　وليٌّ لم يزلْ بَرّاً تقيّا
وقد كشف الظلامُ بمستضيءٍ　　　غدا بالنّاس كلِّهِمُ حَفِيّا
وفاض الجودُ والمعروفُ حتّى　　　حسبتُهما عُباباً أو أتِيّا [3]
سألنا اللهَ يُعطينا إماماً　　　نُسَرُّ به، فأعطانا نبيّا!؟ [4]
بلَغْنا فوقَ ما كنّا نُرَجّي　　　هَنيئاً، يا بني الدنيا، هنيّا

ومن المراثي

مراثي الحيص بيص

قوله من قصيدة في مَرْثِيَة ملك العرب دُبَيس بن صدقة [5]:

هَبْني كتمتُ لواعجَ البُرَحاءِ　　　فمَنِ المكتِّمُ عَبرتي وبكائي [6]؟
لاتهَ عن قلقي، فإنّ تصبُّري　　　فيما ألمّ مُبايِنٌ لوفائي
كيف التصبُّرُ، والهمومُ أسِنّةٌ　　　يَخطِرْنَ بينَ حيازمي وحشائي [7]؟
كيف التصبُّرُ، والرزيّةُ بالذي　　　جلّتْ رزيّتُهُ عن الأرزاءِ؟
بمُطارِدِ الأيّامِ في آمالِه　　　كطِرادِه في مأزِق الهيجاءِ [8]
والمالِئِ الدنيا بذكر مناقبٍ　　　صُرِّفْنَ بينَ السيرِ والإرساءِ
بفتى النّدى والبأسِ والمُرضي العلى　　　في يومِ مَكرُمةٍ ويومِ لِقاءِ

---

(1) ورد هذان البيتان في ط بعد الأبيات التي تليها.
(2) أنظر (ص ٣٣٠).
(3) العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه. والأتي: (٢٣٠ ر ٩).
(4) أنظر (٣٣٠ ر ٢).　　(5) قدمت التعريف به في (ص ٣٥ ر ٦).
(6) هبني: (٢٩٦ ر ٤). واللواعج: (٢٩٦ ر ١). والبرحاء: (٢٧٦ ر ٤).
(7) الأسنة: (٣٢٥ ر ٨). يخطرن: يتبخترن، ويقال: خطر الرمح، أي اهتز. والحيازم: جمع حيزوم، وهو الصدر أو وسطه.
(8) المأزق: (٢٨١ ر ٤). والهيجاء: الحرب.

بأبي الأغرِّ ، وأيُّ كنيةِ ماجدٍ … فقدَ الزّمانُ ، وأيُّ خِدْنِ علاءِ (١) !
مَنْ طالما شجُعَ الرَّدى ، فأعاده … من بأسه والرّأي في الجبناءِ
وتجمّعتْ غِيَرُ الزّمانِ ، فردَّها … مفلولةً بأسنّةِ الآراءِ (٢)
وتضايقتْ خُطَطٌ به ، فأباحها … خُدَعًا قضَيْنَ لمخلصٍ ونجاءِ
طرقَ النّعيُّ ، فلم يكن لي مسمعٌ … يُصغي الى المكروهة الرّوْعاءِ (٣)
وطفِقتُ أتّهِمُ الحديثَ كغيرِه … من سائرِ الأخبارِ والأنباءِ
فإذا الرَّدى قد أمكنته غِرّةٌ … من قِرنه ، فجرى بلا إبقاءِ (٤)
لاطعمَ بعدَ أبي الأغرِّ لحالةٍ … وإنِ اكتست من رونق وبهاءِ
صُرِعتْ لمصرعه المقاصدُ والمُنَى … فالنّاسُ كلُّهُمُ بغير رجاءِ
تركَ الجنودَ بضيعةٍ من بعده … يمشونَ للأرزاق في عشواءِ (٥)
ما زال يُعطيهم ، ومن لم يُعطِه … فرَضَ العطاءَ له على الأعداءِ
فلتَبكِهِ البيضُ الصّوارمُ والقنا … والسّابقاتُ لواحقُ الأمطاءِ (٦)
وليَبكِهِ اليومُ العصيبُ من الوغى … يغزو بكلِّ كتيبةٍ حمّاءِ (٧)
وليَبكِهِ رأدُ الصّباحِ أعادَهُ … بطِرادِه كالليلةِ الليلاءِ (٨)

---

(١) أبو الأغر : كنية الممدوح . والخدن : الصاحب .
(٢) غير الزمان : أحداثه المغيرة .
(٣) النعي : الإخبار بالموت . والمكروهة الروعاء : هي التي تروع بشدتها وعنفها .
(٤) الغرة : الغفلة . والقرن : كفؤك في الشجاعة ، أو عام .
(٥) العشواء : الظلمة .
(٦) لواحق الأمطاء : ضوامر الظهور ، وواحد الأمطاء مطا ، والمعروف من وصف الخيل بالضمور أن يقال : فرس لاحق الأيطل أي الخاصرة ، ولاحق القرب أو الأقراب ، والقرب الخاصرة أو من لدن الشاكلة الى مراق البطن .
(٧) الوغى : الحرب . والكتيبة : الجيش ، أو جماعة الخيل اذا أغارت على العدو من المئة الى الألف . والحماء : الصلبة في القتال .
(٨) رأد الصباح : ارتفاعه ، والمعروف في الاستعمال رأد الضحى .

وَلْيَبْكِهِ اللطفُ الّذي لم تُؤْتَهُ ... خمرٌ، ولم يُرْزَقْهُ صفوُ الماءِ
وتألُّفُ القلبِ الشديدِ بمنطقٍ ... أغنى مُؤَمِّلَهُ عن الإعطاءِ (١)

ومنها :

لِلهِ مَنْ ودَّعتُ يومَ مُراغَةٍ ... والدّمعُ منحدرٌ بغيرِ رياءِ (٢)
أسفاً على بُعدِ المزارِ، وكيف لي ... ببعيدِ دارٍ كافلٍ ببقاءِ ؟
أعددتُهُ لشدائدي ، فأصابني ... من فقده بالشدّةِ الصّمّاءِ
هجرَ الجيوشَ ، وحلَّ بين كتائبٍ ... مستسلمينَ لحادثٍ وقضاءِ
سدِكاً برَمْسٍ لا يريمُ ، وطالما ... نَخَلَتْ سوابقُهُ من الإنضاءِ (٣)

ومنها في صفة الموتى (٤) :

في معشرٍ أغضوا على جورِ الرّدى ... بالرّغم منهم أيّما إغضاءِ (٥)
رقدوا على غيرِ الكرى ، وتوسّدوا ... بعدَ الرّحالِ نمارقَ الدّهناءِ (٦)
وتضمّخوا دُفَعَ الصّديدِ ، وطالما ... رَغُوا بكلِّ لطيمةٍ ذَفْراءِ (٧)
قد شوّهَ الحسنَ البِلى بوجوههم ... وأسالَ كلَّ كحيلةٍ نجلاءِ
النّومُ بعدكَ للجفونِ محرّمٌ ... إلّا الغِشاشَ وعالطَ الإغفاءِ (٨)
ولقد شفى نفسي ، وهوّنَ وجدَها ... حِلفُ العُلى وبقيّةُ الكرماءِ (٩)

---

(١) الشديد : ط « الشريد » .   (٢) مراغة : (٢٩ ر ٣) .
(٣) سدك به « كفرح » سدكاً وسدكاً : لزمه . والرمس : القبر . لا يريمه : لا يبرحه . نخلت سوابقه : هزلت أفراسه السوابق . وأنضاه إنضاء : هزله .
(٤) هذه الجملة في ل قبل البيت السابق ، وإنما مكانها هنا كما في ط .
(٥) أغضى : أدنى الجفون ، وأغضى على الشيء : سكت .
(٦) النمارق : (٢٧٩ ر ٨) . والدهناء : الفلاة .
(٧) رغوا : (٣١٩ ر ٢) . واللطيمة : (٢٥٣ ر ٢) . ولطيمة ذفراء : جيدة الى الغاية .
(٨) الغشاش : القليل أو غير مريء . وعالط الإغفاء : ط « وغالط الإخفاء » ، والكلمة الأولى وجه ، والثانيـة محرفة . والعالط : اسم فاعل من علط البعير اذا وسم عنقه بالعرض . ولعل الصحيح « عابط » أو « غابط » ، وكلاهما بمعنى كاذب .   (٩) حلف : ط « خلف » .

مَنْ كلَّما نظرت اليه عيونُنا ... عدّتك في الباقين والأحياءِ

ومنها :

أنا منكُمُ ، فارْعَوْا عهودَ مودّتي ... ولكم كريمُ مدائحي وثنائي [1]

أوجبتَ حقًّا في أبٍ لم يَقضِهِ ... وجزاءهُ أرجو من الأبناءِ

وقوله في مرثية جلال الدين محمّد بن أنوشروان الوزير [2] :

وكنتُ اذا ناديتُهُ لمُلمّةٍ ... أتاني جريئًا مُلغيًا للعواقبِ

اذا استطاع نصرًا ، شدّ شِدّةَ ضيغمٍ ... وإلّا فباكٍ لي بكاءَ الحبائبِ

يهونُ عليه وَهْنُهُ بصِياتي ... وبذلتُهُ ماءَ قدري وجانبي

ولم أدرِ أنّ الموتَ إثرَ محمّدٍ ... يُساوِقُ أعناقَ الصَّبا والجنائبِ [3]

وأنّ رجائي في مساعيه ضِلّةٌ ... ولم يبقَ منه غيرُ موقفِ راكبِ [4]

وممّا شجاني فقدُهُ وهو يانعٌ ... نضيرٌ كغصنِ البانةِ المتلاعبِ [5]

وأنّ الليالي لم تُطعه لبُغيةٍ ... ولم يروَ من ماءِ المُنى والمطالبِ [6]

فوا أسفا والصّبُّ تُحرقُهُ النّوى ... لمُختَرَمٍ كالبدرِ بين الكواكبِ [7] !

فقدتُك فقدَ الصّاديات طليحةً ... على العِشرِ والتأويبِ، عذبَ المشاربِ [8]

---

(١) لم يرد هذا البيت في ط .

(٢) قدمت التعريف بالوزير أنوشروان في (ص ٢٤٤) .

(٣) أنظر (٢١١ و ٩) . (٤) الضلة : الضلال .

(٥) شجاني : حزنني ، وهو شج وهي شجية « على فعلة » . واليانع : الناضج ، يقال : ينع الثمر ، أي نضج . والنضير : ذو الحسن والرونق واللون المشرق . والبانة : واحدة البان (٢٩٥ و ٨) .

(٦) البغية (بكسر الباء وضمها) : الحاجة .

(٧) تحرقه : ل ، ط « يحرقه » ، والصواب تأنيثه ، لأن النوى — وهي البعد — مؤنثة لاغير . واخترم فلان عنا « مبنياً للمفعول » : مات ، فهو مخترم ، واخترمته المنية : أخذته .

(٨) الصاديات : أراد الإبل الصاديات ، أي العطاش . والطليحة : المعيبة ، يقال طلح البعير : أعيا ، وطلح فلان بعيره : أتعبه ، كأطلحه وطلحه فيها . والعشر : ورد الإبل اليوم العاشر أو التاسع . والتأويب : السير جميع النهار ، أو تباري الركاب في السير .

بَراهُنَّ إدْمانُ الرَّسيمِ [1] ، وهُدِّمَتْ
من الوَجدِ أشرافُ الذُّرا والغواربِ [2]

فلمّا رَجَوْنَ الماءَ حيثُ عَهِدْنَهُ أنَخْنَ بجَعْجاعٍ من القفرِ عازبِ [3]

فأصبحن يفحَصْنَ العَزازَ تـلدُّداً
وقد حالَ خطبٌ بين وِرْدٍ وشاربِ [4]

وأُقسِمُ إنَّ الموردَ العذبَ دُونَ ما
فقَدْتُ ، ووجدي فوق وجدِ الرَّكائبِ [5]

لكَ اللهُ ، أمّا الصّبرُ فهو مُبايِني عليك ، وأمّا الحزنُ فهو مُصاحبي [6]

وليس الى سُلوانِ وُدِّكَ مَـذهبٌ
ولا شَعَفي ، إنْ حالَ موتٌ ، بذاهبِ [7]

ومنها [8] :

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ ، ياخيرَ حاضرٍ أعانَ على الجُلّى ، وياخيرَ غائبِ [9]

سأبكيك ما سحَّ الغمامُ ، وغرَّدَ الـ حمامُ ، وما أجَّتْ ظِباءُ السَّباسبِ [10]

وقوله في مرثية نوشروان [11] الوزير :

---

(١) أنظر (٣٣٢ ر ٦) .
(٢) الوجد : الحزن . والأشراف : (٢٢٥ ر ٤) . والذرا : الأعالي . والغوارب : (٢١٢ ر ١) .
(٣) الجعجاع : (٢٧٥ ر ٢) . والعازب : البعيد .
(٤) يفحصن : ل ، ط « يفصحن » ، وهو تحريف . والفحص : البحث ، وشدة الطلب خلال كل شيء . وربما قالوا : فحص المطر التراب اذا قلبه ونحى بعضه عن بعض . وذلك اذا اشتد وقع غيثه . والعزاز : الأرض الصلبة . والتلدد : التحير .
(٥) الركائب : (٢٧٠ ر ٧) . (٦) باينه : فارقه ، فهو مباينه .
(٧) الشعف : (٦٦ ر ٧) . إن حال موت : أي إن حال الموت بيننا فليس شعفي بذاهب .
(٨) لم ترد في ط .
(٩) ل : « أعلى الحلي وياخير غايب » ، ط : « أعان على الجل ياخير غايب » . والجلى : الأمر العظيم .
(١٠) أجت : عدت ولها حفيف . والسباسب : جمع سبسب (٢١٤ ر ٦) .
(١١) كذا في ل ، ط . والمعروف « أنوشروان » كما تقدم في التعريف به (ص ٢٤٤) . وقد ورد في شعر الحيص بيص (ص ٢٦٦) : « نوشروان » ، وهو محمول على الضرورة .

بَقِيتَ ، ولا زَلَّتْ بكَ النَّعلُ ، إنَّني
فقدتُ اصطباري عندَ فقدِ ابْنِ خالدِ [1]

فتىً عاشَ محمودَ المَساعي ممدَّحاً ... وماتَ نقيَّ العِرضِ جَمَّ المحامدِ

[* وقوله يرثي أخاه :

دَعُوا دمعي بيومِ البَيْنِ يجري ... فقد ذهبَ الأسى بجميلِ صبري
وكيف تصبُّري وأخي رَهِينٌ ... بأرضِ الشَّامِ في ظلماءِ قبرِ [2]
بحارةِ غُربةٍ من أرضِ حِمْصٍ ... لقد غدرَ الزَّمانُ وأيُّ غدرِ [3]
أعنه أسامُ سُلواناً وصبراً ؟ ... سأندُبُهُ ولا خنساءَ صخرِ ! [4]
فإنْ عجزَتْ عن النَّدْبِ القوافي ... بعثتُ الدَّمعَ نظماً غيرَ نثرِ
فقدتُ أخي ، وكان أخي ظهيري ... على الحدثانِ ، ممتاعاً لأمري [5]
فقدتُ مهنَّداً عضْباً جُرازاً ... يَقُدُّ بكلِّ رائعةٍ ويَفري [6]

---

(١) أنظر (ص ٣١٦ ر ٥) .

(*) من هذا الموضع الى السطر الثاني في (ص ٣٤٤) ، تفردت به ط .

(٢) الشام : في حدودها كلام مستوفى في معجم البلدان (٢١٩/٥) ، وخطط الشام (١ / ٤٩) .

(٣) حمص : بلد مشهور قديم ، بين دمشق وحلب في نصف الطريق . معجم البلدان (٣٣٩/٣) ، ومنجم العمران (١٧٨/٢) .

(٤) الخنساء : بنت عمرو بن الشريد السلمية ، الشاعرة المشهورة ، وفدت مع قومها من بني سليم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت معهم ، وكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها ، وكانت تنشده ، وهو يقول : هيه يا خناس ، ويومىء بيده . وعاشت حتى حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فحرضتهم على القتال وعدم الفرار ، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً . فلما بلغها الخبر ، قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ، تعني الجنة . وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعطيها أرزاقهم حتى قبض . وصخر : هو أخوها لأبيها ، وقد أضافها الشاعر اليه ، لأنها أكثرت من رثائه ، وكان فتى حليماً جواداً محبوباً في عشيرته ، وكان يبر الخنساء ويقاسمها ماله . الإصابة (٦٦/٨) ، الأغاني (راجع الفهرست) ، خزانة الأدب البغدادي (٣٩١/١) من طبعة المطبعة السلفية ، معاهد التنصيص (١١٧/١) ، ديوان الخنساء « طبعة بيروت » ، المدخل في تأريخ الأدب العربي « لنا » (٢١٦/١) .

(٥) الظهير : المعين .

(٦) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والعضب : السيف القاطع ، ومثله الجراز . يقد : يقطع . ويفري : يقطع ويشق .

إذا ما شِمْتهُ لِقِـــراعِ خطبٍ   جلا الغمّاءَ عن وجهي وصدري (١)

ومنها :

أنا الباكي اذا فارقتُ خِلّاً   فكيف أخي وخالصتي وأزْري (٢)

وقوله يرثي بعض أمراء الأكراد ، واسمه المظفّر ، وكان أصيب في حرب :

أقولُ ، ودمعي مستهلٌّ : وددْتني   نُعيتُ ، ولم أسمع نعيّ المظفّرِ (٣)

كأنّ شبا مرورةٍ فارسـيّةٍ   أصاب فؤادي من حديث المخبّرِ (٤)

فبتُّ قتيلَ الهمّ والحزنِ بعدهُ   وباتَ قتيلَ الذّابلِ المتأطّرِ (٥)

نَعَوْا فارسَ الخيلِ المغيرةِ بالضّحى   ومختلسَ الأرواحِ تحت السّنوّرِ (٦)

فتى لم يكن جَهْماً [ولا] ذا فظاظةٍ   ولا بالقطُوبِ الباخلِ المتكبّرِ (٧)

ولكن سَموحاً بالوداد وبالنّدى   ومبتسـماً في الحادث المتنمّرِ

سَقى ابنَ أبي الهيجاء صائبُ مُزْنَةٍ   كفيضِ يديهِ الهاطلِ المتحدّرِ

بكيتُ عليه حيثُ لم يُدركِ المنى   ولم يروَ من ماء الحياة المكدّرِ

وهوّنَ وجدي أنّه مات ميتة الـ   كِرامِ صريعاً بينَ مجدٍ ومفخرِ

كأنّ دمَ النّجلاء تحتَ بُرُودِهِ   لطيمةُ مِسكٍ في إهابِ غضنفرِ (٨)

---

(١) شمته : سللته . والغماء : الكرب والحزن .

(٢) الخالصة : الخدن ، ومن كان من خاصتك . والأزر : الظهر ، والقوة .

(٣) مستهل : منصب . والنعي : (٣٣٧ ر ٣) .

(٤) الشبا : (١٩٦ ر ١) . مرورة : كذا وردت براءين ، فتأمل .

(٥) الذابل المتأطر : الرمح اللين المتثني

(٦) السنور : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع .

(٧) رجل جهم الوجه : أي كالح الوجه . « ولا » : ليست في الأصل ، وزدناها ليستقيم الوزن . والفظاظة : غلاظة الطبع ووعورة الأخلاق .

(٨) النجلاء : صفة لموصوف محذوف ، أي الطعنة النجلاء ، وهي الواسعة . وبروده : ثيابه . واللطيمة : (٢٥٣ ر ٢) . والإهاب : (٢٩٩ ر ٩) .

وقوله في مرثية الأمير عنتر بن أبي العسكر، والثناء على أخيه مهلهل [1] :

أسى وسرورٌ، ناصرٌ ومخذّلُ ... أتاحهما لي عنترٌ والمهلهلُ
فماضٍ بكت عيني لفقدِ كمالِهِ ... وباقٍ لِما فيه من المجد أجزلُ

ومنها :

سقى عنتراً، والدمعُ لو لا جِوارُهُ ... أحقُّ به، هامٍ من المُزْنِ مُسْبِلُ [2]
قضى نَحْبَهُ جمُّ الثناء كأنما ... يَشُبُّ على النادي بذكراهُ مَنْدَلُ [3]

ومنها :

لِيَبْكِ عليه معركٌ وكتيبةٌ ... ويندُبْهُ نادٍ ذو سَراةٍ ومحفلُ [4]

---

(١) عنتر بن أبي العسكر : هو الأمير عنتر بن أبي العسكر الجاواني الكردي، من قواد العسكر في إمارة الحلة المزيدية في الثلث الأول من القرن السادس الهجري. أقيم مدبراً للأمير صدقة بن دبيس المزيدي، وشارك في الحرب بين السلطان مسعود وبين الملك داوود ومن معه من الأمراء، فوقع هو والأمير صدقة بن دبيس وأمراء آخرون في قبضة الأمير بوزابه صاحب فارس، فقتلهم جميعاً صبراً، وذلك في أواخر سنة ٥٣١ هـ. أما مهلهل أخوه، فقد جعله السلطان مسعود مدبراً لمحمد بن دبيس الذي أقره على الحلة بعد قتل أخيه صدقة ابن دبيس في الحادث المذكور، وآلت ولاية الحلة اليه في سنة ٥٥١ هـ. أنظر أخبارهما في المنتظم (١٠/١٤٨)، والكامل لابن الأثير (١٠/٢٢٨، ٢٣١ و ١١/١٥، ٢٥، ٤٣، ٨٦)، وزبدة النصرة (١٨٥)، وأخبار الدولة السلجوقية (١١٠).

وكان بين هذين الأميرين وبين الحيص بيص صحبة ومودة دل عليها هذا الشعر من رثائه للأول وثنائه على الثاني، وخبر ساقه ابن خلكان في ترجمة الشاعر في الوفيات (١/٢٠٢) وهو خبر طريف، ولإيراده هنا موقع، قال : « وكان له « للحيص بيص » حوالة بمدينة الحلة، فتوجه اليها لاستخلاص مبلغها، وكانت على ضامن الحلقة، فسير غلامه اليه، فلم يعرج عليه، وشتم أستاذه، فشكاه الى والي الحلة وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجاواني، فسير معه بعض غلمان الباب ليساعده، فلم يقنع أبو الفوارس « كنية الحيص بيص » منه بذلك، فكتب اليه يعاتبه، وكانت بينهما مودة متقدمة : « ما كنت أظن أن صحبة السنين ومودتها يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار، بل كنت أظن أن الحُبيس المجتل لو عرض لي لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلب الرقاب. فكيف بعامل سويقة، وضامن حلية وحليلة، ويكون جوابي في شكواي أن ينفذ اليه مستخدم يعاتبه، ويأخذ ما قبله من الحق ؟! لا، والله.

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وبالله أقسم وبنبيه وآل بيته لئن لم تقم لي حرمة يتحدث بها نساء الحلة في أعراسهن ومناحاتهن، لا أقام وليك بحلته هذه ولو أمسى بالجسر والقناطر. هبني خسرت حر النعم، أأخسر أبيّ ؟ واذلاه !! والسلام ».

(٢) هام : (٣١٤ ر ٢). المزن : (٣١٩ ر ٥).

(٣) النحب : المدة والوقت، وقضى نحبه : أي مات. والمندل : (٢٨٢ ر ٣).

(٤) الكتيبة : (٣٣٧ ر ٧). والسراة : الأشراف، الواحد سري.

ومنهـــا :

ولو أنّني أنصفت في حكم ودّه ... لِبتُ وكُـلّي في مَراثيه مِقـوَلُ (*)]

وقال في مرثية ولد الخليفة المسترشد بالله (١) :

نبـــأ عادَ له الصّبحُ دُجىً ... ودُعافاً رَيّقُ الماءِ الزُّلالِ (٢)
جَلَّ أن يبـكيَ دموعاً ، فجرت ... أعينُ الحيّ بمحمّرٍ مُـذالِ (٣)
وانثنت من حَزَنِ الدّهرِ به ... غُرَرُ الآمالِ سُوداً كالليالي
وعلا عن نُدبةٍ من بشــرٍ ... فرثاه المجــدُ مفهومَ المقالِ (٤)

ومنهـــا :

قســماً ، لولا الإمامُ المجتبى ... باقياً لم يُلفَ قلبٌ لك ســالِ
ما ظننتُ الموتَ يُعفي بأســهُ ... وسُـطاه في بحورٍ وجبــالِ (٥)
لا ولا خِلتُ الثّرى من طوقــه ... أن يُجِنَّ البدرَ من بعدِ كمالِ (٦)
إنْ عصى موتٌ فقد صرّفتهُ ... آمراً أو ناهيــاً في كلّ حالِ
أو خلَتْ منـك قصورٌ أوحشتْ ... فجِنـــانُ الخُلدِ ليست بخوالِ
أو توارى منك شــخصٌ باليـــاً ... فالمساعي الغُرُّ ليست ببَــوالِ
شرُفتْ نفسُك عن دار الفنا ... لنعيم الخلدِ من غـير زوالِ
حيثُ لا ترضى بزُلفَى مَـلكٍ ... ولك الجارُ المليكُ المتعـالي (٧)

(*) آخر ما انفردت بروايته ط ، أنظر أوله في (ص ٣٤١) .
(١) قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٥ هـ (المنتظم ١٠/٢٠) : « وتوفي ولد المسترشد بالجدري ، وكان ابن إحدى وعشرين سنة ، فقعدوا للعزاء به يومين ، وقطع ضرب الطبل لأجله » .
(٢) الدعاف : السم ، أوسم ساعة . وريق كل شيء : أوله وأفضله . ولعله « رائق » .
(٣) بمحمر مذال : أي بدمع محمر مبتذل بالإراقة .
(٤) الندبة : البكاء على الميت ، وعد محاسنه .
(٥) السطا : (٥٢ ر ٥) .
(٦) أجنه : أخفاه وستره .
(٧) الزلفى : القربة ، والمنزلة .

وقوله في مرثية الأمير أبي الحسن[1] بن المستظهر ، وكان موته في دولة المسترشد[2] أخيـــه :

أمّا اذا سلِمَ الإمامُ الأعظـــمُ	وسليلهُ ، دقّ الجليلُ المُعْظَمُ[3]
عزَّ العزاءُ وهانَ حين بقيتُما	فالمجـــدُ باكٍ طَرْفُهُ متبسّمُ
وبقاءُ شمسِ الصُّبحِ يُحدثُ سلوةً	فينا اذا بدرٌ هوى أو أنجـــمُ
لِلّهِ ثاوٍ في التُّراب ، وطـالما	زُهِيَ النَّديُّ به وتاه المُعدمُ[4]
ومطعّنٌ بشَبا الحِمامِ ، وطالمـــا	رَوِيَ الحُسامُ بكفّهِ واللَّهْذَمُ[5]
ومُمَنَّعُ الأقوالِ يَحْصَرُ بعد ما	نطقَ البليغَ والفصيحُ يجمجمُ[6]
كفّتْ يداه عن النّدى من بعدِ ما	حسَدَ الغمامُ بنانَهُ والخِضرِمُ[7]

(١) ذكره المؤلف بإيجاز شـــديد في (ص ٣٥) . وفي المنتظم (١٠/٢٣) : « علي بن المستظهر ، الأمير أبو الحسن ، توفي في رجب هذه السنة (أي سنة ٥٢٥ هـ) ، وحمل في الزبزب ، وقعدوا للعزاء به » . وفي الكامل (١٠/٢٥٥) : « وفيهـــا توفي الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشـــد بالله في رجب » . وفي البداية والنهاية (١٢/٢٠٣) : « علي بن المستظهر بالله أخو الخليفة المسترشـــد ، توفي في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، فترك ضرب الطبول ، وجلس الناس للعزاء أياماً » . وهذا غلط ، فان الذي مات في سنة ٥٢٥ هـ أيضاً من بيت الخلافة وله من العمر إحدى وعشرون سنة إنما هو ابن الخليفة المسترشد بالله كما قدمت ذلك في (ص ٣٤٤) ، وكأن المؤلف قد اختلط عليه الخبران لوقوعهما في سنة واحدة ، وظنّهما مخصوصين برجل واحـــد ، فأخرج الخبر في هذه الصيغة . ومن الغريب أن يفوت ذلك ابن كثير — رحمه الله — وهو نفسه قد روى عند خبر بيعة المسترشد في ١٦ شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ خبر هرب الأمير المذكور الى دبيس بن صـــدقة المزيدي صاحب الحلة ليعينه على نزع الخلافة من أخيه ، واضطرار المسترشد الى ارسال جيش لحربه ، فطاردہ حتى ألجأه الى البرية وكاد يقتله العطش ، ثم قبض عليـــه وحمل الى بغداد . وبين قيامه هذا على أخيه وسنة وفاته ثلاث عشرة سنة ، فيكون عمره يوم قام بثورته اثنتي عشرة سنة ، ولا أراه الا شيئاً مستحيلا . ومنشأ غلط ابن كثير ، هو ما ذكرته على ما يبـــدو لي ، والله أعلم .

(٢) ترجمته في (ص ٢٩) .

(٣) سليله : ولده . ودق الشيء : صار دقيقا .

(٤) زهي (بالبناء للمجهول) : فخر ، وتاه . وزهى الشيء بعينك : حسن منظره . والندي : النادي . والمعدم : المفتقر ، وهو في ط ، ب « المقدم » .

(٥) الشبا : (٢٨٩ ر ٣) . والحمام : الموت . واللهذم : (٣١٨ ر ٢) .

(٦) يحصر : (٣٢٢ ر ٨) . ويجمجم : لايبين كلامه .

(٧) البنان : الأصابع ، أو أطرافها . والخضرم : (٣١٧ ر ٤) .

ونبت عزائمُهُ وكان مَضاؤها

في الخطبِ يرهَبُهُ الطريرُ المِخذمُ (1)

وأجنَّ غُرّتَهُ الثرى من بعدِ ما   عادَ الصَّباحَ بها البهيمُ المُظلِمُ (2)

تُهدي الصَّلاةَ له، ونُكبِرُ قدرَهُ   ونُجِلُّهُ من أن يقالَ ترحُّمُ (3)

ومنها:

لهفي عليه، لا بوادرُ نصرِهِ

تحمي القَريحَ، ولا المكارمُ تُثجِمُ (4)!

فثوى بموحشةِ الكُسورِ، شقاؤُها   بِسوى نعيمِ مَعادِهِ لا يُنجِمُ (5)

ومنها:

في زُمرةٍ قطعوا الأحبَّةَ عَنوةً   وحدا ببينِهِمُ القضاءُ المُبرَمُ (6)

رحلوا على غيرِ الرّكائبِ، وعرَّسوا   بمُعرَّسٍ ثاويهِ لا يترمرمُ (7)

متجاورينَ، كأنّهم لتهاجرٍ   متباعدون. فمُنجِدونَ ومُتهِمُ (8)

مُنِعوا عن الشَّكوى، فلا آبيهمُ   آبٍ، ولا مِنطيقُهُمُ يتكلّمُ (9)

(١) نبت: كلّت، قصرت. ومضاؤها: نفاذها، قطعها. والطرير: الصقيل المحدد. والمخذم: (٣٠٩ ر ٧)، وقد تصحفت ذاله في ط، ب الى دال مهملة.

(٢) أجن: أكن، ستر. وغرته: وجهه، أو طلعته.

(٣) من: ط «في».

(٤) أثجم المطر: اذا دام، وأثجمت السماء ثم أثجمت: أي أسرع مطرها ثم أقلعت.

(٥) موحشة الكسور: يريد بها القبور، والكسور: جمع الكسر، وهو الناحية.

(٦) العنوة: القهر. والبين: البعد، والفراق. والمبرم: المحكم، يريد الذي لا راد له.

(٧) التعريس: (٣١٧ ر ٥). ثاويه: ط «ثاويه». ترمرم: اذا تحرك للكلام ولم يتكلم بعد، يقال: كلمه فما ترمرم، أي ما رد جواباً، ويقال إن أكثر استعماله في النفي.

(٨) ل: «ومتهموا»، وهو في ط كما أثبتناه. والمنجد والمتهم: (٣١٠ ر ٩).

(٩) الآبي: الممتنع.

أغضَوْا على جورِ المَنُونِ ، وطالما … أغضى لِلحَظِيمِ الخَمِيسُ المُعْلِمُ (١)

ووَسّدوا عمدَ التّرابِ ، ولم يزل … مُلَقًى بِعالِمِهِمُ الدِّمَقسُ المُعْلَمُ (٢)

ركضت حروبُهُمُ لهم فتمنّعوا … ومشى ألحامُ البهمُ فاستسلموا

من كلّ أغلبَ ، لو تصوّرَ موتُه … في مَنْسِرٍ أرداه منه تقحُّمُ (٣)

ما ينفعُ الأسوانَ طولُ بكائِهِ … واللهُ يفعلُ ما يشاء ويحكُمُ (٤)

حُمّ القضاءُ ، فكالذّي ممجّدٌ … عندَ المنيّاتِ ، وكالجبانِ مُصَمِّمُ (٥)

يا حامليه ، تكثّروا ما اسطعتُمْ ، … فالشّلوُ طودٌ ، والفريدُ عرمرمُ (٦)

ووسّعوا في الأرضِ شقّ ضريحِه … ما شقّتُمُ ، فالطّودُ طودٌ أيهمُ (٧)

ومنها :

لا يُحْزِنِ اللهُ الإمامَ ، فإنّه … ليجلُّ عن حزَنِ النفوسِ ويعظمُ (٨)

ومنها :

ولقد عجبتُ من المنيّةِ ، إذ غدا … منها مطيعٌ ما أردتَ ومُجرِمُ

---

(١) أغضى على الشيء : سكت . والخميس : الجيش ، لأنهم خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساق . والمعلم : الذي وسم نفسه بسيما الحرب .

(٢) الدمقس المعلم : الديباج الذي جعلت فيه علامة .

(٣) الأغلب : الأسد . والمنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

(٤) الأسوان : الحزين .

(٥) حم الأمر (بضم الحاء) حماً (بفتحها) : قضي ، وحم له ذلك : قدر . والشطر الأول في ل : « حم القضاء فالذي ممجد » ، وفي ب : « حم القضا فكالذي ممجد » . وفي ط : « جم القضا فكالذي ممجد » .

(٦) الشلو : (٣١٩ ر ٣) . طود : ط « أطود » . والعرمرم : (٣١٢ ر ٤) .

(٧) الأيهم : الجبل الصعب .

(٨) لايحزن الله الإمام : دعاء له أن لا يحزنه الله بشيء ، وهو على حد قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة يعزي بها سيف الدولة عن مملوكه يماك التركي وقد مات بحلب سنة ٣٤٠ هـ .

لا يحزن الله الأمير ، فإنني … لآخذ من حالاته بنصيب

وفي الشرح المنسوب الى العكبري (١/٣٣) : « وغلط الصاحب في هذا البيت وظن أنه خبر ، ولم يعلم أنه دعاء ، فرواه برفع الفعل ، وانما هو مجزوم على الدعاء ، فقال : لا أدري لم لا يحزن الله الأمير اذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق ؟ وليس الأمر على ما توهم » .

تُعصيك في الصِّنْوِ الشَّقيق سفاهةً   وتطيعُ أمرَكَ والقَنا يتحطَّمُ [1]
فاذا سلِمتَ فكلُّ بؤسٍ نعمـــةٌ   واذا بَقيتَ فكلُّ غُرْمٍ مَغْنَمُ [2]

وقوله من مرثية الامام المقتفي لأمر الله [3] :

الخطبُ أكبرُ في النفوس وأعظمُ   من أن تُراقَ له الدموعُ أوِ الدَّمُ
عزَّ العزاءُ ، فكلُّ جَلْدٍ عاجزٌ   عما ألمَّ ، وكلُّ أفوهَ مُفْحَمُ [4]
سبق الغمامَ بنَدْبَةٍ وبعَبْرَةٍ [5]   فبدا لنا منها الرَّعودُ المُثْجِمُ [6]

كان قبل وفاته بأيام جاء مطرٌ جَوْدٌ [7] ، ورعد مُجْلِبٌ [8] ، وأفرطا حتى انزعج الناسُ .

ولو انَّ شمسَ الصبحِ رافتِ العلى   لتغيَّبَتْ ، فالصبحُ داجٍ مُظلِمُ
ولَكُوِّرتْ حزنًا لفقـــد خليفةٍ   شهِدَ السنانُ بأسه والمِخذَمُ [9]

ومنهـــا :

غدرَ الحِمامُ وكان من أنصاره   يهْدي به عنه مُبَنَّدٌ أو لَهْذَمُ [10]

ومنهـــا :

(١) الصنو : (٢٧٧ ر ١) .

(٢) الغرم كالمغرم : (٣١٠ ر ٥) .

(٣) ل : « بأمر الله » ، ط : « لأمر الله » . وترجمته في (ص ٣٤) .

(٤) عز يعز (بفتح العين) : قل فلا يكاد يوجد . والعزاء : الصبر . والجلد : الصلب . وألم : نزل . والأفوه : (٣٢٢ ر ٨) . والمفحم : العيي .

(٥) ل : « بندبه وبعبره » ، ط : « بندبه وبعبرة » . والندبة : البكاء على الميت وتعديد محاسنه ، وفي النحو النداء بـ « وا » للتفجع أو التوجع . والعبرة : الدمعة الفائضة .

(٦) الرعود : الكثير الرعد . والمثجم : (٣٤٦ ر ٤) .

(٧) الجود : (٣٠٣ ر ١) .

(٨) المجلب : (٢٤٤ ر ٢) .

(٩) كورت الشمس : قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى « اذا الشمس كورت » : أظلمت ، وقال مجاهد : اضمحلت ، وقال مقاتل وقتادة : ذهب ضوؤها . والسنان : (٣٢٥ ر ٨) . والمخذم : (٣٠٩ ر ٧) .

(١٠) اللهذم : (٢٤٥ ر ٥) .

لو كان خصمُك غيرَ محتومِ الرَّدى   كسف ٱلغزالةَ مستثارٌ أقتمُ (١)

ومنها :

لكنّهُ ٱلمقدورُ لا متـأخّرٌ   عنه اذا وافى ، ولا متقـدّمُ
يبكي نداكَ ٱلمعتفون عشيّةً   وٱلعامُ يُخْـلِفُ نوْؤُهُ وٱلأنجمُ (٢)

ومنها :

للهِ ما ضمَّ ٱلضّـريحُ ، فإنّه   طَودٌ أشمُّ وذو عُبابٍ خِضْرِمُ (٣)
أغفى ٱلجفونَ ولم يكن عن حادثٍ   يُغْضي ، ولا عن ناجمٍ يتلوّمُ (٤)
وثوى وكان يبثُّ شكوى سيرهِ   وسُراهُ حافرُ طِرْفِهِ وٱلمَنْسِمُ (٥)
لا يرْكنونَّ الى ٱلحياةِ ممتّعٌ   فٱلبُعْدُ دانٍ ، وٱلمدى متصرّمُ (٦)
ووراءَ آمالِ الرّجالِ منيّـةٌ   يعدو بفارسِها حثيثٌ مِرْجَمُ (٧)

* * *

أهاجي الحيص بيص

ولم أرَ شيئاً من أهاجيه ، فإنّه نزّه ديوانه منها . وكانت تنسب هذه ٱلأبيات الثّلاثة اليه (٨) ، وهي :

(١) الغزالة : الشمس عند شروقها ، يقال : طلعت الغزالة ولا يقال غابت الغزالة ، ويقال : غابت الجونة ، لأنها اسم للشمس عند غروبها . ومستثار أقتم : أي غبار مثار أسود .

(٢) المعتفون : (٢٩١ ر ٨) . والنوء : (١٧٥ ر ٣) . والأنجم : (٣١٨ ر ٤) .

(٣) الضريح : القبر ، وقيل : الشق المستقيم وسطه . والأشم : (٣٢٣ ر ٧) . والعباب : (٣٣٦ ر ٣) . والخضرم : (٣١٧ ر ٤) .

(٤) ل : أغفى الجفون ولم يكن عن حادث   تغضي ولا عن ناجم تتلوم
ط : أغفى الجفون ولم يكن عن حادث   تغضي ولا عن ناجم يتلوم

وأغفى : في (٣٣٨ ر ٥) . وناجم : صفة لموصوف محذوف ، أي حادث ناجم ، يقال : نجم الشيء اذا ظهر وطلع . ويتلوم : يتمكث وينتظر .

(٥) السرى : (٢٧٢ ر ٦) . والطرف : (٢٧٣ ر ٣) . والمنسم : خف البعير .

(٦) المدى : هو في الأصل المسافة ، ثم استعمل بمعنى الغاية . والمتصرم : المنقضي .

(٧) الحثيث : السريع . والمرجم : الشديد الوطء من الخيل .

(٨) في البداية والنهاية (١٢/٢٢٠) : قالها « بعض الأدباء » . وفي وفيات الأعيان (١٤٣/٢) : إنها « لبعض شعراء عصره فيه – أي في الجواليقي – وفي المغربي مقسم الشامات » ثم قال القاضي ابن =

كلُّ الذُّنوبِ ببلدتي [1] مغفورة ... إلا الَّذَيْنِ [2] تعاظما أن يُغفَرا [3]

كونُ الجَواليقيِّ فيها ذاكراً ... نحواً [4] ، وكونُ المغربيِّ مُعبِّرا [5]

فأسيرُ لُكنتِهِ يُمِلُّ فصاحةً ... وجَهولُ يقظتِهِ يُحيلُ على الكرى [6]

فلمّا سمعها ، تنمّر ، وما آثر أن تذكر ، كما في جبلّته ، وفطنة في فطرته ، ومروءة في غريزته ، ونزاهة في شيمته .

وكلُّ شعره متناسب مختار ، متناسق مشتار ممتار [7] . ولقد خلّيت كثيراً من الحسن ، هرباً من الإكثار ، وطلباً للاختصار .

* * *

رسائل الحيص بيص

وله رسائلُ ومكاتباتٌ معدول بها عن الفنّ المعتاد ، والأسلوب المعروف [8] . وهي

= خلكان : « وذكرها – أي العماد الأصفهاني – في الخريدة لحيص بيص . هكذا وجدتها في مختصر الخريدة للحافظ » .

(١) في الوفيات : « ببلدتي » .

(٢) ل ، ط : « اللذان » ، وهي في الوفيات كما أثبتناها .

(٣) الذي في البداية والنهاية :

بغداد عندي ذنبها لن يغفرا ... (و) عيوبها مكشوفة لن تسترا

(٤) في الوفيات : « ملقياً أدباً » ، وفي البداية والنهاية : « مملياً لغة » .

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية : « وكان — أي الجواليقي — طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكنة ؛ وكان يجلس الى جانبه المغربي معبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس ، فقال فيهما بعض الأدباء » ، وذكر الأبيات . وقد قدمت التعريف بالجواليقي في (ص ١٢٦ ر ٥) .

(٦) حرف هذا البيت في وفيات الأعيان وفي البداية والنهاية تحريفاً فاحشاً ، فقوله : « فأسير لكنته » هو في الأول « فأمير لكنته » ، وفي الثاني « ما سور للكنته » ، واللكنة هي عي وثقل في اللسان . و « يمل » أي يملي : في الأول « تمل » ، وفي الثاني « يقول » . والشطر الثاني : في الأول « وغفول فطنته تعبر عن كرى » ، وفي الثاني : « ونوم يقظته يعبر في الكرا » ولا شك في أن « يوم » هي تحريف « نؤوم » . فانظر الى عجائب التحريف في الكتب المخطوطة والمطبوعة !

(٧) المشتار : اسم مفعول ، من اشتار العسل اذا استخرجه من الوقبة ، وجناه من خلاياه ومواضعه . والممتار : اسم مفعول من امتار لعياله ، أي أتاهم بالميرة وهي الطعام .

(٨) قال ابن خلكان : « وله رسائل فصيحة بليغة . ذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل ، وأثنى عليه ، وحدث بشيء من مسموعاته ، وقرأ عليه ديوانه ورسائله » . وقال ابن كثير : « ولم يكن له في المراسلات بديل ، كان يتقعر فيها ويتفاصح جداً ، فلا تواتيه الا وهي معجرفة » .

كثيرة . وسأورد منها نبذاً يستدلُّ بها على الباقيات .

فمن ذلك مكاتبة الى بعضهم :

تأجيلُ فرضِ الخدمة ضامنٌ (١) ضررين يكسفان أنوار الولاء ، وإن كان يباري الجونةَ (٢) عند ظهيرة القاع : أحدهما عار من سوء الأدب سابغٌ ، والثاني تأججُ نار الشوق الغانية بطبعها عن الاحتطاب لها . وبينهما وثوقٌ بالكرم (٣) لا يعبث (٤) في صحته وحصينته (٥) عابث . وسببُ الإرجاء من قبيل المشافهة ، فإنها ظهير حمول للجبالات ، والله تعالى يحفظُ حشاشة (٦) المعالي ، بطول بقاء المجلس العالي .

وكتب الى النقيب الطاهر (٧) :

---

(١) ل : « فرض الحد متضامن » ، ط : « فرط الخدمة ضامن » .

(٢) الجونة : هي الشمس عند الغروب كما قدمت في (٣٤٩ ر ١) ، فلا يقال طلعت الجونة عكس ما قالوه في « الغزالة » ، فاستعمالها في هذه الجملة خطأ . والظهيرة : حد انتصاف النهار ، وقيل : انما ذلك في القيظ ، تقول : أتيته حد الظهيرة ، وحين قام قائم الظهيرة .

(٣) ل : « اللزم » ، ط : « الكرم » .

(٤) ل : « لا يعيث » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وحصنته » ، ط : « وحصنيته » .

(٦) المشاشة : بقيه الروح .

(٧) النقيب الطاهر : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي الغنائم المعمر العلوي الحسيني ، نقيب الطالبيين ببغداد ، الملقب بالنقيب الطاهر ، المولود في سنة ٤٩٣ هـ والمتوفى في جمادى الأولى سنة ٥٦٩ هـ ، وقد تولى النقابة بعد أبيه في سنة ٥٣٠ هـ ، وبقي فيها تسعاً وثلاثين سنة الى وفاته . قال ابن النجار : « كان يحب الرواية ، ويكرم أهل الحديث ، وله شعر فائق ، وحدث بالكثير » ، وقال ياقوت : « وكان أديباً ، فاضلا ، شاعراً ، منشئاً . له رسائل في مجلدين ، وكتاب ذيله على منثور المنظوم لابن خلف ، وكتاب آخر في إنشائه » . وله ترجمة في المنتظم (١٠/٢٤٦) ، والكامل (١١/١٦٧) طبعة بولاق — وفيها : « وكان يلقب بالظاهر » كذا بالظاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والمختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد (١/١٩٤) ، وشذرات الذهب (٤/٢٣١) ، والنجوم الزاهرة (٦/٧٢) ، ومعجم الأدباء (٤/٧٠) طبعة « رفاعي » — وفيه : « أبو عبد الله النقيب الطاهر ، نقيب نقباء الطالبيين ، ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم » . والنقيب الطاهر أبو الغنائم إنما هو جده ، لا أبوه ، قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٦ هـ من المنتظم (٨/٢٣٦) : « وخلع في ذي القعدة على النقيب أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي في بيت النوبة ، وقلد نقابة الطالبيين والحج والمظالم ، ولقب بـ (الطاهر ذي المناقب) ، وقرئ عهده في الموكب » . والظاهر أن لقب (الطاهر) لم يلقب به بعده الا حفيده هذا . فأما ابناه اللذان وليا النقابة من بعده ، فقد لقب أولهما — وهو أبو الفتوح حيدرة المتوفى سنة ٥٠١ — بـ « الرضي =

صال كُرَيْمٌ (١) الرَّكابيّ بضَبُعِ سَمَّاها زوجةً على ابنة كيدة (٢) العلويّة صِيالَ الأشراف في أيّام الإنصاف على ذِمّيّ (٣) ذي كَبيرة من جُرم . ولا قناعةَ من البأس المهيب بيسير العقاب حتّى تملأ السياسةُ ضواحي الكرخ (٤) الفسيح (٥) ، ويُعلِمَ كلّ الرّأفة بأغراض (٦) الطّائفة . وإن خلا الرّكابُ الكريم ، شدّ غلامٌ من تميم (٧) ، راضياً وفاخراً ، مع سحب ذيل خُيَلائه على التّيجان .

وله في الاقتضاء (٨) :

أرى نِطاسِيّ (٩) الوَصَب (١٠) المثبِت ماطِلَهُ بالدّواء ، والموتُ بدون هذا الإهمال شجاعٌ ، فهل من معزَبة (١١) خبرٌ ؟ ظنّي أنّ السُّهاد (١٢) ، يخصِمُ الرُّقاد ، حتّى يحوي لي مُبتغاي .

= ذي الفخرين » كما في المنتظم (١٠٤/٩) ، ولم أر للآخر — وهو أبو الحسن علي والد المترجم — لقباً فيما تتبعته من مظان ذكره في المنتظم خاصة ، فقد ذكره ابن الجوزي في خمسة مواضع من كتابه هـذا ، وهي : (١٥٨/٩ ، ٢١٨ و ٤٥/١٠ ، ٤٦ ، ٥٥) ، ولم يلقبه بلقب ، إنما ذكره مرة بكنيته واسمه ، وذكره أربع مرات موصوفاً بصفته ، وهي « نقيب الطالبيين » . ومما يحسن التنبيه عليه هنا أن « أبا الغنائم » ذكر في المنتظم ثلاث مرات : مرتين على وجه الصحة كما في (٢٣٦/٨) و (١٥٨/٩) ، ومرة محرفاً الى « أبي القاسم » وذلك في ترجمته في (١٠٤/٩) . ويحسن التنبيه كذلك على أن نسب آبائه قد روي على وجوه شتى في المنتظم ومعجم الأدباء وغيرهما ، ولا بد من تحريره بالمقابلة الدقيقة والاستقراء التام .

(١) ضبط في الأصل بالتصغير .

(٢) ط : « ابنة لبيده » .

(٣) الذمي : الداخل في عهد المسلمين وأمانهم .

(٤) الكرخ : يطلق على مواضع متعدده ، وكلها بالعراق ، منها : كرخ البصرة ، وكرخ بغداد ، وكرخ سامراء ، وغيرها . معجم البلدان (٢٣١/٧) ، والظاهر أنه يريد كرخ بغداد .

(٥) الفسيح : جمع أفيح ، وهو الواسع .

(٦) ط « بأعراض » .

(٧) تميم : (٢٦٨ر ١١ ، ٢٧٧ر ٢) .

(٨) الاقتضاء : الطلب . وانظر « باب الاقتضاء والاستنجاز » في كتاب العمدة (١٢٧/٢) .

(٩) النطاسي : العالم بالطب .

(١٠) الوصب : المرض .

(١١) المعزبة : امرأة الرجل .

(١٢) السهاد : الأرق ، وهو ذهاب النوم بالليل .

ولــه :

وعرقه [١] عرق حداد المدى [٢] بأيدي سغاب الترك [٣] لأسؤق فتو الضائنة [٤] .

من أخرى :

قضاء حوائج المرملين [٥] ، لا يتساند [٦] الى إكرام شفاعة مبرّها التطول [٧] ، بل الى طبع برئ الاجحاف [٨] في الإحسان دبيبا .

أخرى :

بلغني أنّ أنيسيانا [٩] نذود صغر شأنه عن تسميته [١٠] ، شتيم الرُواء والسحناء [١١] ، مشؤوم المرافقة والصحبة ، يغتاب حتى ثدي أمه ، أوسع شفعائي اليك لوماً على صغره في ناديك ، وذلّه أن يصدفك عن عوارفك وأياديك [١٢] . ولقد استوعر الخلف [١٣] ما استسهل ، وأوجف الى حتف نفسه فعجّل [١٤] . فإن كان مستنداً منك الى جذم عناية [١٥] ، فأذن

---

(١) عرقه : (٢٦٤ ر ٢ ، ٣١٨ ر ٣) .

(٢) المدى : السكاكين ، الواحدة مدية ، وحداد المدى : من اضافة الصفة الى الموصوف ، أي المدى الحداد .

(٣) السغاب : الجياع ، وقيل : لا يكون السغب الا مع تعب . والترك : جيل من الناس ، وفي أصلهم روايات مختلفة ، والمشهور أنهم من أولاد يافث بن نوح كما اعتمده العمري النسابة ، ونقله المؤرخ التركي أحمد رفيق في كتابه بيوك تاريخ عمومي (٢٦٤/٤) .

(٤) الأسؤق : جمع ساق ، وهي ما بين الكعب والركبة ، همز واوها استخفافاً . والضائنة : خلاف الماعز من الغنم . والفتو : جمع فتى ، وهو الشاب .

(٥) المرمل : الذي فني زاده . (٦) تساند اليه : اعتمد عليه .

(٧) التطول : الامتنان . (٨) الإجحاف : (٢٦٣ ر ٢) .

(٩) أنيسيان : تصغير إنسان . (١٠) ل : « قسميته » ، وهو تحريف .

(١١) الشتيم : الكريه الوجه . والرواء : ماء الوجه ، وحسن المنظر ، فانظر كيف يستقيم معنى هذا التركيب . والسحناء : الهيأة ، واللون ، ولين البشرة .

(١٢) يصدفك : يصرفك . والعوارف : (٤٥ ر ٦) .

(١٣) الخلف : لعلها « الجلف » .

(١٤) الحتف : الموت ، والهلاك .

(١٥) الجذم : الأصل من كل شيء .

بهجير ، فإنّي مجازيه ولو كان دونه خَرْطُ القتاد [١] . وإن لم يكن ذلك ، فبمَنْ أقدم ؟ وعلى من تقحّم ؟ حذارِ أن تعتمد غير كتبه بإرسال الثّمن الأوفى والقيمة العليا . فالقوافي ما سمعتَ ، والقائلُ والباذلُ مَنْ علمتَ ، والسّلامُ .

من أخرى :

رزحتْ حال [٢] ، وقلّ أنصار ، فمات أملٌ ، وضاقت حِيَلٌ ، ولم يبقَ في سقاء الصّبر بللٌ . ولقد حاولت أن أسطّر صحائفَ شوق تَنطقُ بحقيقة ذِكر الوَجْد [٣] ، فحاذرتُ بدارَ [٤] قلمي بشكوى حال تُعنونُ المجدَ بالضّراعة [٥] ، وتُوهِمُ الخليلَ انتجاعاً [٦] .

أخرى :

أرَفْدَةً عن رزقي ، وأنا أرزحُ من نِضْوِ سِفارٍ [٧] عرقَهُ [٨] تكريرُ العِشرِ [٩] وطيُّ المراحل ؟ أفرطَ [١٠] ضرٌّ ، ونفِدَ [١١] صبرٌ ، والرّغدُ لايعلمُ بالمُسْنِتِ [١٢] ، والسّلام .

أخرى :

وأيمُ اللهِ [١٣] ، لقد اخلولقتْ [١٤] في الأندية الحاشدة من طول جِدال كاتبكم ، وهو

(١) الخرط : قشرك الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك . والقتاد : شجر له شوك أمثال الإبر . وفيه مثلان : (١) دون ذلك خرط القتاد ، يضرب للأمر دونه مانع (٢) دون عليان خرط القتاد ، يضرب للممتنع . فرائد اللآل (١/٢١٦) .

(٢) رزحت حال الرجل : رقت وساءت .

(٣) الوجد : الحب الشديد .

(٤) بدار قلمي : عجلته وإسراعه .

(٥) الضراعة : الاستكانة والذل .

(٦) الانتجاع : طلب المعروف .

(٧) النضو : المهزول من الإبل . والسفار : مصدر سافر .

(٨) عرقه : (٢٦٤ر٢ ، ٢١٨ ر ٣) .

(٩) ط : « تكدير عشير » ، ولها وجه ، ولكن رواية ل أليق بالسياق . والعشر : (٣٣٩ر٨) .

(١٠) ط : « فرط » ، والإفراط : في (٢٩٦ ر ٦) .

(١١) ط : « نفر » ، وهو تحريف . ومعنى نفد : فني .

(١٢) الرغد : هو الذي طاب عيشه واتسع . والمسنت : المسكين المنقطع لا شيء له .

(١٣) أيم الله : اسم وضع للقسم .

(١٤) اخلولقت : بليت ، يقال اخلولق الثوب اذا بلي . واخلولق الرسم : استوى بالأرض .

مُوجِفٌ (١) الى ٱلفتنة ، يأبىٰ إلّا ٱلمنعَ . وإنّي لَقائِلُها شنعاء ولو جرّت حَتفًا (٢) . حَذارِ ، حَذارِ من أشتياط أفوهَ (٣) اذا جنى ٱلخامِلُ (٤) عاتب الشّهيرَ . ولَيْنٌ جنّ الليلُ (٥) دُونَ بعثِ ٱلعساجد (٦) ٱلمستقرّة ، لَتُبْعَثَنّ كتائبُ ٱلقولِ مُشمَعِلّةً (٧) لاتَخُصُّ مقالاً (٨) ، ولا تستثني رِجىً ، ولِغَيرِهم مَثَلُ السّوْءِ ، والسّلامُ .

شفاعة الى جمال الدّين ٱلوزير (٩) بٱلموصل (١٠) :

قد تبوّجَ (١١) بارقُ مَكارِمكم ، وٱستطار (١٢) حتّى أضاء لعينِ ٱلأكْمَه (١٣) ، وأسمع راعدُهُ ٱلأصمَّ ٱلعازبَ (١٤) . وأنتم سننتم اليكم هذه ٱلأطماعَ ، ومهّدتم للعُفاة (١٥) ٱلمسائلَ ، وشجّعتم أقلامَ الشُّفعاء . فكلّ هُجْنَةٍ (١٦) تحدُثُ من متوسّلٍ به اليكم ، فهم من جنايتها بُرءاء ، والوارِدُ بها كنتم أقلتم عِثارَهُ (١٧) في أيّام تشرّقي بٱلخدمة ، وأخرستم دُونه بعضَ ضوضاء ٱلخطوب ، وأوردتموه من جُودكم عَلّاً بعدَ نَهَلٍ (١٨) . وقد

---

(١) ط : « مرجف » ، وهو تحريف . وموجف : في (٢٦٣ ر ٢) .
(٢) الحتف : (٣٥٣ ر ١٣)
(٣) اشتاط عليه اشتياطاً : تسعر . والأفوه : (٢٢٠ ر ٣) .
(٤) ل ، ط : « الخابل » بالباء ، والسياق يقتضي ما أثبتناه .
(٥) جن الليل : أظلم .
(٦) العساجد : الظاهر أنه جمع العسجد ، أي الذهب ، ولم يذكر في دواوين اللغة .
(٧) الكتائب : (٣٣٧ ر ٧) . مشمعلة : جادة في المضي ، مسرعة .
(٨) ط : « مقاماً » .
(٩) جمال الدين الوزير : قدمت التعريف به في (٣٠١ ر ١) .
(١٠) الموصل : (٣٠٢ ر ٤) .
(١١) تبوج البرق : تفرق في وجه السحاب ، وتتابع لمحه .
(١٢) استطار : سطع وانتشر . (١٣) الأكمه : الذي يولد أعمى .
(١٤) العازب : الذاهب سمعه . (١٥) العفاة : (٢٣٤ ر ١) .
(١٦) الهجنة : القبح ، والعيب . (١٧) أقلتم عثاره : صفحتم عنه .
(١٨) علا : ط « عللا » ، وكلاهما صحيح ، يقال : عل الرجل يعل (بكسر العين) ويعل (بضمها) علا وعللا : شرب بعد الشرب تباعاً . وعل فلاناً : سقاه بعد الشرب تباعاً ، فهو لازم ومتعد . والنهل : أول الشرب ، كما أن العلل ثانيه ، يقولون : « سقينا عللا بعد نهل » لأنهم يسقون الإبل في أول الورد فيردونها الى العطن ، ثم يسقونها السقية الثانية فيردونها الى المرعى .

أرسل ولده مطالباً عندكم دَيْنَ المكارم، ونعمَ الغَرِيمُ[١] أنتم، والسّلام.

وله الى الوزير ابن هُبَيْرَةَ[٢] في طلب قصيلٍ[٣]:

الكُراعُ[٤] مع تعذّرِ القصيلِ قد محصتْ[٥] جلودُه، وتقارب خطوُه، ودَمِيتْ بالحُكاكِ[٦] صفحاتُه، حتّى عاد حديثُ الخُبّازِ عنده نافلةً[٧]. وفيه: الجوادُ عطيّةُ الجواد، وهو نَهْدُ المَرَاكِلِ[٨]، مرتفعُ الكاهل[٩]، يفوق مرورَ العواصف ومروقَ المَعابل[١٠]. ومزاحمةُ المراكيبِ الكريمةِ مِمّا[١١] أُتيحَ لها من بُلْغَةِ القصيلِ مُجْتَنَةٌ[١٢]، والثّمن الّذي يُتَوَصَّلُ به معدومٌ. على أنّه مع وجود الثّمن جِدُّ غالٍ، والرّأي في حلِّ هذا الإشكال بِرَوِيّةٍ[١٣] صائبة من الكرمِ أعلى.

جواب مكاتبة[١٤] بعض الأكابر:

أهلاً بها من شِيَمِ مكارمَ ما بَرِحَ صَوْبُها[١٥] على غبراء فضلي المُجْدِبِ — لقد حسُنوا الأكرمينَ — هامياً[١٦]، والحمدُ لله حيث وجدت في زماني[١٧] إنعاماً يُكاثِرُ

(١) الغريم: المدين. (٢) ابن هبيرة: تقدمت ترجمته في (ص ٩٦).

(٣) القصيل: الشعير يجز أخضر لعلف الدواب.

(٤) الكراع: الخيل، وقيل: الخيل والبغال والحمير.

(٥) محصت جلوده: ذهب وبرها حتى املس.

(٦) الحكاك: ضبط في ل بضم أوله، فهو اسم من الحك، والحك امرار جرم على جرم صكاً. واذا كسرته كان مصدر حاك.

(٧) النافلة: الزيادة.

(٨) المراكل: جمع مركل، وهو حيث تصيب رجلك من الدابة اذا استحثثتها، ومنه «فرس نهد المراكل» أي واسع الجوف.

(٩) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

(١٠) المعابل: ل «المعابل»، ط «العامل»، والصحيح ما أثبته، وقد تقدم معناها في (٢٩٨ر٣). ومروقها: نفاذها من الرمية.

(١١) ل: «فا»، وما أثبتناه من ط.

(١٢) البلغة: ما يتبلغ به من العيش. والمجنة: (٣٥٥ر١٦).

(١٣) الروية: التفكر في الأمر. (١٤) ط: «مكاتبته».

(١٥) الصوب: المطر. (١٦) الهامي: السائل لا يثنيه شيء.

(١٧) ط: «والحمد لله الذي وجدني في زماني».

إخلاصي ، ووُدّاً يعصمني من وحشة (١) غربتي ووحدتي ، حتّى أراني منه في مثل الخميس الجحفل (٢) يُرْهِجُ (٣) الوادي بحوافر خيـله ، ويَدْهَمُ رونقُ الضّحى من هَبَوات عِثْيَرِه (٤). مَلِلتُ السَّجايا العِراقيّة ، وبَعِلْتُ بالهَمّ (٥) ، فطَفِقتُ أعومُ في الفَلَوات النّازحة عَوْمَ النّينانِ في جَمّة الخِضْرِم (٦) ، وأحببتُ الخلوة حُبَّ مجلس الشَّرْبِ الكرامِ طابَ شاديه (٧) ، وأنصف ساقيه . ولو لا خدمة غيركم لَصِرْتُ الى ناديكم ، ولَئِنْ شاء اللهُ لأفعلنّ ، والسّلامُ .

وله شفاعة :

إسْلَمْ يافارسَ الكتيبة (٨) ، وجوادَ السَّنةِ الجَدِيبة (٩) ، غَمْرَ الرِّداء (١٠) ، نضيرَ النّعماء (١١) ، مجدوداً (١٢) . أجل يافكّاكَ (١٣) العُناة (١٤) ، ومِطعامَ العُفاة (١٥) . أَنْشُطْ ابن جابر ، من الخطب الجائر ، مكتسباً عندَ اللهِ ثوابَهُ ، وعندي شكرَهُ وثناءه ، فثَمَّ أبٌ

(١) ل : « وحشية » ، ط : « وحشة » .
(٢) الخميس : (٣٤٧ ر ١) . والجحفل : الجيش الكثير .
(٣) الإرهاج : إثارة الغبار ، ، وما يثار من الغبار يقال له الرهج .
(٤) الهبوة : الغبرة ، وقيل : هو غبار شبه الدخان ساطع في الهواء . والعثير : العجاج .
(٥) يقال : بعل فلان بأمره ، اذا دهش وخاف وعيي وثبت مكانه فلم يدر ما يصنع .
(٦) النازحة : البعيدة . النينان : الحيتان ، واحدها نون . والخضرم : (٣١٧ ر ٤) . والجمة : يريد بها مجتمع الماء . وهي في ط « الحمة » .
(٧) الشرب : القوم يشربون ويجتمعون على الشراب ، وهو اسم لجمع شارب ، لاجمع له على الأصح . شاديه : مغنيه ، يقال : شدا فلان بصوت ، أي مده بغناء وغيره . وشدا شعراً : غنى به وترنم .
(٨) الكتيبة : (٣٣٧ ر ٧) .
(٩) الجديبة : الجدب القحط . وفي تاج العروس : وأرض جدبة وجدب ، وعليه اقتصر ابن سيده ، مجدبة ، والجمع جدوب .
(١٠) غمر الرداء : كثير المعروف ، سخي . قال كثير :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً   غلقت لضحكته رقاب المال

(١١) النضير : (٣٣٩ ر ٥) .
(١٢) المجدود : الرجل العظيم الحظ .
(١٣) ل : « بافكاك » ، ط : « بافكال » . وكلاهما تحريف .
(١٤) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .
(١٥) العفاة : (٣٣٤ ر ١) .

حَدِبٌ (١) ، دمعُه دافقٌ سَرِبٌ (٢) ، أسرع من سهم الى مَرْمىً ، ومنك الى ابتدار المجدِ بأس ونُعمى .

الى ابن شرف الدولة (٣) عند المَطْل بدُرّاج (٤) طلب منه :

أجوادٌ هِمْلاجٌ (٥) ، أم طائر دُرّاج ؟ لقد أوسعت الوعود وجعلت نفسك رَمِيّةَ العتاب ، بل كرمت الأعراق المسيّبيّة (٦) والشِّيَم المعسولة السّعديّة عن التسويف وفاحش الإخلاف . إبعثه محموداً بعينه من غير تبديل ، دائمَ الصِّياح ، يلقُطُ من بطون الرّاح (٧) ، كأنّه ناظمٌ مُجيد ، ومطربٌ غرِّيد ، متى صدح كرَّرَ ، يظُنُّ كلَّ الزّمانِ السَّحَرَ (٨) .

في طلب حصان :

إبعثوه ـ خلاكم ذمٌّ (٩) ـ جواداً سَبوقاً ، مُشرِفاً مُنيفاً (١٠) ، نَهْدَ المراكل (١١) ، صريحاً (١٢) ، جيّاشاً (١٣) ، صَهّالاً ، يفضُلُ طَلَقَ (١٤) الظَّليم (١٥) ، وشَدَّ (١٦) غزلان

---

(١) الحدب : العطوف .

(٢) السرب : السائل .

(٣) ابن شرف الدولة : ط « شرف الدين » ، ولعله يريد به « ابن شرف الدين » ، واسمه جلال الدين محمد بن شرف الدين أنوشروان الوزير ، وقد سبقت للحيص بيص مرثية فيه في (ص ٣٣٩) ، وأماديح في أبيه في (ص ٢٤٤ وغيرها) .

(٤) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين ، وظاهرهما أغبر ، على خلقة القطا الا أنه ألطف .

(٥) الهملاج : البرذون الحسن السير في سرعة .

(٦) الأعراق : ل « الأعراف » ، ط « الأعراق » . والمسيبية : أهملت في ل ، وأعجمت في ط .

(٧) ط : « الرماح » ، وهو تحريف . والراح : جمع راحة ، وهي باطن الكف .

(٨) السحر : آخر الليل ومتنفس الصبح .

(٩) يقال : « إفعل ذلك وخلاك ذم » أي أعذرت وسقط عنك الذم .

(١٠) المنيف : المرتفع المشرف .

(١١) نهد المراكل : (٣٥٦ ر ٨) .

(١٢) الصريح : البين الواضح ، والخالص من كل شيء .

(١٣) الجياش : الفرس الذي اذا حركته بعقبك جاش ، أي هاج .

(١٤) ط : « طليق » ، والطلق : الشوط الواحد في جري الخيل ، وقد يستعمل في غيره استعمال الشوط .

(١٥) الظليم : الذكر من النعام ، وهو مشهور بالعدو . وانظر عنه كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٦) الشد : العدو ، والإسراع . والصرم : (٢٤٦ ر ١) .

القَرِيم . واُحذروا البطيءَ الأهضمَ (١) ، والهجينَ المقرفَ (٢) . وليكن كرمُهُ مناسباً للقوافي التَّميميَّة (٣) ، والمكارمِ الفخريَّة .

ومن أخرى :

فارهٌ هِملاجٌ (٤) ، لا قَطوفٌ ولا مِزعاجٌ (٥) . نبيلٌ مَحزِمُهُ (٦) ، سامٍ تليلُهُ (٧) ، ملساءُ صَهوتُهُ (٨) ، مُشرفةٌ قَطاتُهُ (٩) . مجموعُ صفاته لباغي الإيجاز (١٠) ، من الكتابِ العزيزِ ذي الإعجاز (١١) : (وترى الجبالَ تحسَبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السَّحابِ) (١٢) .

أخرى :

الشَّاكي نزيلٌ (١٣) ، والمشكوُّ منه خليلٌ ، وعزَماتُ (١٤) الآراء الكريمة دَمِرٌ (١٥)

---

(١) الأهضم : ط « الأهصم » ، وهو تصحيف . وهو الفرس المنضم الجانبين خلقة .

(٢) الهجين : من الخيل ، الذي ولدته برذونة من حصان عربي . والمقرف : الذي أمه فرس عربية وأبوه ليس بعربي . فالهجنة من قبل الأم ، والإقراف من قبل الأب . فهو يريد فرساً عتيقاً عربي الأبوين .

(٣) يريد بالقوافي التميمية قصائده ، وقد كان الشاعر يعتزي الى بني تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وطالما افتخر بهم في شعره على ما تقدم بعضه في مختاراته في هذا الكتاب .

(٤) الفاره : قال الأزهري — الفاره من الدواب : الجيد السير ، وقال غيره : الحسن الوجه . قال الجوهري : ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره بين الفروهة ، والفراهة ، والفراهية . ولا يقال للفرس فاره ، ولكن رائع وجواد . والهملاج : (٣٥٨ ر ٥) .

(٥) القطوف : البطيء المتقارب الخطى . والمزعاج : مبالغة اسم الفاعل من أزعجه اذا أقلقه ، والدابة اذا قطفت أزعجت راكبها .

(٦) المحزم : موضع شد الحزام ، وفرس نبيل المحزم : أي حسنه مع غلظ ، وهو مجاز ، قال عنترة :

وحشيتي سرج على عبل الشوى   نهد مراكله نبيل المحزم

(٧) السامي : المرتفع المشرف . والتليل : العنق .

(٨) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس .

(٩) القطاة : مقعد الرديف من الفرس ، والرديف : من يحمله الراكب خلفه على ظهر الدابة .

(١٠) ط : « لباعي في الإنجاز » ، وهو تحريف فاحش . والإيجاز : مصدر أوجز كلامه وأوجز فيه : اختصره في بلاغة . وفي البيان : أداء المعنى بأقل من العبارة المتعارفة ، ويقابله الإطناب .

(١١) إعجاز القرآن : ارتقاؤه في البلاغة الى حد يعجز البشر عن معارضته .

(١٢) سورة النمل ٢٧ ، الآية ٨٨ ، وبقيتها : (صنع الله الذي أتقن كل شيء ، إنه خبير بما تفعلون) .

(١٣) النزيل : الضيف ، وهو نزيلي : أي ينزل معي في البيت .

(١٤) كذا في ل ، ط ، والعبارة لا تستقيم معها ، فلعل الأصل « وذو عزمات .. » سقط منها « ذو » .

(١٥) ط : « دمر » بالدال ، وهو تصحيف . والذمر : الشجاع المنكر .

غيرُ إجْفيل [1] .

وله في تقريع شخص ذمّه [2] :

ما مثلُك مَن الحنف طلا ، ولا أوسعَ حمىً . بل جديرٌ بك أن تُنبذ بالعراء نبذ الجيف المستحيلة . ما هذا الإقدامُ على أمر لو خطر ببـالي ، فعلهُ في خواصّ أحوالي ، وُحشتُ جاهلاً عاصياً مزاحماً للمنيّة . إبْشِرْ بما ساءك [3] من إعراض وجوه عنايتي عنك . وأيمُ الله [4] ، لئن لم تقم باستدراك الفارط [5] في ذلك مقامَ العبد العاجز عند الملك القادر ، بما يحصّنُ نفسك من حتفك [6] ، ويصونني عن مقام العيب ، لأقلبنّ لك مجنّ [7] العناية ، ولآخذنّ بكل معونة قتلةً لك فاضحةً . شوّهت عقلي وذكري عند السَّراة [8] الأخيار . أبعدك الله !

أخرى في طلب مسواك [9] من شيخ الشيوخ :

ناضراً من عود أراكة [10] ، ليّن المعاطف [11] ، خوّار المعاجم [12] ، غير كزّ ولا

(١) الإجفيل : (٢٠٢ ر ٦) .
(٢) ط : « وذمه » .
(٣) ل : « سأل » .
(٤) أيم الله : (٢٥٤ ر ١٣) .
(٥) الفارط : اسم فاعل من فرط الشيء اذا ذهب وفات ، وفرط منه كلام أو أمر قبيح : بدر وسبق من غير روية .
(٦) الحتف : (٣٥٣ ر ١٣) .
(٧) المجن : (٢١٧ ر ٦) .
(٨) السراة : الأشراف .
(٩) ط : « نوال » ، وهو تحريف .
(١٠) الناضر : من النبات ، الشديد الخضرة . والأراكة : واحدة الأراك ، وهو : شجر طويل تتخذ من فروعه المساويك .
(١١) المعاطف : الجوانب .
(١٢) الخوار : الضعيف الذي لا إبقاء له على الشدة . والمعاجم : جمع معجم (بفتح الميم والجيم) ، وهو اسم مكان من عجم العود اذا عضه ليعلم صلابته من خوره .

بابسٍ [1] ، بل أغيد اللحاء [2] والملامس . يُصيبُ السُّنَّةَ [3] ، ويُبعدُ الأفلحَ [4] وضّاحَ المباسم .

أخرى :

إني وإن كنت على قومك ـ يا ابنَ الكرام ـ حرّانَ الفؤادِ ، محتدمَ الحفيظة [5] ، حيثُ لفظوا وُدّي [6] ، ونقضوا عهدي [7] ، وأخلفوا وعدي ، ولم أجْزِهِمْ بغير الهجران بقيّةَ الزمان ، وعمّا سواه فمخزون اللسان ، إذِ الإخاء مُعتصَمُهم المنيعُ منّي . ولعَمْرُ الله إنهم يُرادّون [8] منّي طوداً أيهمَ [9] ، ويجدُونَ عوْداً ثِفالاً [10] لا يهفو في ودادٍ هفوةً [11] ، ولا تطيشُ له في ذكرهم بالغيب حَبْوةٌ [12] ، ولكن رُبَّ هَجرٍ أقتلُ من هُجْرٍ [13] . وأنت بنجوةٍ عمّا اجترحوا [14] ، وحجرةٍ عمّا

(١) السكز : اليابس المنقبض .

(٢) الأغيد : من النبات ، الناعم المتثني . واللحاء : القشر .

(٣) أي يوافق ما توصي به السنة النبوية .

(٤) ط : « الأملح » ، وهو تحريف . والأفلح : الذي يعلو أسنانه القلح ، وهو وسخ يركبها تصفر ، وقد تخضر .

(٥) محتدم الحفيظة : مشتعل الغضب فيما يجب أن يحفظ منه .

(٦) لفظوا ودي : رموه .

(٧) نقضوا عهدي : أفسدوه ، والنقض ضد الإبرام .

(٨) راد صاحبه القول : راجعه إياه ، والشيء رده عليه .

(٩) الطود : الجبل . والأيهم : الشديد الصعب .

(١٠) العود : الجمل المسن . والثفال : البطيء من الإبل وغيرها ، وفي حديث حذيفة — رضي الله عنه — أنه ذكر فتنة ، فقال : « تكون فيها مثل الجمل الثفال الذي لا ينبعث الا كرهاً » .

(١١) هفا الرجل : زل .

(١٢) طاش الرجل : نزق وخف عقله . والحبوة : الثوب الذي يحتبي به ، والاحتباء : جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه ، وقد يحتبي بيديه . يريد أنه وقور حليم لا يعتريه النزق ولا يخف عقله فيثلبهم .

(١٣) الهجر (بالفتح) : الترك والإعراض . و (بالضم) الإفحاش في النطق .

(١٤) النجوة : ما ارتفع من الأرض ، وأنت من الأمر بنجوة : أي بعيد بمعزل عنه . واجترح : اكتسب ، وأكثر ما يستعمل في الجرائم والآثام ، فتقول : هو يجترح السيئات .

اجترموا (١) ، وما زلتُ أمنحُك وداداً خالصاً من ٱلأقذاء (٢) . وٱلوادُ بالصّحيفة أوجبَ قِبَلِي حقّاً زاحم فيه أخيار ٱلملوك ، وقد ٱلتزمتُ له تحمّل (٣) أثقاله مدّة ٱلحياة ، فمها تُحْدِثْ (٤) فيه من خير تجدْني شاكراً ؛ وإن تكن ٱلأخرى وكذَبَ ٱلشّيطانُ ، ألزمك ما جناه قومُك ، وأبرز لحربك كميّاً مِدْرَهَ حربٍ (٥) ثابتَ ٱلقدم تحتَ ٱلغُبار ، غيرَ مُخلِدٍ الى فرار (٦) .

ومن أخرى :

ادلهمّ ٱلباطلُ حتّى ما من جذوة حقّ يُهتدىٰ بها الى مسلك ، وصار ودادُ ٱلأكابر عاقراً في ٱلخير ، نَثُوراً (٧) في الشّرّ ، ٱللّهم غفرا .

ومن أخرى :

نادِي ٱلمكارم مُقبّلُ الصّعيد (٨) ، عن فم شادٍ (٩) بٱلمحامد غرّيد . أجِدُني — وٱلحكمُ لله — بين أوقَين فادِحَين (١٠) ينوءُ بهما (١١) الطّودُ ٱلفارعُ (١٢) :

---

(١) المجرة (بفتح الجاء) : الناحية .

(٢) الأقذاء : جمع القذى ، وهو ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة ونحوها .

(٣) ل : « يحمل » ، وما أثبتناه من ط ، وإنّما رجحناه لأن « التزم » إنما يتعدى بنفسه لا بالباء ، تقول : التزم الرجل العمل والمال ، أي أوجبه على نفسه ، مطاوع ألزمه .

(٤) ط : « يحدث » .

(٥) الكمي : (٦٩ ر ٨) . ومدره : ل ، ط « مدرة » بنقطتين فوق الهاء ، وهو خطأ . ويقال : فلان مدره حرب أي مقدم ، ومدره قومه أي زعيمهم وخطيبهم والمتكلم عنهم .

(٦) أخلد الى الفرار : مال وركن اليه .

(٧) ل : « ثوراً » ، وضبط فيها بتشديد الواو ، وهو تحريف ، وقد جاءت على الصحة في ط ، وهي (كصبور) المرأة الكثيرة الولد ، وكذلك الرجل ، يقال : رجل نثور وامرأة نثور .

(٨) الصعيد : التراب ، وقال ثعلب : هو وجه الأرض ، لقوله تعالى : « فتصبح صعيداً زلقاً » .

(٩) شاد : مترنم .

(١٠) الأوق : الثقل . والفادح : الباهظ الشاق .

(١١) ل : « ينوبهما » ، ط : « ينوابها » . وصوابه ما أثبتناه ، يقال : « ناء الرجل بحمله ينوء نوءاً » نهض متثقلا به بجهد ومشقة ، وناء به الحمل : أثقله .

(١٢) الفارع : المرتفع العالي .

تلف الكتمان ، وهُجنة الإذاعة (١) ، وهما ما هما ! وٱتحاد الملتى ، يسن إبرام الشكوى ، إذ ليس بالحيّ بارقٌ يُشامُ (٢) ولا وميضٌ يُلمَحُ .

أخرى :

فقد صبرٌ ، وٱسترقَّ حرٌّ ، ووضحَ في مخالفات عادات التخفيف عذرٌ ، وكلٌّ من المنزل والمربط صِفرٌ (٣) ، لا شعيرٌ هناك ولا بُرٌّ .

أخرى في طلب سرج :

مَرْبِضُ ضيغمٍ (٤) ، ولُجُ خِضرِمٍ (٥) ، ومفرٌ طَودٍ راسٍ أيهمٍ (٦) ، سمّاه الاصطلاح سرجاً : لا رثّاً ولا سحيقاً (٧) ولا غلاميّاً (٨) ، دِمقسيّ الحشيّة ، حديث عهد بيد الصّنّاع ، أقرب من باعك الى العلى ، والسّلامُ .

وله الى المسترشد (٩) :

(١) الهجنة : القبح ، والعيب .
(٢) شام البرق : (٤ و ٨) .
(٣) صفر : خال ، تقول : البيت صفر من المتاع .
(٤) المربض : موضع الربوض ، أي البروك . والضيغم : الأسد .
(٥) اللج : من البحر ، الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه . والخضرم : الماء الكثير
(٦) الأيهم : (٣٦١ و ٩) .
(٧) السحيق : البالي .
(٨) أي لا صغيراً مما يعد للغلمان .
(٩) هذه الرقعة والرقعتان اللتان بعدها ، من سبع رقاع كتبها الحيص بيص الى المسترشد بالله (وقد تقدمت ترجمته في ص ٢٩) ، وشفعها بمئة بيت في مدحه ، طالباً إجازته ببعض البلاد كما كان يفعل أسلافه من الخلفاء العباسيين على حد زعمه . ولكن المسترشد تغاضى عن ذلك ، وأناله خمس مئة دينار ، فردها ، وطلب منه إجازته بـ « بعقوبا » حاضرة لواء ديالى اليوم ، فأناله ثانية مثل النائل الأول ، فرده ، وأكد له رغبته في « بعقوبا » ، فبرز الجواب من المسترشد بالله شعراً حوشي الألفاظ ، غريب الكلم ، تهكماً به ، واستخفافاً بقدره في أقواله وأعماله ، واعتماداً على مقابلته بنقيض قصده .. بدأه بقوله :

ومضى الجواب بها وبان المنطب   وتدأدأت أرسانها والهيدب

وختمه بهذا البيت :

لو أن خفة رأسه في رجله   لحق الغزال ولم تفته الأرنب

وقد أورد هذا الخبر بطوله ابن دحية في « كتاب النبراس في تأريخ خلفاء بني العباس » (من مطبوعات =

جوداً [1] يا أميرَ المؤمنين [2] بوَفرٍ دَثْرٍ [3]، لا بَكيٍ ولا نَزْرٍ [4]، لفصيح شعرٍ، يَمَّمَ لُجَجَ بحرٍ [5]، برِتادُ غِنى [6] دهرٍ. فالقافيةُ سحرٌ، والسَّامعُ حِبْرٌ [7]، والنَّدَى غَمْرٌ [8].

ولــه [9]:

إنَّ وراءَ الحجابِ المُسْدَلِ لأَبْهَمَ طَوْدٍ، وخِضَمٌّ يَمٌّ [10]، مخرسُ [11] خطبٍ، قاتلُ جَدْبٍ [12]. جَلَّ فبهر، وعزَّ [13] فقهر، وجاد فغمر. ثبَّتَ اللهُ دولته [14]

= لجنة الترجمة والتأليف والنشر ببغداد سنة ١٣٦٥ م = ١٩٤٦ م)، وذكر أن قصة المسترشد بالله هذه مع الحيص بيص مشهورة، وعند الرواة مدونة مذكورة. وقد جاءت الرقاع في هذا الكتاب مدرجة، وناقصة، ومحرفة؛ ولم ينتبه الى شيء من ذلك «مصححه والمعلق عليه!»، وسأشير الى بعضه في مكانه من الرقاع الثلاث المختارة هنا.

(١) ط: «جواداً»، وهو تحريف.

(٢) في النبراس (ص ١٤٦): «بأمير المؤمنين»، وهو تحريف ظاهر.

(٣) الوفر: ما كثر واتسع من المال. والدثر: الكثير من كل شيء، يطلق على الواحد وغيره فيقال: «مال دثر، ومالان دثر، وأموال دثر».

(٤) بكيء: في ل «بلي»، وفي النبراس «بكي»، والصواب ما أثبته من ط، ومعناه القليل، يقال: بكأت الناقة والشاة بكأ فهي بكيئة اذا قل لبنها. والنزر: القليل التافه.

(٥) يمم: قصد. واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء، وخصها بعضهم بمعظم البحر، وفلان لجة واسعة على التشبيه. وفي النبراس: «لج».

(٦) في النبراس: «غناء».

(٧) الحبر (بالكسر والفتح): العالم، وقيل: الصالح من العلماء.

(٨) الندى: السخاء والكرم. غمر: كثير. وجاء في «النبراس» بعد هذه الجملة: «والرأي المقدس أعلاء» كذا أي «أعلى»، وهو من البديهيات. ثم أدرج معه قوله في أول الرقعة الآتية: «إن وراء الحجاب لأبهم طود» ولم يفطن مصحح الكتاب للإدراج، وجعل كلمة «لأبهم» المكونة من اللام المزحلقة ومن «أبهم» (لا يهم) أي «لا» النافية، و«يهم». وتقدم معنى الأبهم في (٣٦١ ر ٩).

(٩) ط: «واليه»، والسياق يوجب الجمع بينهما: «وله اليه»، أي والحيص بيص الى المسترشد بالله.

(١٠) الخضم: البحر، وهو حقيقة فيه، ثم استعير للرجل الجواد. واليم: البحر.

(١١) في النبراس: «ومخرس خطب».

(١٢) الجدب: المحل، نقيض الخصب.

(١٣) في النبراس: «عن»، وهو تحريف ظاهر.

(١٤) ثبت الله دولته: جاء في النبراس مكانها «فصلوات الله عليه».

ماهبَّتِ الرِّيحُ ، ونَبَتَ الشِّيحُ (١) ، فعلامَ الإهمالُ ؟ والسَّلامُ .

ومن أخرى :

أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ، إنَّ المَوْصِلَ (٢) والإيغارَيْنِ (٣) ـ وهما الآن إقطاعُ (٤) لملكينِ سلجوقيَّينِ ـ كانتا إجازتينِ (٥) لطائيَّيْنِ (٦) ، من إمامينِ مَرْضيَّيْنِ : معتصمَ

(١) في النبراس : « ونسم الشيح » . وقد سقط منه قوله بعد هذه الجملة : « فعلام الإهمال ؟ والسلام » ، وأدرج معه قوله « خامسة من الخدم ، في انتجاع شآبيب الكرم ... » ، وفي أثنائه سقط ظاهر لم يفطن له مصحح الكتاب . والشيح : نبت طيب الرائحة ، منه أصفر الزهر يشبه السذاب في ورقه وهو الأرمني ، ومنه أحمر غليظ الورق وهو التركي ، ومنه عربي ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي .

(٢) الموصل : (٣٠٢ و ٤) .

(٣) ل : « الأغارين » . وما أثبته من ط ، ومن معجمات اللغة ، ومن معجم البلدان (٣٨٩/١) . قال ياقوت رحمه الله : « الإيغاران : اسم لعدة ضياع من كور أوغرت لعيسى ومعقل ابني أبي دلف العجلي — رحمه الله تعالى — وقيل لها « الإيغاران » ، أي إيغارا هذين الرجلين ، وهما : الكرج والبرج » . ثم قال بعد كلام في تعريف الإيغار : « وهذين الإيغارين عنى الحيص بيص في رقعته الى أمير المؤمنين المسترشد بالله » . ثم أورد الرقعة ببعض الاختلاف . والإيغار : قال ابن دريد : « والإيغار المستعمل في باب الخراج لا أحسبه عربياً صحيحاً » ، وقال غيره : « مولد » ، وقال ياقوت في تعريفه : « والإيغار : اسم لكل ما حمى نفسه من الضياع وغيرها ومنع منه ، تقول : أوغرت الدار اذا حميته « كذا والصواب حميتها » ، وأوغر صدر فلان اذا حماه ومنعه من بلوغ غرض فامتلأ غضباً . ولا يسمى الإيغار ايغاراً حتى يأمر السلطان بحمايته ، فلا تدخله العمال لمساحة خراج ولا مقاسمة غلة ، فيكون الإيغار لعقبه من بعده على ممر السنين ، خلا الصدقات فانها خارجة عنها ، يحصيها المصدق ويأخذ الواجب عنها . ووجد بخط ابن شريح : الإيغار أن يقرر أمر الضيعة مثلا على عشرة آلاف درهم ، فيوغر لصاحبها بعشرة آلاف درهم كل سنة يؤديها في بيت المال أو في غير البلد الذي الضيعة فيه ، فتكون الضيعة موفرة محمية لا تدخلها يد عامل أو متصرف » . وانظر تاج العروس (٦٠٤/٣) .

(٤) الإقطاع : (٦١ و ٣) .

(٥) في معجم البلدان ، وفي النبراس : « جائزتين » .

(٦) في معجم البلدان ، وفي النبراس : « لشاعرين طائيين » . والشاعران الطائيان : هما الشاعران العباسيان المشهوران أبو تمام حبيب بن أوس المتوفى بالموصل سنة ٢٣٢ هـ ، وقيل غير ذلك ، وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري المتوفى بمنبج من أعمال حلب سنة ٢٨٤ هـ . وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ والتراجم ، وشأنهما في الشعر وتجديد معانيه وصقل أساليبه وألفاظه أكبر من أن يوجز .

أما ما أشار اليه الحيص بيص في هذه الرقعة من اجازتهما بالموصل والإيغارين ، فقد عرض له ياقوت وابن خلكان ، فقال الأول : « وقد وقفت على كثير من أخبار أبي تمام والبحتري ، فلم أر فيهما أن واحداً منهما أعطي واحداً من هذين الموضعين — أي الموصل والإيغارين — لكنه ورد أن أبا تمام مات وهو يتولى بريد الموصل ، تولى ذلك بعناية الحسن بن وهب » . وقال الآخر : « ... وحققت صورة ولايته (أي ولاية أبي تمام) الموصل ، فلم أجد سوى أن الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقل من =

باللّه ، ومتوكلٍ على اللّه [1] . وبناء المجد [2] الأشرف أعظم ، وخطره أجسم [3] ، وغمامه للمعتفين أرزم [4] ، فعلامَ الحرمان [5] ؟

وله :

أسبغ اللّهُ ظِلالَهُ ما افترق الحظُّ والعِلمُ ، واصطحب العقلُ والهمُّ [6] (*) .

= سنتين ، ثم مات بها » . ثم قال : « والحيص بيص ذكر في رقاعه السبع اللاتي كتبها الى الإمام المسترشد يطلب منه « يعقوبا » أن الموصل كانت « إجازة » لشاعر طائي . فإما أنه بنى الأمر على ما قاله الناس من غير تحقيق ، أو قصد أن يجعل هذا ذريعة لحصول « يعقوبا » له ، والله أعلم » . قال : « وتابعه في الغلط ابن دحية في كتاب النبراس » . قلت : إن ابن دحية لم يزد على رواية هذا الخبر كما ورد في رقاع الحيص بيص حرفاً واحداً من عنده يدل على متابعة له في هذا الغلط ، وموافقة عليه ، الا أن يكون سكوته وعدم تعقيبه عليه معدوداً عند القاضي ابن خلكان متابعة ، أو لعله وقف على نسخة تامة صحيحة من النبراس وقرأ فيها متابعته ، وليس في هذا المطبوع ببغداد على نحو ما أريتك من نقصه وتحريفاته الفاحشة شيء من هذا القبيل . وقد نقل « مصحح النبراس والمعلق عليه » كلام القاضي في اتهام ابن دحية بمتابعة الحيص بيص في الغلط ، ولم يعقب عليه .

(١) في معجم البلدان ، وفي النبراس : « المعتصم بالله ، والمتوكل على الله » ، وأخبارهما في تاريخ الرسل والملوك (١٠/٣٠٤ و١١/٧) و(١١/٢٦ وما بعدها) ، والكامل (٦/١٦١-١٩٥) و (٧/١٢-٣١) وكتاب العبر (٣/٢٥٦ - ٢٧٠) و (٣/٢٧٢ - ٢٧٩) ، والبداية والنهاية (١٠/٢٨٠) و (١٠/٣١٠) ، والفخري (٢٠٧) و (٢١٣) ، والتنبيه والأشراف (٣٠٥) و (٣١٣) ، والنبراس (٦٣) و (٨٠) ، وتأريخ بغداد للخطيب (٣/٣٤٢) و (٧/١٦٥) ، وفوات الوفيات (٢/٥٢٣) و (١/٢٠١) ، ومحاضرات الخضري - الدولة العباسية (٢٥٦) و (٢٨٤) ، وغيرها .

(٢) في معجم البلدان : « المجلس » ، وفي النبراس : « والمجد الأشرف أعلم » .

(٣) ط : أحشم ، وهو تصحيف . وفي معجم البلدان : « وخطره أشرف وأجسم » .

(٤) في النبراس : أخرم ، وهو تحريف ظاهر . وفي معجم البلدان : « وغمامه أسح وأرزم » . والمعتفون : طلاب المعروف . وأرزم : اسم تفضيل من أرزم الرعد ارزاماً أي اشتد صوته ، أو صوت غير شديد ، وهو مجاز مأخوذ من ارزام الناقة . وقد منع النحاة صوغ اسم التفضيل من الرباعي ، وخالفهم سيبويه فيما كان المزيد فيه « أفعل » ، وقاس ذلك على قوله تعالى : « ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة » ، وهما من « أقسط » اذا عدل ، ومن « أقام الشهادة » ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

(٥) في معجم البلدان : « فلام الإهمال ؟ » . (٦) ط : « والفهم » .

(*) كتب في حاشية ل ما نصه : « وتوفي الأمير (١) بن الصيفي ، المنبوز بالحيص بيص ، ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمس مئة ، رحمه الله » .

قال محمد بهجة الأثري :

هذا آخر ما منّ الله به عليّ من شرح هذا الجزء من كتاب « الخريدة » وتحقيقه وضبطه ، وبحمده تعالى شأنه تتم الصالحات .

المستدركات

المستدركات

٦٦ ١٤ ش « وقيل : أمرضه » .

وبقية التعليق : وشعفت به وبحبه (كفرح) : أي غشي حبه قلبي كما في القاموس المحيط . وقال الزَّبيدي في شرحه : « ومما يستدرك عليه شعف بفلان (كعني) : ارتفع حبه الى أعلى المواضع من قلبه ، وهو مذهب الفراء ، الى آخر كلامه . تاج العروس (٦/١٧٥) .

١٠١ ١٩ ش ومثل ذلك في فوات الوَفَيات (١/٤٢٠) لمحمّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ ، المتوفّى عام ٧٦٤ هـ ، قال : « ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو الوليد ، بن الوزير أبي المظفّر عون الدين ابن هبيرة . كان يلقب « شرف الدّين » . ناب عن والده في الوزارة . وكان شابّاً ظريفاً ، نظيفاً ، أديباً ، فاضلاً ، ينظم الشعر . امتحن بالحبس أيام والده سنين بقلعة تكريت ، ثمّ خلص . ولما تُوفّيَ الوزير ، اتّصل بالخليفة أنّه عزم على الخروج من بغداد مختفياً ، فقبض عليه وحبسه ، ولم يزل الى سنة اثنتين وخمسين وستّ مئة ، فخرج من الحبس ميتاً ، ودفن عند أبيـه » .

١٧٨ ١ « الأجلّ رضيّ الدين هبة الله بن الحسن بن محمد بن الوزير ابن المطّلب ... » .

وترجم له ابن السّاعي في « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعُيُون السير » (٩/٣١) ، قال :

« أبو المعالي بن المطّلب ، الكاتب ، المعروف بالجُرَذ . كان حسن الكتابة ، مليح الخط ، عنده أدب ، ويقول الشعر ، وفيه فضل . صنّف كتاباً سماه (تقويم المائد في تفضيل الناقص على الزائد) ، وَجَدْوَلَهُ على وضع (تقويم الصحّة) ، وذكر أعيان النّاس ، وجعل بإزاء كل شيء وضعه ابن جزلة نوعاً من الهجو أو المدح . وقد وقفت على هذا الكتاب ، وعزمت على نقله ، ثمّ أضربت عن ذلك لِما فيه من الهجو والفحش والقذف (عفا الله عنه) .

ومن شعره ما أنشدني أبو القاسم عليّ بن الجوزيّ رحمه الله ، قال : أنشدني أبو المعالي الجُرَذُ لنفسه :

أفدي التي في وجهها سُنّةٌ أشهى الى قلبي من الفَرْضِ
تَنْسى عهوداً سَلَفَتْ بيْننا كأنّها قد أكلت فَرْضي » .

وروى ناشره الفاضل اسم أبيه « الحسين » نقلاً عن « إنسان العيون ٤٤ » ، وهو في نسخ (الخريدة) عندنا « الحسن » .

١٨٧ ١ « الأجلّ سعد الدّين أبو عبد الله الحسين بن شبيب الطّيبي ... »

ترجم له ياقوت الحَمَوي في معجم الأدباء (١٠/١٢٦) فقال : « الحسين ابن عليّ بن أحمد بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب النصيبيّ النّديم ، نديم المستنجد بالله . وُلِدَ سنة خمس مئة ، وتُوُفّيَ سنة ثمانين وخمس مئة . كان أديباً ، كاتباً ، شاعراً ، له اليَدُ الطُّولى في حلّ الألغاز العَويصة » ، وذكر أمثلة من سرعة خاطره وتقدمه في حلّ الألغاز نظماً ونثراً ، ومنها المثال الّذي أورده العماد ، وسأرْويهِ بعدَ هذا .

وترجم له أيضاً محمد بن شاكر الكتبيّ في فوات الوَفَيات

(٢٧٦/١) فذكر اسمه ونسبه على نحو ما ذكرها ياقوت، غير أنّه خالفه في نسبته، فهو عنده «الطيبيّ» كما عند العماد، ولست أرى «النصيبي» في معجم الأدباء إلّا تحريفاً من النسّاخ، والله أعلم.

وزاد ابن شاكر على ياقوت كنيته ولقبه على نحو ما جاءا في الخريدة، غير أن النّاشر الفاضل ـ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ خالف بين لقبه في المتن والحاشية، فجعله في المتن «سعيد الدين» وفي الحاشية «سعد الدين»، والأول تحريف من غير شك. وفي هذه الطبعة من فوات الوفيات تحريفات جمّة، ومنها في هذه الصفحة نفسها بعد خمسة أسطر تحريف (الخريدة) الى (الذخيرة) وشتّان ما هما!

١٨٧ ٥ «وكان يداعبه، ويصحّف عليه في خطابه، ويستدعي منه تصحيف جوابه. فمن ذلك أنه أقبل يوماً، فقال له الخليفة: ابن شتيت؟ فقال في الحال: عندك. يعني ابن شيب، فقال هو: عبدك».

وصورة ذلك في معجم الأدباء (١٢٨/١٠): «ودخل ابن شيب يوماً على الخليفة المستنجد بالله، فقال الخليفة: أابن شيب؟ فقال: عبدك يا أمير المؤمنين. فأعجبه هذا التصحيف منه». وعلّق ناشره عليه بقوله: «جعل كلمة عبدك بدل عندك، وهذا التصحيف هو المشار اليه».

وفي فوات الوفيات (٢٧٦/١): «دخل يوماً على المستنجد، فقال له: ابن شيب؟ فقال له: عبدك يا أمير المؤمنين. فأعجبه هذا التّصحيف منه». وعلّق الناشر على ذلك: «كان الجواب عندك، فصحّفه الى عبدك».

٢١٦ ١١ «وله قصيدة في مدح الأمير هندي..».

قال ابن الفوطي في (تلخيص مجمع الآداب[1]) : « فخر الدين أبو حرب هندي بن أبي الفياض الزهيري الكردي الأمير، كان من الأمراء الأكراد، المنعمين الأجواد، وقد مدحه نجم الدين ابن المعلم بقصيدته المشهورة التي أولها :

تنبهي يا عذبات الرند
كم ذا الكرى هب نسيم نجد »

وأورد منها بعده خمسة أبيات أنهى بها الكلام عليه. والقصيدة في ترجمة ابن المعلم في (الخريدة)، وسأوردها.

وقد ذكره ابن الأثير[2] فيمن حضر وقعة بكمزة، وكانت في سنة ٥٤٩ هـ بين الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي والبقش كون خر أحد الأمراء من قبل السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد ابن ملك شاه السلجوقي، قال : « وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم، ومضى هندي الكردي أيضاً معهم ».

وبكمزة – ويقال فيها بكمزى وبجمزى – قرية بينها وبين بعقوبا نحو فرسخين، قال ياقوت : « كان بينها وبين بعيقبة الوقعة المشهورة بين المقتفي لأمر الله والبقش كون خر[3] ... »، وذكر في موضع آخر أنها كانت في « بعيقبة[4] ».

أما قصيدة ابن المعلم الهرثي الواسطي في مدح الأمير هندي

---

(١) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : نسخة خزانة كتب مديرية الآثار العراقية العامة، وهي مصورة عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق.

(٢) الكامل (١١/٨٠) طبعة بولاق.

(٣) معجم البلدان (٢/٢٥٦) طبعة مصر.

(٤) معجم البلدان (٢/٢٢٩).

التي أورد منها ابن الفوطي في (تلخيص مجمع الآداب) ستة أبيات ، فهي في الخريدة ، اقتصر العماد على غزلها ، وعدة ما رواه منها ١٦ بيتاً في نسخة الفاتيكان و ١٧ بيتاً في نسخة باريس . وكانت هذه القصيدة من القصائد السائرة ، إذ كان لها شأن عند الأدباء لرقتها وعذوبة ألفاظها ، حتى قال أبو عبد الله اللارجاني : « قال لي إنسان بسمرقند ، وقد جرى ذكر أهل العراق ولطافة طباعهم ورقة ألفاظهم : كفى أهلَ العراق أنّ منهم من يقولُ :

تنبّهي يا عَذَباتِ الرَّنْدِ

كم ذا الكرَى ؟ هبَّ نسيمُ نجدِ

وكرَّر البيت تعجّباً منه للطافته وعذوبة لفظه » .

ولمّا رواها العماد ، افتنّ في وصف ما لقيته من استحسان الناس فقال (١) :

« وله من كلمة في رقة النسيم السحريّ ، وحسن الوشي التستري ، سارت ، وأنجدت [وغارت (٢)] ، حتى شدا بها الشادي ، وحدا بها الحادي ، ووجَد بها أربابُ الغِناء الغِنى والوُجْدَ ، وأصحابُ القلوبِ الهوى والوَجْدَ ، لاسيّما بمطلعها المقبول المعشوق ، المعسول المرموق الموموق (٣) . وهي في مدح الأمير هندي الكردي (٤) » .

القصيدة

تَنَبَّهي يا عَذَباتِ الرَّنْدِ

كَمْ ذا الكرَى ؟ هبَّ نسيمُ نجدِ

(١) الخريدة : الفاتيكان (٣/١٣٧) . (٢) من نسخة باريس .
(٣) ب : « المرقوق » ، وهو تحريف .
(٤) ب : « الكردري » ، وهو تحريف .

مَرَّ على الرَّوضِ وجاء سَحَراً   يَسْحَبُ بُرْدَيْ أَرَجٍ وبَرْدِ
حتّى اذا عانقتُ منه نَفْحَةً [1]   عادَ سَمُوماً، والغرامُ يُعْدي
واعجباً منّيَ أستشفي الصَّبا   وما تَزيدُ النّارَ غيرَ وَقْدِ
أُعَلِّلُ القلبَ ببانٍ رامةٍ   وما ينوبُ غُصُنٌ عَنْ قَدّ
وأسألُ القلبَ ، ومَنْ لي لَوْ وَعى
رَجْعَ الكلامِ ، أو سخا بِرَدّ
أأقتضي النَّوْحَ حماماتِ اللِّوى ؟
هيهاتَ ، ما عندَ اللِّوى ما عندي [2] !
كَم بين خالٍ وجوٍ ، وساهرٍ   وراقدٍ ، وكاتمٍ ومُبْدي
ما ضَرَّ مَنْ لَمْ يَسْمَحُوا بزَوْرَةٍ
لو سَمَحَتْ طُيُوفُهُمْ بوَعْد
بانوا، فلا دارُ العقيقِ بَعْدَهُمْ   دارٌ ، ولا عهدُ الحِمى بِعَهْدِ
آهِ من البعد ، ولو رَفَقْتُمُ   ما ضرّني تأَوُّهي للبُعْدِ
عشقيَ . لا ما عَشِقَتْهُ (عُذْرَةٌ)
قبليَ ، يَشْتَقّ به مَنْ بَعْدي [3]
ماذا على العاذل إنْ كَنَيْتُ عن
حُزْوى وليلى بالحِمى وهِنْدِ ؟
تَعِلَّةٌ وُقوفنا بطَلَلٍ   وضِلّةٌ سؤالُنا لِصَلْدِ [4]

---

(١) ب : « نفحة » .
(٢) ب : « ما عندي اللوى ما عند » ، وهو تحريف .
(٣) ب : « قبلي وبي يسلى بي من بعد » .
(٤) هذا البيت من نسخة باريس ، وصورة الشطر الثاني فيها : « وظلة سالنا لصلد » .

إنْ نَكَبَ الغيثُ الحِمى وضنَّ أنْ

يُبَـــبرَّ في عِراصِهـــا ويُسْـدي

سَقَتْهُ عيني ، ورمته أضلعي بوابـــلٍ وبارقٍ ورَعْـدِ

طَرْفٌ يَجِفُّ المُزْنُ وهـو واكفٌ

كأنما جَفْنـاهُ كَفَّا (هنـــدي)

٣٠٩ ٨ ش « وقد ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٧ هـ عرضاً ... » .

وذكره أيضاً في حوادث ســـنة ٥٠١ هـ (١٠/١٦٦) من طبعة بولاق .

٣٥٠ ١١ ش « المغربي » : والمغربيّ المذكور ترجم له ابن السّاعي الخازن المتوفّى سنة ٦٧٤ هـ في وَفَيات سنة ٦٠٦ هـ من كتابه « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » (٩/٢٩٣) ، فقال :

« أبو محمد عبـــد العزيز بن عبد الله المغربي القيرواني ، معبّر الرؤيا . شيخ فاضل ، قدم من المغرب ، وكان عنده أدب ومعرفة تامة بتعبير الرّؤيا . توفّي ببغداد في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول من السنة المذكورة — أي سنة ٦٠٦ هـ — . وكان مولده — على ما ذكر — في سنة عشر وخمس مئة » .

٣٦٣ ١٢ ش « وطلب منه إجازته بـ « بعقوبا » ... » .

قال ياقوت في معجم البلدان (٢/٢٢٥) : « بَعْقُوبا (بالفتح ثمّ السكون وضم القاف وسكون الواو والباء موحدةً) ويقال لها « باعَقُوبا » أيضاً : قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان . وهي كثيرة الأنهار والبساتين ، واسعة الفواكه ، متكاثفة النخل ، وبها رطب وليمون . يضرب بحسنها

وجودنها المثل — الى أن قال — : وبعقوبا هذه هي التي ذكرها سعد أبن محمد الصيفي ، وهو الحيص بيص ، في رسالته السبع يسأل المسترشد أن يهبها منه ، وعُوِّض عنها بمال ، فلم يقبله » .

ثم عاد ياقوت فذكر القصة بعد صفحات قليلة ، في مادة « بُعَيْقِبَة » (٢ ٢٢٩) ، وقال : « بعيقبة : تصغير بعقوبا ، قرية بينها وبين بعقوبا فرسخان . وهي التي أنعم بها — فيما ذكر بعضهم — المسترشد بالله على الحيص بيص ، فلم يرضها ، وبها كانت الوقعة بين البقش كون خر والمقتفي لأمر الله » .

محمد بهجة الاثري

فهرست الغلط والصواب

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٧	١٤ ش	حامد بن عبد الله	حامد بن محمد بن عبد الله
١٠	١٨ »	والمقريزي	وابن كثير
٢٠	» »	٢٥١/١	٢٥١/٢
١٠٨	٣	(٤)	(٣) « وعلى نسقه يصحح ما بعده »
١٢٩	٤ ش	تهمة	تهامة
١٨٢	٥ »	نسبها	نسبها
٢٠٢	١ »	بتجريد « حيص »	بتجريد « الحيص »
٢١٤	١٣ »	زد	زنكي
٢١٦	٨ »	السطوة	جمع السطوة
٢٢٢	١ »	»	» »
٢٢٠	١٦	(٩)	(٨)
»	١٧	(١٠)	(٩)
٢٥٣	٢ ش	الى خيلها	أو خيلها
٢٧٠	٧ »	(٥)	(٦)
٢٧٦	٦ »	المعفي	المتقي
٢٧٨	١ »	والصواب	والصوب
٢٩٢	٨ ش	٢٠٨	٢٦٨
٣٠٦	١٢	(يزاد بعد هذا السطر « اليم » مستقلاً)	
٣٠٧	٢ ش	١٦٨	٢٦٨
٣٢٠	٩	ينقضُ	ينقصُ

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٧	١٠	وطلب	وطلب رفده
٣٨	١٣	يَهديها	يُهديها
٧٦	٢	طلائع	طلائغ
١٦٢	٢	فكتب	فكتبت
١٧٦	١٢	موجبٌ	موجباً

فهارس الكتاب (*)

(*) صنعها الدكتور جميل سعيد .

١ - فهرست اجمالى لموضوعات الكتاب

جماعة من بيت رئيس الرؤساء

آل الرفيل بني المظفر

بنو المطلب

باب في محاسن الشعراء

٢ - فهرست تفصيلي لموضوعات الكتاب

٣ - فهرست الأعلام

(يشمل أعلام المتن والشرح)

(ظ)

(ع)

٤ - فهرست القبائل

(ويشمل المتن والشرح)

٥ - فهرست الأماكن والبقاع

(ويشمل المتن والشرح)

٦ ـ فهرست أوائل المقطوعات والقصائد

(الواردة في متن الكتاب)

(أ)

(ب)

٢١٤ مظفَّر الدين ، إن فاق الرجال فقد — فاق الجياد بيوم الطرد أشهبه
٢١٦ ما طاب شيء في الزمان لسامع — أو ناشق إلا وعرضك أطيب
٢١٢ نكبا صمتي ، وخافا صخبي — لا ركبت الخيل إن لم أغضب
١٨٠ قل لابن تركان حليف الندى — جواهري في النظم لم تثقب
١٤٩ وخضراء محقوقف ظهرها — تضم لآلىء لم تثقب
١٦٢ الحيّ لم يهجر في حبسه — والميت لا يهجر في الترب ؟
٢١٢ أبا عمارة إن شطت منازلنا — فمن معاليك إدناء وتقريب
٢٣٣ وميتة فيها حراك اذا — قامت على منبرها خاطبه
٢٤ قالوا : « الرحيل » فأنشبت أظفارها
في خدها وقد أعتلقن خضابا
١٥٤ أحسن ما روّح بي شادن — بداه تحكي اللؤلؤ الرطبا
٢١٨ الخرق رهب ، لكن الأناة لها — عند التأيد أضعاف من الرهب
٢١٥ يقرّ بعيني أن أجشمها السرى — سراعاً كظلمان المروت السباسب
٢١٨ سلامة المرء ساعة عجب — وكل شيء لحتفه سبب
١٢١ كأنما البدر حين يبدو — لنا ويستحجب السحابا
٢١٨ نشوان من ذكر العلاء كأنما — في كل منقبة مدامة شارب
١٤٩ يا ربّ لموّة حيا بها قمر — حلو القبل ، ألمى ، بارد الشنب
١٢١ اذا تطلع ببدر التمّ من فرج — بين السحاب وغارت حوله الشهب
٢١٣ سادرات ألفاظهن عذاب — عن خلال مهذبات عذاب
٢٦١ اذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم — عصائب طير تهتدي بعصائب
٢١٥ لبيق الغنى ، لا ينقص الفقر جوده — ولا يمترى معروفه بالعواصب
٣٣٩ وكنت اذا ناديته لملمة — أتاني جريشاً ملغياً للعواقب
٢١٦ أجأ وسلمى أم بلاد الزاب — وأبو المهنّد أم غضنفر غاب ؟

١٥٧	يجري دموعي شوقاً إن نظرت الى	بدر السماء ، وبدر الأرض قد غابا
٩٦	بدأت بنعمى ثم واليت فعلها	وتابعتها في حالة البعد والقرب
١٩٤	مستنجد بالله مالكها	أمسى لأفلاك العلى قطبا
١٥٥	وصبت بي من كان أخـ......	ـذ عطاي منية قلبه
٢١٨	أدنت لك العلياء نازحها	فبعيد كل فضيلة كثب
٢١٨	وكنت كبازيّ من الطير أشهب	يهاب تجلّيه وتخشى مخالبه
١٠٢	طُلّ دم بالعتاب مطلوب	وطاح دمع في الربع مسكوب
٢١٠	خذوا من ذمامي عدة للعواقب	فيا قرب ما بيني وبين المطالب
٢١٦	أبعدت بالفضل عمن قبله سفهاً	وبتّ للفضل منه أيّ مقترب
٩١	يقول صديق باللسان مخاتر	كما قيل في الأمثال : عنقاء مغرب
١٢٢	أما عن سبيل للمنية مذهب	ولا عن طلاب الموت ويحك مهرب ؟
١٨١	يا سيدي والطالب الغالب	قد وقع اللصّ على النائب
٢١٤	تطيش الرزايا حوله وهو راسخ	يزيد وقاراً من طروق النوائب
١٢١	فكأن هـذا البدر حيث تظله	سحب فيخفى تارة ويؤوب

(ت)

٢١٩	كأن محن الشمس فوق جبينه	اذا ما وجوه الحادثات اكفهرّت
١٥٣	وتفاح أتى من خـ	ـد قاتلتي وقد جنت
٢١٩	صلت منه بصقيل الصفـ	ـح مطرور الشباة
١٩٦	لا تحزننّ لذاهب	أبداً ، ولا تجزع لآت
١٣٤	وقائلة : هلمّ ، بغير لفظ	ولا لغة تبين من اللغات
١٨١	ما أقبح الغيم ولو أنه	عطرنا دراً و ياقوتا !

(ث)

٢٢١	يفضله على ماء الغوادي	ندى كفيه والخلق الدميث

(ج)

٢٢٣	لا يعجزنك المجد من بعده	وإن نضا عيسك ادلاجا
٢٢٢	دعوت الذي أرسى ثبيراً بحوله	وأعقب ظلماء الدجى بالتبلّج
١٨٢	قلت لها إذ أقبلت	في حلة كالسبج
٢٢١	جمعت لك الأوصاف غير منازع	في غاية وسواك منها مخدج
١٨٣	تنانيركم للنمل فيها مدارج	وفي قدركم للعنكبوت مناسج

(ح)

١٤٢	يا فتى أفلح وإن	لم يكن قط أفلحا
١٢٧	أحن إلى روض التصابي وأرتاح	وأمتح من حوض التصافي وأمتاح
٢٢٤	إني لأفكر في علاك فأنثني	حيران لا أدري بماذا أمدح
٢٢٤	إن الوزارة وهي معتلج العلى	ومقام كل مسوّد جحجاح
١٩٠	بكر الغمام لها بدمع سافح	طرباً إلى نغم الحمام الصادح
١٩٠	أمسى بخير في حماه وأنعمي	ما دام يبقى في الصباح الصالح
٢٢٣	بطن الهوى العذري وجدي بعجده	وما هو إلا الداريّ المبرّح
١٤٢	يا قلب إلام لا يفيد النصح	دع مزحك كم هوى جناه المزح
١٤٩	أنظر إلى التاريخ يجـ	ـلوه من الصبح وضح

(د)

٢٣٥	ظلّ الأسنة ، لا جدران بغداد	وسابغ الزغف ، لا موشيّ أبراد
٢٤٢	لا تلبس الدهر على غرة	فما لموت الحيّ من بدّ
٢٢٧	ألق الحدائج ترع الضُمّر القود	
	طال السرى ، وتشكّت وخدك البيد	
٢٤٣	ربّ رفد وإن تكاثر عداً	قلّ من فرط كثرة الترداد
٩٩	يا غاية الحسن ! هذا غاية الكمد	ومنتهى البدر ! هذا منتهى جلدي

٣٥٠ كل الذنوب لبلدتي مغفورة　　إلا اللذين تعاظما أن يغفرا

٢١ وقد تنظر الأشياء بالسمع إن جرت

موانع صدت عن تأمل ناظر

٢٥٩ إذا شوركت في حال بدون　　فلا ينشاك عار أو نفور

٣١ أقول لشرخ الشباب: أصطبر .　　فولّى ، وردّ قضاء الوطر

١٥٢ أنا سوط كالرعد ، لكن بلا صو

تٍ ، أسوق السحاب من حيث يجري

(ز)

٢٦٢ حث الكريم على الندى ، وتقاضه　　بالوعد ، وأبعثه على الإنجاز

(س)

١٨٨ وشى بالصبح عباس　　وثوب الليل أدراس

٢٦٢ لا تذكري شعثي ولو حسبت　　تلك البرود هوابي الرمس

١٤٣ إن قدّم الصاحب ذا ثروة　　وعاف ذا فقر وإفلاس

١٢٥ وكأس كساها الحسن ثوب ملاحة　　فحازت سنيا، مشرقاً يشبه الشمسا

(ش)

١٣٥ يا حبذا ظبي نشا　　يضمه هذا الرشا

٢٣ القلب من خمر التصابي منتش　　من ذا عذيري من شراب معطش؟

(ص)

٢٦٢ اذا شائبات الدهر كدرن صفوتي　　جلوت قذاها عن فؤادي بخالص

٦٤ أطاع دمعي ، وصبري في الغرام عصى

والقلب جرّع من كأس الهوى غصصا

١٥١ ورقاء تندب فوق الغصو　　ن على نفسها خوف قناصها

(ض)

٧١ أصح عيون الغانيات مريضها — وأفتك ألحاظ الحسان غضيضها

١٧٩ فديت من في وجهه سنة — أشهى الى القلب من الفرض

٢٦٣ اذا مرض الوزير أبو علي — رعاه الله — فالمجد المريض

١٧ هل عائد زمن الوصال المنقضي ؟ — أم عائد لي في الصبابة ممرضي ؟

١٤٦ قالوا : أبياتك ما ذا بها — أعطى ؟ كأن الشعر لم يرضه

١٨٥ وحاشا معاليك أن يسترا — د ، وحاشا نوالك أن يقتضى

٤٣ لقد بسط الإحسان والعدل في الأرض

إمام بحكم الله في خلقه يقضي

(ط)

١٨٠ مولاي في منزلكم كاتب — يزيد في ظلمي إفراطا

٢٦٣ وأحلاف مجد موجفين الى العلى

لهم من قصيّ — حيثما أصبحوا — رهط

١٨٣ ثلاثة حبت اليه : — ألتيه ، والعجب ، والسقوط

(ع)

٢٠٥ جعلت من الحدثان أحصن أدرع — فلقد سنّ على الكريم الأروع

٦٠ مقصوده أهوى الهوى وأطيعه — هذا ، لعمر هواك ، لا أستطيعه

٨٢ وأسلمني الباكون إلا حمامة — مطوقة قد صانعت ما أصانع

٢٦٦ أمجداً بلا سعي ؟ لقد كذبتكم — نفوس ثناها الذلّ أن تترفعا

٢٧٧ صنو النبيّ ! رأيت قافيتي — أوصاف ما أوتيت لا تسع

٢٧٤ تجيب نداه قبل أن تستثيبه — وخير الندى ما لم يكن بدواع

٢٧٤ قومك أغرى معشراً بالندى — وخير من أصغى الى الداعي

٢١ وصفراء مثلي في القياس ودمعها سجام على الخدين مثل دموعي
٢٧٣ محا القلب من ود الغواني ، وودها من السورة العلياء ليس براجع
٢٧٦ ألا من مبلغ عني هماماً أشمّ كذروة الطود الرفيع ؟
٢٧٤ اذا ما اُدْتست خلت الرياح جرت ضحى
على قصب الآجام ، وهي زعازع
١٥٨ رثيت من ذكره ينثني فاَصبر على الفيء يا سميع
٢٠ وباخل أشعل في بيته طرمذة منه لنا شمعه
٢٧٤ أغر رحيب الصدر ، أما ملاءه فماض ، وأما جوده فهو طائعه
٣٣ زمان قد أستنت فصال صروفه وذلّل آساد الكرام مع القرعى
٢٧٥ رعاك ضمان الله ما أظلم الدجى بهيماً ، وما أبيضت وجوه المطالع
٢٧٥ يبذل المال ، فإن حلّ به لاجيء من صرف دهر منعه
٢٠٥ سرى ذكر فضلي حيث لا الريح تهتدي
طريقاً ، ولا الطير المحلّق واقع
٢٦٤ وفتيان صدق من تميم تنائلوا دروعهم ، والليل ضافي الوشائع
٢٦٨ حلفت بما شادت تميم من العلى أولو الفضل في يوم الندى والوقائع

(ف)

٢٧٩ اضطرار الحر الكريم الى الدو ن ، وإن حاز غاية الإسراف
١٩٥ أنت الامام الذي يحكي بسيرته من ناب بعد رسول الله أو خلفا
٢٧٨ حاشا لدين العلى يلوي بواجبه وأنت للدين من بين الورى شرف
٢٧٧ خليليّ من عليا تميم ابن خندف نداء أبيّ للهضيمة عارف

(ق)

٢٠٠ هبّ النسيم بحاجر فتنبّهت أشواقه
٢٨٥ ولينة الأعطاف خوّارة ذات غصون لونها أورق

١٥١ ماأنس لاأنس مسكاً كان يمسك لي
بطيبه رمقاً في الحبس كان بقي

١٥٤ وشمعة في الظلام تؤنسني   والنار فيها وفيّ تأتلق

٢٨٧ منّة الدون في الرقاب حبال   محصدات كأحبل الخنّاق

٢٧٩ لمن جيرة دون اللوى والشقائق   ينطون بالأعداد ثوب السمالق ؟

١٠٧ أضاءت لنا بالأبرقين بروق   نواقل ، منها كاذب وصدوق

١١٧ أسلمني الى الغرام والأرق   طيف متى شاء على النأي طرق

١٨٤ ومرسلة معقولة دون قصدها   مقيدة تجري حبيس طليقها

٩٩ ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها   وتلك بحار لا يقفّى طريقها

٢٨٤ يا باذل المال في عدل وفي سعة   ومطعم الزاد في صبح وفي غسق

٢٨٤ وما مغرم صبُّ الفؤاد وشت به   مدامعه إثر الخليط المفارق

٢٨٢ ذريني وأهوالي نفرّ ونلتقي   سيهزمها عنّي حسامي ومنطقي

١٤٥ واني اذا ألقى الظلام رواقه   وساور طرفي فيه همٌّ مؤرّق

١٥٤ خير ما جالس اللبيب كتاب   لا قرين فيه ريا ونفاق

١٠٧ ترنّح من برح الغرام مشوق   غداة نأت بالوائلية نوق

٩٩ تمسك بتقوى الله فالمرء لا يبقى   وكل أمرىء ما قدّمت يده يلقى

(ك)

٢٨٧ اذا أشتملت على شمس وبدر دجى   يهدى به الركب أنّى وجهة سلكوا

(ل)

٣٠٣ علي بسابقه القسوم أزمني   صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل

١٥٦ أفادني السجن منه عقلاً   لعقله سمتي أعتقالا

١٥٢ وأدهم كالليل لما بدا   مسيره والصبح قد أقبلا

١٩٨ جود الإمام المستضيء غمامة   للمجتدي ، تروى بها آماله

٧٨	بقيت أمير المؤمنين مخلداً	تطلّ بأسباب العلاء على النجم
١١٢	خطرت تحمل من سلمى سلاما	فأثنى بشكر إنعام النعامى
١٦٨	لائم المحب غير ملائم	هام قلبي وقلبه غير هائم
٣١٩	كأن كأساً خندريسية	تعلى بماء المزنة الهامي
٣١٥	اذا مدحت معز الدين آونة	فما زهير بمذكور ولا هرم
٣٢١	يلين في القول ، ويحنو على	سامعه وهو له يقصم
٨١	ما كان بالاحسان أولاكم	لو زرتم من كان يهواكم

(ن)

٣٢٨	إني وبغداد كالمظلوم من قمر .	حسن وليس وراء الحسن إحسان
٣٢٨	رأيت حوباً كبيراً غير مغتفر	تسويدها ، وهي لا تجري باحسان
٣٢٨	مرض الحب شفاني أبداً	كلما أكربني أطربني
١٢٩	وتقسم الناس المسرة بينهم	قسماً ، فكان أجلّهم حظاً أنا
١٨٨	اذا حلّ تشرين فأحلل أوانا	فإن لكل سرور أوانا
١٨٥	يا خفيف الرأس والعقل معاً	وثقيل الروح أيضاً والبدن
٩٤	قل للوزير ، وكلهم جذلان	لا تشمتوا ، فوراءه الحدثان
٣٦	قد جدد الدهر في الورى محنا	وأودع الدهر في الحشا حزنا
٣٢٨	فبقائي في فنائي فيكم	وسروري منكم في حزني
٣٢٢	ما ضاق قولي عن شيء أحاوله	إلا بشكر الذي أوليت من حسن
١٥٤	إني لأعشق من تملا محاسنه	أذني ، ولم ترَ عيني وجهه الحسنا
١٨٦	أعيذكم من لوعتي وشجوني	ونار أسى بين الضلوع دفين
٣٢٢	مطمعي في مدحهم زينتهم	تلكم الزينة خضراء الدمن
٣٢٧	تظن خطوب الدهر أني بكرّها	أحاذر حرب الخطب وهي زبون
١٩٩	عدل الإمام المستضيء الحسن	أجار من جور صروف الزمن

١٥٤	وأترجة صفراء لم أدر لونها	أمن فرق السكين أم فرقة السكن
١٥٧	خدمت بالعين ، وقد فرقوا	بينكما يا سخنة العين
٣٢١	أنا والزناد بيرده وتصبري	سيان في الإخفاء والكتمان
٣٢٧	إن شارك الأدوان أهل العلى	والمجد في تسمية باللسان
٣٢٢	أطمت النهى في نجدتي وبياني	فأصبح سيفي مغمداً ولساني
١٨٩	سرى ، والدجى تصبي غدائره الجون ، نسيم على سر الأحبة مأمون	
٣٢٧	لا تلطفن بذي لؤم فتطغيه	وأغلظ له يأت مطواعاً ومذعانا
٣٢٦	صيغت دواتك من يوميك فاشتبهت على العيون ببلور ومرجان	
١٥٣	أمسيت أرحم أترجاً وأحسبه	لصفرة فيه من بعض المساكين
٣٢٥	يجلي العظيمة من غير فخر	ويعطي الجزيلة من غير منه
١٥٤	قلت شعراً ، قالوا : بغير عروض ناقص ، والعروض بالميزان	
٨٤	من مبلغ ساكني الزوراء مألكة	أني بمنزل عز صين من هون
١٤٣	إن زماناً قد صرت فيه	مرشحاً للوزارتين
٢١	يمن ، ولا يدري بأي عالم	بأفعاله والمن بالمن يوزن

(ي)

٣٣٥	يزيد في عز الفتى ذله	حيناً ، وإن كان له آبيا
٣٣٦	أقول ، وقد تولى الأمر حبر	ولي لم يزل براً تقيا
٣٢٨	بلفظة منك يشفى داء معضلة	أعيا على فصحاء الناس شافيها
٣٣٠	أرادت جواراً بالعراق فلم تطق	هواناً فراحت تستفز المواميا
٣٣٠	سألنا الله أن نعطى إماماً	نعيش به ، فأعطانا نبيا !!
١٥٧	إن حاول الدهر إخفائي فإن له	في حجبي الآن سراً سوف يبديه

٧ - فهرست الكتب

(التي رجع اليها محقق الكتاب وشارحه ، أو ذكرها في أثناء كلامه[1])

---

(١) وقد أوردنا معها أسماء الكتب المذكورة في المتن ، وهي قليلة جداً ، وميزناها بهذه العلامة * ، وقد تكرر في الشرح فنميز رقم التي في المتن بخط تحته .

(ت)

(ن)